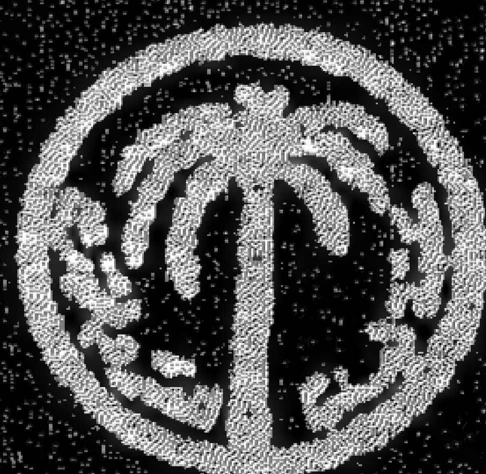
فِرَقٌ مُعَاصِرَة

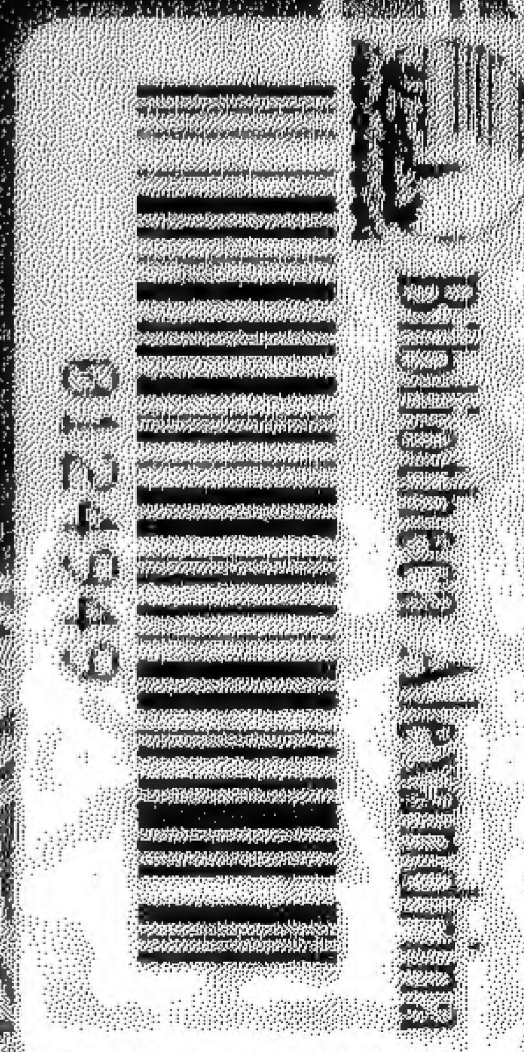
تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها

إعداد
غالب بن علي عواجي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الجزء الأول



٠٤٥/٣٣٥١٩٩٠٤٥



فرق معاصرة

تنتسب إلى الإسلام

وبيان موقف الإسلام منها

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



فرق معاصرة

تنتسب إلى الإسلام

وبيان موقف الإسلام منها



إعداد

غالب بن علي عواجي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٤١٤هـ



بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين...

وبعد .....

فأحمد الله تعالى على ماهيأ للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من طلاب علم جاؤوا من بلدان بعيدة وأماكن مختلفة للتزود بالعلم النافع في دينهم ودنياهم ألّف الله بين قلوبهم،في هذه الجامعة الإسلامية المباركة وصاروا كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ...

ولاشك أن هذا المجتمع الطيب مما تزداد القلوب به إنشراحًا ، فهى فرصة ثمينة للطلاب والمدرسين أتيحت لهم بفضل الله ثم بجهود القائمين على خدمة الإسلام والمسلمين بكل سخاء وحين أسند إلى تدريس مادة الفرق منذ العام الدارسى ١٤٠٥ هـ ، كنت مستشعراً أهمية هذه المادة المفيدة لتفهيم أبناء المسلمين ما يبيته لهم أعداؤهم من الإصرار على تفتيت وحدتهم ، والتشويش على أفكارهم - إن لم يتمكنوا من إخراجهم عن دينهم نهائيا . - وهم يعملون هذا تحت ستار إظهار الإسلام والانتساب إليه مما جعل الكثير من أبناء المسلمين - يقعون ضحية تلك المؤامرات الخفية منها والظاهرة ومما يدعو إلى الأسف .زهد كثير من المسلمين عن البحث في حقيقة تلك الفرق فجهلوا الأخطار التي تبيّت لهم ، فلم يعد البحث عن تلك الطوائف والتصدي لها مثار أخذ ورد بين الكثير

من طلاب العلم ـ فضلا عن العامة وفي مقابل هذا أقول بكل تفاؤل أنه ـ مما يسرني جدا في أثناء تدريسي لهذه المادة شدة رغبة وإقبال الشباب على تفهم ودراسة أفكار تلك الطوائف، ومعرفة جذورها التاريخية.

... وعقائدها المختلفة وأفكارها المتباينة بحماس واضح ورغبه صادقة..... بعد ما اتضح لهم مقدار الحاجة إلى مثل هذه الدراسة .

ولقد كانت هذه الفرق التي يموج بها العالم الإسلامي ودراستها ، ومعرفة مخاطرها الظاهرة والخفية على الإسلام والمسلمين محل اهتمامي ... فكنت أقرأ كل ما تيسر لي الإطلاع عليه من كتب علماء السنة ، وما كتبه غيرهم . ثم أثبت كل ما استحسنته وكان صوابًا ـ من تلك الكتب أثناء دراستي لها من فوائد علمية ، وآراء مهمة ، ومناقشات هادفة ... فجمعت شتات كثير من الفوائد التي تهم الراغب في دراسة الفرق مع بيان الحق منها ورد كل ما يعارض الإعتقاد السليم ولم أهتم بذكر الفرق الفرعية بكل طائفة إلا ما دعت إليه الحاجة وهو قليل وقد كتبت كل ذلك لنفسي ، فلما اجتمع لي ما استحسنته من إثبات شتات كثير من المعلومات عن الفرق في مكان واحد رجوت الله تعالى أن ينفعني وإخواني طلاب العلم به وأن يكون منجداً أولياً لدارسي الفرق .

ولرغبة الأحبة من طلاب العلم قدمته لهم سائلاً المولى جلت قدرته أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويعينهم على فهم حقيقة تلك الفرق التي يدرسونها .

مع اعتذاري عما يوجد فيه من سهو أو تقصير فالخير أردت والكمال لله وحده

ولكل امرئ مانوى ....

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ....

أبواب . وفصول لكل باب

الباب الأول: مقدمة في الفرق وتشمل الفصول الآتية :

١ ـ **الفصـــل الأول** : الهدف من دراسة الفرق .

٢ ـ **الفصـل الثـاني** : أهمية دراسة الفرق .

٣ ـ **الفـصل الـثالث** : النهى عن التفرق وفيه مبحثان.

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

٤ ـ **الفصل الرابع** : حصر الفـرق في العدد المذكور في حديث الافتـراق ويشتمل على مبحثين .

المبحث الأول : من هى الفرقة الناجية ؟

المبحث الثاني : معنى قوله ﷺ : كلها في النار إلا واحدة .

٥ ـ **الفصل الخـامس** : كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين .

٦ ـ **الفصل السـادس** : مدى سعـة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة ومـوقفهم منه. وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية.

٧ ـ **الفصل السـابع** : مظاهر الخلاف بين المسلمين .

٨ ـ **الفصل الثامـــن** : كيف تبدأ الفرق في الظهور .

٩ـ **الفصل التاسـع** : منهج العلماء في عد الفرق .

١٠ ـ **الفصل العاشر** : ما المراد بأمة الإسلام .

١١ ـ **الفصل الحادي عشر** : أهم أسباب نشأة الفرق .

الـبــاب الثاني : دراسة عن الخوارج وفيه الفصول الآتية :

١ ـ **الفـصــل الأول** : تمهيد ـ وجود الخوارج في الماضي والحاضر .

٢ ـ **الفصل الثاني** : التعريف بالخوارج لغة واصطلاحا .

٣ ـ **الفصل الثالث** : أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات .

٤ ـ **الفصل الرابع** : متى خرج الخوارج .

٥ ـ **الفصل الخامس** : محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان .

٦ ـ **الفصل السادس** : أسباب خروج الخوارج .

٧ ـ **الفصل السابع** : حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم .

٨ ـ **الفصل الثامن** : دراسة أهم فرق الخوارج وهم الإباضية.

وتشمل دارسة هذه الطائفة ما يلي :

١ ـ تمهيد .

٢ ـ زعيم الإباضية .

٣ ـ هل الإباضية خوارج .

٤ ـ فرق الإباضية .

٥ ـ دولة الإباضية

٦ ـ موقف الإباضية من المخالفين لهم .

أ ـ موقفهم من سائر المخالفين :

ب ـ موقفهم من الصحابة .

٧ ـ عقائد الإباضية .

٩ ـ **الفصل التاسع**:إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج ويشمل المسائل الآتية:

المسألة الأولى ـ هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط .

المسألة الثانية ـ موقف الخوارج من صفات الله تعالى .

المسألة الثالثة ـ حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج .

المسـألة الرابعـة ـ الإمامة العظمىٰ .

المسـألة الخامسة ـ موقفهم من عامة المسلمين المخالفين لهم .

المسألة السادسة ـ حكم الخوارج في أطفال مخالفهم .

١٠ ـ الفصل العاشر : الحكم على الخوارج .

أما الباب الثالث : فقد خصص لدارسة الشيعة من خلال الفصول الآتية :

١ ـ الفصل الأول : التعريف بالشيعة لغة واصطلاحا وبيان التعريف الصحيح .

٢ ـ الفصل الثاني : بيان متى ظهر التشيع .

٣ ـ الفصل الثالث : مراحل دعوى التشيع .

٤ ـ الفصل الرابع : أسماء الشيعة .

٥ ـ الفصل الخامس : فرق الشيعة ويشمل :

١ ـ تمهيد .

٢ ـ السبب في تفرقهم .

٣ ـ عدد فرقهم .

٤ ـ السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرقهم .

٦ ـ **الفصل السادس** : دراسة أهم فرق الشيعه .

١ ـ السبئية .

٢ ـ الكيسانية .

٣ ـ المختارية .

٤ ـ الزيدية .

٥ ـ الرافضة : وتشمل دراستها ما يلى :

١ ـ تعريفهم لغة واصطلاحا .

٢ ـ سبب تسميتهم بالرافضة .

٣ ـ وجودهم قبل اتصالهم بزيد .

٤ ـ أسماؤهم قبل اتصالهم بزيد .

٥ ـ فرقهم وهم :

١ ـ المحمدية .

٢ ـ الإثنا عشرية : وتشمل دراستها :

١ ـ أسماؤهم وسبب تلك التسميات .

٢ ـ سبب انتشار مذهبهم وأماكن انتشارهم .

٣ ـ فرقهم وأهمها :

١ ـ الشيخية .

٢ ـ الرشتية .

٧ ـ **الفصل السابع** : ايضاحات لبعض الآراء الإعتقادية للشيعة ويشمل المسائل الآتية :

١ ـ قصر استحقاق الخلافة في آل البيت على علي وذريته رضي الله عنهم وأنها كانت بنص من النبي (ﷺ) فيهم .

٢ ـ دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣ ـ تدينهم بالتقية .

٤ ـ دعواهم المهدية والرجعة .

٥ ـ موقفهم من القرآن الكريم .

٦ ـ موقفهم من الصحابة.

٧ ـ القول بالبداء على الله تعالى .

وتحت كل عنصر من العناصر السابقةإيضاح تام له وبيان الحق في كل تلك المسائل

وبيان أدلة الشيعة ومناقشتها وإبراز العقيدة السلفية في كل مسألة ...

الفصل الثامن : الشيعة في العصر الحاضر ، وهل تغير خلفهم عن سلفهم ؟

الفصل التاسع : الحكم على الشيعة .

أما الباب الرابع : فقد كان لدراسة الباطنية وقد اشتمل على الفصول الآتية :

١ ـ **الفصل الأول** : تمهيد ـ في بيان خطر هذه الطائفة .

٢ ـ **الفصل الثاني** : متى ظهر المذهب الباطنى .

٣ ـ **الفصل الثالث** : الغرض من إقامة هذا المذهب ، وكيف تأسس .

٤ ـ **الفصل الرابع** : أسماء الباطنية ، وسبب تسميتهم بتلك الأسماء .

٥ ـ **الفصل الخامس** : الطرق والحيل التى يستعملها الباطنيون لإغواء الناس .

٦ ـ **الفصل السادس** : عقائد الباطنية ويشمل :

١ ـ عقائدهم في الألوهية .

٢ ـ عقائدهم في النبوات .

٣ ـ عقائدهم في الآخرة .

٤ ـ عقائدهم في التكاليف الشرعية .

أما الباب الخامس: فهو دراسة عن النصيرية وقد اشتمل على الفصول الآتية :

١ ـ **الفصل الأول** : تمهيد في بيان خطر النصيرية .

٢ ـ **الفصل الثاني** : زعيم النصيرية وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه .

٣ ـ **الفصل الثالث** : أسماء هذه الطائفة وسبب إطلاقها عليهم .

٤ ـ **الفصل الرابع** : نشأة النصيرية .

٥ ـ **الفصل الخامس** : تكتم النصيرية على عقائدهم .

٦ ـ **الفصل السادس** : طريقتهم في تعليم مذهبهم .

٧ ـ **الفصل السابع** : أهم عقائد النصيرية وفيه :

١ ـ تأليه علي رضي الله عنه وبرأه الله منهم .

٢ ـ القول بالتناسخ .

٣ ـ تقديس الخمر ـ عبد النور .

٨ ـ **الفصل الثامن** : في بيان عبادات النصيرية .

٩ ـ **الفصل التاسع** : أعياد النصيرية .

١٠ ـ **الفصل العاشر** : موقف النصيرية من الصحابة .

١١ ـ **الفصل الحادى عشر** : فرق النصيرية .

١٢ ـ **الفصل الثاني عشر** : أماكن النصيرية .

١٣ ـ **الفصل الثالث عشر** : محاولات لم تثمر .

أما الباب السادس : فكان لدراسة الدروز وفيه الفصول الآتية :

١ ـ **الفصل الأول** : في بيان خطر هذه الطائفة .

٢ ـ **الفصل الثاني** : التعريف بالدروز لغة واصطلاحا وبيان أصل الدروز .

٣ ـ **الفصل الثالث** : زعيم الدروز .

٤ ـ **الفصل الرابع** : أسماء الدروز .

٥ ـ **الفصل الخامس** : كيف انتشرت العقيدة الدرزية .

٦ ـ **الفصل السادس** : معاملة الدروز لمن يكشف شيئا من أسرارهم وعقائدهم .

٧ ـ **الفصل السابع** : أماكن الدروز .

٨ ـ **الفصل الثامن** : طريقة الدروز في تعليم ديانتهم .

٩ ـ **الفصل التاسع** : من هو الحاكم بأمر الله الذى ألهه الدروز وبيان هلاكه .

١٠ ـ الفصل العاشـر : أهم عقائد الدروز :

١ ـ ألوهية الحاكم .

٢ ـ القول بالتناسخ .

٣ ـ إنكار القيامة .

٤ ـ عدواتهم للأنبياء .

٥ ـ إنكارهم التكاليف .

الفصل الحادى عشر : الدروز في العصر الحاضر .

ـ كمال جنبلاط ودوره في تثبيت العقيدة الدرزية .

الفصل الثاني عشر : الفرق بين النصيرية والدروز .

الباب السابع: دراسة عن البهائية وفيه الفصول الآتية :

١ ـ الفصل الأول : نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالبابية ، ثم بيان المطالب الآتية:

١ ـ زعيم البابية .

٢ـ لة البابية بالمستعمرين في ذلك الوقت.

٣ـ نهاية الشيرازي.

٤ ـ مؤتمر بدشت وماتم فيه من خطط .

٣ ـ الكتاب المقدس للبابية .

٥ ـ هزيمة البابية .

٢ ـ الفصل الثاني : خطر البهائية .

٣ ـ الفصل الثالث : زعيم البهائية .

اسمه مولده ـ دوره في مؤتمر بدشت ـ ثقافته ـ عمالته هو وأسرته لأعداء الإسلام

من الإنجليز والروس واليهود ـ وفاته .

٤ ـ **الفصل الرابع** : المبادئ التي نادى بها البهائيون . ويشمل :

١ ـ زعمهم وحدة جميع الأديان .

٢ ـ وحدة الأوطان .

٣ ـ وحدة اللغة .

٤ ـ السلام العالمي .

٥ ـ المساواة بين الرجل والمرأة .

٦ ـ عقائد أخرى للبهائيين .

٩ ـ **الفصل التاسع** : أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم .

١٠ ـ **الفصل العاشر** : موقف البهائية من السنة النبوية .

١١ ـ **الفصل الحادى عشر** : السبب في انتشار تعاليم البهائية .

١٢ ـ **الفصل الثاني عشر** : كتاب البهائية الذي يقدسونه .

١٣ ـ **الفصل الثالث عشر** : أماكن البهائية .

الباب الثامن : وفيه دراسة عن القاديانية وقد انتظم الفصول الآتية :

تمهيد وفيه : س التحذير من ظهور دجالين يدعون النبوه بعد محمد ﷺ .

الفصل الأول : كيف نشأت القاديانية .

الفصل الثاني : زعيم القاديانية ـ اسمه ـ أسرته ـ ولادته ـ ثقافته ـ نشأته ـ صفاته وأخلاقه ـ عمالته وأسرته للانجليز .

الفصل الثالث : ختم النبوة وموقف القاديانى منه .

الفصل الرابع : كيف وصل القاديانى إلى دعوى النبوة .

١ ـ إتجاهه إلى التأليف والمناظرات .

الباب التاسع : دراسة الصوفيه وفيه الفصول الآتية :

١ـ **الفصل الأول** : تمهيد : في بيان إنحراف الصوفية بصفه عامة .

٢ ـ **الفصل الثاني** : التعريف بالصوفية لغة واصطلاحا .

٣ ـ **الفصل الثالث** : هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة .

٤ ـ **الفصل الرابع** : أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها ...

٥ ـ **الفصل الخامس** : متى ظهر المذهب الصوفي .

٦ ـ **الفصل السادس** : حقيقة التصوف .

٧ ـ **الفصل السابع** : أقسام المتصوفة . وذكر طرقهم واختيار الطريقة التجانية نموذجًا ودراستها بايجاز .

٨ ـ **الفصل الثامن** : الخلوات الصوفية ـ ومنها الخلوات التجانية .

٩ ـ **الفصل التاسع** : مغالطات لجنة جماعة الصوفية في مدينة « الورن » في نيجيريا .

١٠ ـ **الفصل العاشر** : كيفية الدخول في المذهب الصوفي .

١١ ـ **الفصل الحادي عشر** : أصول الصوفية .

١٢ ـ **الفصل الثاني عشر** : ايضاحات الآراء الاعتقادية للصوفية ويشمل :

١ ـ عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل .

٢ ـ عقيدة المتصوفه في الحلول .

٣ ـ وحدة الوجود .

٤ ـ وحده الشهود . وبيان .العلاقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود .

٥ ـ الولاية وبيان بعض المصطلحات الصوفية .

الفصل الثالث عشر : الكشف الصوفي .

الفصل الرابع عشر : الشطحات الصوفية .

الفصل الخامس عشر : التكاليف في نظر الصوفية .

الفصل السادس عشر : الأذكار الصوفية . وبيان الوجد والرقص عند الصوفية .

الفصل السابع عشر: الوجد والرقص عند الصوية.

الفصل الثامن عشر : الكرمات وخوارق العادات عند الصوفية .

الفصل التاسع عشر : زعماء الصوفية .

الباب العاشر : دراسة المرجئة وفيه الفصول الآتية :

تمهيد:

١ ـ الفصل الأول :التعريف بالمرجئة لغة واصطلاحا وبيان أقوال العلماء في ذلك.

٢ ـ الفصل الثاني : الأساس الذي قام عليه مذهب المرجئة .

٣ ـ الفصل الثالث : كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب .

٤ ـ الفصل الرابع : بيان أول من قال بالإرجاء .

٥ ـ الفصل الخامس : أصول المرجئة .

٦ ـ الفصل السادس : أقسام المرجئة .

٧ ـ الفصل السابع : أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها .

٨ ـ الفصل الثامن : مذهب أهل السنة في تعريف الإيمان .

٩ ـ الفصل التاسع : منزلة مذهب المرجئة عند السلف .

الباب الحادي عشر : الجهمية .

تمهيد : هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر .

ـ الفصل الأول : التعريف بالجهمية وبمؤسسها .

ـ الفصل الثاني : نشأة الجهمية .

ـ الفصل الثالث : بيان مصدر مقالة الجهمية .

ـ الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالا .

ثم دراسة المسائل الآتية :

١ ـ إنكار الجهمية جميع الأسماء والصفات .

شبهاتهم والرد عليهم .

٢ ـ قولهم بالإرجاء والجبر .

٣ ـ إنكارهم الصراط .

٤ ـ إنكارهم الميزان .

٥ ـ قولهم بفناء الجنة والنار .

الفصل الخامس : الحكم على الجهمية .

الباب الثاني عشر : المعتزلة وتشمل دراستهم الفصول الآتية : ـ

الفصل الأول : ١ ـ نشأتهم .

الفصل الثاني : ٢ ـ أسماءهم وسبب تلك التسميات .

الفصل الثالث : مشاهير المعتزلة .

الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالا .

الفصل الخامس : الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها والرد عليها ويشمل :

١ ـ التوحيد .

٢ ـ العدل .

٣ ـ الوعد والوعيد .

٤ ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين .

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الباب الثالث عشر : الأشاعرة أو السبعية وتشمل دراستهم المطالب الآتيه :

١ ـ ظهور الأشاعرة .

٢ ـ أبو الحسن الأشعرى .

٣ ـ عقيدته .

٤ ـ عقيدته كما بينها في كتابه الابانة .

٥ ـ أشهر زعماء الأشعرية .

موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى .

الباب الرابع عشر : الماتريدية .

١ ـ التعريف بمؤسس الماتريد يه .

٢ ـ أهم أراء الماتريدى إجمالا .

الباب الخامس عشر : دراسة أهم المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية وتشمل :

١ ـ تقديم العقل على النقل .

٢ ـ جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .

٣ ـ معنى التأويل عندهم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح .

٤ ـ تعطيل النصوص عن مدلولاتها.

بيان شبههم والرد عليها في كل تلك السائل .

٥ ـ جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل الخلف لها .

هذا وأسأل الله عز وجل باسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجد فيه قارئه مايؤمله من الإستفادة وأن ينفع به .

وأرجو من كل محب اطلع عليه أن يرشدني إلى ما يجد فيه من أخطاء فإن المؤمن

للمؤمن كالمرآة . وهو من التعاون الذى حث الله عز وجل عليه فى كتابه الكريم .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،،،

٢٠/٣/١٤٠٥هـ

المدينة المنورة

الباب الأول

مقدمة في دراسة الفرق

ويشمل الفصول الآتية

الفصل الأول

الهدف من دراسة الفرق

دراستنا للفرق ليس إقرار أو فرحاً بها ، أو شماتة على الآخرين، وإنما ندرسها مع أسفنا الشديد للتفرق الحاصل بين المسلمين والذى نرجو من وراء هذه الدراسة أن نحقق أهدافا طيبة في خدمة الإسلام ، وكسر حدة الخلافات التي مزقتهم إلى فرق وأحزاب والتي تهدف كذلك إلى جمع كلمتهم ، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة ، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التمادى في الباطل ، فهى نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالة بالمسلمين ، وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء ، لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء .

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم ، وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة ، فإن الأسس التى قام عليها عز الإسلام فيما سبق لاتزال كما هي قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالى كتاب الله وسنة رسوله .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وتلك الأهداف التى نتطلع إلى تحقيقها كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي : -

١ - تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا .

٢ ـ لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه ، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم .

٣ ـ توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم ، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه ، وبيان محاسن اتحاد المسلمين ، وجمعهم على طريق واحد .

٤ ـ تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التى مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوى وصدق نية .

٥ ـ معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة .

٦ ـ رصد تلك الحركات والأفكار التى يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوى والصراط المستقيم ، لتعرية دورهم الخطر في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها .

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام فلكل قوم وارث[1] .

٧ ـ حتى تبقى الفرقة الناجية علما يهتدى به بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة.

٨ ـ وصل حاضر هذه الأمة بماضيها ، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها ، وللرد على أولئك

(١) قال ولي الله الدهلوى « إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم الحديث « **لتتبعن سنن من كان قبلكم** » الحديث أخرجه الترمذي (ج ص ٤٧٥) .
انظر « مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٩ نقلا عن الفوز الكبير ص ٢٦ » .

الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم ، والبناء من جديد كما يزعمون .

٩ - ثم إن دراستنا للفرق وإن كان يبد عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين فإنه يراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدراسته وفحصه واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم .

وهذا فيما أرى هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك .

الفصل الثاني

أهمية دراسة الفرق

ورد شبهة من يريد عدم دراستها

بيّنا فيما مضى بعض الأهداف التي ندرس الفرق من أجلها ، ونجيب هنا عن شبهة لكثير من الناس ربما يرددها بعضهم منخدعا بحسن نية ، والبعض الآخر يرددها بنية سيئة.

وهي : لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت ، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة .. وقد رد العلماء عليها قديما وحديثا وانتهى الأمر ؟

والجواب : إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية ونية سيئة،أو جهل شنيع وذلك:

أولا : إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمنهم ، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر. فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداد يسري في الأمة سريان الوباء .

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة ، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدق بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية ، فراحوا يمجدون العقل ويحكمونه في كل الأمور ، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء .

إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامي ولكنهم لم يجرؤا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

ثانيا : مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراء التي سبقت لها أتباع ينادون بتطبيقها ، فالنزعة الخارجية وتنطع أهلها في الدين ، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة ، وتكفيرهم الشخص بأدنى ذنب قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها ، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط .

كذلك نرى الصوفية وقد اقتطعت من المسلمين أعدادا كثيرة ، مثقفين وغير مثقفين ، جرفهم تيار التصوف الخرافي فراحوا ينادون بالجهل والخرافات ، واتباع المنامات ، وتحضير الأرواح ، ومعرفة المغيبات ، وتعظيم الأشخاص والغلو فيهم.

وغير ذلك من مسالك الصوفية التي سندرسها بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

وعلى هذا ، فدراستنا هذه وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي، ومراجعة للتاريخ لفرق المبتدعة الذين جنوا على ماضي المسلمين إلا أنها دراسة حاضرة كذلك من حيث أنها تكشف جذور البلاء الذي شتت قوي المسلمين وفرقهم شيعا ، وجعل بأسهم بينهم شديدا ، بل هي نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام وشانئيه بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التى تعمل في الظلام لنشر أفكارها ، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام .

ثالثا : إن دراسة الفرق والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية فيكثر عددهم فيصح فيهم ما أخبر به الرسول ﷺ من قيام فرقة من المسلمين.«**ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك** » [1] وتركنا لدراسة الفرق يفوت علينا هذا الخير العظيم .

---

(١) أخرجه الترمذي (ج ٤ ص ٤٨٥ و ص ٥٠٤) .

رابعاً: أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، مامن فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم، والدعوة لها.

خامسا: إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع فإن كثير من طلاب العلم - فضلا عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهي تعمل ليلا ونهارا لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلو لهم حجب الأنظار عنهم وعن مخططاتهم الإجرامية، ولا أدل على ذلك من أنك تجد بعض الأفكار وبعض العبارات يرددها كثير من المسلمين دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من المعتزلة [1]، أو من الصوفية [2]، أو البهائية [3]، أو القاديانية [4]، أو الخوارج [5]، أو الشيعة [6]، إلى غير ذلك.

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار هذه الطوائف [7].

---

(١) أي تمجيد المعتزلة، وجعله هو الحكم الفاصل في كل قضية، وتقديمه علي النصوص.
(٢) مثل إطلاق لفظ العشق علي الله أو الرسول ﷺ، كقولهم « عاشق النبي ... يصلي عليه ».
(٣) مثل تقديس العدد ١٩.
(٤) مثل تأويل آيات القرآن بالهوى.
(٥) مثل تكفير المجتمعات الإسلامية.
(٦) مثل بعض بعض الصحابة، ومثل انتظار محمد بن الحسن العسكري، ومثل المبالغة في حب الحسين، الخ...
(٧) انظر كتاب « مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم » تأليف محمد العبدة، وطارق عبد الحكيم (ص ٢٧ - ٢٨ وكذا ص ٣٦ - ٣٨).

الفصل الثالث

النهى عن التفرق

لقد كان هذا الأمر مما عني به القرآن الكريم أيما عناية وكذلك رسول الله ﷺ ، ومن اهتدى بهديه من أصحابه البررة والتابعين لهم بإحسان ، ويشتمل هذا الفصل على مبحثين وهما : -

١ - المبحث الأول :

الأدلة من القرآن الكريم :

ومما جاء في القرآن الكريم ، وهي آيات كثيرة نثبت منها قوله تعالى :

١ - **﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾**(١).

٢ - **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾** (٢) .

٣ - **﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾** (٣).

والآيات واضحة في معناها ودلالتها لا تحتاج إلا إلى التطبيق بجد وإخلاص فهي تحذر من التفرق وتدعو إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين ، والسير في طريق واحد . فإذا تفرق المسلمين بعد ذلك فهم خارجون عن السير فيه، وحينما تفرق المسلمون أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون ، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية ، وما عداها هالك ، حتى التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزاعم ، ولا ينبغي أن نأبه لتلك المزاعم، بل نعرض كل ما نسمع على كتاب الله وسنة نبيه ، فما وافقهما فهو الحق ، وما خالفهما عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٣ . (٢) سورة آل عمران . آية ١٠٣ .

(٣) سورة الأنعام . آية ١٥٩ .

مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمعتقدات على كتاب الله وسنة رسوله ، وهو توفيق من الله لهم ، وهم الفرقة الناجية ، وهم أهل الحق إلى أن تقوم القيامة .

٢ـ المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية :

ومن عناية الرسول ﷺ بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة ، منها على سبيل المثال :

١ ـ ماروواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ثم قال: « **هذه سبيل الله** »، ثم خط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ثم قال : «هذه سبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[١].

٢ ـ وفي حديث العرباض بن سارية قوله ﷺ « **فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٢].

٣ ـ وقد أوصى الرسول ﷺ حذيفة عند ظهور الخلاف والتفرق في الدين بقوله: « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » . قال حذيفة : قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتي يدركك الموت وأنت على ذلك** » [٣].

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده ولاشك أن الحديث ينطبق تماما علي الفرق الخارجة عن الحق ، فإن علي رأس كل طائفة شياطين يدعون الناس إلي مسالكهم ، والسير في سبيلهم .

(٢) أخرجه الترمذي جـ ٤ صـ ٢٠٩ وأبوداود جـ ٢ صـ ٥٠٦ واللفظ له .

(٣) متفق عليه البخاري جـ ١٣ صـ ٣٥ ومسلم جـ ٤ صـ ٥١٤ .

٤ ـ وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، واثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة.. وهي الجماعة** » (١).

وفي رواية عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « **إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة** » (٢).

ولابد لنا من وقفة عند هذا الحديث الذي أضاف إلى التحذير من الافتراق الإخبار بهلاك تلك الفرق الضالة إلا واحدة منها ، ثم حصر الفرق في العدد المذكور ، ورغم كثرة الروايات المختلفة للحديث المذكور إلا أنه لم يخل من كلام العلماء في صحته ، وسنقف هنا عند دراسته علي الأمور التالية :

سند الحديث :

رُوي هذا الحديث بعدة أسانيد إلا أن العلماء وقفوا بالنسبه لقبوله المواقف التالية :

١ ـ منهم من لم يصححه ، ولم يجوز الاستدلال به . وهم بعض علماء الفرق كابن حزم وغيره .

٢ ـ ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه . وتعدد الصحابة الذين رووا هذا المعني عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ ومنهم من أخذ به وحاول أن يحصر الفرق في العدد المذكور كالبغدادي رحمه الله وغيره (٣).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (ج ٢ ص ٥٠٣) .

(٢) أخرج نحوه أبو داود عن أبي هريرة (ج ٢ ص ٥٠٣) .

(٣) انظر « الفرق بين الفرق » تعليق محمد محي الدين ص ٦ .

وحينما تعرض شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ للكلام عن الفرق ، قال عن الحديث « مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين ، وقد ضعفه ابن حزم وغيره ، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره ، وقد رواه أهل السنن وروى من طرق» [1]. وفي مجموع الفتاوى ورد قوله « الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي » [2].

(١) منهاج السنة ج ٥ ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ج٣ ص ٣٤٥ .

الفصل الرابع

حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق

ويشمل مبحثين :

والواقع أن حصر الفرق في العدد المذكور تفصيلا ليشمل كل فرقة فيه إشكال، وذلك أن أصول الفرق لاتصل إلي هذا العدد، وفروعها تختلف وجهات نظر العلماء في عدّها أصلية أو فرعية،ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد،فهل نعد الأصول مع الفروع ؟ أو الأصول فقط؟أوالفروع فقط؟.

كذلك فإن الفرق ليس لظهورها زمن محدد ، أي لم يرد عن النبي ﷺ تحديد لنهاية تفرق أمته . وعلى هذا فإن الصواب أن يقال أن الحديث فيه إخبار عن افتراق أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون تحديدهم بزمن بعينه بحيث لا يصدق إلا على أهله فقط ، وإنما أخبر عن افتراق أُمته، وأمته ـ ﷺ ـ مستمرة إلى يوم القيامة .. إذا فلا نحددها بزمن .

وينبغي أيضا أن نعد الفرق في أي عصر ظهرت فيه، بغض النظر عن وصولها إلى العدد المذكور في الحديث أو عدم وصولها فلابد أن يوجد هذا لعدد على الوجه الذي أراده الرسول ﷺ، وأخبر به،وفي عصرنا أو في غير عصرنا(١).

المبحث الأول : من هي الفرقة الناجية ؟

أما من هي الفرقة الناجية ، فقد إختلف العلماء في المراد بهم على أقوال ، هي إجمالا:

١ ـ قيل إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام .

٢ ـ وقيل هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم الرسول ﷺ: « **لن تجتمع أمتي**

(١) انظر الاعتصام ج ٢ ص ٢٢٢ .

وانظر تعليق محمد محي الدين عبد الحميد في أول كتاب « الفرق بين الفرق » ، ص ٧ .

على ضلالة »، أى لن يجتمع علماء أمتى على ضلالة وخصهم شيخ الإسلام بعلماء الحديث والسنة .

٣ ـ أنهم خصوص أصحاب النبي ﷺ الذين قال فيهم الرسول ﷺ في رواية: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ».

٤ ـ أنهم جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم ، أخبر عنهم النبي ﷺ بإخبار الله له أنهم على الحق حتى يأتي أمر الله ، ولعل هذا هو الراجح من تلك الأقوال ونحن نطمع إن شاء الله أن نكون منهم مادمنا على التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وعلى منهج سلفنا الكرام .

٥ ـ وفيه قول خامس، أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير[١].

المبحث الثاني

وأما معنى قوله ﷺ « **كلها في النار** » ، فقد ذكر الشاطبي ما حاصله :

١ ـ أن هذه الفرق لابد أن ينفذ فيها الوعيد لامحالة .

٢ ـ أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة[٢].

٣ ـ أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار، لأن النبي عليه السلام نبه عليها تنبيها إجماليا لا تفصيليا إلا القليل منهم كالخوارج[٣]. والذي يظهر لي أن الفرق تختلف في بعدها أو قربها من الحق، فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة ومعصية وحكمهم حكم أصحاب الكبائر ، وبعضها لا يصح وصف أصحابها إلا بالكفر لخروجهم عن الإسلام مثل فرق الباطنية والسبئية والميمونية من الخوارج الخ، ويكون حكمهم حكم الكفار الخارجين عن الملة ، ولو تظاهروا بالإسلام .

---

(١) الإعتصام ـ بتصرف ـ ج ٢ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤ ، وقد فصل القول فيها .
وانظر مجموع الفتاوي ج٣ ص ٣٤٥ .

(٢) الاعتصام ج٢ص٢٤٧ـ ٢٤٨ . (٣) ذكره الشاطبي في الموافقات.انظر أهم الفرق ص١٢.

الفصل الخامس

كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين ؟

كان الخلاف في زمن الرسول ﷺ ينتهي فور وصوله إلى الرسول ﷺ حين يحكم فيه ، وبعد وفاته وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين كان المسلمون على منهج واحد في أصول الدين وفي فروعه إلا أنه قد وجدت بعض الأمور التي كانت محل خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم ، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة ، ولكنهم قضوا عليها بثباتهم ونياتهم الصادقة ـ بعد توفيق الله لهم ـ نذكر منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

١ ـ ما أصاب بعض الصحابة من الدهشة من موت الرسول ﷺ هل مات الرسول كما مات غيره من الأنبياء ؟ لأن الله تعالى يقول ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون**﴾، أم أن الرسول ﷺ لم يمت وإنما هو في غيبوبة وسيفيق منها ، حتى قال عمر رضي الله عنه : من قال إن رسول الله مات ضربته بالسيف ؟

وحينما جاء أبو بكر رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف ، وأقر الجميع بموت الرسول ﷺ .

هكذا يذكر أصحاب المقالات، ومن وجهة نظري لا أري أن هذا يشكل خلافا حقيقيا وإنما هي حالة طارئة مرّت بالمسلمين دون أن تشكل ظاهرة خلافية.

٢ ـ اختلفوا كذلك في موضع دفنه :

١ ـ فأراد أهل مكة رده إلى مكة .

٢ ـ وأراد أهل المدينة دفنه بها .

٣ ـ وقال آخرون بنقله إلى بيت المقدس،ولكل فريق من هؤلاء حججه على ما يراه. لكن الخليفة الراشد الصديق رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف حينما روى لهم قول الرسول ﷺ: « **إن الأنبياء يدفنون**

حيث يقبضون» ..والخلاف في هذه المسألة يعتبر خلافا خطيرا ، إذ لو وقف كل فريق عند رأيه وعاند لأدى ذلك إلى فتنة عظيمة .

٣ـ اختلفوا في تسيير جيش أسامة، هل يبقى بالمدينة كما يرى عمر وغيره، لضرورة الحاجة إليه؟ أم يذهب لما وجهه الرسول عليه السلام كما يرى أبو بكر؟

وقد شرح الله صدورهم لتوجيهه، وكان في ذلك خيرا عظيما .

٤ـ ثم اختلفوا في قتال مانعي الزكاة ، هل يقاتلون كما يقاتل الكفار لأنهم فرقوا بين ركنين من أركان الإسلام؟ أم لايقاتلون ما داموا يشهدون الشهادتين، ويؤدون الصلاة ؟.

ثم انتهى الخلاف بقبول رأي أبي بكر في قتال هؤلاء . وحتى الذين خالفوا في قتال مانعي الزكاة ماكانوا يريدون تركهم مطلقا ، وإنما كانوا يرون تأخير حسابهم معهم إلى حين القضاء على من هو أخطر منهم وأشد شوكة.

٥ـ وكالاختلاف في الإمامة لمن تكون لقريش أم للأنصار؟ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة، ورجوعهم أخيرا إلى مبايعة أبي بكر الصديق حينما تبين لهم الحق في قوله .

ثم تفاقم التصدع والانشقاق الخطير شيئا فشيئا إلى أن انتهى بمقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه ، حينما سعى في ذلك عدو الله ابن سبأ ، ثم أصبح المسلمون فرقا وأحزابا وفشت بينهم العداوة والبغضاء إلا من رحم الله [١].

مصداقًا لقول عثمان رضي الله عنه « **فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعا ولاتقاتلون بعدي جميعا عدو أبدًا** »[٢].

*****

---

(١) ذكر البغدادي جملة من تلك الاختلافات ابتداء من ص ١٤ في كتابه « الفرق بين الفرق » .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ٧ صـ ١٨٤ .

الفصل السادس

مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم منه .

وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية

رأينا فيما سبق أن الصحابة اختلفوا في مسائل لو أنها عند غيرهم لأريقت في بعضها الدماء ، ولكن الصحابة ما كانوا يريدون الخلاف لذاته أو لأهوائهم كما حصل فيما بعد عند غيرهم .

إلاّ أن جل خلافهم إنما كان حول فهم نص من كتاب الله أوسنة نبيه ﷺ وهي أمور أكثرها اجتهادية شبيهة بما كان يحصل أحيانا في حياة الرسول ﷺ، كما حصل في أمر صلاة العصر حينما توجهوا إلى بني قريظة ، وكان أحدهم إذا تبين له صحة وجهة نظر أخيه ترك خلافه ، ورجع إلى الحق ، بل وربما يرجع عن خلافه في مثل المسائل الاجتهادية ، حرصا على جمع الكلمة ، وسدا لمنافذ الخلافات أوفتح الثغرات التي يأوي إليها المتربصون بهم . . .

ومما ورد في كره الصحابة للخلاف ورجوع بعضهم عنه في مسائل الاجتهاد خوفا من تفرق الكلمة ماجاء في صحيح البخارى عن على رضي الله عنه قال « **اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى** » (١).

قال ابن حجر في معناه نقلا عن أيوب « **إن ذلك بسبب قول على في بيع أم الولد وأنه كان يرى هو وعمر أنهن لا يعن وأنه رجع عن ذلك فرأى يبعهن** » قال عبيدة(٢)فقلت له رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلي من رأيك وحدك في الفرقة فقال علي ما قال ، قلت وقد وقعت في رواية حماد بن زيد أخرجها ابن المنذر عن على بن عبد العزيز عن أبي نعيم عنه ، وعنده قال لى عبيدة بعث

---

(١) صحيح البخاري جـ ٧ صـ ٧١ .

(٢) راوي الحديث عن علي .

إلى على وإلى شريح فقـال إني بغض الاختلاف فاقضوا كمـا كنتم تقضون » ثم قال ابن حـجر في شرح قـول على رضي الله عنه « فإني أكره الاخـتلاف » أي الذي يؤدي إلى النزاع قـال ابن التين يعني مخـالفة أبي بكر وعمـر . وقال غـيره المراد المخـالفة التي تؤدي إلى النزاع والفـتنة[1] وورد عن ابن مـسعـود رضي الله عنه مايفيد رجوعه عن خلافه خوفا من قيام فتنة [2].

وظل الخلاف في حياتهم لايراد به إلا الوصول إلى الحق والتمسك به .

ثم جـاء من بعدهم أشـكال من الناس بعضـهم كـان منافقـا فـأظهر الإسـلام والموافقـة ، ثم عمل في الداخل على تضـخيم الخلاف ، وفـتح ثغرة في مـفاهيم المسلمين ، وجادل بالتـأويل والشبهات ، وبعضـهم استغل اختـلاف الصحابة في بعض المسائل ، واتـخذ منه سبيلا لتمـزيق وحدة الأمة الإسـلامية بـتقليب الأدلة ومعارضة بعـضها ببعض ، وإذكاء التعصب ، وزيادة حدة الخـلاف ليحقق هدفه في الحقد على المسلمين [3] .

ثم تطور الخـلاف بين المسلمين من سيء إلى أسوأ ، إلى أن وصل الحـال إلي الواقع المؤسف الذي نعيشه اليوم من التباكي على الوحدة الإسلامية التي صارت صعـبة المنال بما اقـترفـوه من أفكار نفرت بعـضهم عن بعض ، وأذكى علـماؤهم الأحقـاد ، وضخموا حـجم الخلافات حتى صـاروا فرقا متناحـرة ، وتكثروا من ألقاب المدح بما لم يفعلوا ، وصدق عليهم قول الشاعر الأندلسي :

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صوله الأسد

وتوالت على المـسلمين الضـربات والإهانات ، وتآمـر عـليـهم أهل الشـرق والغرب ، ونسوا أن الله طلب منهم أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، فذل المسلمون ذلا شنيـعا وخصوصا في عـصرنا الحاضر ، ولكنهم لم يسـتيقظوا

---

(١) فتح الباري جـ ٧ صـ ٧٣ .   (٢) انظر البداية والنهاية جـ٧ صـ ٢١٨ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين جـ١ ص ٣٤ (تعليق محمد محي الدين) .

من الضـربات ، ولا تدري هل ذلك من هول مـا أصـابهم ، أم يطلبـون المزيد من الإهانات .

والعرب بخصوصهم الذين كانوا قبل الإسلام أذل الناس ، يريد الكثير منهم الآن العودة إلى تلك الجـاهلية التي أخـرجهم الله منها ، وأبدلهـم بالهدى والنور بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار ، وسيعلمون لوتم لهم ما يريدون ـ لا سمح الله ـ كم جنوا على أنفسـهم وعلى أمتهم ،وهؤلاء أحد عوامل الهـدم وإضعاف المسلمين . فقد توالـت على المسلمين عوامل كثيرة أضـعفتهـم ، عوامل خـارجية أتقن تخطيـطها أعـداؤهم ، فـضـربوهم في عـقـر دارهم ، وحـاربوا الدعـوات الإسـلاميـة بشـتى الأساليب ، وتـأثر كثيـر ممن ينتسب إلـي الإسلام بالدعـايات المضللة، وبقى قلة من المخلصين قـد خذلهم القـريب والبعـيد وهم نواة الخير في الأرض ، ولن يخذلهم الله تعالى .

وعوامل داخلـية من العصـبيـة البغيـضة ، وإثارة النعـرات الجاهليـة ، وأتبا ع الهـوى ، واتـخاذ رؤسـاء جهال معجـبين بآرائهـم ، وصاروا كما وصـفهم الرسول ﷺ « **غثاء كغثاء السيل** »(١)، ولهذا فإن هـذه الكثرة التي ترى في المسلمين لا تفرح كثيـرا ، فقد رأينا كيف وقفوا عاجـزين أمام أعدائهم في كل مكان ، اللهم إلا فئات قليلة صدقوا عا هدوا الله عليه .

*****

(١) أخرجه أحمد في المسند جـ ٥ صـ ٢٧٨ .

الفصل السابع

مظاهر الخلاف بين المسلمين

مر المسلمون بخلافات عديدة ، والمتتبع لكل تلك الاختلافات يجد أنها :

١ـ إما أن تكون خلافات عملية جردت فيها السيوف والمدافع والبنادق ولاشك أنها نتيجة لخلافات عقدية في أكثرها ، وإن كانت تبدو أنها سياسية، وبعضها خلافات سياسية خصوصا في القرون الأولى .

وهذه الخلافات يهتم بها كتّاب التاريخ، يسجلونها ، ويوضحون أسبابها، ويذكرون نتائجها، وهي كثيرة على مدى التاريخ الإسلامى قديماً وحديثًا.

قديما ماوقع بين علي رضي الله عنه والخوارج ، وما وقع بين الخوارج والدولة الأموية ، وما وقع بين الدولة الأموية وابن الزبير .

وحديثا مانراه واضحا في لبنان وغيره من فتك الشيعة الذين يتظاهرون بالإسلام بأهل السنة ، وتنكيلهم بهم إلى حد الاستهتار بدمائهم ، أو بين أهل السنة وبين من يتظاهر بالإسلام على ديانة القاديانية أو البهائية أو غيرهم ، ممن يتظاهر بالإسلام ويصوب السلاح إلى صدور المسلمين .

٢ـ وإما أن تكون خلافات علمية ، وهذه خاض غمارها العلماء ، كل فريق يؤيد ما يذهب إليه ، وينقض ماذهب إليه المخالف دون أن يصغى لأدلة من يخالفه بعين الإنصاف ـ في أكثر الأحوال ـ ، حتى أن كل فريق من المختلفين يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

وهذه الخلافات وإن لم تكن عملية ، إلا أنها في كثير من القضايا أسهمت في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين المسلمين ، وساعدت في نفرة المسلمين بعضهم عن بعض ، خصوصا بعد أن تولاها قوم معجبون بآرائهم ، جهال بمعرفة

النصـوص وما تهـدف إليه .. فتعـصبـوا لمشائخـهم وأفكارهم ، ثم انطروا على ذلك[1] .

ودارس الفـرق يهمـه ، الإلمام بالأمرين جـميـعا حـتى يتسنى له الحكم على الأمور بوضوح ، فإن معرفة الحوادث التاريخـية ، ومعرفة الأفكار والمعتقدات ثم عرضـها علـى كتـاب الله وسنة نبيـه ، ثم الاستـرشاد بما فـهمـه السلف من تلك النصـوص هو بالإضـافة إلى أنه من الإحـسـان إلى النفس وإلى الآخـرين، طريق الإنصاف، ومعرفة الداء ودوائه .

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٦ .

الفصل الثامن

كيف تبدأ الفرق في الظهور ؟

يذكر علماء الفرق أنه عندما يريد شخص معرفة ظهور فرقة من الفرق على وجه التحديد ، فإن ذلك من غير اليسير الوصول إليه ، والجزم به دون تخمين أو شك ، وذلك :

لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة ، تبدأ فكرة صغيرة، فردية أو جماعية ، ثم تتكون شيئًا فشيئا إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز لها سياسيا أو اجتماعيا .

وهذا ما عناه الأستاذ أبو زهرة حين قال :

« إن رأينا أن الأفكار التي تشيع وتنتشر ، من الصعب الوصول إلى مبدئها على وجه الجزم واليقين من غير حدس أو تخمين » [1].

والتخطيط لقيام الفرقة قد تطول مدته وقد تقصر ، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها ، وعلى هذا فإنه ينبغي حسبما يبدو لي أن نفرق بين ظهور الفرقة كفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية وبين ظهورها كفكرة.

والصعوبة إنما تكمن في ظهورها فكرة ، وأما تحديد ظهورها فرقة فهو ماسجله العلماء عن ظهور كل الفرق والطوائف .

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٢٥ ج ١ .

الفصل التاسع

منهج العلماء في عد الفرق

لم يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدّهم للفرق الإسلامية، بل سلكوا طرقا عديدة، كل واحد منهم يعدها حسب اجتهاده، وما وصل إليه علمه.

وفي هذا يقول الشهرستاني - رحمه الله -: « اعلم أن لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية ، لاعلى قانون مستند إلى أصل ونص».

ثم قال: «فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره - بمقالة مافي مسألة ما - عُدّ صاحب مقالة ، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد».

قال : « وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إبراء مذاهب الأمة كيف ما اتفق ، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر وأصل مستمر » (١).

والواقع أننا نجد مصداق كلام الشهرستاني عند تتبع عد العلماء للفرق، وأقرب مثال لذلك أنك تجد أمهات الفرق عند الأشعرى عشرة أصناف، وعند الشهرستاني نفسه أربع فرق ، وعند غيرهما ثمان فرق ، وعند آخرين ثلاثا، وبعضهم يجعلها خمسا ، إلى غير ذلك مما يوحى بعدم وجود قانون لعد الفرق مستقلة أو تابعة لغيرها إذ كان هم الأولين فيما يبدو تسجيل ما يجدون من آراء فردية كانت أو جماعية .

ولعل بعض هؤلاء العلماء اختلط عليه الأمر فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه من أهل ملة الإسلام فيعتبر خلافه ، أولا يعتبره من المسلمين فلا يذكر خلافه ، وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح نوجز ماذكره البغدادي منها فيما يلي :

(١) الملل والنحل ج١ ص ١٤ .

الفصل العاشر

ما المراد بأمة الإسلام ؟

اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، وحاصل الأقوال في هذه المسألة كما يلي :

١ ـ أن هذه التسمية تشمل كل مقر بنبوة محمد ﷺ وأن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان .

وهذا قول زعيم طائفة الكعبية من المعتزلة أبو القاسم الكعبي ...

٢ ـ أنها تشمل كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة .

٣ ـ أنها تشمل كل من أقر بالشهادتين ظاهرا ولو كان مضمرا للنفاق والكفر .

والواقع : أن تلك الأقوال لا تخلو من إيراد عليها وانتقاد لها فقول الكعبي الأول، وقول مجسمة خراسان الأخير ينقضه ما وقع من يهود أصبهان من إقرارهم بنبوة محمد ﷺ إلى العرب خاصة لا إلى بني إسرائيل ، وكذا قال قوم من موشكانية اليهود ـ نسبة إلى زعيمهم موشكان ـ فإنهم أقروا بجميع شرائع الإسلام، ونفوا أن الرسول محمد ﷺ نبي إلى كافة البشر ، بمافيهم اليهود .

ومع ذلك فإنهم ليسوا بمسلمين،ولاتعتبر أقوالهم ضمن أقوال الفرق الإسلامية(١).

والصحيح في هذا كله أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهرا وباطنا، والتزم بالإيمان بالشريعة الإسلامية، ثم إذا كان له بعض البدع فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنه،ويعامل على هذا الأساس،ويحترز من تكفير شخص بعينه إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٢ ـ ١٤ .

الفصل الحادي عشر

أهم أسباب نشأة الفرق

أ ـ تمهيد: التفرق في عصرنا الحاضر .

ب ـ الأسباب العامة للتفرق .

أ ـ التفرق في عصرنا الحا ضر .

سبق أن عرفنا نهى الدين عن التفرق ، وذكرنا الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية على ذلك ، كما تبين لنا كذلك الخطر الذي يكمن في طريق الأمة الإسلامية والذي يعوقها عن الوصول إلى الغاية التى أمرهم الله بها . وكيف أنهم حينما يتفرقون ويصبحون أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون يصبحون أمة ضعيفة لاقيمة لهم كما هى سنة الله في الذين خلوا من قبل ويجري عليهم نفس المصير الذي جرى على الأمم قبلهم لأنه لا نجاة ولا عزة إلا بالتمسك بالإسلام الذي رفع الله به أقواما تقبلوه وأذل به آخرين استكبروا عنه وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة ومن الجهل إلى العلم . وعاش الناس في ظلاله عيشة في منتهى السعادة .

وقد مضت تلك الأيام غرة في جبين الدهر،ولسان حال المسلمين اليوم يقول:

ودّ بجدع الأنف لوعاد عهدها   وعاد له فيها مصيف ومربع

تنكر للإسلام كثير ممن يتظاهر به ، ويزعم أنه يسير على نهجه فألحق بالمسلمين الذل بعد ذلك العز الذي غمر شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وكان هؤلاء أشد على الإسلام والمسلمين من أعدائه الظاهرين حين أعرضوا عن تعاليم الإسلام المشرقة، وصاروا صعاليك يستجدون موائد الشرق والغرب القذرة، وعملوا ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا على إضعاف المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وتشتيت أمرهم ، وقد ساعدهم على ذلك أعداء الإسلام

الذين يتربصون به الدوائر ﴿ **عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم** ﴾ والذين يمدونهم بكل مالديهم من التشجيع المادي والمعنوي ، فإذا بهم يتحولون إلى وحوش وسباع ضارية ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة .

لقد تربى هؤلاء على موائد الكفرة ودرسوا في مدارسهم ، وأتقنوا مناهجهم ثم أظهروا أنفسهم أبطالا فاتحين ، واتخذوا لأنفسهم شعارات براقة خادعة وهم ما بين ثورى اشتراكي شيوعي ، أو بعثي زنديق حاقد ، أو رأسمالي جشع حقود حسود، أو ماسوني إينما يوجه لا يأتي بخير ، فابتلي المسلمون بهم أشد البلاء، وتوالت عليهم المحن ، وظهر الإلحاد ، وتفرقت بسببهم الكلمة، وظهر قرن الشر ، وفشت الدعارة علانية ، وصار المتمسكون بدينهم غرباء .

وبعد تلك المحن كلها مما لايمكن وصفه امتن الله على المؤمنين، وظهرت بوادر صحوة يتمنى كل مسلم أن تتم بخير ، مع الخوف الشديد أن توجه تلك الصحوات وجهة في غير مسارها الصحيح فتنتكس الأمة انتكاسة ربما لا تقوم لهم قائمة - لا سمح الله - إذا نجح هؤلاء الإنقلابيون على كل شيء حتى على دينهم ورسالة نبيهم ، لأنهم يريدون قلب كل شيء ، وتحويل كل معتقد إلى معتقداتهم الفاسدة ، ثم السير بهم في تلك السبل التي تربوا عليها ، وهي السبل التي حذرنا الله من سلوكها ، إن المتتبع لنشاط هؤلاء ودوافعهم تنكشف له اللعب السياسية والاجتماعية الخطيرة التى تدفع بأتباعها من ظهورهم إلى حيث لا يدرون ، ومن حيث لا تمكنهم من معرفة ماهم واردون عليه .

قد أحاطوهم بصراخ وعويل أفقدوهم حتى مجرد اللحظة التي يفكرون فيها ، وبخبث ودهاء تظافرت جهودهم يصدق بعضها بعضا، الجريدة ، والمجلة، والكتاب، والتلفزيون ، والإذاعة ، وإعلانات الشوارع ، وندوات المجالس، ونثر ونظم، وتمثيليات وفكاهات . فأحاطوهم من كل جهة ، ودخلوا معهم في كل مجال من مجالات الحياة ، وجعلوهم لا يفكرون إلا فيهم ، وفي تنفيذ دعاياتهم

في كـل وقت ـ وهم يمشــون ، أو على مـكاتبــهم ، أو في بيـوتهـم ، أو في اجتـماعاتهم، أو فـي انفرادهم حتى أخـذوا منهم كل أوقاتهم ، وخـدعوهم عن كل مـايمت إلى تدبر أمرهم فـأصبـحوا فريـسة سهلـة ، لا حراك بها أمـام هؤلاء سـراق عقـول البشـر الذين يصطادون في الماء العكر قـد دخلوا في المجتـمعـات المحافظة على سلامة عقيدتها كما تدخل الجراثيم ، فأصبح الكثير من شباب الأمة الإسـلامـيـة إلا من رحم الله عـقـولهم مـعـهم وأيديهم تكـتب عنهم وتمجـدهم وأرجلهم تمشى إلى مجالسهـم . وألسنتهم تـنطق بدعاياتهم وأكاذيبهم وحيلهم ، ولا شك أن ثمن ذلك كـله تفـرق الكلمـة وتشـتـت الآراء تحت غطاء إصـلاح وتقدم الأمة ، والوصول إلى التطور والتجديد ، أو غير ذلك من الأكاذيب.

جندوا كل أولئك لهـدف واحد هو مـحـاربة الدين والعادات الإسـلاميـة ، وتفكيك الروابـط المتيـنة التي بناها الإسـلام والتي تقف دون رغبـاتهم الجنسيـة والاجتماعية والسياسية والثقافية .

وجندوهم كـذلك لقطـع أوصال الأمـة وإلقـاء بـذور الشـقاق بـينهم ـ على طريقة ـ فـرق تسد ـ ودربوهم على طريقـة إلصاق التهم بـالآخرين من أهل الحق وتشويه سمعتهم ، ثم ألقوا بينهم مختلف الآراء الفكرية شغلوا الأمة بها .

ولم يفلحـوا في شيء مـثلما أفلحـوا في تفـريق كلمـة المسلمين ، وإشاعـة الفـرقـة والعـداوة بينهم ، وبغي بعـضـهـم علـى بعض ، والتـفنن في اللمـز ورفع الشعارات ، وهـذا مـا يفسره لنا ولعهـم بقيام الأحزاب المتناقـضة في الآراء لإلهاء الناس عن مـراقـبـة مايـقومـون به ، ونتج عـن ذلك استـحكام الفـرقـة ، ونشـوء الأحزاب والجـماعات المتصـارعة ، وإفساح المجـال واسعا لكل طامع في تفـتيت الأمة الذين هم كـالجسـد الواحد. إنهم يلهثـون لاستعباد عقـول الناس بأي ثمن كان، حتى ولو كان تفـرقة أهل البيت الواحد مادام ذلك يحقـق لهم مصالحهم، ويجعلهم قـادة للقطعان الذين يتبعونهم بغير تدبر ولا روية منخـدعين بزخارف

أقوال أولئك الذين فسدت فطرهم ، وانتكست مفاهيمهم ، حتى أصبحوا يرون المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والباطل حقا ، والحق باطلا .

عقاب من الله لهم لانحرافهم عن النهج الرباني ، وعن الصراط المستقيم، والسبيل المبين إلى سبل وشبهات على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه كما تقدم بيان المصطفي ﷺ لهذا المسلك في الحديث الثابت عنه[1] وبالبحث عن أسباب تفرق الأمة الإسلامية قديما وحديثاً يتضح أن أسباباً عديدة عملت مجتمعة على ذلك التفرق بعضها معلن وبعضها خفي وهذا لا يمنع أنه قد يوجد لكل طائفة من العوامل مالا توجد عند الطوائف الأخرى ولهذا فإنه من الإطالة البحث عن الأسباب التي أدت إلى خروج كل طائفة من الطوائف التي يموج بها العالم الإسلامي، وتفصيل ذلك والتوسع فيه كل طائفة على حدة ودراسة تلك الأسباب والمقارنة بينها وبين الأسباب للطوائف الأخرى فهذا يحتاج إلى دراسة خاصة. تبدأ بذكر ماجرى بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ من أحداث مرورا ببيان الخلاف الحاد الذي أنتجه أمر الخلافة لمن تكون وكيف تمت في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، ومواقف الناس منها ثم بيان ما حصل من ابن سبأ من مؤامرات ومواقف خبيثة أدت إلى ارتكاب جريمة مروعه في عصر الصحابة وهي قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه علانية وما أعقب ذلك من مواجهة حربية بين علي رضي الله عنه وطلحه ، والزبير ومن معها في معركة الجمل بتأثير أعداء الله السبيئة .

ثم امتداد الفتنة بصورة شاملة بين علي ومعاوية رضي اله عنهما في معركة صفين وما نتج عنها بعد ذلك من أمر التحكيم الذي شطر جيش علي رضي الله عنه إلى حزبين متضادين هما الخوارج والشيعة وما أحدثه هؤلاء من أفكار نسبوها إلى الدين الإسلامي بعد ذلك .

---

(١) تقدم تخريجه .

وتلك الأحداث كانت بمثابة مرض ألم بجسم الأمة أفقده الكثير من المناعة فظهرت بوادر أمراض كثيرة فيه فبزغ قرن الشيطان عند ذلك وتوالت المصائب وأسباب التفرق المتعدد الأشكال فظهرت العصبيات البغيضة. والقوميات المتصارعة ـ والرغبة في السيطرة والزعامة، وتفاوتت المفاهيم فظهرت المذاهب الفكرية للفرق المختلفة من خوارج ومعتزلة وقدرية ومرجئة وشيعة.. الخ، فأسسوا الآراء التى فرقت المسلمين وغذوها بالتأويلات الفاسدة إتباعا لأهوائهم.

وظهر الغلو الممقوت نتيجة لتمجيد كل طائفة لآرائها ولرجالها وقويت الرغبة لدى كل طائفة للاستقلال بأتباعها .

ثم جاء دور التلاعب بالنصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وجرت كل طائفة مفاهيم تلك النصوص إلى مايوافق ما أسسته من مفاهيم سقيمة وعقائد خاطئة فاختلفوا من بعد ماجاءهم البينات .

ولئن كانت دراسة كل تلك الأمور بالتفصيل والتوسع غيرواردة هنا لما قدمناه سابقا فإنه يمكن الاقتصار والإشاره إلى أهم الأسباب التي آدت إلى ذلك التفرق الحاصل في العالم الإسلامي بصورة إجمالية عامة سواء كان ذلك في الزمن القديم أو في الأزمان التى جاءت بعده .

ب ـ الأسباب العامة

١ ـ وجود علماء انحرفت عقائدهم . على رأس كل طائفة منهم مردة أسهموا في تثبيت الفرقة بين المسلمين .

٢ ـ غلبة الجهل وفشوه بين أوساط المسلمين في مختلف العصور بصفة عامة .

٣ ـ عدم فهم النصوص فهما سليما : حتى وإن كانت النيّة ربما تكون حسنة عند البعض منهم .

٤ ـ موافقة الخلاف والفرقة لهوى في النفوس فأصروا عليه .

٥ ـ تدخل سلطان العصبية البغيضة .
٦ ـ استحكام قوة الحسد في النفوس .
٧ ـ الرغبة في إحياء البدع والخرافات وميل كثير من النفوس إليها .
٨ ـ تقديس العقل وتقديمه على النقل .
٩ ـ بث الدعايات المنفرة عن الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة الذي يُمثله السلف الصالح .
١٠ ـ وجود تأثيرات خارجية .

أما بالنسبة للسبب الأول وهو وجود العلماء الذين انحرفت عقائدهم فمما لايكاد يجهله طالب العلم أن أكثر العقبات التى تواجه الداعية إلى الله هم هؤلاء الأصناف الذين تمكنوا من استجلاب العامة ، وجذبهم إليهم ، حتى أصبحوا يقدسونهم، ويرون أن لا علم إلا ما كان لديهم، ولا حق إلا ما سلكوه، ثم بغضوا إليهم كل من لا يسير في طريقهم ووصفوه بكل صفة سوء وحذروا من الالتقاء معه في أي شيء ولنا في ضحايا علماء البريلوية ، وعلماء الصوفية، وعلماء الباطنية وغيرهم.. أمثله قريبة على تثبيت وإحكام الفرقة بين المسلمين.

ومن الغريب في الأمر أن البينات التي هي أقوى شيء لقطع النزاع ، وانتهاء الاختلاف صارت البينات هي التي قام عليها محور الاختلاف كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم . قال تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة** ﴾(٢).

ومن المعلوم أن أصحاب هذا الاختلاف بعد وجود البينات .. إنما هم علماء السوء الذين يظهرون منها مايوافقهم ويخفون منها مالم يتفق وهواهم .

وفتنة هؤلاء من أعظم الفتن حيث أضلوا الناس بغير علم ولاهدى ومن

(١)سورة آل عمران : ١٠٥ .   (٢)سورة البينة : ٤ .

حيث كان أتباعهم يتوقعون منهم معرفة الحق والوصول إليه فصار هؤلاء العلماء يحرمون مايشاؤن ويحلون مايشاؤن ويفتون بما يريدون ثم جعلوا إتباعهم وراء ستار كثيف من الجهل والنفور عن الآخرين لئلا يكتشف جهلهم، وجرت الرياح بما تشتهى سفنهم ووجدت لهم عوامل كثيرة ساعدتهم وقوت من عزائمهم فأبعدوا الهوة بينهم وبين الوصول إلى الحق واجتماع الكلمة عليه وقد حذرنا من لا ينطق عن الهوي سوء فعل هؤلاء حيث قال ﷺ « **وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين** » (١).

وفي رواية أخرى قال ﷺ« **أخوف ما أخاف على أمتى منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن** » (٢).

٢ـ أما بالنسبة للسبب الثاني وهو غلبة الجهل وفشوه بين أوساط عوام المسلمين.

فقد مرت بالمسلمين في عصورهم المختلفة فترات حلّ فيها الجهل واستحكمت الخرافات في النفوس محل العلم والاعتقاد الصحيح فضعف نور الإيمان في نفوس هؤلاء وقل وجود علماء متكاتفين متعاونين على إظهار وقمع الباطل فانتشرت الخرافات وقوى أمر التحزب الباطل والفرقة الممقوتة.

وقد عاب الله تعالى في كتابه الكريم الجهل وأخبر أن سبب ترك الناس لدين الله وتفرقهم فيه إنما هو الجهل.

قال تعالى في شأن موسى وقومه حين وصل بهم الجهل إلى أن طلبوا من موسى أن ينصب لهم إلهًا ﴿ **قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون**﴾(٣).

وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم فيها ذم الجهل والدعوة إلى العلم والمعرفة.

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم صـ ٣٤ نقلا عن البرقاني في صحيحه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله صـ ١٩٣ وعزاه إلى ابن عدي في الكامل عن عمر رضي الله عنه.

(٣) الاعراف: ١٣٨.

وكذا في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم الجهل والتحذير منه قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتي إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

وقد نشأ عن الجهل الغلو في تعظيم بعض المخلوقين تعظيما خارجا عن هدي الإسلام، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن نوع من أنواع أسباب الاختلاف بين المسلمين وتفرقهم وهو الغلو .. قال: «ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلاّل المتعبدة والمتصوفة .. حتى خالط كثيرا منهم من مذاهب الحلول والإتحاد ما هو أقبح من قول النصاري، أو مثله، أو دونه».

وقال تعالى٩: ٣١: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم .. ﴾ الآية. وفسرة النبي ﷺ لعدي ابن حاتم رضي الله عنه بأنهم «أحلّوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم» وكثير من أتباع المستعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال»(٢).

وقد دخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكيء فقال له ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم .. ثم قال ربيعة في شأن الجهال حين يتزعمون الناس، ويخرجونهم بفتاواهم عن الحق .. قال: «ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق» (٣).

---

(١) أخرجه البخارى جـ ١ صـ ١٩٤ ومسلم جـ ١٦ صـ ٢٢٣ .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم صـ ١٩ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله صـ ٢١ .

٣- وأما عدم فهم النصوص فهما سليمًا فقد أدى ذلك إلى نتائج سيئة، حيث أخذت كل فرقة تؤول النصوص لصالحها، وتقوية ما تذهب إليه من أفكار وآراء، ومصداق ذلك أنك ترى النص الواحد من الكتاب أو من السنة يفسر بعدة أفكار، متعارضة في بعض الأحيان حسب ما تذهب إليه كل طائفة. وصار بعضهم يعيب البعض الآخر، وذموا أهل السنة، وسخروا من مفاهيمهم، وفرحوا بما عندهم من تلك التأويلات الملفقة، وصار حال أهل السنة معهم كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة في تفرق الأمة الإسلامية وظهورهم طوائف كل طائفة لا تلوي علي الأخرى بعد أن تحجرت العقول وجمد كل ذي رأي على رأيه وقدم فهمه على مفاهيم من هو أفقه منه واستنكف أن يرجع عما تقرر في ذهنه وهي قضية طالما وقفت حجرة عثرة في طريق الدعوة إلى الإصلاح واجتماع الكلمة قديما وحديثا ..

٤- وأما موافقة الخلاف لهوى في النفوس فإنه أمر خطير بل هو من أشد الأمور التي تفرق بسببها المسلمون قديما وحديثا وبالاسترسال مع الهوى أقصى العقل وأهملت الشرائع وأخرجت النصوص عن مدلولاتها وقامت البدع وانتشرت الخرافات بل وسفكت الدماء أحيانا كثيرة وهو الذي حال بين كثير من البشر وأنبيائهم.

والنصوص من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ في ذم الهوى لا تخفى على أي مسلم من عوام المسلمين فضلا عن طلاب العلم لقد أخبر الله تعالى أن الهوى أحيانا يحل في بعض النفوس محل الإله فقال تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم**﴾[1]. وأخبر تعالى أن الهوى هو الذي حال بين الأنبياء وأممهم إذ لم يستفيدوا من أنبيائهم لاستكبارهم الذي أملاه عليهم هواهم

(١) الجاثية: ٢٣.

قال تعالى: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم**﴾[1].

وآيات أخرى كثيرة في ذم إتباع الهوى وعواقبه الوخيمة .

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه .« **وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه** » [2].

وعن معاوية عن النبي ﷺ أنه قال بعد ذكره حديث افتراق الأمة .

«**وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه**» وقال عمرو« **الكلب بصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»[3].

٥ـ وأما تدخل سلطان العصبية البغيضة فكان احدى المعاول الهدامة لوحدة الأمة الإسلامية حيث غطت على أبصار وقلوب أتباعها فحجبتهم عن النظر إلى الآخرين بعيني الأخوة والترابط العام ومحاولة تألف القلوب وجمع الكلمة .

فأخذت كل طائفة تمجد أفكارها وتتحزب حولها وتشنع على الآخرين فكم سفكت بسببها من الدماء وكم خربت من مدن عامرة وكم خرج بسببها عن الدين من بشر،وقديما قالت ربيعة عن الكذاب مسيلمة«**كذاب ربيعة خير من صادق مضر**»[4] لأن سلطان العصبية لاعقل عنده والتعصب كما يقول بعض العلماء .

« ظاهرة ذميمة لا يؤدى إلا إلى التفرقة والتعادي .. وثمرة التعصب الاختلاف والفرقة والتباغض » [5].

وليس هذا فحسب بل إنه المستنقع الخصب لانتشار أوبئة البدع على اختلاف أنواعها وما تؤدى إليه من تعظيم الآباء والمشائخ وتقديم أفكارهم على النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .معرضين عن قول الله عز

(١) البقرة : ٨٧ .
(٢) الترغيب والترهيب جـ١ صـ ١٦٢ .
(٣) سنن أبي داود جـ ٢ صـ ٥٠٤ .
(٤) تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٢٨٦ .
(٥) مقدمة في أسباب إختلاف المسلمين وتفرقهم صـ ٨٤ ـ ٨٥ .

وجل ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولايهتدون** ﴾[1].

وقال تعالي حاكيا عن حالهم وهم في النار ﴿ **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا** ﴾ [2].

وهذه الطاعة الناشئة عن التعصب هي التى أخبر عنها الرسول ﷺ في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه . قال « أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال ياعدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة[3].

قال :«**أما إنهم لم يكونوا يعبد ونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه. وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه** » [4].

وإذا وصل الحال إلى هذا الحد فكيف تنفق الكلمة وكيف يحصل الاتحاد بين المسلمين وتنتهي الفرقة البغيضة .

٦ـ وأما استحكام قوة الحسد في النفوس . فهذا هو الداء العضال الذي يأكل الأخضر واليابس ويفرق الكلمة ويجعل المسلمين شيعا وأحزابا متباغضة وهذا العامل متمم لعامل العصبية البغيضة وقد ابتلى به كثير من أصحاب النفوس المريضة والقلوب الغافلة حيث أوجد لدى هؤلاء النفور التام والاستكبار الممقوت عن قبول الحق وتجاوز الخلافات التي تحصل بين الناس .

وهؤلاء ماضون على طريقة أول الحاسدين لبنى أدم وهو إبليس حيث قال ﴿**قال أأسجد لمن خلقت طينا** ﴾[5] .

وقوله : ﴿ **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [6] .

---

(١) المائدة ١٠٤ . (٢) الأحزاب : ٦٧ .

(٣) سمعه يقرأ قول الله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح وابن مريم** ﴾. التوبة : ٣١ . (٤) سنن الترمذي كتاب التفسير جـ٥ صـ ٢٧٨ .

(٥) سورة الإسراء : ٦١ . (٦) سورة الأعراف : ١٢ .

إن أول نتائج الحسد استحكام الفرقة بين المسلمين وبغي بعضهم على بعض وظهور العداوة والبغضاء وغير ذلك من المفاسد التي لايعلمها إلا الله :

وقد قال نبي الهدى ﷺ عن هذا النوع من الأدواء المهلكة « **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب**»(١) وفي رواية أخرى: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار** »(٢) الحديث .

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على مدى الضرر الذي لحق بوحدة الأمة الإسلامية من جراء الحسد قديمًا وحديثًا فقد ورد عن بعض العلماء أن ماحصل بين ربيعة ومضر في الزمن القديم من العداوة والحروب إنما كان ناشئًا عن الحسد لمضر لمكان النبوة فيهم ومن هنا قال المأمون فيما يذكر عنه « لو خرج اثنان ثائران لكان أحدهما من ربيعة»(٣) وتقدم قول أهل العصبية السخيفة « كذاب ربيعة خير من صادق مضر»

٧ ـ وأما عامل حب البدع والخرفات وميل أكثر النفوس إليها ، فمما هو واضح أن الابتداع في الدين وإحياء الأمور البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ثم التصميم على تنفيذ تلك البدع كان من أعظم الأسباب في تفرق كلمة المسلمين ونفور بعضهم عن بعض كما أنه كان من أعظم العوامل التى أبعدت الكثير من الناس عن تفهم العقيدة الحنيفية وأخرجتهم إلى حمأة الجهل والتعلق بالخرافات واعتبارها من الدين .

فكان لحب البدع وإحيائها أكبر الأثر في قيام كثير من الحركات والفرق على امتداد تاريخ الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ إلى زمننا الحاضر .

وكأن لسان حال هؤلاء يقول لاحاجة بنا إلى الشرع الذي لايوافق مانريد

---

(١) رواه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٤ .   (٢) رواه ابن ماجة جـ ٢ ص ١٤٠٨ .
(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٣٠١ وضحى الإسلام جـ ١ ص ٤٣ .

فشرعوا لأنفسهم ماشاؤا من الزيادة والنقص في دينهم فأختلط الأمر على كثير من الناس التفريق بين الشرع الذي جاء به المرسلون وبين التشريع الذي أحدثه أصحاب البدع ورؤوس الفرق فأصبح تفرق المسلمون بعد ذلك نتيجة حتمية فإن النفوس إذا لم تشتغل بالحق اشتغلت بالباطل .

ولم يهتم أصحاب تلك البدع بتفهم ماورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى التزام الشرع الحنيف والابتعاد عن كل مايضاد منهج الله وصراطه المستقيم والتمسك به وحده كما قال تعالى : ﴿ **وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوا ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾. [1]

وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء** ﴾[2] كما لم يهتم أولئك بنصح نبيهم لهم وتحذيره إياهم من الوقوع في البدع التي تحبط الأعمال وتسبب لأصحابها الوبال في الدنيا والآخرة .

قال ﷺ « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** » [3] .

وقال ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** »[4]وهذا تحذير شديد ترهيب خطير ، وأخطر منه أن ضرر صاحب البدعة قد لا يقتصر عليه وحده فهو يضر نفسه ويضر غيره ويتحمل إثم نفسه وإثم غيره ممن تسبب في إغوائهم وهو مايفسره قوله ﷺ : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئًا** » [5] .

٨ ـ وأما عامل تقديس العقل وتقديمه على النقل فإنه سيأتي الكلام عنه إن شاء الله في آخر هذه الدراسة بمزيد من الإيضاح .

---

(١) الأنعام : ١٥٣ . (٢) الأنعام : ١٥٩ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلح ج٥ ص ٣٠١ ومسلم في الأقضية جـ ١ ص ٣١٣ .

(٤) رواه مسلم جـ ٤ ص ٣١٢ . (٥) رواه مسلم جـ ٥ صـ ٥٣٢ .

واعتبار هذا العامل من الأسباب المفرقة لصفوف المسلمين من الوضوح بمكان فإن المعتزلة ومن تبعهم حينما قدسوا العقل وقدموه على النقل واعتبروه المرجع الأول والأخير والحكم الفصل في كل قضايا الدين فتحوا بها الموقف باب فتنة وتفريق بين المسلمين لم يستطع أحد إغلاقه إلى يومنا الحاضر . إن العقل له حدود إذا تجاوزها الشخص خرج عن الحق من حيث يطلبه سنة الله في خلقه وصارت نعمة العقل العظيمة آفة في حق صاحبها حين يتجاوز حدوده . ويعود تمجيد العقل وتقديسه إلى ما أحدثته ترجمة الكتب اليونانية وظهور علم الكلام المذموم والفلسفة والمنطق واحتدام الخصام بين الطوائف الإسلامية في تطبيق هذه الأفكار المخالفة للشريعة الإسلامية وانقسام المسلمين بعد ذلك بين مؤيد ومخالف ومحتال للتوفيق بين هذه الأفكار والشريعة الإسلامية فازداد الخرق على الراقع وظهر شر كثير فقيظ الله من عباده من وقف في طريق هؤلاء وأزال الشبهة(١).

٩- وأما بالنسبة لموقف المخالفين للسلف من التهجم عليهم وبث الدعايات الكاذبة عنهم وإغراء بعض المسلمين بالنفرة عن البعض الآخر فإن موقف السلف كما هو معروف من سلوكهم لا يحبون الغمز واللمز واللغو الباطل وإلصاق التهم بالآخرين ظلما وعدوانا لأنهم على خلق وأدب إسلامي يمنعهم من ذلك يتمثلون قول الله تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاَّ تعدلوا اعدلو هو أقرب للتقوى** ﴾ (٢).

بخلاف المواقف الشائنة للمخالفين لهم من أهل الضلال والتفرق الممقوت فإنهم لا يبالون ماقالوه من السباب وكيل التهم وقذف الألقاب الظالمة عليهم جزافا والغرض من كل ذلك هو التنفير عنهم وعن عقيدتهم السلفية والنتيجة من كل ذلك زيادة إحكام التفرق وتعميقه بين المسلمين .

(١) وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه البديع « درء تعارض العقل والنقل » وما كتبه تلميذه شمس الدين ابن القيم .

(٢) سورة المائدة : ٨.

فمن الأوصاف الظالمة التى أطلقها هؤلاء على أصحاب العقيدة السلفية وصفهم بالمشبهة والحشوية والمجسمة والنابتة والنواحب وغير ذلك من الألقاب التي أطلقها هؤلاء على أهل السنة ليتم لهم تنفير الناس عنهم كما كان الكفار في زمن النبي ﷺ يطلقون عليه ألقابا كاذبة بقصد التنفير عنه فوصفوه بأنه شاعر وكاهن ومجنون وصابىء وساحر وسموه مذمماً وهو أفضل الخلق وسيد الأولين والآخرين .

وكبار الفرق الذين بثوا الدعاية السيئة والألقاب الشنيعة على السلف هم الخوارج والمعتزلة والروافض والجهمية والقدرية والأشاعرة والماتريدية والصوفية وكل طائفة من هذه الطوائف أطلقت ماحلا لها من الألقاب الظالمة على أهل السنة فسموهم مجسمة وحشوية ونابتة الخ .

وفي كل طائفة - من هذه الطوائف علماء ومجادلون هم وراء كل تلك التشنيعات .

وما أبعد هؤلاء عن امتثال قول الله تعالى :﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾[1].

« إن كل فرقة من تلك الفرق قد ألبست الحق بالباطل فأخرجت للناس بدعها وضلالها تحت لافتات إسلامية ، وفي قوالب إسلامية، ليغتر بها العامة فيتبعوهم معتقدين أنهم على الكتاب والسنة مقيمون ولمذهب السلف الصالح متبعون »[2].

وأما ما قيل عن وجود تأثيرات خارجية أسهمت هي الأخرى في تفرق

---

(١) الحجرات : ١١.

(٢) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٢ .

كلمة المسلمين فقد وقع ذلك بالفعل. وهذه التأثيرات تكمن في الأمور التالية:

(١) في اختلاط المسلمين بغيرهم، ودخول غير المسلمين في الإسلام، وإصرارهم متعمدين وغير متعمدين على التمسك ببعض الأفكار التى كانوا عليها قبل دخولهم في الإسلام، ومحاولتهم تغطية تلك الأفكار بغطاء إسلامي، على طريقتهم الخاصة ... فنتج عن ذلك نشوء جماعات تتمسك به وتعادي من يخالفها، وبالتالي تكونت هذه الجماعات في شكل فرق إسلامية فيما بعد.

(٢) وجود حركة ثقافية وترجمات لكتب عديدة تحتوي على أمور جديدة غريبة أخذت حيزا من تفكير المسلمين، وتنمية الخلاف بينهم قديمًا كما فعله المأمون، وحديثاً هذه الحركة القوية لترجمة كتب الملاحدة والماديين.

(٣) تأثر بعض المسلمين بغيرهم من أهل الديانات السابقة بعد أن عايشوهم.. كما ظهر ذلك في بعض المعتقدات التي تبنتها جماعات تدعي الإسلام، وكان أساس تلك المعتقدات إما فارسي، وإما هندي، وإما نصراني، وإما يهودي تأثر بهم المسلمون بحكم الاختلاط والتقارب.

(٤) وأيضا ما قد يواجهه المسلمون من ضغوط ينتج عنها ـ على الزمن البعيد ـ جيل من المسلمين ينظر إلى تلك الأمور على أنها حقائق وعقيدة صحيحة للآباء والأجداد.. ومن هنا ينشأ المزيد من التفرق بين المسلمين.

(٥) دخول كثير من الناس في الإسلام ظاهراً وهم يبيتون النيّة لهدمه! وزعزعته في صدور أهله وأكثر هذا الصنف هم اليهود والنصارى. وقد ظهر تأثير هؤلاء على المسلمين بوضوح في آراء كثير من الفرق التي تنتمي إلى الإسلام مثل آراء الروافض الغلاة والجهمية والمعتزلة والنيصرية وغير هؤلاء ممن ظهرت الأفكار الأجنبية واضحة في معتقداتهم وقد نبه علماء الإسلام على هذه القضية وأولوها عنايتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن تأثر المسلمين بغيرهم من الأمم خصوصاً فارس والروم .

« وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولا وعملا والآثار الفارسية قولا وعملا ما لا خفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام وبما حدث فيه»[1] .

ويقول ابن حزم رحمه الله :

« والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء[2] وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام»[3] إلى آخر ما ذكر من مشاهير أولئك القوم وحيلهم في إخراج المسلمين عن دينهم.

ويقول طارق عبد الحكيم :

« وبعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد فارس ، ودخل الفرس في دين الله أفواجًا ، ولكن ـ بطبيعة الحال ـ لم يكن من السهل أن يعرف كل الفرس المسلمون الإسلام كما أراده الله عز وجل ، فالأعداد المسلمة غفيرة ، والعادات والأديان والأفكار القديمة متأصلة في النفوس فكان أن ترعرعت نبتة الرفض البغيضة في تلك البلاد [4]، واستمدت أفكارها الرئيسية بشأن الإمام المعصوم ،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١ .

(٢) لعلها الأسياد كما نقلها الملك محمد صديق خان في خبئية الأكوان ص ٥٧ .

(٣) الفصل جـ ٢ ص ١١٥ .

(٤) الواقع أن نبتة الرفض والغلو فيه إنما أسسه ابن سبأ . وقد انتشر بسرعة بين الفرس لملائمة تلك الأفكار لما رسخ في أذهان الفرس من تعظيم ملوكهم .

وآل بيته المقدسين مما رسخ في الأذهان من قديم » .

وهو يشير هنا إلى ماقاله ضياء الدين الريسي عن الفرس الذين دخلوا في الإسلام وأذهانهم مملوءة بمذاهبهم القديمة وحضارتهم البائدة ... فقال: «والفارسي لم يكن يستطيع أن يتصور أن يوجد خليفة بالانتخاب ، وإنما المبدأ الوحيد الذي يمكن أن يفهمه هو مبدأ الوراثة .. وليس منه المبالغة إذا في شيء أن يقال إن البيت النبوي وقد مثله « آل عليّ » قد حل في قلوب هؤلاء الفرس واعتبارهم محل بيت « آل ساسان » [1].

وعن تأثر المسلمين بالفكر اليوناني قال طارق عبد الحكيم : « رغم أن الأثر اليوناني قد ظهر كأشد مايكون في فكر من يسمون بفلاسفة الإسلام [2] كالفارابي وابن سينا ، وفي فكر المعتزلة إلا أنه قد أثر في مناهج الفكر بشكل عام عند بقية الفرق ، بل وعند بعض علماء أهل السنة الذين دافعوا عن علم الكلام الذي استقوه من المنهج المنطقي اليوناني ، وقد تجلى ذلك في كتابات أئمة الأشاعرة » [3].

وعن تأثيرهم بالأفكار الهندية قال:« وقد كان من أهم ما أثر به فكر الهنود في الفرق المبتدعة في الإسلام هي فكرة« التناسخ» فقد نشأت عدة فرق تقول بهذه الفكرة منها السبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهند وكية..إلى أن قال:«ومن الفرق السبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهندوكية.. إلى أن قال:« ومن الفرق التي تأثرت بالتناسخ النصيرية والدروز الذين يعتقدون أن مرتكبي الآثام يعودون إلى الدنيا يهودا أو نصارى أو مسلمين سنيين»[4].

---

(١) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢١ .

(٢) الإسلام ليس فلسفة فكرية وإنما هو دين رب العالمين .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٥ .

وسيتضح كل ذلك إن شاء الله عند دراستنا لهذه الفرق .

أما أثر اليهـودية في المسلمين فإنه يظهر من خلال شـخصية عبـد الله بن سبأ، والأحـداث التى افتـعلهـا ، والأفكار التي روجهـا من القـول بالرجعـة والوصيـة وغيرها من الأفكار التى اخترعها ..

ومن خلال شخصية لبيـد بن الأعصم الذي كان يقول بخلق التوراة ، فأخذ ذلك عنه ختنه طالوت ، وأخـذ عن طالوت أبان بن سـمـعان ، وعنـه الجعـد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان ، ثم بشر المريسي الذي كان أصله يهودياً .

وكذا تأثير اليهود فيمن أخذ عنهم فكرة القول بالبداء على الله تعالى، وهي فكرة يهودية كفكرة الرجعة .

وعن تأثر المسلمين بالنصـرانية يقول « فـمن المفاهيم النصرانيـة التي تسربت إلى عقول طوائف من المسلمين ، وأدى بهم إلى الصوفية هي نظرة النصارى إلى الدنيا، واحتقارهم الكامل لها في ظاهر الأمر » .

كذلك كان للمـفاهيم النصرانية عن اللاهوت والناسوت والاتحـاد بينهما أثر في تنمية وتشكـيل مبدأ الحلول والاتحاد الذي قال به مـتأخروا الصوفيـة كالحلاج وابن سبعين وابن عربي .

كذلك مفهوم الولاية بالمعنى الصوفى فإنها مذهـب نصراني [1].

وأخـيراً أقـول بأن كلام الـعلماء حـول قضيـة تأثر بعض المسلمين بالمفـاهيم والحضارات الأخرى كثير وإنما الغـرض التنبيه على وجود هذا الداء بين صفوف المسلمين بعد أن تراخت قبضتهم على دينهم بفعل تلك العوامل الكثيرة .

وسبب هذا التـأثر هو أن الأفكار تتغلغل في النفـوس وتنتشر ، ثم تسـتحكم في أصحابها حين تجد عقولا مفلسة وقلوباً غافلة ، فتتمكن حينئذ على حد ما قاله

---

(١) المصدر السابق ١٢٩ .

أحد الشعراء عن الهوى :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكن

وهذا البعض من المسلمين إنما أوقعه في مثل هذه المزالق بعده عن العلم وعن أهل العلم ، ومثل هؤلاء إنما هو سهم الصائد الأول . ومن هنا نجد أن تلك الأفكار الخاطئة إنما تنشأ في المجتمعات الجاهلة لعدم وجود حصانة ضدها لديهم ولجهل تلك المجتمعات أيضاً أسباب لا تخفى على طالب العلم .

******

الباب الثاني

دراسة عن الخوارج

ونبدأ الآن بعون الله وتوفيقه فى بيان الفرق التى تنتسب إلى الإسلام وأول ما نبدأ به منها حسب ترتيبها في الظهور واعتبارها فرقة من الفرق « **هى فرقة الخوارج** » .

وسنخص بالتفصيل أهم آرائهم الاعتقادية مع إبطالها بالرد عليها وتفنيد شبهها تاركين في هذه الفرقة وفي غيرها من الفرق التي سيأتي الكلام عنها ما يمكن الاستغناء عنه أولا تدعو الحاجة إلى ذكره فى هذه العجالة ...

وقد قسمت الدراسة عن هذه الفرقة إلى الفصول الآتية:

*****





الفصل الأول

تمهيد

وجود الخوارج في الماضي والحاضر

الخوراج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسى . شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، وقد بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي ، وفي عمان وحضرموت وزنجبار(١) وما جاورها من المناطق الإفريقية وفي المغرب العربى ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الأباضي المنتشر في تلك المناطق ، ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج - ولا سيما الأزارقة - المتعلقة بتكفير العصاة لا يزال لها أتباع يمثلون تنطع الخوارج وتشددهم في وقتنا الحاضر مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة وما انتجت من آراء وأفكار وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين ومما يجدر ذكره بالنسبة لكتب الخوارج:

أنها تكاد أن تكون مفقودة تماما إذا ما استثنينا الإباضية منهم فلم تعرف لهم مؤلفات موفورة كبقية الفرق ، وأكثر ما نرجع في ذلك إلى ما كتبه العلماء من أهل السنة مع ثقتنا بصحة ما نقلوه عنهم لمعايشتهم لهم وكذلك لاحتمال أنهم عثروا على كتب للخوارج لم تصل إلينا على أن ما وصل من كتب الاباضية تدل على مصداق أولئك في نقلهم لمذهب الخوارج (٢) .

*****

(١) وتسمى الآن « تنزانيا » .

(٢) انظر : الخوارج تاريخهم وأراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ص : ب .

الفصل الثانى

التعريف بالخوارج

١ - **فى اللغة** : الخوراج في اللغة جمع خارج وخارجى اسم مشتق من الخروج وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج فى آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة « خرج » على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي أو لخروجهم على الناس »(١) .

٢ - **في الاصطلاح** : اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج وحاصل ذلك :

١ - منهم من عرفهم تعريفا سياسيا عاما ، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجا في أى زمن كان .

قال الشهرستاني: «كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان».(٢).

٢ - ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضى الله عنه قال الأشعرى«والسبب الذى سعوا له خوارج خروجهم على علّي بن أبى طالب»(٣).

زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشعة الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أى زمن وهو يتفق مع تعريف الشهرستانى» .(٤)

---

(١) انظر كتب اللغة مادة« خرج» انظر تهذيب اللغة:جـ٧/ص٥٠، تاج العروس:جـ٢/ص٣٠.

(٢) الملل والنحل:ج١/ص١١٤.

(٣) المقالات:١/٢٠٧.

(٤) الفصل : ١١٣/٢ .

٣ ـ وعرفهم بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التـابعين أولهم نـافع بن الأزرق [1] ولم أرى هذا التعريف عند أحد غير الإباضية .

وهذا التعريف لأبي اسحاق أطفيش يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى ـ الذين لا يعتبرهم خوراج لشرعية خروجهم كما يزعم ـ وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة ٦٤ هـ وهذا التعريف غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية ويبقى الراجح هو التعريف الثاني لكثرة من مشى عليه من علماء الفرق في تعريفهم بفرقة الخوارج وقيام حركتهم ابتداء من خروجهم فى النهروان وهو ما يتفق أيضا مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية أحدثت في التاريخ الإسلامى دويًا هائلا .

*****

(١) عمان تاريخ يتكلم ص : ١٠٣ .

الفصل الثالث

أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات

للخوارج أسماء كثيرة بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومن تلك الأسماء:

١ ـ الخوارج . ٢ ـ الحرورية . ٣ ـ الشراه.

٤ ـ المارقة . ٥ ـ المحكمة . ٦ ـ النواصب .

أما بالنسبة للاسم الأول : فهو أشهر أسمائهم وهم يقبلونه باعتبار وينفونه باعتبار آخر، يقبلونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله عز وجل : **﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾**(١) وهذه تسمية مدح .

وينفونه إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة أو عن عليّ رضى الله عنه لأنهم يزعمون أن خروجهم على عليّ رضى الله عنه كان أمرا مشروعا بل هو الخارج عليهم في نظرهم .

والإباضيون بخصوصهم يسمونها فتنا داخلية بين الصحابة .

قال نور الدين السالمي الأباضي عن تسميتهم خوارج على سبيل المدح « ثم لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموا خوارج وهو جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج في سبيل الله » . (٢) .

وقال أحد شعراء الخوارج :(٣) .

كفى حزنا أن الخوراج أصبحوا وقد شتت نياتهم فتصدعوا

وأما بالنسبة للتسمية الثانية : فهى نسبة إلى المكان الذى خرج فيه أسلافهم عن علّي وهو قرب الكوفة .. قال شاعرهم مقارنا بين جحف الثريد أى أكله وبين جحف الحرورى بالسيف أى ضربه به :

(١) سورة النساء : آية (١٠٠) .

(٢) نقله عنه على يحى معمر في كتابه « الأباضية بين الفرق الإسلامية ص : ٣٨٤ .

(٣) شعراء الخوارج تحقيق د / إحسان عباس ص : ١٣٤ .

ولا يستوى الجحفان جحف ثريدة وجحف حرورى بأبيض صارم[1].

وردت هذه التسمية في قول عائشة رضى الله عنها « أحرورية أنت ».[2] قالته للمرأة التى استشكت قضاء الحائض الصوم دون الصلاة .

وأما بالنسبة للتسمية الثالثة : فهى نسبة إلى الشرى الذى ذكره الله بقوله تعالى ﴿**أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله**﴾ الآية.[3].

وهم يفتخرون بهذه التسمية ويسمون من عداهم بذوى الجعائل : أى يقاتلون من أجل الجعل الذى بذل لهم قال شاعرهم عيسى بن فائك :

فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذرى الجعائل يقتلونا[4] .

وأما التسمية الرابعة : فهى من خصوم الخوارج لتنطبق عليهم أحاديث المروق الواردة في الصحيحين في مروقهم الدين كمروق من الرمية قال ابن قيس الرقيات من أبيات له :

إذا نحن شتى صادفتنا عصابة حرورية أضحت من الدين ما رقه.[5]

وأما التسمية الخامسة : فهى من أول اسمائهم التى أطلقت عليهم وقيل أن السبب في اطلاقه عليهم إما لرفضهم تحكيم الحكمين وإما لترادهم كلمة لا حكم إلا لله وهو الراجح ، وهى كلمة حق أريد بها باطل ولا مانع أن يطلق عليهم لكل ذلك غير أن السبب الأول ينبغى فيه معرفة أن الخوراج هم الذين فرضوه أولا وهم يفخرون بهذه التسمية كما قال شاعرهم شبيل بن عزره:

حمدنا الله ذا النعماء أنّا نحكم ظاهرين ولا نبالى [6] .

وأما تسميتهم بالنواصب فلمبالغتهم في نصب العداء لعليّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ .

(١) شعراء الخوارج ص: ٢٣٢ .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند جـ٦ص٩٧ .
(٣) سورة التوبة:أيه (١١).
(٤) شعراء الخوارج:ص:٥٤.
(٥) الكامل لابن الأثير:٤/ ١٩٨
(٦) شعراء الخوارج :٢٠٩ .

الفصل الرابع

متى خرج الخوارج

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك مايلى:ـ

١ ـ أنهم في عهد النبى ﷺ .

٢ ـ أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه .

٣ ـ أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير كما يزعم بعض علماء الإباضية .

٤ ـ أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح .

٥ ـ أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤ هـ كما تقدم في التعريف بهم وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها :

أما بالنسبة لقول الأول فإن المقصود به ما وقع للرسول ﷺ من قيام ذى الخويصره ـ عبد الله ذى الخويصرة التميمى ـ في احدى الغزوات في وجه الرسول معترضا على قسمة الرسول ﷺ للفيء وأنه لم يعدل ـ حاشاه ـ في قسمتها وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم :

الشهرستانى، وابن حزم، وابن الجوزى، والآجرى، إلا أنه ينبغى التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوى. فذو الخويصرة لا يعتبرفي الحقيقة زعيما للخوارج لأن فعلته حادثة فردية ـ تقع للحكام كثيرا ـ ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد ـ إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول ﷺومع هذا فيمكن القول بأن بنزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله ﷺ.(١)

٢ ـ وأما بالنسبة للقول الثاني فهو رأى لبعض العلماء أيضاً كابن كثير

(١) انظر الحديث الوارد في صحيح البخارى ٨ / ٥٢ ـ ٥٣ ، ومسلم : ٣ / ١١٠ ـ ١١٦ .

وابن أبى العز(1) ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدى خاص ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة ـ وإن كان فعلهم يعتبر خروجا عن الطاعة وخروجا على الإمام إلا أنهم ليسوا هم الخوراج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

٣ ـ وأما بالنسبة للقول الثالث:وهو للورجلانى الأباضى فإنه قول مردود فإن طلحة والزبيررضى الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولاينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة وكان معهما أيضا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقد شهد الله لها بالإيمان وطلحة والزبير رضى الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.(2)

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية (3) لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة وإلى ظهور نافع بن الأزرق .

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسى والآراء الخاصة والتى خرجت عن جيش الإمام على رضى الله عنه والتحموا معه فى معركة النهروان الشهيرة (4) .

ومما نذكره هنا محاورات بين عليّ رضي الله عنه والخوارج تصور لنا مدى التعنت الذي اتصف به الخوارج .

---

(1) انظر البداية والنهاية : ٧ /١٨٩ وشرح الطحاوية ص ٤٧٢ .

(2) انظر الدليل لأهل العقول ص : ١٥ .

(3) أبو إسحاق طفيش وتبعه على يحيى معمر أحد علماء الأباضية المتأخرين وقد اعتبروا أحداث المحكمةالأولى فتنة داخلية بين الصحابة وليس لهم أساس الخوارج في نظرهم .
انظر : الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ وانظر الأباضية فى موكب التاريخ ص ٣٣ .

(4) انظر لتلك الأقوال : « تلبيس إبليس » ص : ٩٠ الفصل لابن حزم ٤ / ١٥٧ ، الملل والنحل للشهرستانى : ١/ ٢١ شرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٤٧٢ ، البداية والنهاية لابن كثير: ١٨٩/٧ ، الدليل لأهل العقول للورجلانى ص ١٥ ، عمان تاريخ يتكلم للسالمي ص ١٠٣.

الفصل الخامس

محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان[1] .

وقعت بين الإمام على والخوارج قبل نشوب المعركة عدة محاورات وحينما طلب منهم عليّ رضى الله عنه بيان أسباب خروجهم عنه أجابوه بعدة أشياء منها:

١ - لماذا لم يبح لهم فى معركة الجمل أخذ النساء والذرية كما أباح لهم أخذ المال.

٢ - لماذا محى لفظة أمير المؤمنين وأطاع معاوية فى ذلك عند ما كتب كتاب الهدنة فى صفين وأصر معه على عدم كتابة « عليّ أمير المؤمنين » .

٣ - قوله للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتانى بأن هذا شك في أحقيته للخلافة.

٤ - لماذا رضي بالتحكيم في حق كان له .

هذه أهم الأمور التى نقموا عليه من أجلها كما يزعمون وقد أجابهم عن كل تلك الشبه ودحضها جميعاً حيث أجابهم عن الشبهة الأولى والتى تدل على جهلهم بمايلى:-

١ - أباح لهم المال بدل المال الذى أخذه طلحة والزبير من بيت مال البصرة ، ثم هو مال قليل .

٢ - النساء والذرية لم يشتركوا فى قتال وهم أيضا مسلمون بحكم دار الإسلام ولم تكن منهم ردة تبيح استرقاقهم .

٣ - قال لهم : لو أبحت لكم استرقاق النساء والذرية فأيكم يأخذ عائشة في سهمه فخجل القوم من هذا ورجع معه كثير منهم كما قيل .

وأجابهم عن الشبهة الثانية :

١- بأنه فعل كما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية وذكر - إن صحت الرواية-

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٧٩ ، وشرح نهج البلاغة ٢٧٥/٢، الكامل المبرد: ١١٧/٢ .

أنه قال : أخبرنى رسول الله ﷺ أن لى منهم يوما مثل ذلك .

والله أعلم بصحة هذه الرواية التى يتناقلها المؤرخون ، ذلك أن معاوية رضى الله عنه ما كان يطالب بالخلافة حتى يحق له أن يطلب محو كلمة « أمير المؤمنين » . ومعاوية كذلك كان يعرف أسبقية عليّ وفضله وإنما النزاع حول أمر آخر غير الخلافة ، اللهم إلا أن يكون هذا الفعل من صنيع للمفاوضين دون علم معاوية بذلك .

وأجابهم عن الشبهة الثالثةعلى افتراض صحة الرواية عنه : بأنه أراد النصفة لمعاوية ولوقال : احكما لي لم يكن تحكيما ، ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران ودعوة الرسول ﷺ لهم إلى المباهلة لإنصافهم .

وأجابهم عن الشبهة الرابعة: بأن رسول الله ﷺ حكم سعد بن معاذ فى بني قريظة فى حق كان له ثم نشبت المعركة مع من بقى منهم على عناده وهزم الخوارج شر هزيمة وتذكر بعض كتب الفرق أنه لم ينج من الخوارج إلا تسعة ولم يقتل من جيش عليّ إلا تسعة(١) ، وصار هؤلاء التسعة من الخوارج هم نواة الخوارج فى البلدان التى ذهبوا إليها وفى هذا نظر(٢) ، وقتل زعيم الخوارج في هذه المعركة وهو عبد الله بن وهب الراسبى سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ .

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٥ / ٨٩ والبداية والنهاية لابن كثير : ٦ /٢١٨ والكامل لابن الأثير : ٣ ٣٤٥ ، مروج الذهب : ٢/ ٤١٧ وانظر اعتراض على يحي معمر على نتيجة المعركة في كتابه الأباضية بين الفرق ص ٦٨.

(٢)من جهة تلك النتيجة حيث التقى أولئك فى معركة مصيرية ثم يقتل فيها كل الجيش ويبقى تسعة ويسلم الجيش الآخر ولا يقتل منه إلا تسعة فقط . فإن التكلف فى هذه النتيجة ظاهر كما أنه ترده تلك الأحداث المتلاحقة التى أعقبت معركة النهروان من تتابع حركة الخوارج الثورية على عليّ ـ رضى الله عنه ـ إلى أن استشهد لتبدأ أقوى مما كانت على الدولة الأموية . كما أنه من التكلف أن يقال أن كل واحد من التسعةالناجين من الخوارج كون مذهب الخوارج فى المنطقة التى ذهب إليها .

الفصل السادس

أسباب خروج الخوارج

في البحث عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى خروج الخوارج يختلف المفكرون فى هذاالسبب أو ذاك وفى تحديد مدى فاعلية بعض الأسباب والراجح أن أسبابا مجتمعة هى التى أدت بهم إلى الخروج ، ونوجز أهم الأسباب فيما يلى:-

١ - **النزاع حول الخلافة** : وربما يكون هذا هو أقوى الأسباب فى خروجهم فالخوارج لهم نظرة خاصة فى الإمام معقدة وشديدة والحكام القائمون في نظرهم لا يستحقون الخلافة لعدم توفر شروط الخوارج القاسية فيهم أضف إلى هذا عدم الاستقرار السياسى الذى شجعهم على الخروج وإلى الحسد الذى كان كامنا فى نفوسهم ضد قريش . إضافة إلى أنهم فسروا الخلاف بين علي ومعاوية رضى الله تعالى عنهما بأنه نزاع حول الخلافة . ومن هنا استسهلوا الخروج على علي ومعاوية من بعده

٢ - **قضية التحكيم** : فقد أجبروا الإمام عليا على قبول التحكيم وحينما تم طلبوا منه أن يرجع عنه بل ويعلن إسلامه فرد عليهم ردا عنيفاً .

وهناك من يقلل من شأن هذه القضية كعامل في ظهور الخوارج ولا شك أن هذا خطأ ، فقد كان التحكيم من الأسباب القوية فى ظهورهم.

وقد رد بعض العلماء وشنع على من يقول من المؤرخين وكتاب الفرق بأنه كان في قضية التحكيم خداع ، ومكر كالقاضى ابن عربي في كتابه العواصم من القواصم حيث فصل القول فى هذا الأمر .

٣ - **جور الحكام وظهور المنكرات** : هكذا كان الخوارج يرددون فى خطبهم ومقالاتهم . أن الحكام ظلمة والمنكرات فاشية والواقع أنهم حينما

خرجوا فعلوا أضعاف ما كان موجودا من المظالم والمنكرات ، حينما رأوا أن قتال المخالفين لهم قربة إلى الله تعالى وأن الأئمة ابتداءا بالإمام عليّ ـ مع عدله وفضله ـ ثم بحكام الأمويين والعباسيين كلهم ظلمة في نظرهم دون تحر أو تحقيق مع أن إقامة العدل والنهى عن المنكرات يتم بغير تلك الطريقة التى ساروا عليها فى استحلال دماء مخالفيهم حكاما ومحكومين .

٤ ـ **العصبية القبلية** : التى ماتت في زمن الرسول ﷺ وزمن أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما . ثم قامت فى عهد عثمان وما بعده قوية شرسة وكانت قبل الإسلام بين ربيعة ـ وأكثر الخوارج منهم ـ وبين مضر قوية ، وقد قال المأمون فى إجابته لرجل من أهل الشام طلب منه الرفق بالخوارج : « وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا» .
وهناك أسباب أخرى عوامل اقتصادية كقصة ذو الخويصرة مع الرسول ﷺ وثورتهم الممقوتة على عثمان رضى الله عنه حيث نهبوا بيت المال بعد قتله مباشرة ونقمتهم على عليّ في معركة الجمل ومنها كذلك الحماس الدينى الذى مدحهم به بعض المستشرقين كجولد زيهر حينما ذكر أن تمسك الخوارج الشديد بالقرآن أدى بهم إلى الخروج على المجتمع والمغالطة في قوله هذا واضحة فإن التمسك بالقرآن لا يؤدى إلى سفك الدماء بغير حق(١) .

*****

(١) انظر تاريخ الطبرى : ٥ / ٨٤ والكامل لابن الأثير: ٣ / ٤٤ ٣.
وانظر العقيدة الشريعة في الإسلام لجولد زهير ص: ١٩٢ ، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة ٦٩/١٠ ، الخوارج والشيعة لفلهوزن، فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٦٢، وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٥٧٣.

الفصل السابع

حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم

أ ـ أشرنا فيما مضى إلى أن الخوارج قد كونوا لهم دولة وصار لهم نفوذ وإذا تتبعنا حركاتهم الثورية فإننا نجدها متصلة عنيفة ابتداء من خروج المحكمة على الإمام عليّ ومن خرج بعدهم على الإمام عليّ في شكل جماعات حربية تثور هنا وهناك عليه وعلى الحكام الأمويين من بعده حرب عصابات إلى أن جاء نافع بن الأزرق سنة ٦٤ هـ ، وبدأ الخوارج يظهرون كفرق كبيرة امتدت إلى عصر الدولة العباسية لا يقر للخوارج قرارا أو يستكينون إلا ريثما يتم عددهم وعدتهم يمثلون المعارضة بالتعبير الحديث ، وتلك الحركات مدونة في كتب التاريخ والفرق مما لا نرى التطويل بذكره لأنها أحداث تاريخية .

ب ـ فرق الخوارج

أما فرقهم فإن من رحمة الله بالناس أن الخوارج تفرقوا فيما بينهم ، ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين المخالفين لهم ويذكر العلماء أن الخوارج كانوا يختلفون ويفترقون لأتفه الأسباب وحينما جاء نافع بن الأزرق ببعض التفاصيل في المذهب كحكم التقية والقعدة(١) وأطفال المخالفين لهم فزاد الطين بلة والنار اشتعالا فتفرقوا فرقا كثيرة قد لا يكون ضروريا عدها هنا فإن بعض تلك الفرق انتهى في وقته وبعضها اندمج مع فرق أخرى وبعضها رجع عن مقالاته كما فصلته كتب الفرق.(٢).

(١) أي هل يحل لهم المقام بين المخالفين أم لايحل ويكون المقيم بينهم كافر حلال الدم والمال كما يرى نافع ذلك حتى وإن كان منهم ـ وحينما وصل نافع إلى أحداث تلك الأمور بينهم انفصلت عنه النجدات بقيادة نجدةبن عامر قائلين لنافع:أحدثت ما لم يكن عمله السلف من أهل النهروان وأهل القبلة،فأجابهم:بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغي الأخذ بهذا ففارقوه.

(٢) انظر مقالات الأشعرى: ١٩٨٣/١،الفرق بين الفرق للبغداديص٢٤، ٧٢،أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص١٥٥، التنبيه والرد للملطي ص١٦٧، تاريخ الفرق الإسلاميةص٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١=

ج ـ عدد فرق الخوارج

وأما عددهم فإنه يجد الباحث عن عـدد فرق الخوارج الأصلية والفرعية أنه أمام أعداد مختلفة وذلك لأن كتب الفرق الإسـلامية لم تتفق على تقسيم فرقهم الرئيسية أو الفرعية على عدد معين ، فنجد الأشعرى مثلا يعد فرق الخوارج أربع فرق وغيره يعدها خـمسًا وبعضهم يعدها ثمان وبعضهم سبعـا ، وآخرون خمسا وعشرين وقـد تصل إلى أكثر من « ٣٠ » فرقـة ، والواقع أنه يصعب معـرفة عدد فرق الخوراج (١) والسبب فى ذلك يعود إلى :

١ ـ أن الخوارج فرق حربية متقلبة فلم يتمكن العلماء من حصرهم حصرا دقيقا.

٢ ـ أن الخوارج كانوا يتفـرقون باستمرار لأقل الأسباب كمـا أنهم يختلفون أيضا لأقلها .

٣ ـ أن الخوارج أخفوا كتبهم إما خـوفا عليها من الناس أو ظنا بها عنهم مما يجعل دراستهم من خلال كتبهم فى غاية الصعوبة .

وندرة كتـبهم في عصـرنا الحاضر دليـل على ذلك ـ إلا ما وجد للأباضـية ـ على قلته إلى غير ذلك من الأسباب إلا أنه من المعلوم تماما أن أشهر فرق الخوارج فرقة الإباضية كما يذكر كتاب الفرق المتقدمون منهم والمتأخرون رغم أن علماء الإباضية ـ خـصوصا على يحيى معمـر ـ ينفي نفيا قاطعا أن تكون الإباضـية فرقة من فرق الخوارج وقد ذكرنا فيما سبق السر فى ذلك .

وفيما يلى نذكر نبذة موجزة عن هذه الطائفة :ـ

*****

=الاعتصام:(٢/٢١٩).

(١) انظر مـقـالات الأشـعرى : ١ / ١٩٨٣ ، الفـرق بين الفرق للبـغدادى ص ٢٤ ، ٧٢ ، أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ ، التنبيه والرد للملطي ص ١٦٧ ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ الاعتصام : (٢ / ٢١٩) .

الفصل الثامن

دراسة أهم فرق الخوارج : وهم الإباضية

وتشمل دراسة هذه الطائفة ما يلي :

١ـ تمهيد

ولابد من وقفة يسيره عند هذه الفرقة من الخوارج ، نذكر عنهم على سبيل الإيجاز بعض ما قيل عنهم سواء ما جاء عن المخالفين أو الموافقين لهم أو ما ذكروه فى كتبهم ، ولكون هذه الطائفة لا يزال لها أتباع وأنصار فى أماكن كثيرة من العالم ولكونهم كانت لهم صولة وقوة، ولكثرة ما جاء من أخبارهم السياسية والعقدية والاجتماعية فإنها نحتاج إلى دراسة خاصة قد تأخذ حجما كبيرا لمن أراد أن يتتبع أخبارهم ويقف على مبادئهم (١).

ولذا فإننا نحيل القاريء إذا أراد تفاصيل أخبار هذه الطائفة بأن يرجع إلى الكتب التى اهتمت بذكر تواريخهم وبيان عقائدهم سواء ما كان منها قديما أو جديداً حيث ظهرت بعض كتب الإباضية على ندرتها وشدة تحفظهم عليها منذ القدم ، اضافة إلى توجه بعض العلماء للكتابة عنهم في عصرنا الحاضر (٢) .

وأما اماكنهم فقد ذكر بكير بن سعيد اعوشت ـ أحد علمائهم ـ أنهم يوجدون حاليا في الجزائر وتونس وليبيا وعمان وزنجبار » (٣).

---

(١) وقد وجدت أحد المشائخ فى الأزهر ١٣٩٧ تقريبا يكتب رسالة للدكتوراه عن الأباضية .

(٢) مثل ما كتبه عليّ يحي معمر في كتبه الكثيرة عنهم ، الأباضية بين الفرق الإسلامية، والأباضية في موكب التلريخ.

الأباضية مذهب إسلامى معتدل . وكذا كتاب السالمي « عمان تاريخ يتكلم » .

وما كتبه د / صابر طعيمة « الأباضية عقيدة ومذهباً ». إلى غير ذلك من الكتب المتيسر وجودها عن هذه الفرقة .

(٣) انظر كتابه دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ١٣٦ .

٢ـ زعيم الإباضية

أما بالنسبة لزعيم الإباضية فإنهم ينتسبون في مذهبهم حسبما تذكر مصادرهم إلى جابر بن زيد الأزدى الذى يقدمونه على كل أحد ويروون عنه مذهبهم وهو من تلاميذ ابن عباس رضى الله عنه(١) .

وقد نسبوا إلى عبد الله بن أباض لشهرة مواقفه مع الحكام (٢) واسمه عبدالله ابن يحيى بن أباض المرى من بنى مرة بن عبيد وينسب إلى بنى تميم ، وهو تابعى عاصر معاوية وابن الزبير وكانت له آراء واجه بها الحكام .

وهذا هو اسمه المشهور عند الجمهور ، إلا أن بعض العلماء التبست عليه شخصية ابن أباض بشخصية أخرى يسمى « طالب الحق » .

فالملطي سماه فى بعض المواضع من كتابه ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ أباض بن عمرو ، وهذا خطأ منه مع أنه ذكره في مواضع أخرى بتسميته الصحيحة ـ عبد الله بن أباض ـ وصاحب إبانة المناهج سماه : يحيى بن عبد الله الأباضي ، وهذا خطأ منه ، حيث التبس عليه تسميته « ابن أباض » برجل آخر من زعماء الإباضية اسمه « يحيى بن عبد الله طالب الحق المتقدم » ثار باليمن وجمع حوله من الأتباع والأنصارما شجعه على الخروج فى وجه حكام بنى أميةسنة ١٢٨ هـ ، أصله من حضرموت ، تأثر بدعوة أبى حمزة الشاري فخرج على مروان بن محمد وأخذ حضرموت وصنعاء فسير إليه مروان بن محمد قائده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فدارت معركة أسفرت عن

---

(١) انظر أجوبة ابن خلفون ص ٩ .

وانظر ترجمة جابر بن زيد ، أبو الشعثاء فى البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٩٣ ، وانظر ما كتبه أحد علمائهم المعاصرين بكير بن سعيد اعوشت في كتابه « دراسات إسلامية في الأصول الأباضية »ص ٢٠ .

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٥٣ .

قتل طالب الحق سنة ١٣٠ هـ(١).

وقد ذهب بعض العلماء من الإباضية إلى تحديد الوقت الذى استعملت فيه تسمية الإباضية وأن ذلك كان فى القرن الثالث الهجرى وقبلها كانوا يسمون أنفسهم « جماعة المسلمين » ، أو « أهل الدعوة » « أهل الاستقامة « كما يذكر ابن خلفون من علمائهم (٢) ، وهذا القول لا يتفق مع نشأة الإباضية بزعامة جابر بن زيد أو عبد الله بن أباض .

وقد ذهب ابن حزم إلى القول بأن الإباضية لا يعرفون ابن أباض وأنه شخص مجهول(٣) ، وهذا خطأ منه ، فإن ابن أباض شخص يعرفه الإباضيون ولهذا رد عليه « على يحيى معمر الأباضي » وذكر أن الإباضية يعرفون ابن أباض معرفة تامة ولا يتبرؤن منه ، وأن ابن حزم تناقض حين ذكر أن الإباضية يتبرؤن منه إذ كيف يتبرؤن من شخص مجهول لا يعرفونه .(٤).

ثم نتساءل كذلك من أين لهم تسميتهم « أباضية » إذا لم يكن ابن أباض من أوائلهم .

وقد ذهبت الشهرستانى إلى أن ابن أباض خرج في أيام مروان بن محمد وقتل في ذلك الوقت (٥) وهذا غير صحيح ، لأن ابن أباض توفى فى خلافة عبدالملك بن مروان .

٣ـ هل الإباضية من الخوارج ؟

اتفقت كلمة علماء الفرق ـ الأشعرى فمن بعده ـ على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج وليس المخالفون للأباضية فقط هم الذين اعتبروهم فى عداد

---

(١) انظر : الكامل للمبرد : (١٧٩/٢) .التنبيه والرد للملطى ص : ٥٥ .
إبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ .

(٢) انظر أجوبة ابن خلفون ص ٩ .

(٣) انظر الفصل : ٤/ ١٩١.

(٤) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٨ . ٥٠ .

(٥) الملل والنحل : ١ ١٣٤.

الخوارج . وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمون أيضا إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج .

ولكن بالرجوع إلى ما كتبه بعض علماء الإباضية مثل أبي إسحاق أطفيش وعليّ يحيى معمر نجد أنهم يتبرؤن من تسمية الإباضية بالخوارج براءة الذئب من دم يوسف .

ولقد خاض علي يحيى معمر في كتبه « الإباضية بين الفرق الإسلامية » و «الإباضية في موكب التاريخ » وغيرها خاص غمار هذه القضية وتفانى فى رد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج . وهاجم جميع علماء الفرق المتقدمين منهم والمتأخرين على حد سواء واعتبر عدهم للأباضية من الخوارج ظلما وخطأ تاريخيا كبيرا ، لأن تاريخ الخوارج عنده يبدأ من سنة ٦٤ هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده وسمى ما قام به المحكمة الأولى فتنا داخلية ، ونفى وجود أى صلة ما بين المحكمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وغيرهما من الخوارج كما تقدم.(١) .

ولا شك أن هذا القول فيه مغالطة خاطئة ذلك أن الأحداث متسلسلة ومرتبطة من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق بحيث يظهر أن الأولين هم سلف الخوارج .

والحقيقة أن ظهور نافع بن الأزرق كان على طريقة من سبقه فى الخروج إلا أنه ساعدته الظروف بحيث تغير وضع الخوارج من جماعات صغيرة تثور هنا وهناك إلى جماعات كبيرة هزت الدولة الأموية هزاً عنيفا فى فترات متقطعة .

وزعم علي بن يحيى معمر أن لفظة الخوارج كاصطلاح على جماعة ، لم يكن معروفا بين الصحابة وهذا غير صحيح ، لأن لفظة الخوارج وردت فى

(١) انظر : الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ ر ٣٨٣ « والأباضية في موكب التاريخ « ص ٦٢ كلاهما لعلي يحيي معمر .

الأحاديث وفي كلام الصحابة كثيرا كعلي وعائشة وابن عباس وغيرهما من الصحابة . .

وتعجب جدا حينما ترى تعليل أطفيش وتبعه على يحيى معمر لمعركة النهروان بين علي والمحكمة الأولى .

فهو لا يرى أن السبب فيها خروج أولئك عن الطاعة وسفكهم الدماء وإرهاب المسلمين ، بل إن السبب في حرب عليّ لهم كما يري هو أن القيادة أو الخلافة أسندت إلى أزدى ـ ابن وهب ـ لا إلى قرشي ، فحاربهم علي عصبية لقريش.(١).

فهل عليّ كان واثقا من بقاء الخلافة لنفسه ـ وهو في حالة حرب مع معاوية حتى يحارب لبقاء الخلافة في قريش .

ثم لو كان الأمر عصبية لقريش فلماذا لم يترك حرب معاوية ويسلمه الخلافة وهو قرشي . هذا أمر واضح لولا أن التعصب الذى يحمله بعض علماء الإباضية على عليّ رضي الله عنه هو الذى أدى بهم إلى هذا الخلط في الفهم وتغيير وقلب الحقائق .

ونذكر فيما يلى بعض النصوص من كلام علماء الإباضية حول الخوارج :

قال مؤلف كتاب الأديان وهو أباضى : « الباب الخامس والأربعين في ذكر فرق الخوارج ، وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبى طالب لما حكم ثم أخذ يذكر الخوارج بهذا الاسم فى أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح قائلا : هو أول من أنكر المنكر على عمل به وأول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها . لا يخافون فى الله لومة لائم قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى» إلى أن يقول :ـ

(١) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٧٠ وانظر « عمان تاريخ يتكلم » ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

« وتتابعت الخوارج وافترقت إلى ستة عشر فرقة بفرقه أهل الاستقامة يعنى الإباضية».(١) .

ويقول نور الدين السالمي عن الخوارج : « لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموا خوارج وهو جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج في سبيل الله . وكان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحا لأنه جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج للغزو فى سبيل الله » (٢).

ويقول صاحب كتاب : « وفاء الضمانة » الأباضى » وكان الصفرية - احدى فرق الخوارج - مع أهل الحق منا فى النهروان » . (٣) .

ولا أدرى معنى لهذا الحرص من بعض الإباضية على عدم دخولهم فى دائرة الخوارج . فإذا كانت الإباضية - كما هو معروف - تتولى المحكمة ويعتبرونهم سلفا صالحا لهم وينفون عنهم اسم الخارجية فلماذا حين تذكر بعض كتبهم لفظة المحكمة وتفسرها بين قوسين « بالخوارج » كما فعل السالمى فى كتابه « عمان تاريخ يتكلم » والأغرب من هذا أنه يسمى الخوارج في العصر العباسى بالمحكمة كما نرى فى نص كلامه حين يقول موازنا بين قوة الخوارج فى الدولتين الأموية والعباسية يقول :

« ولم تكن قوة المحكمة » أو « الخوارج » فى العصر العباسى كما كانت في العهد الأموى » .

ثم يمضى المؤلف المذكور ذاكرا شواهد من مناوأة المحكمة أو الخوارج للعباسيين ويمثل للخوارج بأئمة الإباضية المعتبرين عندهم مما يدل على أن لا فرق

(١) قطعة من كتاب في الأديان لمؤلف أباضي مجهول الاسم ص : ٩٦ .
(٢) نقله عنه على يحيى معمر الأباضى كما تقدمت الإشارة إليه .
انظر : ص ٣٨٤ من كتابه الأباضية بين الفرق الإسلامية .
(٣) وفاء الضمانة بأداء الأمانة للعيزابي : ٣ / ٢٢ .

بين الخوارج والإباضية فى التسمية والمباديء . (١) .

ومن هنا يتبين لنا أن تسميتهم باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الأزارقة سواء كان ذلك من التنبأ بظهورهم على لسان النبى ﷺ أو في ترديد هذا الاسم على لسان عليّ رضى الله عنه أو على ألسنة غيره من الناس وعلى ألسنة بعض علماء الإباضية أيضا وعلى هذا فلا يخطيء من الحق تسمية الإباضية بالخوارج - ويبقى ما امتاز به الإباضية من تسامح - أو تسامح أغلبيتهم - تجاه مخالفيهم قائما وثابتا لهم رغم ما يظهر أحيانا في بعض كتب الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران كما يقرره الوارجلاني منهم في كتابه الدليل لأهل العقول .

٤ - فرق الإباضية

انقسمت الإباضية إلى فرق منها ما يعترف به سائر الإباضية ومنها ما ينكرونها ويشنعون على من ينسبها إليهم ومن تلك الفرق :

١ - الحفصية : أتباع حفص بن أبى المقدام .

٢ - اليزيدية : أتباع يزيد بن أنيسة .

٣ - الحارثية : أتباع حارث بن يزيد الأباضي .

٤ - أصحاب طاعة لا يراد بها الله . (٢) .

ولهذه الفرق من الأقوال والاعتقادات مالا يشك مسلم في كفرهم وخروجهم عن الشريعة الإسلامية .

ورغم أن علماء الفرق قد أثبتوا نسبتها إلى الإباضية إلا أن عليّ معمر - فى

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢) انظر مقالات الأشعرى : ١ / ١٨٣ ، الفرق بين الفرق للبغدادى : ص ١٠٥ ، ٢٧٩ .

كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية ـ أخذ يصول ويجول وينفي وجود هذه الطوائف عند الإباضية أشد النفي ويزعم أن علماء الفرق نسبوها إلى الإباضية ظلما وخطأ (١) وهذا الرد منه لا يسلم له على إطلاقه لأن إنحراف هذه الفرق في آرائهم لا يقوم دليلا قاطعا على عدم انتسابهم إلى الإباضية إذ يجوز أن يكون هؤلاء الزعماء كانوا في صفوف الإباضية ثم انفصلوا عنهم بآرائهم الشاذة وتظل نسبتهم إلى الإباضية ثابتة في الأصل ، كما أنه لا يمنع أن يخرج بعض أفراد المذهب عن عامة أهل المذهب وتبقى نسبتهم إليهم ولو مجرد التسمية ـ ثابتة ـ وإضافة إلى تلك الفرق السابقة فإنه يوجد ست فرق أخرى للأباضية في المغرب هي :

١ ـ **فرقة النكار** : زعيمهم رجل يسمى أبو قدامة يزيد بن فندين الذى ثار فى وجه إمام الإباضية بالمغرب عبد الوهاب بن رستم .

وسميت هذه الفرقة بالنكارية لإنكارهم إمامة ابن رستم .

وقد سميت الفرقة الموافقة لعبد الوهاب بن رستم « بالوهابية أو الوهبية » .

٢ ـ **النفاثية** : نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي المعروف بالنفاث ونفوسة قرية تقع فى ليبيا .

٣ ـ **الخلفية** : نسبة إلى خلف بن السمح بن أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى الذى كانت له مناوشات مع الدولة الرستمية .

٤ ـ **الحسينية** : وزعيمهم رجل يسمى أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسى .

٥ ـ **السكاكية** : نسبة إلى زعيمهم عبد الله السكاك اللواتي من سسكان قنطرار تميز بأقوال تخرجه عن الإسلام وقد تبرأت منه الإباضية .

٦ ـ **الفرثية** : زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح .

ونفس الموقف السابق لعليّ يحيى بن معمر من الفرق السابقة وقفه أيضا ضد

(١) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٣ .

هذه الفرق وأنكر أن تكون من الإباضية وشكك في وجود بعض هذه الفرق فضلا عن نسبتها إلى الإباضية (١). إلا أن كثيرا من العلماء يذكرون أن هذه الفرق هى ضمن الإباضية بالمغرب ...

٥ـ دولة الإباضية

قامت للأباضية دولتان أحداهما فى المغرب والأخرى فى المشرق ـ عمان ـ تمتع المذهب الأباضي فيهما بالنفوذ والقوة .

وساعد انتشار المذهب الأباضي في عمان بعدها عن مقر الخلافة ثم مسالكها الوعرة.

ويرجع دخول المذهب الأباضى عمان إلى فرار بعض الخوارج بعد معركة النهروان إلى هذا البلد كما يرى بعض العلماء .

ولكن السالمي من علماء الإباضية يرى أن دخول المذهب إلى عمان يرجع إلى قدوم عبد الله بن أباض .

وعلى أي حال فقد قوى المذهب وأراد أهل عمان الاستقلال عن الخلافة العباسية في عهد السفاح والمنصور وانتخبوا لهم خليفة هو الجلندى بن مسعود بن جيفر الأزدى إلا أن جيوش الخلافة العباسية قضت على حلم أهل عمان وظلت جزءا من الدولة العباسية إلى سنة ١٧٧ هـ حيث بدأت نزعة الاستقلال وولوا عليهم سنة ١٧٩ هـ إماما منهم واستمرت ولاتهم في الحكم في عمّان ابتداء بأول خليفة وهو محمد بن أبى عفان الأزدي ثم الوارث بن كعب الخروصي ثم غسان بن عبد الله ثم عبد الملك بن حميد ثم المهنا بن جيفر اليحمدى ثم الصلت بن مالك الخروصي ثم راشد بن النظر اليحمدي الخروصي ، ثم عزام بن تميم الخروصي ثم سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ثم راشد

---

(١) انظر كتاب الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٥٨ ، ٢٧٨ .

ابن الوليد ثم الخليل بن شاذان ثم محمد بن على ثم راشد بن سعيد ثم عامر بن راشد بن الوليد[١] .

وبعده محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي . والخليل بن عبد الله ومحمد بن أبى غسان وموسى بن أبى المعالي وخنبش بن محمد والحوارى بن مالك وأبو الحسن بن خميس وعمر بن الخطاب بن محمد ومحمد بن إسماعيل الماضرى وبركات بن محمد بن إسماعيل . ثم جاءت أئمة اليعارية الذين قوى نفوذهم جداً واستمروا إلى أن حدثت الانشقاقات والتفرق بينهم فتدخلت الدول الاستعمارية وقضت على الإمامة [٢] .

أما بالنسبة لدولة الإباضية في المغرب فإن قيام هذه الدولة كان نتيجة لانتشار المذهب الأباضي هناك بين قبائل البربر .

ولقد كانت البصرة هي احدي القواعد الأساسية لدعاة المذهب الأباضي حيث يتخرج منها دعاة هذا المذهب وينتشرون في أماكن كثيرة وتعتبر المرجع لجميع الإباضية في كل مكان إذ يأتون إليها ويتزودون منها علما وخططا لنشر مذهبهم وإقامة حكمهم في ذلك الوقت وفد اليها رجال هذا المذهب ثم خرجوا إلى المغرب وأسسوا دولتهم إلى جانب دولة الصفرية الخارجية .

وطريقة قيام المذهب الأباضى تمت بوضع خطة للقبض على زمام السلطة شيئا فشيئا وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى . فاستولوا على طرابلس ثم عين عبد الرحمن الرستمى قاضيا عليها وواصل أبو الخطاب إنتصاراته ولكن جيش الخلافة العباسية دحرهم في معركة قتل فيها أبو

(١) مخطوطة المازغينني في افتراق فرق الأباضية الست بالمغرب ص ١ - ٧ وانظر تعليق أبى إسحاق على كتاب الوضع للجناوني وانظر كذلك كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية : ٢/١٤٨ ر ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ٢٠٦ .

(١) انظر كتاب « عمان تاريخ يتكلم » ص ١٣١ للسالمي ، وكتاب « الأزهار الرياضية للباروني»: ٢ / ٢ والكامل لابن الأثير: ٥/١٩٢ - ١٩٤ .

الخطاب وتفرقت الإباضية ، ثم قام عبد الرحمن الرستمى الذى يعتبر مؤسس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب بمحاولات الاستقلال وتمت له السيطرة على أماكن كثيرة وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠ هـ وهو فارسي الأصل . وقد توفى سنة ١٧١ هـ فاختاروا ابنه عبد الوهاب الذى واصل تنمية المذهب واجتمعت عليه الكلمة إلى أن مات فخلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب وسار على طريقة والده وأحبه الناس وبعد وفاته تولى ابنه أبو اليقظان محمد بن أفلح فأحب الناس سيرته إلى أن توفى فخلفه ابنه أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح إلا أن العلاقة ساءت بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح ودارت بينهم معارك هائلة ومن هنا بدأت الدولة الرستمية في الأفول وداهمتهم الشيعة بقيادة أبى عبيد الله الشيعي وانتهت أسرتهم في ستة ٢٩٦ هـ فرثاهم علماء الإباضية كثيرا » . (١) .

٦ـ موقف الإباضية من المخالفين لهم

أ ـ موقفهم من سائر المخالفين لهم

تتسم معاملة الأباضيين لمخاليفيهم باللين والمسامحة وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم .

وهذا ما يذكره علماء الفرق عنهم إضافة إلى أن العلماء يذكرون عنهم كذلك أن الأباضة تعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفار نعمه غير كاملي الإيمان ولا يحكمون بخروجهم من الملة إلا أن هذا المدح ليس بالاتفاق بين العلماء فهناك من يذكر عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفيهم محاربون لله ولرسوله وأنهم يعاملون المخالفين لهم أسوأ المعاملة والحقيقة أن القاريء لكتب علماء الفرق يجد أنهم متعارضون في النقل عنهم إلا أن يقال أن طائفة من الإباضية معتدلون وآخرون متشددون . ولهذا وجد على يحيى معمر ثغرة فى كلام علماء الفرق

---

(١) انظر الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية . الجزء الثاني في عدة صفحات منه .

ليصفهم بالتناقض والاضطراب في النقل إلى آخر ما أورد من انتقادات لا تسلم له على إطلاقها وذلك انك تجد في بعض كلام علماء الإباضية أنفسهم الشدة في الحكم على المخالفين لهم ووصفهم بأنهم كفار وأنهم من أهل النار ما لم يدينوا بالمذهب الأباضى وتجد آخرين يتسامحون في معاملة المخالفين لهم ويبدو عليهم اللين تجاههم .

وتجد التعصب فى حكمهم على مخالفيهم ظاهراً قويا من قراءتك لكتاب مقدمة التوحيد لابن جميح وكتاب الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد للعيزابي ورسالة في فرق الإباضية بالمغرب للمارغيني وكتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني وكذا العقود الفضية وكشف الغمة الجامع لأخبار الأمة فإن القاريء لهذه الكتب يجد التشدد تجاه المخالفين قائما على أشده كما تشهد بذلك مصادرهم المذكورة . ومع هذا فإن العلماء المتقدمون وكثير من المتأخرين يذكرون عبارات كثيرة تصف الإباضية بالتسامح واللين تجاه المخالفين ممن بدعون الإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى وحرابه ومع ذلك نفى عليّ يحيى معمر أن يكون من مذهب الإباضية أنهم يرون أن معسكر السلطان معسكر بغى وحرابه ولكنه وهو يقسم حكام المسلمين في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية جعل هذا الوصف ينطبق على الحاكم الذى يخرج عن العدل ولا يطبق أحكام الإسلام كاملة.(١).

ومن خلال الأمثلة الآتية من كلام العلماء حول موقف الإباضية من المخالفين لهم تجد مصداق ما قدمنا إجماله فيما يلى :

١ ـ اللين والتسامح مع المخالفين

أ ـ ما قاله عنهم كتاب الفرق .
ب ـ ما قالوه هم فى كتبهم .

---

(١) انظر الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧ ـ ٢٨ .

أما ما قاله علماء الفرق عنهم :فمثلا نجد أن الأشعرى يقول :

« وأما السيف فإن الخوارج جميعا تقول به وتراه إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف » (١) .

وقال أيضا « وجمهور الإباضية يتولى المحكمة كلها إلا من خرج ويزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار ليسوا بمشركين » (٢).

ثم قال عنهم كذلك « وزعموا أن الدار ـ أى دار مخالفيهم ـ دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه د ار كفر يعنى عندهم » (٣) .

إلى أن قال : « وفى المعركة لا يقتلون النساء ولا الأطفال على عكس ما يفعله الأزارقة » (٤) .

أما البغدادى والشهرستانى فيذكران عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفيهم براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار » (٥).

وأما ما قالوه هم عن أنفسهم فنجد صاحب كتاب الأديان الأباضى وهو يعدد آراء الأخنس ـ زعيم فرقة الأخنسية ـ

« وجوز تزويج نساء أهل الكبائر من قومهم على أصول أهل الإستقامة»(٦).

ونجده كذلك يؤكد على أنه لا يجوز من أهل القبلة إلا دماءهم فى حالة قيام الحرب بينهم وبين الإباضية (٧) .

ويأتى أبو زكريا الجناوى فيؤكد أنه يجوز معاملة المخالفين معاملة حسنة غير أنه ينبغى أن يدعوا إلى ترك ما به ضلوا فإن أصروا ناصبهم إمام المسلمين الحرب

(١) المقالات جـ ١ ص ـ ٢٠٤ .
(٢) المصدر السابق صـ ١٨٤ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٨٥ .
(٥) الفرق بين الفرق صـ ١٠٣ ، الملل والنحل ج١ ص ١٣٤ .
(٦) كتاب الأديان ص ـ ١٠٥ .
(٧) المصدر السابق ص ـ ٩٩.

حتى يذعنوا للطاعة ولا يحل منهم غير دمائهم »[1] .

وهناك نصوص فى مسامحة الإباضية للمخافين لهم من حسن المعاملة وعدم اغتيالهم أو استعراضهم وتحريم أموالهم .

يذكرها عنهم علي يحيى معمر مع عزوها إلى قائليها فى كتابه « الإباضية بين الفرق الإسلامية » فى معرض نقده كلام علماء الفرق عن الإباضية[2] لا نرى ضرورة للتطويل بنقلها هنا .

٢ ـ الشدة على المخالفين :

١ ـ ما يقوله عنهم علماء الفرق :

يقول البغدادى عنهم أنهم يرون أن المخالفين لهم « كفار وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم فى السر واستحلوها في العلانية ... وزعموا أنهم فى ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض والذى استحلوه الخيل والسلاح فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة »[3] .

وكان الأشعرى قد سبق إلى قوله عنهم

« وقالوا جميعا أن الواجب أن يستتيبوا من خالفهم فى تنزيل أو تأويل فإن تاب وإلا قتل كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله وفيما لا يسع[4] .

٢ ـ ما قالوه هم فى كتبهم:

روى الجيطالي الأباضى عن الإمام عبد الوهاب .

« أنه قال سبعون وجها تحل بها الدماء فأخبرت منها لأبى مرداس بوجهين

(١) انظر كتاب الوضع للجناوي . (٢) انظر الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٣٥ ـ ٣٨٥ .

(٣) الفرق بين الفرق صـ ١٠٣. (٤) المقالات ج١ صـ١٨٦ .

فقال من أين هذا من أين هذا ؟

وفى كتاب سير المشائخ أن الإمام كـان يقول : عندى أربعة وعشرون وجها تحل بها دماء أهل القبلة ولم تكن منهم عند أبى مرداس رحمه الله إلا أربعة أوجه وقد شدد على فيهم »[1].

ويقول المارغينى منهم « وقالت المشائخ أن هذا الدين الذي دنا به الوهبية من الإباضية من المحكمة دين المصطفى ﷺ هو الحق عند الله وهو دين الإسـلام من مات مستقيما عليه فهو مسلم عند الله ، ومن شك فيه فليس على شيء منه ، ومن مات على خلافه أو مات على كبيرة موبقة فهو عند الله من الهالكين أصحاب النار». [2]

وقال العيزابي منهم « الحمد لله الذى جعل الحق مع واحد في الريانات فنقول معشر الإباضية الوهابية الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا لأن الحق عند الله واحد ومذهبنا فى الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق »[3].

ولا يقل الوارجلانى تشددا عن من سبق فهو يقول :

فإن قال قائل هذه أمة أحمد ﷺ قد قضيتم عليها بالهلاك وبالبدعة والضلال وحكمتم عليها بدخول النار ما خلا أهل مذهبكم قلنا إنما قضاه رسول الله ﷺ لا نحن بقوله حيث يقول ستفترق أمتى على ثلاث وسبيعين فرقة كلهن فى النار ما خلا واحدة ناجية كلهم يدعى تلك الواحدة »[4].

وهناك نصوص كثيرة أخرى فى تزكية مذهبهم وبطلان ما عداه من المذاهب وأن الله لا يقبل أى دين غير دين الإباضية الذهبية عن صاحب العقود

---

(١) قواعد الإسلام ص١٠٥ . (٢) رسالة فى فرق الأباضية للمغرب ص١٣ .

(٢) الحجة فى بيان الحجة فى التوحيد بلا تقليد ص٣٧ .

(٤) تقدم تخريج الحديث وذكر ألفاظه وهو فى كتاب الدليل لأهل العقول ص ٣٥ - ٣٦ .

الفضية[1] والسالمى[2] وجاعدين خميس الخروصى[3]. وصاحب كشف الغمة[4] وصاحب النيل وشفاء العليل[5] وابن جميع[6] وغيرهم من علماء الإباضية .

ب ـ موقف الإباضية من الصحابة

موقف الإباضية من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم :

من الأمور المتفق عليها عند سائر الخوارج الترضى التام والولاء والاحترام للخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما لم تخرج فرقة منهم عن ذلك .

أما بالنسبة للخلفتين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فقد هلك الخوارج فيهما وذموهما مما برأهما الله عنه .

والذى يهمنا أن نشير هنا إلى رأى الإباضية فى الصحابة رضوان الله عليهم بايجاز تاركين تفصيل الحجج والردود عليها لمقام آخر :

١ ـ موقف الإباضية من عثمان رضى الله عنه

من الأمور الغريبة جدا أن تجد ممن يدعى الإسلام ويؤمن بالله ورسوله من يقع فى بغض الصحابة خصوصا من شهد له الرسول ﷺ بالجنة وثبتت بذلك النصوص فى حقه .

فعثمان رضى الله عنه صحابى جليل شهد له الرسول ﷺ ـ بالجنة ـ .أما بالنسبة للخوارج فقد تبرأوا منه ومن خلافته بل وحكموا عليه بالارتداد والعياذ بالله وحشاه من ذلك .

---

(١) العقود الفضية ص ١٦٩.

(٢) المصدر السابق صـ ١٧٢.

(٣) المصدر السابق صـ ١٧٢.

(٤) كشف الغمة صـ ٣٠٦ .

(٥) انظر النيل وشفاء العليل ص ١٠٦١ ١٠٦٢ جـ ٣.

(٦) مقدمة التوحيد صـ ١٩ .

وفي كتاب كشف الغمة لمؤلف أباضي من السب والشتم لعثمان مالا يوصف ولم يكتف بالسب والشتم وإنما اختلق روايات عن بعض الصحابة يسبون فيها عثمان بزعمه ويحكمون عليه بالكفر(١) ، ولا شك أن هذا بهتان عظيم منه .

ويوجد كذلك كتاب فى الأديان (٢) وكتاب آخر اسمه « الدليل لأهل العقول »(٣) للورجلانى ، فيهما أنواع من السباب والشتم لعثمان ومدح لمن قتلوه حيث سماهم « فرقة أهل الاستقامة » وهم فى الحقيقة بغاة مارقون لاستقامة لهم إلا على ذلك وأما بالنسبة لموقفهم من على رضى الله عنه :

فإنه يتضح موقفهم منه بما جاء فى كتاب كشف الغمة تحت عنوان فصل من كتاب الكفاية قوله : فإن قال ما تقولون فى على بن أبى طالب ، قلنا له أن عليا مع المسلمين فى منزلة البراءة وذكر أسبابا ـ كلها كذب ـ توجب البراءة منه فى زعم مؤلف هذا الكتاب منها حربه لأهل النهروان وهو تحامل يشهد بخارجيته المذمومة .

وقد ذكر لرويمر عن موقف المطاوعة جماعة متشددة في الدين ـ كما يذكر قوله « ويعتقد المطوعون أن الخليفة عليا لم يكن مسلما على الإطلاق بل كان كافرا ».(٤)

كما تأول حفص بن أبى المقدام بعض آيات القرآن على أنها واردة فى على وقد كذب حفص .(٥).

ومن الجدير بالذكر أن على يحي معمر ـ المدافع القوى عن الإباضية يزعم أن الإباضية لا يكفرون أحدا من الصحابة وأنهم يترضون عن على رضى الله

---

(١) كشف الغمة ص ٢٦٨.
(٢) كتاب الأديان ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣) الدليل لأهل العقول ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(٤) دليل الخليج : ٦ /٣٤٠٦ .
(٥) انظر المقالات : ١٨٣/١

عنه فهو ينقل عن كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة مدحاً وثناء لعلي(١) وأورد علي يحيى معمر فصلا طويلا بين فيه اعتقاد الإباضية في الصحابة بأنهم يقدرونهم حق قدرهم ويترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم ونقل عن أبي إسحاق أطفيش في رده على الأستاذ محمد بن عقيل العلوي أنه قال له : أما ما زعمت من شتم أهل الاستقامة لأبي الحسن علي وأبنائه فمحض اختلاق .

ونقل عن التعاريتي أيضا مدحه للصحابة خصوصا عليا وأبنائه وكذلك التندميري الأباضي .

وأخيرا قال علي يحيى معمر « ولم يكن يوما من الأصحاب شتم له أو طعن اللهم إلا من بعض الغلاة وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب »(٢). وهذه الحقيقة التي اعترف بها أخيرا تجعل ما ملأ به كتابه « الأباضية بين الفرق من الشتائم على كل كتاب الفرق غير صحيح فما الذي يمنع أن يكون نقل هؤلاء العلماء يصدق على أقل تقدير على هؤلاء الأفذاذ الذين أشار إليهم مع أن مايذكره علي يحي معمر لا يتفق مع النصوص المستفيضة عن علماء الإباضية في ذمهم لبعض الصحابة فهل الورجلاني يعتبر على حد التعبير السابق ليحيى معمر من الغلاة المتشددين وهو من هو في صفوف الإباضية فهذا الرجل يواصل في كتابه الدليل لأهل العقول تكفيره وشتمه لمعاوية رضي الله عنه ولعمرو بن العاص بل قد قال زعيم الإباضية عبد الله ابن أباض نفسه في كتابه لعبد الملك عن معاوية ويزيد وعثمان كما يرويه صاحب كشف الغمة. « فإنا نشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله وكفى بهذا خروجا .

وصاحب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة يشتم الحسن والحسين رضي الله

---

(١) وفاء الضمانة : ٢٢/٣.

(٢) الأباضية بين الفرق ص ٢٨٧ .

عنهما وأوجب البراءة منهما بسبب ولايتهما لأبيهما على ظلمه وغشمه ـ كما يزعم ـ كذلك بسبب قتلهما عبد الرحمن بن ملجم وتسليمهما الإمامة لمعاوية وهى أسباب لا يعتقدهل لا من عرف الصحابة الذين شهد الله ورسوله لهم بالسابقة والفضل ولكن انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.. وصدق الشاعر حين قال :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لي بأني فاضل

ونفس الموقف الذى وقفه الخوارج عموما والإباضية أيضا من الصحابة السابقين وقفوه أيضا من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأوجب لهما الورجلانى النار[1] ، وقد بشرهما الرسول ﷺ بالجنة وهؤلاء يوجبون عليهما النار فسبحان الله ما أجرأ أهل البدع والزيغ على شتم خيار الناس بعد نبيهم الذين نصروا الإسلام بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ومات الرسول ﷺ وهو راض عنهم قال النبى ﷺ :

« لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[2] وأنه لمما يحار فيه الشخص هذا الموقف من صحابة رسول الله ﷺ ، فإذا كان أخص أصحاب محمد ﷺ غير مرضين عند هذه الطوائف من خوارج وشيعة فمن المرضى بعد ذلك ؟

٧ـ عقائد الإباضية

من الأمور الطبيعية أن تخرج هذه الفرقة وغيرها من الفرق عن المعتقد السليم في بعض القضايا ما دامت قد خرجت عن أهل السنة والجماعة وارتكبت التأويل ولابد كذلك أن توجد لها أقوال فقهية تخالف فيها الحق إلى جانب أقوالهم فى العقيدة ، ولا يسعنا هنا ذكر جميع مباديء فرقة الإباضية العقديّة

(١) انظر : كشف الغمة ص ٣٠٤ . الدليل لأهل العقول ص ٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم ٧ / ١٨٨ .

و الفقهية فهذا له بحث مستقل خصوصاً مايتعلق بالمسائل الفقهية فإن دارس الفرق قلما يوجه همه إلى إيضاحها وتفصيلاتها إلا عند الضرورة .

والذى نود الإشارة إليه هنا أن للأباضية أفكار عقدية وافقوا فيها أهل الحق، وعقائد أخرى جانبوا فيها الصواب .

١ ـ أما ما يتعلق بصفات الله تعالى : فإن مذهب الإباضية فيها أنهم انقسموا إلى فريقين : فريق نفى الصفات نفيا تاما خوفا من التشبيه بزعمهم ، وفريق منهم يرجعون الصفات إلى الذات فقالوا أن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلخ الصفات فالصفات عندهم عين الذات ، قال أحمد بن النضر :

وهو السميع بلا أداة تسمع ... إلا بقدره قادر وحداني
وهو البصير بغير عين ركبت ... في الرأس بالأجفان واللحظان
جل المهمين عن مقال مكيف ... أو أن ينال دراكه بمكان
أو أن يحيط به صفات معبرس ... أو تعتريه هماهم الوسنان(١).

ويقول السالمى :

أسماؤه وصفات الذات ... ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا
وهو على العرش والأشيا استوى ... وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا
وإنما استوى ملك ومقدرة ... له على كلها استيلاء وقد عدلا
كما يقال استوى سلطانهم فعلى ... على البلاد فحاز السهل والجبلا(٢).

وقال العيزابى منهم « الحمد لله الذى استوى على العرش أى ملك الخلق واستولى عليه وإلا لزم التحيز وصفات الخلق » (٣) .

وهذا في حقيقته نفى للصفات ولكنه نفي مغطي بحيله إرجاعها إلى الذات وعدم مشابهتها لصفات الخلق وقد شنع الورجلانى منهم على الذين يثبتون

---

(١) كتاب الدعائم ص : ٣٤ . (٢)غاية المراد ص : ٧ .
(٣) الحجة فى بيان المحجة صـ ٦، ١٨.

الصفات بأنهم مشبهة كعباد الأوثان وأن مذهب أهل السنة هو ـ حسب زعمه ـ تأويل الصفات فاليد النعمة والقدرة والوجه الذات ومجيء الله مجيء أمره لفصل القضاء لأن إثبات هذه الصفات لله هو عين التشبيه كما يزعم(١).

ومعلوم لطلاب العلم أن هذا ليس هو مذهب السلف الذين يثبتون الصفات لله كما وصف نفسه في كتابه الكريم ووصفه به رسولهﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل . قال ابن تيمية في بيان مذهب السلف: «أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل » .

ويقول ابن القيم :

« لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء ، وأخبر عن نفسه بأفعال وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويجئ ويأتي وينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علما وحياة وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا ووجها ، وأن له يدين وأنه فوق عباده وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين ، وأن السموات مطويات بيمينه ، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك».(٢)

فهل يعتبر هذا الوصف تشبيه لله بخلقه ؟

﴿ **قل أأنتم أعلم أم الله** ﴾(٣) .

وطريقة السلف فى إثبات كل صفة لله أنهم يقولون فيها أنها معلومة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. وأن الله ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع العليم**﴾ .

---

(١) الدليل لأهل العقول ص : ٣٢ .

(٢) ا مختصر الصواعق المرسلة من ص١٦إلى ص٢٩.

(٣)سورة البقرة١٤٠.

وهذه الآية أساس واضح في اثبات الصفات لله ولم ير أهل السنة أن إثبات الصفات يؤدى إلى التشبيه لمعرفتهم أن الإتفاق في التسمية لا يستلزم الاتفاق فى الذات فالله سميع وبصير والإنسان سميع بصير وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق ومن تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل .

والحاصل أن الإباضية هنا وافقوا المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل الفرق فى باب الصفات معتمدين على عقولهم وعلى شبهات وتأويلات باطلة على أن الإباضية أنفسهم مختلفون في إثبات صفات الله تعالى فأباضية المشرق يختلفون عن أباضية المغرب ذلك أن أباضية المشرق تعتقد أن صفات الله تعالى حادثة وأباضية المغرب تعتقد أنها قديمة وبين الفريقين من التباعد في هذا مالا يخفى.(١)

٢- وأما عقيدة الإباضية فى استواء الله وعلوه ، فإنهم يزعمون أن الله يستحيل أن يكون مختصا بجهة ما بل هو في كل مكان وهذا قول بالحلول وقول الغلاة الجهمية ولهذا فقد فسر الإباضية معنى استواء الله على عرشه باستواء أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه أو استواء ملك ومقدرة وغلبة وإذا قيل لهم لما خص العرش بالاستيلاء والغلبة أجابوا بجواب واه قالوا لعظمته ، وقد خرجوا بهذه التأويلات عن المنهج الشرعي إلى إعمال العقل واللغة بتكلف ظاهر مخالف للاعتقاد السليم والمنطق والفطرة .

٣- وذهبت الإباضية فى باب رؤية الله تعالى إلى إنكار وقوعها لأن العقل - كما يزعمون - يحيل ذلك ويستبعده واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ وأولوا معنى الآية تأويلا خاطئا على طريقة المعتزلة .

ومن أدلتهم قوله تعالى ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك * قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني** ﴾ (٢).

---

(١) انظر الأباضية عقيدة ومذهبا للدكتور صابر طعيمة ص ٣٥ .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٤٣) .

واستدلـوا من السنة بحديث عائشة حين سئلت عن الرسول ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسـراء فأجابت بالنفـى كما رواه صـاحب وفاء الضـمانة(١) وقـد أورد الربيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصحيح أو مسند الربيع الذى هو عندهم بمنزلة صحيح البخارى ومسلم عند أهل السنة ويعـتبرونه أصح كتاب بعد القرآن الكريم ـ كـمـا يزعـمـون . أورد عـدة روايات عن بعـض الصـحـابة ـ تدل على إنكارهم رؤية الله تعالى بزعمه(٢) ..

والواقع أن كل استدلالاتهم الـتى شابهوا فيهـا المعتزلة ، إما استـدلالات غير صحيحة الثبوت أو صحيحه ولكن أولوها على حسب هواهم في نفي الرؤية .

فإن الآية الأولى ليس فيها نفي الرؤية وإنمـا نفي الإحاطة والشمول فالله يرى ولكن من غير إحاطة به عز وجل .

وقـوله لموسى « لن تراني » أى فى الدنيـا وقـد علق الله إمكان رؤيتـه تعـالى بممكن وهو استقرار الجبل .

وحـديث عائشـة إنما أرادت نفى أن يكون الرسـول ﷺ رأى ربه فـى ليـلة الإسراء وليس المقصود نفي الرؤية مطلقـا فهذا لم ترده أم المؤمنين ومن فهم النفى مطلقا فهو سيء الفهم جاهل بالنصوص .

وخلاصـة القول في هذه المسـألة أن رؤية الله تعالى تعـتبر عنـد السلف أمرا معلـوما من الدين بالضـرورة لا يمارى فيـها أحد منـهم بعد ثبـوتها في كـتـاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ وفى أقوال الصحـابة رضى الله عنهم وفي أقوال علماء السلف قاطبة رحمهم الله تعالى .

٤ـ ومن عقـائد بعض الأباضيــة في كـلام الله تعـالى القول بخلـق القرآن ـ بل حكم بعض علمـائهم كابن جـميع والورجـلاني أن من لم يقل بخـلق القرآن

(١) وفاء الضمانةص٣٧٦، ٣٧٧ . (٢) انظر: مسند الربيع بن حبيب: ٣٥/٣ .

فليس منهم.[1]

وقد عرف المسلمون أن القول بخلقه من أبطل الباطل إلا من بقى على القول بخلقه منهم وهم قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين وموقف السلف واضح فيها وهو موقف إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وهو القول بأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ واليه يعود ولا يتسع المقام هنا لبسط شبه القائلين بخلقه وأدلة من يقول بعدم خلقه وردهم على أولئك المخطئين ومن قذف الله الإيمان والنور فى قلبه يعلم أن الله تعالى تكلم بالقرآن وبلغه جبريل إلى النبي ﷺ والكلام صفة لله تعالى ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بعض الإباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن كصاحب كتاب الأديان[2] وكذا أبو النضر العماني[3] وردا على من يقول بخلقه وبسطا الأدلة في ذلك وبهذا يتضح أن الإباضية قد انقسموا فى هذه القضية إلى فريقين .

٥ـ وقد اعتدل الإباضية في مسألة القدر ووافقوا أهل السنة فأثبتوا القدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله خالق كل شيء وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها وبهذا المعتقد صرح زعماؤهم كالنفوسي[4] والعيزابي[5]والسالمي[6] وعلى يحي معمر[7] .

٦ـ وقد اختلف الأباضيون في إثبات عذاب القبر . فذهب قسم منهم إلى انكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج . وذهب قسم آخر إلى اثباته قال النفوسي في متن النونية :

وأما عذاب القبر ثبت جابر وضعفه بعض الأئمة بالوهن[8].

(١) مقدمة التوحيد ص ١٩ الدليل لأهل العقول ص : ٥٠ .
(٢) كتاب الأديان ص ١٠٤ .
(٣) كتاب الدعائم ص : ٣١ ـ ٣٥ .
(٤) متن النونية ص : ١٢ .
(٥) الحجة في بيان المحجة ص ٢٣ .
(٦) غاية المراد ص ٩ .
(٧) الأباضية بين الفرق ص ٢٤٨ .
(٨) متن النونية ص ٢٧ .

ومعتقد السلف جميعاً هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل .

٧ـ ويثبت الأباضيون وجود الجنة والنار الآن ويثبتون الحوض ويؤمنون بالملائكة والكتب المنزلة .

٨ـ وأما بالنسبة للشفاعة : فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة بل للمتقين وكأن المتقى في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي . قال صاحب كتاب الأديان ـ والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين (١) .

وقال السالمي :

وما الشفاعة إلا للتقى كما قد قال رب العلا فيها وقد فصلا (٢) .

وذكر الربيع بن حبيب روايات عن الرسول ﷺ تدل في زعمه على هذا المعتقد وقرر الحارثي في كتابه العقود الفضية تلك القضية.(٣) .

ومذهب أهل السنة أن الرسول ﷺ يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين من عباده بعضهم فى بعض .

٩ـ وأما الميزان :الذى جاءت به النصوص وثبت أن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيء وإن الله يفصل بين الناس فى أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة.(٤) وعلى الصفات التي

(١) انظر : كتاب الأديان ص ٥٣ .

(٢) غاية المراد ص ٩ .

(٣) مسند الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح:٣١/٤، ٣٤.

(٤) متن النونية ص ٢٥ .

جاءت في السنة النبوية.

١٠- وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط وقالوا إنه ليس بجسر على ظهر جهنم (١) ، وذهب بعضهم - وهم قلة - إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم حسبما نقله د / صابر طعيمه عن الجيطالى من علماء الإباضية(٢) والسلف على اعتقاد أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئا حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها .

١١- ووافق - معظم الإباضية - السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٣) وقد خالف بعضهم فذهب إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص وقد نقل الدكتور صابر طعيمة بعض الأدلة من كتبهم على هذا الرأى(٤).

١٢- وزيادة الإيمان ونقصه مسألة خالف فيها الإباضية سائر الخوارج الذين يرون أن الإيمان جملة واحدة لا يتبعض وأن العبد يكفر ويذهب إيمانه بمجرد مواقعته للذنب ويسمونه كافرا ومخلدا في النار في الآخرة إلا أن الإباضية مع موافقتهم للسلف في الحكم لكنهم يسمون المذنب كافرا كفر نعمة ومنافقا ، يقول إعوشت « فالكفر اذن عند الإباضية ينقسم إلى ما يلى :

١ - كفر نعمة ونفاق وبتمثل في المسلم الذى ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر أو جمع بينهما . » (٥) .

وفى الآخرة مخلد في النار إذا مات من غير توبة (٦)، وكان الحال يقتضى أنهم لا يطلقون عليه كلمة الكفر ولا النفاق ولا يحكمون عليه بالخلود في النار

(١) انظر غاية المراد ص ٩ .
(٢) قناطر الخيرات : ٣١٨/١ - ٣١٩ نقلا عن الأباضية عقيدة ومذهبا ص ١٢٦ .
(٣) كتاب الأديان ص٥٣ غاية المراد ص٧. (٤) الأباضية عقيدة ومذهبا ص١١٦- ١١٧.
(٥)الإباضية بين الفرق - علي معمر ص٢٨٩، غاية المراد ص١٨ للسالمي.
(٦) متن النونية ص ١٨ .

بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ونجد هنا أن الإباضية وافقوا أيضا سائر الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات قبل التوبة بناء على اعتقاد إنفاذ الوعيد لا محالة واستدلوا بسائر أدلة الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار وأهل السنة لا يرون ذلك بل يقولون إذا مات المذنب قبل التوبة فأمره إلى الله وهو تحت المشيئة ، ويقولون أيضا أن اخلاف الوعد مذموم وإخلاف الوعيد كرم وتجاوز .

١٣ـ وأما مسألة الإمامة والخلافة فقد ذكر بعض العلماء عن الإباضية في مسألة الإمامة والخلافة أن الإباضية يزعمون أنه قد يستغنى عن نصب الخليفة ولاتعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذى عليه للآخر، وهذا القول أكثر ماشهر عن المحكمة والنجدات ، وأما الإباضية فقد ذكر هذا القول عنهم. ج لوريمر فى كتابه دليل الخليج(١) ولكن بالرجوع إلى كتب الإباضية نجد أنهم ينفون هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم وإن مذهبهم هو القول بوجوب نصب حاكم للناس ومن قال غير هذا عنهم فهو جاهل بمذهبهم على حد ما يقوله علماؤهم كالسالمى وعلي يحي معمر وغيرهما .

قال السالمى : « والإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال»(٢) وموقفهم هذا يتفق مع مذهب أهل السنة فإنهم يرون وجوب نصب الحاكم حتى وإن كانوا جماعة قليلة ، فلو كانوا ثلاثة في سفر لوجب تأمير أحدهم كما دلت على ذلك النصوص الثابتة وأن من قال بالاستغناء عن نصب الحاكم فقد كابر عقله وكذب نفسه ورد عليه الواقع من حال البشر وصار ما يقوله من نسج الخيال وأدلته على الاستغناء مردودة واهية .

والخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة حازمة هى إلى الريبة منه أقرب

---

(١) دليل الخليج لوريمر ٦ / ٣٣٠٣ وانظر الفصل لابن حزم : ٤/٨٧ .

(٢)الأباضية بين الفرق ـ على معمر ص ٢٨٩ ، غاية المراد ص ١٨ للسالمس .

ولهم شروط قاسية جدا قد لا تتوفر إلا في القليل النادر من الرجال وإذا صدر منه أقل ذنب فإما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف جزاؤه العاجل .

وقد جوز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إذا تمت للمفضول ؛خلافا لسائر الخوارج.(١) .

١٤- وجوز الإباضية التقية خلافا لأكثر الخوارج(٢) . وقد أورد الربيع بن حبيب في مسنده روايات في الحث عليها تحت قوله «باب ما جاء في التقية» ومنه قال جابر سئل ابن عباس عن التقية فقال : قال النبي ﷺ :«**رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان ومالم يستطيعوا وما أكرهوا عليه** » قال:« وقال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين إلا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمين إذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد»(٣) أي وهو يجد خلاصا في الأخذ بالتقية

وبهذا نكتفي بما تقدم ذكره عن فرقة الإباضية .

* * * * * * *

---

(١) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٦٢ .

(٢) انظر مسند الربيع بن حبيب : ٣ / ١٢ .

(٣) مسند الربيع بن حبيب جـ ٣ ص١٢

الفصل التاسع

إيضاحات لبعض الأراء الاعتقادية للخوارج

وتشمل المسائل الآتية :

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية إلا أن الخوراج بصفة خاصة لم تصل إلينا أكثر أراءهم من كتبهم وإنما وصلت إلينا من كتب أهل السنة وقد صح نقل أهل السنة وغيرهم من علماء الفرق الآخرين وقد ذكرنا فيما مضى السبب فى قبولنا لتلك النقول عن الخوارج وفيما يلى نذكر أهم المسائل التى كان للخوارج فيها دور بارز :

١ - هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط

تعريف التأويل في اللغة :

يطلق التأويل في اللغة على عدة معاني منها التفسير والمرجع والمصير والعاقبة وتلك المعاني موجودة في القرآن والسنة قال الله تعالى﴿**هل ينظرون إلا تأويله**﴾ وقال الرسول ﷺ في دعائه لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

تعريفه فى الاصطلاح : عند السلف له معنيين :

١ - يطلق بمعنى التفسير والبيان وإيضاح المعاني المقصودة من الكلام فيقال تأويل الآية كذا ؛ أى معناها .

٢- ويطلق بمعنى المآل والمرجع والعاقبة فيقال هذه الآية مضى تأويلها وهذه لم يأت تأويلها .

والفرق بينهما : أنه لا يلزم من معرفة التأويل بمعنى التفسير معرفة التأويل الذى هو بمعنى المصير والعاقبة فقد يعرف معنى النص ولكن لا تعرف حقيقته كأسماء الله وصفاته فحقيقتها وكيفيتها كما هى غير معلومة لأحد بخلاف معانيها .

٣ـ وعند الخلف من علماء الكلام والأصول والفقة هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح .

وهذا التأويل مرفوض عند السلف واعتبروه تحريفا باطلا في باب الصفات الإلهية[١]وقد ظهر هذا المعنى للتأويل متأخرا عن عصر الرسول ﷺ وعصر الصحابة بل ظهر مع ظهور الفرق ودخلوا منه إلى تحريف النصوص وكانت له نتائج خطيرة إذ كلما توغلوا في تأويل المعاني وتحريفها كلما بعدوا عن المعنى الحق الذى تهدف إليه النصوص وبالنسبة لموقف الخوارج فإن العلماء اختلفوا في الحكم على الخوارج بأنهم نصيون أو مؤولون .

١ ـ فذهب بعضهم إلى أن الخوارج نصيون يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذى يهدف إليه وهذا رأى أحمد أمين[٢] وأبو زهرة[٣] وذهب آخرون إلى أن الخوارج يؤولون النصوص تأويلا يوافق أهوائهم وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ماتهدف إليه النصوص وعلى هذ الرأى ابن عباس وشيخ الإسلام ابن تيمة[٤] وابن القيم[٥] .

٢ ـ ومن العلماء من ذهب إلى القول بأن الخوارج ليسوا على رأى واحد في هذه القضية بل منهم نصيون ومنهم مؤولون كما ذهب إلى هذا االأشعرى في مقالاته[٦]،وهذا هو الراجح فيما يبدو من آراء الخوارج ولايقتصر الأمرعلى ماذكره من اعتبار بعض الفرق نصيين وبعضهم مؤولين مجتهدين وإنما يتردد أمر الخوارج بين هذين الموقفين داخل الفرقة الواحدة.والواقع أن لكل من المواقف الثلاثة مايبرر حكمهم على الخوارج كما يتضح ذلك جليا في مواقف الخوارج المختلفة .

ويبدو لي أن التأويل الذى نفاه الأستاذ أحمد أمين والشيخ أبو زهرة

(١) كتحريفات الجهمية .
(٢) ضحى الإسلام : ٣ / ٣٣٤ .
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية : ١ / ٦٦ .
(٤) النبوات ص ٨٩ .
(٥) النونية ص ٨٥ .
(٦) مقالات الأشعرى : ١٨٣/١ .

رحمهما الله إنما هو التأويل الصحيح الذى يفهم صاحبه النص على ضوء مقاصد الشريعة .

وأما التأويل الذى يثبته للخوارج أصحاب الاتجاه الثانى ويذمونهم به فهو حمل الكلام على غير محامله الصحيحة وتفسيره تفسيرا غير دقيق .

٢ ـ موقف الخوارج من صفات الله عز وجل

هذه المسألة لم أجد فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتب علماء الفرق بيانا لرأى الخوارج فيها بصفة عامة .

وقد ذكر الشهرستاني عن فرقة الشيبانية قولا لأبى خالد زياد بن عبدالرحمن الشيبانى في صفة العلم لله أنه قال : « إن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علما، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ». (١) .

وأما بالنسبة لفرقة الإباضية بخصوصهم ـ فقد تبين من أقوال علمائهم أنهم يقفون منها موقف النفي أو التأويل بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة فيها كما تقدم .

وموضوع الصفات والبحث فيها يحتاج إلى دراسة مستقلة وبالرجوع إلى أى كتاب من كتب السلف يتضح الحق فيها بكل يسر وسهولة .

وأما بالنسبة لما ذكر عن رأى زياد بن عبد الرحمن أو الإباضية فلا شك أنه لا يتفق مع المذهب الحق ـ مذهب السلف ـ ولو كان الأمر يخص زياد بن عبدالرحمن وحده لما كان له أدنى أهمية ، ولكن الأمر أخطر من ذلك ، فقد اعتقدت الجهمية ذلك أيضا . وبطلان هذا القول ظاهر والتناقض فيه واضح.

فإن صفات الله عز وجل قديمة بقدمه غير مخلوقة وما يخلق الله من الموجودات فإنما يخلقه عن علم وإرادة ، إذ يستحيل التوجه إلى الإيجاد مع

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٣٣ .

الجهل ، ثم كيف علم الله أنه بغير علم حتى يخلق لنفسه علما؟ هذا تناقض ظاهر.

٣ ـ حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاقهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة . وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي : ـ

١ ـ الحكم بتكفير العصاة كفر ملة ، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون في النار مع سائر الكفار . وهذا رأى أكثرية الخوارج .

وعلى هذا الرأى من فرق الخوارج : المحكمة والأزارقة والمكرمية والشبيبية من البيهسية واليزيدية والنجدات . إلا أنهم مختلفون في سبب كفره :

فعند المكرمية أن سبب كفره ليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره .

وأما النجدات فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب، فإن كا ن مصرا فهو كافر ولو كان إصراره على صغائر الذنوب، وإن كان غير مصر فهو مسلم حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر وهو تفصيل بمحض الهوى والأماني الباطلة.

٢ ـ أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة : ـ

وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية كما تقدم . ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها ، ويحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق ، ويجعلون النفاق مرادفا لكفر النعمة ويسمونه منزلة بين المنزلتين أى بين الشرك والإيمان ، وأن النفاق لا يكون إلا فى الأفعال لا في الاعتقاد (١) .

وهذا قلب لحقيقة النفاق إذ المعروف أن المنافقين الذين كانوا على عهد

---

(١) نقلا عن الأباضية بين الفرق الإسلامية عن كتاب المقالات في القديم والحديث ص ٣١٥ . وانظر دراسات إسلامية فى الأصول الأباضية . الأصل التاسع ص ٦٠

رسول الله ﷺ كان نفاقهم في الاعتقاد لا في الأفعال ، فإن أفعالهم كانت في الظاهر كأفعال المؤمنين.

أدلتهم :

تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكلفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين : مؤن وكافر ، قالوا : وليس وراء ذلك الحصر من شيء. ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى :

١ - ﴿ **هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾.(١)

٢ - ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾.(٢)

٣ - ﴿ **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور** ﴾.(٣)

إلى غير ذلك من الآيات .

ووجه استدلالهم بالآية الأولى :

أن الله تعالى حصر الناس فى قسمين : قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذوم وهم الكفار ، والفساق ليسوا من المؤمنين ، فإذا هم كفار لكونهم مع القسم المذموم واستدلالهم هذا لا يسلم لهم .

أن الناس ينحصرون فقط فى الإيمان أو الكفر فهناك قسم ثالث وهم العصاة لم يذكروا هنا ، وذكر فريقين لا يدل على نفى ما عداهما والآية كذلك واردة على سبيل التبعيض بمن ، أى بعضكم كافر وبعضكم مؤمن . وهذا لا شك في وقوعه ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون فى الكفر .

وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية :-

فقد زعموا أنها شاملة لكل أهل الذنوب، لأن كل مرتكب للذنب لابد وأنه

---

(١)سورة التغابن:آية(٢). (٢)سورة المائدة:آية(٤٤) . (٣)سورة سبأ:آية(١٧).

قد حكم بغير ما أنزل الله . وقد شملت الفساق لأن الذى لم يحكم بما أنزل الله فيجب أن يكون كافرا والفاسق لم يحكم بما أنزل الله حين فعل الذنب.

وهذا الاستدلال مردود كذلك لأن الآية واردة على من استحل الحكم بغير ما أنزل الله . أما أن يدعى الشخص إيمانه بالله ويعترف بأن الحق هو حكم الله فليس بكافر وإنما هو من أصحاب المعاصي حتى تقام عليه الحجة .

وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة .

فهو أن صاحب الكبيرة لابد وأن يجازى ـ على مذهبهم ـ وقد أخبر القرآن أنه لا يجازى إلا الكفور . والفاسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافرا .

وهذا الدليل مردود عليهم ، وينقضه أن الله يجازى الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفاراً ، وبأن الآية كانت تعقيبا لبيان ذلك العقاب الذى حل بأهل سبأ ، وهو عقاب الاستئصال ، وهذا ثابت للكفار لا لأصحاب المعاصي .(١) .

وأما مااستدلوا به من السنة على بدعتهم فى تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التى يريدونها ، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن».(٢) .

ولهم أدلة أخرى نكتفى منها بهذا الحديث .

فقد فهموا من هذا الحديث نفى الإيمان بالكلية عن من فعل شيئا مما ذكر فى الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه ، فإن الحديث ـ كما يذكر العلماء ـ إما أن يكون

(١) انظر تفسير الفخر الرازى لهذه الآيات من سورة سبأ. وانظر جامع البيان:١٩/٤، ٢٢٦/٣٠، وانظر تفسير الطبرى : ٢٥٢/٦ ، فتح القدير : ٥/ ٤٥٣ ، ٤٥/٢ .

(٢) أخرجه البخارى : ١٣/٨ ، ومسلم ١ / ٥٤ .

واردا فيمن فعل شيئا مما ذكر مستحلا لتلك الذنوب أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم ، أو أن نفى الإيمان عنهم مقيد بحال مواقعتهم لتلك الذنوب .

ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها. ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاء ،ولا يخاض في معناها .

وقال الزهرى فى مثل هذه الأحاديث«أمروها كما أمرها من قبلكم»(١).
وقد جاء في حديث أبى ذر رضى الله عنه أنه قال:« **ما من عبد قال لا إله إلاالله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت وإن زنى وإن سرق ثلاثا ثم قال فى الرابعة : على رغم أنف أبى ذر.**»قال:«فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبى ذر»(٢).

والكلام فى أهل الكبائر مبسوط فى موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق والمقصود هنا هو التنبيه على خطأ الخوارج فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب من المسلمين مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبى الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة في مذهب السلف .

٤ ـ الإمامة العظمى

هذه هى مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشأوا وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية ، شغلتهم قضية الإمامة عمليا ، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار أمامهم بأنفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس وشغلتهم فكريا بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع ، وكانوا يظهرون بمظهر الزاهد عن تولى الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم وحربا لا هوادة فيها

(١) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ٤١/٢ ـ ٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم : ٦٦/١ .

ضد المخالفين لهم .

حكم الإمامة عند الخوارج

الإمامة منصب خطير وضرورة اجتماعية إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة إلا بحاكم يكون هو المرجع الأخير لحل الخلافات وحماية الأمة وقد أطبق على هذا جميع العقلاء .

أما بالنسبة للخوارج فقد انقسموا فيها إلى فريقين : ـ

١ ـ **الفريق الأول** : وهم عامة الخوارج . وهؤلاء يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال نعه ما دام على الطريق الأمثل الذى ارتأوه له .

٢ ـ **الفريق الثانى** : وهم المحكمة والنجدات والإباضية فيما قيل عنهم . وهؤلاء يرون أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم وإذا احتيج إليه فمن أى جنس كان ما دام كفئا لتولى الإمامة.(١) .

ومن مبرارتهم :

١ ـ استنادهم إلى المبدأ القائل لا حكم إلا لله ، والمعنى الحرفى لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقا .

٢ ـ أن الحكم ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية .

٣ـ إن الضرورى هو تطبيق أحكام الشريعة ، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة .

٤ ـ ربما ينحصر وجود الإمام فى بطانة قليلة وينعزل عن الأعلبية فيكون بعيدا عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة .

٥ ـ أن النبى ﷺ لم يشر صراحة ولا وضع شروطا لوجود الخلفاء من بعده .

(١) مقالات الأشعرى : ١/٢٠٥ ، مروج الذهب : ٣ / ٢٣٦ .

٦ـ أن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام وإنما أبان وأمرهم شورى بينهم[١] .

هذه مبرراتهم بالنفى ،فهل بقى القائلون بالاستغناء عن نصب الإمام على مبدأهم ؟ والجواب بالنفي فإن المحكمة حينما انفصلوا ولو عليهم عبد الله بن وهب الراسبي والنجدات حينما انفصلوا . تزعمهم نجدة بن عامر وأما ما قيل عن الإباضية من أنهميقولون بالاستغناء عن نصب الإمام[٢] فإن مصادرهم التى تيسرت لى قراءتها تذكر أن هذا القول إنما نسبه إليهم خصومهم بقصد الأشاعة الباطلة عنهم[٣] .

وأما تلك المبررات التى نسبت إلى من ذكرناهم فلا شك أنها مبررات واهية ولا تكفى للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة . أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل ، فإنه لا يمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين .

ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم . وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على إلتزامه بواجباته الشرعية وعدم إيجاد الحجب بينه وبين رعيته ، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً .

وقد ذهبت الخلفية من الخوارج الإباضية إلى أن كل أقليم أو حوزة يستقل بها أمامها فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين[٤] ويكون لهذه المناطق أئمة بعدد تلك المناطق وهذا باطل ولا يتفق مع روح الإسلام وأهدافه لأن ذلك يؤدى إلى المشاحنات والعداوة وتفريق كلمة المسلمين وحينما قرروا أن كل إقليم ينبغى أن يكون مستقلا عن الآخر لا يخضع إقليم ولا منطقة لمنطقة أخرى تجاهلوا دعوة المسلمين إلى الاتحاد الذى يكمن فيه عزهم وقوتهم .

(١) آراء الخوارج للطالبى ص ١٢٥ ، عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٣ .

(٢) كما يذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج : ٣٣٠٣/٦ .

(٣) الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٩٠ .

(٤) نقلا عن آراء الخوراج صـ ١٢٨ . لكن عموم الأباضية لا تجيز هذا حسب ما جاء فى مدارج الكمال ص١٧٢ .

شروط الإمام

وضع الخوارج شروطا قاسية لمن يتولى الإمام ومنها :-

١ ـ أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصا في عبادته وتقواه حسب مفهومهم .

٢ ـ أن يكون قويا فى تفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم .

٣ ـ أن لا يكون فيه ما يخل بإيمانه من حب المعاصى واللهو ، ألا يكون قد حد فى كبيرة حتى ولو تاب .

أن يتم انتخابه برضى الجميع ، لا يغنى بعضهم عن بعض ، ولا عبرة بالنسب أو الجنس ، كما يقولونه ظاهرا دعاية لمذهبهم وفى باطنهم يملأهم التعصب وكون الإمام ينتخب برضى أهل الحل والعقد ، هذا مبدأ إسلامى لم يأت به الخوارج كما يقول بعض المسنشرقين دعاية للخوارج .

ولم يلتفت الخوارج إلى ما صح من الأحاديث فى اشتراك القرشية لتولى الخلافة وتقديم قريش فيها عند صلاحية أحدهم لها .

ولم يشترط الشرع في الإمام أن يكون ليله قائما ونهاره صائما ، أو أنه لا يلم بأى معصية ، أو أن يكون انتخابه برضى كل المسلمين من أقصاهم إلى أدناهم، لا يغنى بعضهم عن بعض فى مبايعتهم له كما يزعمه الخوارج[1] .

محاسبة الإمام والخروج عليه

يعيش الإمام عند الخوارج بين فكى الأسد ـ عكس الشيعة ـ فالخوارج ينظرون إلى الإمام على أنه المثل وجهه الأعلى وينبغي أن يتصف بذلك قولا وفعلا وبمجرد أقل خطأ ينبغى عليهم القيام فى وجه ومحاسبته ، فإما أن يعتدل

(١) مدارج الكمال للسالمى ص١٧١، تاريخ المذاهب الإسلامية ص١/٧١ التفكير الفلسفى ١/١٩١ للدكتور عبد الحليم محمود، آراء الخوارج ص١٢١، عمان تاريخ يتكلم ص١٢٦.

وإما أن يعتزل .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة البيهسية منهم والعوفية ، فقد اعتبر هؤلاء كفر الإمام سببا فى كفر رعيته ، فإذا تركه رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضا(١)، ولا شك أن هذا جهل بالشريعة الإسلامية ، وعلى هذا فما تراه من كثرة حروبهم وخروجهم على أئمتهم أو أئمة مخالفيهم يعتبر أمرا طبيعيا إزاء هذه الأحكام الخاطئة . وقد حث الإسلام على طاعة أولى الأمر والاجتماع تحت رايتهم إلا أن يظهروا كفر بواحا . فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وينبغى معالجة ذلك بأخف الضرر ، ولا يجوز الخروج عليهم ما داموا ملتزمين بالشريعة بأى حال .

إمامة المفضول

اختلف الخوارج في صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إلى فريقين :

١ ـ ذهب فريق منهم إلى عدم الجواز وأن إمامة المفضول تكون غير صحيحة مع وجود الأفضل .

٢ ـ وذهب الفريق الآخر منهم إلى صحة ذلك ووأنه تنعقد الإمامة للمفضول مع وجود الأفضل ، كما هو الصحيح(٢) .

إمامة المرأة

الإمامة مسؤلية عظمى وعبء ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة ويتطلب مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء ، ولا أدل على هذا من اختيار الله عز وجل لتبليغ رسالته من جنس الرجال ، وقد أطبق جميع

(١) مقالات الأشعرى : ١/١٩٤ ، الطرماح بن حكيم ص ٥٥ الملل والنحل :١/١٢٦ الفرق بين الفرق ص ١٠٩ التنبيه والرد للملطي ص ١٦٩ .

(٢) الفصل لابن حزم ٤/١٦٣، الأباضية بين الفرق الإسلامية ص٤٦٢ آراء الخوارج لعمار الطالبى: ١٢٨.

العقلاء على أن الخلافة لا يصلح لها النساء .

ولكنا نجد فرقة من فرق الخوارج وهى الشبيبية تذهب إلى جواز تولى المرأة الإمامة العظمى مستدلين بفعل شبيب حينما تولت غزالة - زرجته وقيل أمه - بعده(١).

موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم

انقسم الخوارج في نظرتهم إلى المخالفين لهم إلى فريقين

١ - فريق منهم غلاة.

٢ - وفريق آخر أبدى نوعا من الاعتدال .

ويذكر الأشعرى رحمه الله فى مقالاته أن الخوارج مجمعون على أن مخالفيهم يستحقون السيف ودماؤهم حلال إلا فرقة الإباضية فإنها لا ترى ذلك إلا مع السلطان(٢) .

واختلف علماء الفرق في أول من حكم بكفر المخالفين هل هم المحكمة الأولى أم هم الأزارقة ومن سار على طريقتهم من فرق الخوارج فيما بعد .

وبتتبع حركة المحكمة الأولى نجد أنهم سبقوا إلى تكفير المخالفين لهم واستحلال دمائهم والشواهد فى كتب الفرق كثيرة كقتلهم عبد الله بن خباب بن صاحب رسول الله ﷺ وغيره فى حوادث كثيرة إلا أن أشد من بالغ فى تكفير المخالفين لهم وأعمل فيهم السيف هم الأزارقة وفرقة منهم تسمى البيهسية وكذلك أتباع حمزة بن أكرك .

- أما المعتدلون منهم - وهو اعتدال لا يكاد يذكر - فنجد مثلا الأخنسية منهم يحرمون الغدر بالمخالفين أو قتلهم قبل الدعوة وجوزوا تزويج المسلمات - منهم لمخالفيهم - الذين يعتبرونهم مشركين .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٠ .   (٢) المقالات: ٢٠٤/١ .

وكذلك بعض البيهسية ومن أكثر المعتدلين والمتسامحين مع المخالفين هو تلك الشخصية المرموقة عند كافة الخوارج أبو بلال مرداس بن أدية فقد خرج وهو يقول لمن يلقاه أنا لا نخيف أمنا ولا نجرد سيفا وكان مما آثاره للخروج على الدولة أن زيادا ذات يوم خطب على المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله « والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم».

وهذا بالطبع لا يحتمله الخوارج فقام إليه مرداس فقال قد سمعنا ماقلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول: ﴿**وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاص ثم خرج عقب هذا اليوم.

وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لابد فيها من غلاة يخرجون على جمهورهم إلا أن السمة الغالبة على الخوارج الشدة على المخالفين لهم وقد تعود هذه الشدة إلى ما يراه الخوارج من وجهة نظرهم من خروج مخالفيهم عن النهج الإسلامي وبعدهم عنه وبالتالى الرغبة في إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه فى أيام الرسول ﷺ وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يدعى الخوارج ...

حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم

لابد وأن يكون في حكم العقل تمييز بين معاملة الصغير الذى لم يبلغ سن التكليف وبين الكبير المكلف . والخوارج لم يتفقوا على حكم واحد فى الأطفال سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة ونوجز أهم آرائهم فى هذه القضية فيما يلي : ـ

١ ـ منهم من اعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار أنهم مشركون لاعصمة لدمائهم ولا لدماء آبائهم

٢ ـ ومنهم من جعلهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم .

٣ ـ واعتبرهم بعضهم خدما لأهل الجنة .

٤ ـ ومنهم من توقف فيهم إلى أن يبلغوا سن التكليف ويتبين حالهم .

٥ ـ والإباضية تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا فى أطفال المشركين ، ومنهم من يلحق أطفال المشركين بأطفال المؤمنين .

أما القول الأول: فهو للأزارقة واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾ (١). وتبعهم فى هذا بعض فرق الخوارج كالعجاردة والحمزية والخلفية .

وأما القول الثانى : فهو للنجدات والصفرية والميمونية واستدلوا بقول الرسول ﷺ كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢) والذين توقفوا في الحكم عليهم قالوا لم نجد في الأطفال مايوجب ولا يتهم ولا عداوتهم إلى أن يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا به أو ينكرونه .

هذه خلاصة أهم آراء الخوارج في هذه القضية والواقع أن هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء .

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا على الإيمان فإن الله تعالى يدخلهم الجنة مع آباءهم وإن نقصت أعمالهم عنهم لتقر أعين أبائهم بهم فيكونون مع أبائهم في الجنة تفضلا من الله تعالى على ضوء قوله عز وجل : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ (٣) .

ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال بأنهم فى الجنة دون خلاف .

وبعضهم ذهب إلى أنهم تحت المشيئة .

وجدير بالذكر أن أطفال المؤمنين الذين نتحدث عنهم هنا هم الذين يعتبرهم

---

(١) سورة نوح : آية ٢٧ .

(٢) انظر كتاب الأديان ١٠٤.

(٣) الطور : ٢١ وانظر تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٤١ .

الخوارج أطفال مشركين .

وأما أطفال المشركين الذين هم عبدة الأوثان ومن فى حكمهم فإن العلماء اختلفوا فيهم اختلافا كثيرا .

١ـ فذهب بعضهم إلى التوقف فى أمرهم فلا يحكم لهم بجنة ولانار وأمرهم إلى الله.

٢ـ أنهم فى النار .

٣ ـ أنهم فى الجنة .

٤ ـ أنهم فى منزلة بين المنزلتين أى الجنة والنار .

٥ ـ أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة تبعا لآبائهم حتى ولو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لافراطهما بالنار .

٦ ـ أنهم يمتحنون فى عرصات القيامة بطاعة رسول الله ﷺ إليهم فمن أطاعه منهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وقد استعرض ابن القيم أدلة القائلين بهذه الآراء وانتهى إلى نصرة الرأى الأخير ثم قال « وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذى أحال عليه النبي ﷺ حيث قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

وأيد ابن حزم القول بأن أطفال المشركين في الجنة وكذا النووى وقد توقف شيخ الإسلام فى الحكم عليهم .

وأما استباحة قتل النساء والذرية كما ـ يرى الخوارج ـ فقد أخطأوا حين جوزوا ذلك سواء كانوا من المسلمين أو من المشركين فقد صحت الأحاديث بالمنع من قتلهم إلا أن يكون ذلك في بيات لا يتميز فيه الأطفال والنساء فلا بأس من قتلهم إذا وقع دون عمد.(١) .

(١) انظر : التفسير القيم ص ٤٥١، فتح القدير ٥ / ٩٨ جامع البيان : ٢٧ / ٢٥ طريق الهجرتين : ٣٨٧ ، الفصل لابن حزم : ٧٤/٤ .

الفصل العاشر

الحكم على الخوارج

اختلف العلماء في الحكم على الخوارج على قولين :

١ ـ أحدهما الحكم بتكفيرهم .

٢ـ الحكم عليهم بالفسق والابتداع والبغي .

وقد استند الذين كفروهم على ما ورد من أحاديث المروق المشهورة عند علماء الفرق ؛ رادين الخوارج إلى سلفهم القديم ذى الخويصرةوموقفه الخاطيء من رسول الله ﷺ ثم موقف الخوارج أيضا من الصحابة خصوصا الإمام على وغيره ممن شارك في قضية التحكيم . والأحاديث الواردة فيهم كثيرة غير أن على يحي معمر يرى أن هذه الأحاديث إنما تصدق ـ على فرض صحتها ـ كما يذكر على المرتدين في زمن أبى بكر رضى الله عنه[1]. ومارأيت أحدا من العلماء سبقه إلى هذا القول . ثم إن ما فى الأحاديث من أوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم في العبادة لا ينطبق على هؤلاء المرتدين في زمن أبى بكر بعد وفاة الرسول ﷺ .

وقد كفرهم كثير من العلماء لا نرى التطويل بذكر أسمائهم هنا .

وإذا كان بعض العلماء يتحرج من تكفيرهم عموما فإنه لا يتحرج عن تكفير بعض الفرق منهم كالبدعية من الخوراج الذين قصروا الصلاة على ركعة فى الصباح وركعة فى المساء.والميمونيةـ حيث أجازوا نكاح بعض المحارم كبنات البنين وبنات البنات وبنات بنى الأخوة ثم زادوا فأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن لا شتمالهما فيما يزعمون على ذكر العشق[2] والحب والقرآن فيه الجد.

---

(١) الإباضية في موكب التاريخ : ١/٢٩ .

(١) انظر الملل والنحل : ١ / ١٢٩ .والقرآن لم يدعوالناس إلى العشق وضرب المواعيد الفاجرة وإنما دعى إلى ما تضمنته هذه السورة الكريمة من العفة وتقديم خوف الله على خوف غيره وكبح=

وكذا اليزيدية منهم حيث زعموا أن الله سيرسل رسولا من العجم فينسخ بشريعتة شريعة محمد ﷺ(١) .

أما الرأى الثانى : وهو القول بعدم تكفير الخوارج فأهل هذا الرأى يقولون أن الاجتراء على إخراج أحد من الإسلام أمر غير هين نظرا لكثرة النصوص التى تحذر من ذلك إلا من ظهر الكفر من قوله أو فعله فلا مانع حينئذ من تكفيره بعد إقامة الحجة عليه ..

ولهذا أحجم كثير من العلماء أيضا عن إطلاق هذا الحكم عليهم وهؤلاء اكتفوا بتفسيقهم. وإن حكم الإسلام يجري عليهم لقيامهم بأمر الدين ، وإن لهم أخطاء وحسنات كغيرهم من الناس . ثم إن كثيرا من السلف لم يعاملوهم معاملة الكفار كما جرى لهم مع على رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز فلم تسبى ذريتهم وتغنم أموالهم ولعل الصحيح أن الذين حكموا على الخوارج بالكفر الصريح قد غلوا في تعميم الحكم عليهم والذين حكموا عليهم بأنهم كغيرهم من فرق المسلمين أهل السنة قد تساهلوا.بل الأولى أن يقال في حق كل فرقة ما تستحقه من الحكم حسب قربها أو بعدها عن الدين . وإطلاق ما أطلقته النصوص فى الحكم العام ، ويتوقف عن إطلاق التكفير المخرج من الملة على المعنّى إلا بعد إقامة الحجة عليه أو أظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده . ـ وإلى هنا ينتهى المطلوب بالنسبة لفرقة الخوراج ـ وقد تركنا مسائل كثيرة للخوارج(٢)

= جماح النفس الأمارة بالسوء والشهوات الطائشة ولو صار العشاق على حسب ماتضمنته سورة يوسف لصاروا أولياء.

(١) الفصل لابن حزم : ١٨٨/٤ .

(٢) كبحث موقف الخوارج من رؤية الله عز وجل وإنكارهم لها في الدنيا والآخرة .وموقفهم من القول بخلق القرآن واعتقادهم أن ذلك حق يجب الإيمان به واختلافهم في مسائل القدر إلى ثلاث طرائف مؤيدة للقدرية ومؤيدة للجبرية وموافقة لمذهب السلف ـ وكذا إنكار الخوارج لوجود الجنة والنار الآن ـ أى قبل يوم القيامة.وإنكار أكثرهم لعذاب القبر غير طائفة الإباضية. وموقف الخوارج من الشفاعة وإنكارهم لها غير الإباضية الذين يثبتونها فقط للمتقين وإنكارهم=

يجدها الباحث حين يرجع إلى ما كتبه علماء الفرق عنهم وربما يجمع تلك المسائل كلها وجميع فرقهم وما يتعلق بهم رسالة ماجستير تسمى « الخوارج تاريخهم وأراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها » لكاتب هذه الأسطر وقد ذكرتها من باب تسهيل الرجوع إلى ما يتعلق بالخوارج لمن يهمه دراسة هذه الفرقة بالتفصيل .

= الميزان والصفات الثابتة له . وإنكارهم الصراط والصفات الثابتة له ، واختلافهم في حقيقة الإيمان هل هو الإقرار والمعرفة فقط أو هو قول وعمل واعتقاد . واعتقاد أكثرهم عدم زيادة الإيمان ونقصه . وموقفهم من قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن ذلك يتم عندهم بالعنف والقوة وليس له مراتب وغير ذلك من المسائل التي تهم دارس هذه الفرقة بالتفصيل والتدقيق وما ذكرته عنهم فإنما هو من باب الإيجاز والتنبيه .

المراجع

١ ـ مراجع فرقة الخوارج ومنها

١ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: لأبى الحسن الأشعرى .

٢ ـ **الملل والنحل** : للشهرستانى .

٣ ـ **الفرق بين الفرق** : للبغدادى

٤ ـ **الفصل فى الملل والأهواء والنحل**: لابن حزم .

٥ ـ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**: للملطي .

٦ ـ **التبصير في أمور الدين** : للاسفراييني .

٧ ـ **الخوارج تاريخهم وآرؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها**؛رسالة ماجستير لكاتب هذا البحث .

٨ ـ **آراء الخوارج** : للدكتور عمار الطالبي .

٩ ـ **فرق المسلمين والمشركين** : للرازى .

١٠ ـ **الموقف** : للأيجي .

****

٢ ـ مراجع فرقة الإباضية بخصوصهم

١ ـ **الإباضية بين الفرق الإسلامية** : لعلى يحى معمر .

٢ ـ **الإباضية فى موكب التاريخ** : لعلى يحى معمر .

٣ ـ **العقود الفضية**:للحارثي .

٤ - **الدليل لأهل العقول:** للورجلانى .

٥ - **متن النونية** : للنفوسي .

٦ - **كتاب الأديان** :لمؤلف أباضي مجهول الاسم .

٧ - **أجوبة بن خلفون .**

٨ - **تلقين الصبيان ما يجب على الإنسان:** للسالمي .

٩ - **كتاب الدعائم** : لأحمد بن النضر .

١٠ - **مسند الربيع بن حبيب أو « الجامع الصحيح » .**

١١ - **مدارج الكمال نظم مختصر الخصال** : للسالمي .

١٢ - **الإباضية عقيدة ومذهبا** : د . صابر طعيمة .

الباب الثاني

الشيعة [1]

تمهيد :

تتركز هذه الدراسة لهذه الفرقة في الرد على أولئك العلماء الذين أسسوا كثيرا من الأفكار الشيعية على محاربة الإسلام وأهله ببيان ضلالهم وبيان موقفهم من النصوص وموقفهم من الشعائر الإسلامية وموقفهم من أهل البيت ومن القرآن الكريم ومن الصحابة الكرام وغير ذلك من تعاليمهم وأيضًا لنضم أصواتنا إلى أصوات كثير من مفكري الشيعة كالدكتور موسى الموسوى وغيره من الذين تبين لهم حجم الخرافات الهائلة في المذهب الشيعي وبعدهم عن تعاليم الإسلام المشرقة في كثير من المعتقدات فجاشت نفوسهم بالرغبة في بذل النصح لهم وبيان الأخطاء الشيعية التى دونها علماؤهم في كتبهم من المتقدمين أو من المتأخرين . إننا نحرص كل الحرص ونرغب أشد رغبة في عودة هؤلاء إلى الحق وسنلتزم إن شاء الله بيان الحق بدليله مع الاستناد في تخطئتهم إلى كتبهم لعله يتبين لهم أن ماهم عليه أكثره سراب ماخوذ عن أحد شخصين إما رجل حاقد على الإسلام وأهله وإما رجل قد اتخذ الخرافات دينا متعصب لما ألفى عليه آباءه

---

(١) قد يعترض البعض علي تسمية هؤلاء الروافض بالشيعة بحجة عدم صدقهم في تشيعهم لأهل البيت ، لأنهم هم أعداء أهل البيت وليسوا شيعتهم ، وهذا المعترض محق في ذلك ولكن أثبت تسميتهم شيعة كاسم علم يعم جميع الفرق التى تظاهرت بزعم التشيع لئلا يعترض أحد بإخراج بعض الطوائف التي تظاهرت بنصرة أهل البيت حينما نطلق علي الجميع تسميتهم الروافض كالذين يرون رأى زيد مثلا ، ولأن إطلاق هذه التسمية « روافض » إنما عرفت حينما أطلقها عليهم زيد .

ومشائخه وقد أوجب الإسلام بذل النصح وبيان الحق وإقامة الحجة والحق هو ما أثبته كتاب الله واثبتته السنة النبوية وماعداه باطل .

والشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء غلب عليهم هذا الإسم وهم من أكذب الفرق على أئمتهم ، ومن أخطرها على المسلمين ، وذلك بسبب :

١ ـ استعمالهم التقية المرادفة للكذب .

٢ ـ تظاهرهم بنصرة آل البيت ، حيث انخدع بهم كثير من عوام المسلمين .

٣ ـ بغضهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم نتج عنها نفور الشيعة وعدم الوصول بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة إلى التقارب .

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد بأن عليا رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ، وأن عليا أحق بها من سائر الصحابة بعهد من النبي ﷺ كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم .

ومن الملاحظ على هذه الفرقة أنها كانت بابا واسعا لكل طامع في تحقيق أغراضه من أهل الأهواء :

١ ـ إذ تشيع قوم إيمانا بأحقية أولاد علي بالخلافة حسبما سمعوا من النصوص التي لفقها علماء التشيع .

وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي فقاموا بتلك الثورات العديدة التي سجلها علماء الفرق والتاريخ تحت غطاء دعوى التشيع لأهل بيت النبي ﷺ .

وتشيع آخرون للانتقام من الإسلام كالباطنية .

وتشيع قوم لتحقيق مطامع سياسية كالمختار مثلا .

٢ ـ ولأن الشيعة أيضا لا يتحرون النصوص الصحيحة ، ولا يهتمون بإيصال السند إلى النبي ﷺ .. لهذا فإن أكثر أحاديثهم رُويت عن الأئمة .

٣ ـ ولأنهم كذلك أهل عاطفة نحو أهل البيت ـ فيما يظهرون للناس ـ ، فلذا يكفي لتوثيق الشخص عندهم أن يكون ظاهره الغلو في أهل البيت ، ويكون بذلك من الثقات الأثبات .

الفصل الأول

التعريف بالشيعة لغة وا صطلاحا وبيان التعريف الصحيح

أولا في اللغة :

أطلقت كلمة الشيعة مرادا بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة .

قال الأزهري : « والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة » (١).

وقال الزبيدي : « كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة له ، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة »(٢).

استعمال مادة « شيعة » في القرآن الكريم

وردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مرادا بها معانيها اللغوية الموضوعة لها على المعاني التالية :

١ـ بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس .

قال الله تعالى : ﴿ **ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علي الرحمن عتيا** ﴾ [مريم ٦٩ .] أي من كل فرقة وجماعة وأمة (٣).

٢ـ بمعنى الفرقة .

قال تعالى : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء** ﴾ [الأنعام ١٥٩] أي فرقًا (٤).

---

(١) تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦١ .
(٢) انظر تاج العروس ج٥ ص ٤٠٥ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ١٣١ .
(٤) تفسير القرآن الحكيم ـ تفسير المنارج٨ص ٢١٤ .

٣ ـ وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر .

قال تعالى :﴿ **ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكر** ﴾[القمر ٥١]؛ أي أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية [١].

٤ـ بمعني المتابع والموالي والمناصر [٢].

قال تعالي : ﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ [القصص ١٥][٣].

ثانيا في الاصطلاح :

اختلفت وجهات نظر العلماء في التعريف بحقيقة الشيعة نوجز أقوالهم فيما يلي:

١ ـ أنه علم بالغلبة علي كل من يتولي عليا وأهل بيته . كقول الفيروز آبادي: «وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا »[٤].

٢ ـ هم الذين نصروا علياً واتعقدوا إمامته نصا ، وأن خلافة من سبقه كانت ظلما له.

٣ ـ هم الذين فضلّوا عليا علي عثمان رضي الله عنهما .

٤ ـ الشيعة اسم لكل من فضل عليا علي الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعا، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة .

---

(١) جامع البيان ج ٢٧ ص ١١٢ . (٢) فتح القدير ج ٤ ص ١٦٣ .

(٣) انظر تهذيب اللغة ج٣ ص ٦٣ .

(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩ ، ونحوه عند الأزهري في تهذيب اللغة ج٣ ص ٦١

وكلها تعريفات غير جامعة ولا مانعة إلا واحدا منها .

مناقشة تلك الأقوال :

أما التعريف الأول: فهو غير سديد لأن أهل السنة يتولون عليا وأهل بيته وهم ضد الشيعة .

وأما التعريف الثاني: فينقضه ما ذهب إليه بعض الشيعة من تصحيحهم خلافة الشيخين ، وتوقف بعضهم في عثمان وتولي بعضهم له كبعض الزيدية فيما يذكر ابن حزم[1].

ثم أيضا ما يبدو عليه من قصر الخلافة في علي فقط دون ذكر أهل بيته .

والتعريف الثالث غير صحيح كذلك لانتقاضه بما ذهب إليه بعض الشيعة من البراءة من عثمان ، كقول كثير عزة :

برأت إلى الإله من ابن أروي ... ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق ... غداة دعي أمير المؤمنينا

ويبقي الراجح من تلك التعريفات الرابع منها لضبطه تعريف الشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية[2].

(١) انظر الفصل ج ٤ ص ٩٢ .

(٢) انظر الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٥ .

الفصل الثاني

متى ظهر التشيع ؟

اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعا لاجتهاداتهم . وقد قدمنا بيان السبب في مثل هذا الخلاف، وحاصل الأقوال هنا:

١ ـ أنه ظهر مبكرا في زمن النبي ﷺ وعلي يديه حيث كان يدعو إلي التوحيد ومشايعة علي جنبا إلي جنب .

وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره[1]. وهو ما ذكره النوبختي أيضا في فرقه[2]، وهو ما أكده أيضا الخميني[3]في عصرنا الحاضر ، بل ذهب حسن الشيرازي إلي القول : « بأن الإسلام ليس سوى التشيع» والتشيع ليس سوى الإسلام ، والإسلام والتشيع أسمان مترادفان لحقيقة واحدة أنزلها الله ، وبشر بها الرسول ﷺ [4].

٢ ـ أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه على وطلحة والزبير وقد تزعم هذا القول ابن النديم حيث ادعى أن الذين ساروا مع على واتبعوه سمّوا شيعة من ذلك الوقت [5].

٣ ـ أنه ظهر يوم معركة صفين .

وهو قول لبعض علماء الشيعة كالخونساري ، وأبو حمزة ، وأبو حاتم . كما قال به أيضا غيرهم من العلماء ، مثل ابن حزم ، وأحمد أمين [6].

٤ ـ أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .

---

(١) الشيعة والتشيع ص ١٩ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٩ .

(٣) الحكمومة الإسلامية ص ١٣٦ .

(٤) الشعائر الحسينية ص ١١ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩ .

(٦) الشيعة والتشيع ص ٢٥ .

وهو قول كامل مصطفي الشيبي وهو شيعي حيث زعم أن التشيع بعد مقتل الحسين أصبح له طابع خاص (١).

٥ ـ أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي (٢).

والواقع أن القول الأول الذي قالت به الشيعة مجازفة وكذب صريح لا يقبله عقل ولا منطق ، فإن الرسول ﷺ إنما بعث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الوثنية إلى التوحيد ، وإلى جمع الكلمة وإلى عدم التحزب . والقرآن والسنة مملوءان بالدعوة إلي الله وعدم الفرقة .

وقد قال محمد مهدي الحسيني الشيرازي : « وقد سماهم بهذا الاسم رسول الله ﷺ حيث قال مشيرا إلى علي عليه السلام : « هذا وشيعته هم الفائزون»(٣).وهذا باطل .

والراجح من تلك الأقوال هو القول الثالث ـ أي بعد معركة صفين ـ حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان ، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئا فشيئا .. على أنه ـ فيما أري ـ لامانع أن يوجد التشيع بمعني الميل والمناصرة والمحبة للإمام علي وأهل بيته قبل ذلك ـ إذا جازت تسمية ذلك تشيعا ـ لا التشيع بمعناه السياسى عند الشيعة .. فإن هؤلاء ليسوا شيعة أهل البيت وإنما هم أعداؤهم ، والناكثون لعهودهم لهم في أكثر من موقف .

(١) انظر الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٣ .

(٢) انظر رسالة في الرد علي الرافضة ص ٤٢ .

(٣) قضية الشيعة ص ٣ .

الفصل الثالث

المراحل التي مر بها مفهوم التشيع

كان مدلول التشيع في بدء الفتن التى وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلي جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان وأن من نازعه فيها مخطيء يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وكان علي هذا الرأى كثير من الصحابة والتابعين ، حيث رأوا أن عليا هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته ولايصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعني من أنصاره وأعوانه .

ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغي علي المخالفين لهم ، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام ، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة وقد قيل أن عليا كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم .

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد إذا كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقا من هذه المواقف الطيبة التي أبداها والده رضي الله عنهما .

ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرته إذا انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه علي سائر الصحابة ، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله علي الشيخين بالتعزير ، وإقامة حد الفرية عليه (١).

وقد كان المتشيعون لعلي في هذا المرحلة معتدلون ، فلم يكفروا أحدا من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة ، ولم يسبوا أحدا ، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء .

(١) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية صـ ٥ - ٦ .

وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي قيل منهم أبو الأسود الدؤالي ، وأبو سعيد يحيى بن يعمر ، وسالم بن أبي حفصة وعبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث ، وابن السكيت[١] .

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر ، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرأون منهم ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، والمقداد ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة .

وحكموا على كل من حضر «غدير خم» بالكفر والردة لعدم وفائهم - فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول ﷺ بعلي في غدير خم المذكور.

وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة ، وقد علم علي بذلك فنفاه إلى المدائن وقال : « لا تساكنني ببلدة أبدا » .

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام حيث نادى هؤلاء بألوهية علي . وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ ، ووجد له آذانا صاغية عند كثير من الجهال ، ومن الحاقدين على الإسلام . وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر[٢] . وكان له مع ابن سبأ موقف نذكره بالتفصيل عند ذكر فرقة السبئية[٣] .

(١) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية صـ ٥ وهم ثقاة كما في تقريب التهذيب إلا سالم بن أبي حفصة فقد قال عنه صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال انظر صـ ٢٧٩ جـ ١ وقال عن عبد الرزاق بن همام ثقة حافظ ... وكان يتشيع جـ١ صـ٥٠٥ .

(٢) على القول بأنه أحرقهم فإنه لم يحرقهم بالنار مباشرة ، وإنما حفر ثلاث حفر كبار، ثم أضرم النار في حفرتين وجعلهم في الثالثة ، وجعل الدخان يتسرب إليها من الحفرتين فاختنقوا بالدخان وماتوا به ، وحينما رأوا بأنه يريد أن يحرقهم ازدادوا عنادا واستكبارا متخذين من عزمه على حرقهم دليلا على ألوهيته، لأنه - كما عللوا بذلك - لا يحرق بالنار ألا رب النار.

(٣) انظر مختصر التحفة ص ٣-٩ ، الشيعة والتشيع ص ٤٠ - ٤١ .

الفصل الرابع

أسماء الشيعة

١ ـ الشيعة : وهو أشهر اسم من أسمائهم ، ويشمل جميع فرقهم ولا خلاف بين العلماء في إطلاقه عليهم كاسم علم .

٢ ـ الرافضة : وقد أطلقه عليهم بعض العلماء فجعله اسما لجميع الشيعة .

٣ ـ الزيدية : وهي تسمية لبعض العلماء حيث أطلقها على جميع الشيعة .

وكل هذه الأسماء الثلاثة وردت من خلال كتابات بعض العلماء عن طائفة الشيعة ، واختيار كل منهم للاسم الذي يطلقه عليهم لا أن هذه التسميات بالاتفاق .

والواقع أن إطلاق اسم الرافضة على عموم الشيعة بمن فيهم بعض فرقهم كالزيدية التي نشأت في نهاية القرن الأول للهجرة غير سديد لأن التسمية ـ رافضة ـ إنما أخذت من قول زيد بن علي لبعض الشيعة « رفضتموني »[1] فسموا رافضة ، وليس معنى هذا أنهم لم يكونوا على عقيدة الرفض بل هم رافضة ، ولهذا طلبوا من زيد أن يكون رافضيا مثلهم فامتنع . لكن لم تجر هذه التسمية عليهم قبل ذلك ومعنى هذا أن الشيعة كان لهم وجود قبل زيد تحت أسماء أخرى كما سيأتي بيانه .

وكذا إطلاق اسم الزيدية على جميع فرق الشيعة[2] يرد عليه اعتراض ، فقد كانت الشيعة لهم وجود قبل زيد الذي تنسب إليه الزيدية متمثلا في فرق السبئية والكيسانية .

ثم إن الزيدية لا تقول بكل مقالات الشيعة الغلاة ، بل بينهما خلافات حادة

---

(١) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق .

في كثير من الآراء وسباب كما ذكره البغدادي ، وهو واضح من موقف زيد نفسه فلم يرفض زيد خلافة الشيخين ولم يسبهما .

ويتضح من هذا أن إطلاق اسم الشيعة على كل طوائف التشيع لا يرد عليه اعتراض إذا أريد به اسم علم بغض النظر عن صدق هذا الاسم عليهم أو عدم صدقه ، فقد يكون الاسم من المسلمين وصاحبه من الملحدين ، وقد يكون العكس ، فلا تأثير للأسماء في الحقيقة والواقع .

الفصل الخامس

فرق الشيعة

١. تمهيد :

١ـ انقسمت الشيعة إلى فرق عديدة أوصلها بعض العلماء إلى ما يقارب سبعين فرقة[1] .

وبدراسة تلك الفرق يتضح أن منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدّعونه ويدّعون التشيع ، ومنهم دون ذلك ، ويمكن أن نقتصر على دراسة أربع فرق كان لها دور بارز في العالم الإسلامي وهي :

ـ السبئية .

ـ الكيسانية .

ـ الزيدية .

ـ الرافضة .

والرافضة الإثنى عشرية ـ هي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع . وقبل الخوض في تفاصيل تلك الفرق نذكر السبب في تفرق الشيعة ذلك التفرق، ونذكر أيضا السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة .

٢ـ السبب في تفرق الشيعة

من الطبيعي جدا أن يحصل الخلاف بين الشيعة ، شأنهم شأن بقية الفرق أهل الأهواء ، فما داموا وقد خرجوا عن النهج الذي ارتضاه الله لعباده، واستندوا إلى عقولهم وأهوائهم فلابد أن نتوقع الخلافات خصوصا حينما يكون الخلاف مرادا لذاته .

---

(١) مختصر التحفة الإثنى عشرية ، القسم الأول من الكتاب .

ونضيف إلى هذا أنه ربما يعود تفرق الشيعة إلى عدة أسباب بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر ، ومن ذلك .

١ ـ اختلافهم في نظرتهم إلى التشيع .

إذ منهم الغالي المتطرف الذي يسبغ على الأئمة هالة من التقديس والإطراء، وعلى خالفهم أحط الأوصاف وأشنع السباب بل وإطلاق الكفر عليهم مما يكون بعد ذلك هوة عميقة لاختلاف وجهات النظر ومنهم من اتصف بنوع من الاعتدال، فلا يرى أن المخالفين لهم كفار وإن كانوا على خطأ كما يرى هؤلاء.

٢ ـ اختلافهم في تعيين أئمتهم من ذرية علي .

فمنهم من يقول هذا ، ومنهم من يقول ذلك كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة حينما ندرس مواقف الإثنى عشرية والزيدية والنصيرية والباطنية في تعيين الأئمة ، وكيفية تسلسلهم فيها .

٣ ـ وحينما كان التشيع مدخلا لكل طامع في مأرب فقد أحدث هؤلاء الطامعون في السلطة أو في الانتقام من الآخرين أو في حب الظهور ... أحدث هؤلاء انشقاقا كثيرا بين صفوف الشيعة حينما طلبوا تحقيق أغراضهم بالتظاهر بالتشيع لآل البيت ثم البدء بما يهدفون إليه .

فمثلا دخلت الباطنية عن طريقهم ، وتزعم المختار عن طريقهم ، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

٣ ـ عدد فرقهم

وكشأن العلماء في اختلافهم في عدد الفرق نجدهم قد اختلفوا في عدد فرق الشيعة .

فالأشعري[1] مثلا يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية وما عداها فروع .

بينما نرى البغدادي[2] وهو يسمي الشيعة الروافض ـ أي بما فيهم السبئية والزيدية ـ ، يعدهم أربعة أصناف والباقي فروعا لهم .

ويعدّهم الشهرستاني[3] خمس فرق والباقي فروعا لهم .

وبعضهم يعدهم أكثر بكثير من هذه الأعداد كما قدمنا والأقرب إلى الصواب أن يقال أن من أكبر فرقهم وأكثرها نفوذا ووجودا في العالم الإسلامي إلى اليوم فرقة الإمامية الرافضة وفرقة الزيدية .

ومما لاشك فيه أن هذا الاختلاف تكمن وراءه أسباب . فما هي تلك الأسباب أو الظاهر منها ؟

٤ ـ السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة

ذكرنا قبل قليل أن فكرة التشيع قد جذبت إليها كثيرا من أهل الأهواء والأغراض ، وهؤلاء بدأوا يُدخلون في الإسلام مالا يتفق مع الإسلام بل يتفق مع هواهم ، فأضافوا إلى الفكر الشيعي أفكارا جديدة أسهمت في كثرة تفرق من ينتسب إلى التشيع .

وهذه الكثرة والظهور المتتابع جعلت العلماء لايتفقون في عدهم لهم ، ومن هنا بدأ علماء الفرق يسجلون مايصل إليهم عن عدد فرق الشيعة ، فجاء عدّهم غير منضبط لتجدد الأفكار الشيعية وتقلبها .

وربما أيضا لتباعد هؤلاء العلماء فيما بينهم ، ولكثرة ظهور الفرق الشيعية

---

(١) مقالات الإسلاميين ج١ ص ٦٥ .
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١ .
(٣) الملل والنحل ج١ ص ١٤٧ .

أيضا في تتابع لم يمكن العلماء من ملاحقته ورصده بل وربما يوجد لكثير من هذه الفرق رغبة ملحة في صرف الأنظار عنهم فيحاولون زيادة التشويش لصرف التوجه إليهم ودراستهم ومتابعة حركاتهم المريبة ليتم لهم تنفيذ مآربهم بهدوء دون أن يفطن الناس لهم .

إضافة إلى ذلك التشويش الحاصل فعلا في طريقتهم عند طباعة كتبهم بحيث لايهتدي الشخص إلى المكان الذي يريد تسجيله عليهم للاختلاف البعيد بين طبعات الكتاب الواحد ، واختلاف الصفحات .

الفصل السادس

دراسة أهم فرق الشيعة

١ـ السبئية

السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي.

قيل إنه من الحيرة[١] بالعراق، وقيل ـ وهو الراجح ـ إنه من أهل اليمن من صنعاء[٢]، وقيل أصله رومي[٣]. أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكرا، وكان من أشد المحرضين علي الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ونشط في التنقل من بلد إلى بلد .... الحجاز والبصرة والكوفة، ثم إلى الشام، ثم إلى مصر وبها استقر، ووجد آذانا صاغية لبث سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي، وهذ الحركة منه في نشر أفكاره مما يدعو إلى الجزم بأن اليهود يمولّونه، إذا كلما طرد من بلد انتقل إلى آخر بكل نشاط، ولا شك أنه يحتاج في تنقله هو وأتباعه إلى من يمولّهم وينشر آراءهم ... ومن يتولى ذلك غير اليهود الذين آزروه في إتمام خطته ليجنوا ثمارها بعد ذلك الفرقة وتجهيل المسلمين والتلاعب بأفكارهم.

وقد بدأ ينشر آراءه متظاهراً بالغيرة على الإسلام، ومطالبا بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم. ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه ـ كما زعم ـ ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء.

ثم دعا إلى القول بالرجعة[٤] ثم إلى القول بألوهية علي وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ٣٤٠.

(٣) انظر البداية والنهاية ج٧ ص ١٧٣.

(٤) انظر المقالات للأشعري ج١ ص ٨٦.

صوت عليّ ، والبرق سوطه أو تبسمه إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة .

وفيما أرى أنه قد بيّت النية لمثل هذه الدعاوي ولهذا لم يفاجئه موت علي بل قال وبكل اطمئنان وثبات لمن نعاه إليه : « والله لو جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ، ولايموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها».[1]

وهذه الرجعة التى زعمها لعلي كان قد زعمها لمحمد ﷺ، وكان يقول: «إنه لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع » . واستدل بقوله تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾[2] .

وقد كذب عدو الله وأخطأ فهم الآية أو تعمد ذلك في أن المعاد هنا هو رجوع النبي ﷺ إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فلم يقل بهذا أحد من المفسرين ، وإنما فسروا المعاد بأنه :

ـ الموت .

ـ أو الجنة .

ـ أو أنه رجوع النبي ﷺ إلى ربه يوم القيامة .

ـ أو رجوعه إلى مكة[3] .

وهي أقوال لكل واحد منها حظ من النظر بخلاف قول ابن سبأ ، فإنه قول يهودي حاقد كاذب على الله دون مبالاة .

وقد تبرأ جميع أهل ا لبيت من هذا اليهودي . ويذكر أن بعض الشيعة قد تبرأ منه أيضا[4] .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .
(٢) القصص آية : ٨٥ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .
(٤) انظر مقالات القمي ص ٢٠ .

موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ

اختلفت الروايات من موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ حينما ادعى ألوهيته :

١ ـ بعض الروايات تذكر أن عليا استتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه في جملة سبعين رجلا[١] .

٢ ـ وبعض الروايات تذكر أن ابن سبأ لم يظهر القول بألوهية علي إلا بعد وفاته ، وهذا يؤيد الرواية التي تذكر أنه نفاه إلى المدائن حينما علم ببعض أقواله ، وغلوه فيه[٢] .

٣ ـ وبعض الروايات تذكر أن عليا علم بمقالة ابن سبأ في دعوى ألوهيته ، ولكنه اكتفي بنفيه خوف الفتنة ، واختلاف أصحابه عليه ، وخوفا كذلك من شماتة أهل الشام .

وكان هذا بمشورة ابن عباس رضي الله عنهما ، أو الرافضة كما قيل في هذه الرواية[٣] .

والواقع أن الروايات التي تذكر أن عليا ترك ابن سبأ فلم يحرقه ، واكتفى بنفيه مع عظم دعواه ، وشناعة رأيه فيه ...أمر فيه نظر ، بل غير وارد كما أتصور إذ يستبعد ــ حسبما يظهر لي ــ أن يتركه علي يعيث في الأرض فسادا ، ويدعو إلى ألوهيته أو نبوته أو وصايته أو التبرأ من أصحاب الرسول ﷺ ثم يكتفي بنفيه فقط إلى المدائن ، وهو يعلم أنه باق على غلوه ، وأنه سيفسد كل مكان يصل إليه .

---

(١) منهج المقال ص ٢٠٣ للاسترابادي . وكذا قال الشيعي الحسن بن علي في كتابه « الرجالي » ص ٤٦٩ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج٢ ص ٣٠٩ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني . ج ص ١٥٧ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

ويمكن أن يقال ـ وهو أقل اعتذار ـ أنه تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده، لأن ابن سبأ كان يرمي بها من خلف ستار .

أو لأن دعوى الألوهية لم توجد إلا بعد وفاة علي رضي الله عنه كما يرى بعضهم ، وأنه حينما نفاه إلى المدائن كانت دعواه لم تصل إلى حد تأليهه لعلي رضي الله عنه .

وقد جرأت هذه الدعوى الكثير بعد ذلك على دعوى الألوهية لأشخاص من آل البيت بل ومن غيرهم .

ومما يجدر التنبيه إليه وقوع أخطاء حول هذه الشخصية تناقلها بعض العلماء نبيّنها فيما يلي :

١ ـ أن بعض علماء الشيعة ، ومن المستشرقين أيضا من يحاول إنكار وجود ابن سبأ ويزعم أن شخصيته أسطورية منتحلة[1] .

وهؤلاء لايوجد لهم مستند إلا شبهات واهية ، وأصبح إنكارهم له أشبه مايكون بإنكار ضوء الشمس في وسط النهار ، إضافة إلى أن هذا الإنكار دعوى خطيرة ، إذ لو صح التشكيك في وجوده لسهل التشكيك أيضا في وجود غيره ممن امتلئت بهم مصادر المسلمين ولعلها خطة يبيتها هؤلاء للوصول إلى هذا الهدف البعيد ليفقد المسلم بعد ذلك ثقته بتاريخه وفيما كتبه علماؤه ، فيكذبهم أو يبقى في حيرة وشك .

٢ ـ وقع لبعض العلماء التباس بين عبد الله بن سبأ ، وعبد الله بن وهب الراسبي[2] ، ورأى أنهما شخصية واحدة ، وهذا خطأ ظاهر .

فإن الراسبي هو زعيم المحكمة الأولى ـ كما سبق ـ ، وابن سبأ هوزعيم

---

(١) انظر ابن سبأ حقيقة لاخيال ص ٧ ـ ٢٤ .

(٢) انظر عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٣٩ ـ ٤٢ .

الحركة السيئية .

٣ ـ وجد من كلام بعض العلماء مايشير إلى التفرقة بين ابن السوداء ، وبين ابن سبأ[١] . والواقع الصحيح غير ذلك فإن ابن سبأ هو نفسه ابن السوداء كما يسميه بعضهم . ومن فرق بينهما فلاشتباه الأمر عليه .

وأما بالنسبة للرد على المسألة الأخيرة « دعوى ألوهية علي » فهي واضحة البطلان ، فإن ادّعاء الألوهية لأي شخص كلام ساقط يدل على نية خبيثة ومعتقد رديء أو جنون صاحبه .

ومثله الزعم بأن عليًا لم يقتل ، وأنه يجوز عليه الموت . وقد رد البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق »[٢] ، وكذا ابن حزم أيضا[٣] وغيرهما على مزاعم ابن سبأ بعدم موت عليّ بأدلة عقلية منها :

١ ـ إن كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانا وليس بعلمه ، فلم لعنتم ابن ملجم وقد قتل شيطانا ؟

٢ ـ قولكم إن الرعد صوت علي ، والبرق تبسمه أو سوطه يبطله أن البرق والرعد كانا موجودين ومعروفين منذ القدم .. واختلف الفلاسفة قبل الإسلام في علتهما لافي وجودهما .

٣ ـ موسى وهارون ويوشع أعظم رتبة في نفس ابن سبأ واليهود من علي ... فلم صدقوا بموتهم ونفوا حلول الموت بعلي ؟

٤ ـ دعواهم أن الأئمة ينبع لهم العسل والسمن من الأرض[٤] .. يكذبه أن الحسين

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ . (٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

(٣) الفصل لابن حزم ج٤ ص ١٨٠ .

(٤) يشير هنا إلى قول ابن سبأ حينما بلغه قتل علي « والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفبض إحداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته » .

وأصحابه بكربلاء قتلوا عطاشاً، ولم ينبع لهم الماء فضلا عن السمن والعسل[1].

٥ ـ زعمهم أن عليا في السحاب على حد ما قال إسحاق بن سويد[2].

برئت من الخوارج لست منهم — من الغزّال منهم وابن بـــاب
ومن قوم إذا ذكروا عليـــا — يردون السلام على السحاب

هذا الزعم يبطله أن السحاب متفرق فوق الأرض، يبدأ وينتهي في حركات متواصلة ومتقطعة .. ففي أي سحاب يكون ؟ وعلى أي أرض يستقر ؟

ورغم تفاهة هذه الدعوى في علي رضي الله عنه إلا أنها وجدت مؤيدين ومناصرين وقد صدق الله تعالى حين قال في وصف البشر حين يضلون الصراط المستقيم ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ .

ورغم تفاهة دعوى ابن سبأ في علي رضي الله عنه فقد ذكر علماء الفرق من الردود عليها والالزامات الواردة عليها مالا تستحق من الاهتمام .

٢ـ الكيسانية

بدأ ظهور هذه الفرقة بعد قتل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه وعرفوا بهذه التسمية واشتهروا بموالاتهم لمحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وظهر تكونهم بعد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما[3].

فحينما تم الصلح مالوا عن الحسن والحسين وقالوا بإمامة محمد بن الحنفية . وقالوا إنه أولى بالخلافة بعد علي ، وهو وصي علي بن أبي طالب ، وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه أو يخرج بغير إذنه .

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مقالات القمي ص ٢٦ .

وقالوا إن الحسن خرج لقتال معاوية بأمر محمد بن الحنفية ، وإن الحسين خرج لقتال يزيد بإذن ابن الحنفية ، بل وقالوا بأن من خالف ابن الحنفية فهو مشرك كافر .

وفرقة من هؤلاء الكيسانية قالوا إن الإمامة لعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم لابن الحنفية لأنه أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن[1].

وقد اختلف في كيسان زعيم الكيسانية :

١ ـ فقيل أن كيسان رجل كان مولى لعلي بن أبي طالب .

٢ ـ وقيل بل كان تلميذا لمحمد بن الحنفية[2] .

٣ ـ وقيل بل هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، وقد كان يلقب بكيسان[3]. وهذا غير صحيح لأن قيام الكيسانية كان قبل ظهور أمر المختار كما تقدم .

٣ـ المختارية

كيف صارت الكيسانية مختارية ؟

حينما تقرأ بعض كلام علماء الفرق تجد أن فيه مشكلة خفية وخلط في التسمية ، إذ يجعل بعضهم الكيسانية هي نفسها فرقة المختارية التي تزعمها المختار ابن أبي عبيد كما فعل القمي وغيره [4] .

وبعضهم يجعل الكيسانية فرقة مستقلة ، تزعمها رجل يقال له كيسان كما فعل الشهرستاني وغيره .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣ . وانظر لمزيد الأخبار فرق الشيعة للنوبختي .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٤٧ .

(٣) انظر مقالات القمي ص ٢١ .

(٤) مقالات القمي ص ٢١ .

والذي يتضح لي أن الكيسانية عندما نشأت كانت فرقة مستقلة ، تزعمهم رجل يسمي كيسان الذي هو تلميذ لمحمد بن الحنفية أو مولى لعلي. وحينما جاء المختار بن أبي عبيد انضم إليه هؤلاء وكونوا بعد ذلك فرقة المختارية ....

ولقد كان لفرقة المختارية أحداث هامة في التاريخ بقيادة المختار . فمن هو المختار بن أبي عبيد الذي تلقفته الكيسانية للانقضاض به على قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه ؟

المختار بن عبيد الثقفي

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، ولد في الطائف في السنة الأولى للهجرة، ووالده صحابي استشهد في معركة الجسر حينما كان قائدا لجيش المسلمين في فتح العراق ، وقام بكفالة المختار عمه سعيد بن مسعود الثقفي الذي كان واليا على الكوفة لعلي رضي الله عنه .

وقد نشأ المختار على جانب من الذكاء والفطنة مراوغا ماكرا غير صادق في تشيعه ، وإنما كان يريد من ورائه تحقيق طموحه السياسي بأي وجه ، وله مواقف تشهد بصحة هذا القول عنه ذكرها أهل التاريخ والفرق [1].

وقد لقب بكيسان لأسباب هي :

١ ـ منهم من يقول إنه نسبة إلى الغدر [2]. لأن كيسان في اللغة العربية اسم للغدر ، وكان المختار كذلك .

٢ ـ أنه أطلق عليه هذا اللقب باسم مدير شرطته المسمى بكيسان[3] والملقب بأبي عمرة الذي أفرط في قتل كل من شارك ولو بالإشارة في قتل الحسين،

(١) انظر ترجمته البداية جـ ٨ صـ ٢٨٩ ، وانظر والنحل ج ١ صـ ١٤٧ .

(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) مقالات القمي ص٢١، فرق النوبختي ص٤٥.

فكان يهدم البيت على من فيه ، حتى قيل في المثل « دخل أبو عمرة بيته» كناية عن الفقر والخراب .

٣ ـ أنه أطلق علي المختار هذا اللقب باسم كيسان الذي هو مولى علي بن أبي طالب (١).

٤ ـ وذهب بعض الشيعة ومنهم النوبختي(٢) إلى أن هذا اللقب أطلقه عليه محمد بن الحنفية علي سبيل المدح ، أي لكيسه ، ولمّا عرف عنه من مذهبه في آل البيت . لأن الكيسانية زعموا أن محمدا بن الحنفية هو الذي كلف المختار بالثورة في العراق لأخذ الثأر للحسين، وهذا ليس بصحيح كما سيأتي.

وقد كان للمختار أدوار بارزة مع ابن الزبير ، وخاض معارك في العراق خرج منها ظافرا فأعجبته نفسه ، وأخذ يسجع كسجع الكهان ، ويلمح لأناس ويصرح لآخرين أنه يوحى إليه ، فانفض عنه كثير من أصحابه ، وقتل في حربه مع مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ ، وتفرق أتباعه (٣)، وصدق عليه الحديث الذي روته أسماء بنت أبي بكر وغير ها أنه كذاب ثقيف (٤).

محمد بن الحنفية

أما ابن الحنفية الذي جعله المختار واجهة له ... فهو محمد بن علي بن طالب، وأمه خولة قيل بنت جعفر ، وقيل بنت أياس الحنفية ، وهي من سبي اليمامة في حروب الردة ، صارت إلى علي . وقيل إنها سندية وكانت أمة لبني حنيفة فنسبت إليهم .

ولد ابن الحنفية سنة ١٦ هـ في عهد عمر بن الخطاب ، ونشأ شجاعًا فاضلا

(١) مقالات القمي ص ٢٢ ـ فرق النوبختي ص ٤٥ .
(٢) فرق الشيعة ص ٤٨ .
(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦٥ .
(٤) سنن الترمذي ج٤ ص ٤٩٩.

الطائف، ثم قصد عبد الملك بن مروان بالشام وتوفى سنة ٨١ هـ قيل بالطائف، وقيل بأيلة من فلسطين، وقيل لم يمت بل حبسه الله في جبل رضوى القريب من ينبع. وهذا من تحريف الشيعة.

وبعد وفاته اختلف الشيعة فيما بينهم:

فذهب بعضهم إلى أنه مات وسيرجع. وذهب آخرون إلى أنه لازال حيّا بجيل رضوي قرب المدينة عنده نضاختان، إحداهما تفيض عسلا، والأخرى ماء عن يمينه أسد يحرسه، وعن يساره نمر يحرسه، والملائكة تراجعه الكلام، وأنه المهدي المنتظر، وأن الله حبسه هناك إلى أن يؤذن له في الخروج، فيخرج ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وفي هذه الخرافات يقول السيد الحميري أو كثيرعزة على رواية في قصيدة له:

ألا حي المقيم بشعب رضوى ... واهد له بمنزلة السلام
وقل يابن الوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما
وأن له لرزقا كل يوم ... وأشربة يعل بها الطعاما
أضر بمعشر وألوك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا ... مقامك عنهم سبعين عاما[1].

وقد اختلفت الكيسانية في سبب حبس ابن الحنفية بجبل رضوى:

١ - ذهب بعضهم وأراد أن يقطع التساؤل إلى القول بأن سبب حبسه سر الله، لايعلمه أحد غيره، وهو تخلص من هذه الكذبة التي زعموها في حبسه.

(١) أوردها القمي في مقالاته ص ٢١ - ٣٢، والنوبختي في فرقه ص ٥١ باختصار

٢ ـ وبعضـهـم قال إنه عقاب من الله له بسـبب خروجه بعد قـتل الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وطلبه الأمان منه ، وأخذه عطاءه .

٣ ـ وبعضهـم قـال أنه بسبب خروجه من مكة قاصدا عـبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير ولـم يقاتله (١).

والحقيـقة أنك لا تدري كيف تبلدت عـقول هؤلاء إلى حد أن يعتـقدوا هذا الاعـتقـاد الغريب في أن الله غـضب على ابن الحنفـية من مـجرد زيارته لهـؤلاء الحكام من المسلمين ، والذين لهم يد مشكورة في انتشـار رقعة الإسلام ، فأوصل الله ـ بزعمهم ـ عقابه إلى هذا الحـد من السنين الطويلة التي شكـي منها الحميري ـ سبـعين عاما ـ وقـد بقى الكثيـر جداً والتى ربما تمتد إلى أن يـغير هؤلاء الحـمقى عقيدتهم هذه .

٤ ـ الزيدية

بعـد قتل الحـسين بن علي (٢) ظهـرت معظم الفـرق التي تزعم التشـيع ، بل وأخذت دعوى التشيع تتصاعد في الغلو .

وفي أيام على بن الحـسين الملقب بزين العابدين طمع الشـيعـة في استـجلابه إليهم غير أنه كان على ولاء تام ووفاء كامل لحكام بني أمية متجنبا لمن نازعهم(٣)، بل إن يزيد بن معاوية وهو خليفة كان يكرمه ويجلسه معه، ولا يأكل إلا معه(٤).

وقد أنجب أولاداً منهم :

ـ زيد بن علي بن الحسين .

---

(١) وانظر أخباره في مروج الذهب ج٣ ص ٨٥ ـ ١٢٣ . وفي الفرق بين الفرق ص ٣٩ ـ ٥٣ وفي مقالات القمي ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) إذا أردت أن تعرف موقف يزيد من قتل الحسن فانظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩١ ـ ١٩٤

(٢) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٥٤ ، الشيعة والتشيع ص ٢٠٤ .

(٤) الإمام زيد ص ٢٣ .

- محمد بن علي بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر .

- عمر بن علي بن الحسين [1].

وقد اختلف الشيعة في أمر زيد بن علي ، ومحمد بن علي أيهما أولى بالإمامة بعد أبيهما ؟

فذهبت طائفة إلى أن الإمامة لزيد فسموا زيدية ، وهؤلاء يرتبون الأئمة ابتداءا بعلي رضي الله عنه ، ثم ابنه الحسن ، ثم الحسين ثم هي شورى بعد ذلك بين أولادهما - كما ترى الجارودية منهم[2]. ثم ابنه علي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه زيد وهو صاحب هذا المذهب ، ثم ابنه يحيى بن زيد ثم ابنه عيسى بن زيد كما ترى الحصنية منهم فيما يذكره القمي[3] وبعد ذلك يشترطون في الإمام أن يخرج بسيفه سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين وذهبت طائفة أخرى إلى أن الإمامة لمحمد بن على بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر[4]. ونحن هنا بصدد دراسة الزيدية كيف قامت ؟ وما هي مواقف الناس منهم؟.

وقد وصف أبو زهرة الزيدية بأنهم « أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية ، وأكثر اعتدالا ، وتشيعهم نحو الأئمة لم يتسم بالغلو بل اعتبروهم أفضل الناس بعد الرسول ﷺ ، واعتدلوا في مواقفهم تجاه الصحابة فلم يكفروهم وخصوصا من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم» [5].

---

(١) وتسميه على ابن الحسين ابنه باسم عمر إفحام لكذب الشيعة فيما يدعون من كراهة علي لأبي بكر ولعمر ، حيث إنهم يجنبون أولادهم التسمية باسم خيار الصحابة مثل أبو بكروعمروعائشة.

(٢) المقالات والفرق صـ ١٨ . (٣) انظر المقالات والفرق صـ ٧٤ .

(٤) انظر الشيعة والتشيع ص ٢٠٤ .

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ ص ٤٧ ، وانظر تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٩٦ ، وأهم الفرق الإسلامية للنيفر ص ٨٠ .

هكذا قال عنهم، والذي يظهر لي أن هذا الحكم غير صحيح علي جميع الزيدية، فإن بعض طوائفهم رافضة ، وهم الذين خرجوا عن مبادئ زيد وآرائه، سواء كانوا متقدمين أو متأخرين .

فقد قسم أبو زهرة الزيدية من حيث الاعتقاد إلى قسمين (١) :

١ ـ المتقدمون منهم ، المتبعون لأقوال زيد ، وهؤلاء لا يعدون من الرافضة ، ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٢ ـ وقسم من المتأخرين منهم ، وهؤلاء لايعدون من الرافضة وهم يرفضون إمامة الشيخين ويسبونهما ويكفرون من يرى خلافتهما .

وهذا يحتاج من الزيدية إلى إعادة نظر ليتقاربوا من إخوانهم أهل السنة وإلا أصبحوا في صف الإمامية الرافضة ، وعموما فإن مذهبهم في الإمامة يحصرونه في أولاد فاطمة فقط من غير تحديد بأحد منهم ، وإنما يشترطون أن يكون كل فاطمي اجتمعت فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد ، وخرج ينادي بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين(٢)، عكس الاثني عشرية الذين حصروا الأئمة في أولاد الحسين فقط .

زيد بن علي

وهو الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية

وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولد سنة ٨٠ هـ تقريبا ، وتوفى سنة ١٢٢ هـ ، وأمه أمة أهداها المختار إلى علي زين العابدين فأنجبت زيدا (٣).

وقد كان زيدا كما تذكر الكتب التي تترجم له شخصية فذة ، صاحب

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٢ جـ ١ .

(٢) الملل والنحل جـ١ صـ ١٥٤ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي صـ ٤٣ .

(٣)انظر ترجمته في كتاب « الإمام زيد » ص ٢٢ .

علم وفقه وتقوى ، اتصل به واصل بن عطاء وأخذ عنه ، واتصل به أبو حنيفة وأخذ عنه [1]، وكان أبو حنيفة يميل إلى زيد ويتعصب له ، وقد قال في خروجه لحرب الأمويين : «ضاهى خروجه خروج رسول الله ﷺ يوم بدر» كما يذكر ذلك أبو زهرة [2].

موقفه من حكام بني أمية :

خرج زيد على الحكام الأمويين ، وأشهر السلاح في وجوههم فما هو الدافع لزيد على هذا الخروج ؟

تذكر بعض المصادر أن زيدا خرج على بنى أمية منكراً للظلم والجور ، وبعضها يذكر أنه لم يكن يريد الخروج ، ولا طلب الخلافة ، ولكن حدث في تصرف هشام بن عبد الملك وعماله إهانات وإساءة لزيد لم يطق أن يعيش معها مسالماً لهشام بن عبد الملك ، وذلك أن زيدا أحس أن والى المدينة من قبل هشام ويسمى خالد بن عبد الملك بن الحارث ووالى هشام على العراق يوسف بن عمرو الثقفي يتعمدان الإساءة له، وربما تصور أن ذلك بإيعاز من الخليفة هشام، فقرر أن يذهب للشام ويشرح أمره لهشام ليزيل مافي نفسه من تخوف أن يثور عليه زيد ولكن حدث مالم يكن في حسبانه ، فقد قابله الخليفة مقابلة غير لائقة به حاصلها:

أن زيدا وقف بباب هشام فلم يؤذن له بالدخول مدة ، فكتب له كتابا يشرح

---

(١) وبعض العلماء كالشهرستاني يصرح بتلمذة زيد لواصل ولأبي حنيفة ، ولكن الأستاذ أبو زهرة يرى أنها ليست تلمذة بمعنى الكلمة ، وإنما كان اتصاله بزيد علي سبيل المذاكرة لتسويهما في العمر إذا واصل بن عطاء وزيد بن علي ولدا في سنة ٨٠ هـ ، ولكن هذا لا يمنع أن يتتلمذا ويتأثر زيد بواصل وأن يتتلمذ كذلك على أبي حنيفة ، فإن تأثر زيد بهما ، وتأثر الزيدية بعد ذلك بالمعتزلة والحنفية ظاهر على سبيل التلمذة لا المذاكرة التي يذهب إليها أبو زهرة ، ولهذا قيل « الزيدية معتزلة في الأصول ، حنفية في الفروع » .

(٢) الإمام زيد ص ٧٢ .

أمره ويطلب الإذن له ، فكتب هشام في أسفل الكتاب ارجع إلى أميرك بالمدينة . فعزم زيد على مقابلته وقال : والله لا أرجع إلى خالد أبدا . وأخيرا أذن له وقد رتب هشام الأمر ، فوكل به من يحص عليه جميع مايقول ، وحينما صعد زيد إلى هشام قال زيد : والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل . فلما مثل بين يدي هشام لم يرموضعا للجلوس فجلس حيث انتهى به المجلس ، وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله .

فقال هشام : اسكت لا أم لك . أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة .

فقال له : يا أمير المؤمنين إن لك جوابا إن أحببت أجبتك به وإن أحببت أمسكت ـ ولو أن هشاما يريد العافية لقال له أمسك ـ فقال بل أجب .

فقال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأُم إسحاق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا ، وجعله للعرب أبا ، وأخرج من صلبه خير البشر محمدا ﷺ ثم تقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ؟

فقال هشام : اخرج .

فقال زيد : أخرج ، ولا أكون إلا حيث تكره .

ومن هنا قرر أنه بين أمرين أحدهما مر ، فاختار الخروج ....

وكم أُسديت له من النصائح للرجوع عن رأيه ولكنه وبدفع من الشيعة واصل سيره إلى أهل الكوفة الذين عاهدوه على نصرته ثم نكسوا على أعقابهم حين تراءى الجمعان ، جيش الخلافة وهؤلاء وفي هذا الموقف الحرج قام هؤلاء وسألوه ـ ليأخذوا حجة في الهرب ولرداءة معتقدهم ـ قالوا له : إنا لننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر الذين ظلما جدك على بن أبي طالب .

فقال زيد ـ دون نفاق ـ : إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وقد كانا وزيري جدي ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بالمنجنيق والنار.

فلما سمعوا هذا الجواب تفرقوا عنه ورفضوه . فقال لهم : رفضتموني ؟

ـ فسموا رافضة ـ وبقى في شرذمة قليلة سرعان ما قضى عليهم يوسف بن عمر ، وقد قتل زيد ودفن في ساقية . فاستخرجه يوسف وكتب إلى الخليفة، فأمره هشام أن يصلبه مدة وأن يحرقه ، وتم ذلك فيما يذكره علماء الفرق والمؤرخون (١).

آراء زيد والزيدية

للشيعة عموما آراء متضاربة متناقضة . وأفكار تأثرت بجهات شتى من وثنية ومجوسية ويهودية ونصرانية إلا القليل منهم .

وأما بالنسبة لزيد فإن آراءه كما ذكر علماء الفرق والمؤرخون نوجزها فيما يلى :

١ ـ في السياسة يرى زيد جواز ولاية المفضول ، أي أن الإمامة عنده ليست وراثة ،فإذا اقتضت المصلحة تقديم المفضول فلا بأس بذلك ، وكان مع تفضيله لعلي على أبي بكر يرى أن خلافة الشيخين خلافة صحيحة ، ولما قيل له في

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ج٥ ص ٢٢٩ ـ ص ٢٣٥ ، ومن ٢٤٢ ـ ص٢٤٧ .
وانظر مروج الذهب ج٣ ص٢١٧ ـ ٢٢٠ .
وانظر البداية والنهاية ج٩ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .
وانظر مقاتل الطالبين ص ٨٦ -١٠٢ .
ويجب أن تدرك المبالغات التى ذكرها المسعودي والأصفهاني صاحب مروج الذهب بناء على تشيعهما .

ذلك قال: «كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين من دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوا باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله ﷺ...»[1] إلى آخر كلامه.

وفي هذا الجواب بعض الأمور التي فيها نظر، فإن الصحابة ما كانوا ليحقدوا عليه قتل أقربائهم من المشركين، وأما الشدة فإن عمر كان أشهر منه فيها وقد ولاه الصحابة أمرهم.

٢ - القول بعدم عصمة الأئمة أو وصايتهم من النبي ﷺ كما تقول الإمامية وبعض فرق الزيدية، فإن زعمهم عصمة الأئمة أو وصايتهم كان أساسه الاعتقاد الخاطئ أن تولى الأئمة كان من النبي ﷺ، والنبي ما كان يتصرف إلا بوحي، ومن غير المعقول أن يختار الله ورسوله الأئمة ثم يجري عليهم الخطأ في أحكامهم وهم المرجع للذين بعد النبي ﷺ، ولكن زيدا لم يلتفت إلى هذا القول الخاطئ والاعتقاد الباطل فيما قيل عنه[2].

إذ لم تثبت العصمة لأحد غير الأنبياء فيما كلفوا بتبليغه.

٣ - لم يقل بالمهدي المنتظر ولا بالغائب المكتوم[3].

---

(١) الملل والنحل جـ١ صـ ١٥٥ الإمام زيد ١٨٨.

(٢) انظر الإمام زيد صـ ١٩١ ولكن الزيديه في عصرنا الحاضر يقولون بعصمتهم. انظر نصيحة الإخوان صـ ٤.

(١) وقد زعمت الجارودية من الزيدية إن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يمت وإنه يخرج ويغلب=

وهي من عقائد الشيعة الأساسية ، فكل طائفة منهم لها مهدي وغائب مكتوم، وتفرقوا في هذه الخرافة طوائف متعارضة : فالمدي عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية ، وعند الاثنا عشرية محمد بن الحسن العسكري ، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملأون الأرض عدلا بزعمهم .

وسبب هذه الخرافة أنهم يعتقدون أن لآل البيت مزية عن غيرهم فهم يحيون قرونا ، وأن الخلافة لا تخرج من أيديهم سواء كانوا ظاهرين أو مستترين، ولم يلتفت زيد إلى وجود مهدي سيخرج كما يذكر عنه أبو زهرة [1].

والواقع أن أهل السنة يؤمنون بوجود مهدي في آخر الزمان على مابينته الأحاديث، لكن هؤلاء الشيعة استغلوا هذه القضية استغلالا خاطئًا ، وقررها علماؤهم وزعماؤهم لأغراض سياسية أكثر منها دينية .

٤ ـ حكم في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين تبعا لرأى المعتزلة وقيل إنه خالفهم في تخليده في النار وقال لا يخلد في النار إلا غير المسلم[2]. هكذا ذكر عنه أبو زهرة ، ولكن الأشعري ينقل عن فرق الزيدية القول بتخليد مرتكب الكبيرة في النار كما تقول الخوارج [3] والمعتزلة وإنهم مجمعون على ذلك وأهل الحق يقولون هم تحت المشيئة ، ولا يقولون بحتمية دخولهم النار ولا بتخليدهم فيها .

٥ ـ قال بالإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدره واختيار بتمكين الله له وبها يحاسب فيثاب أو يعاقب كما يذكره عنه

= وفرقة أخري زعمت . أن محمد بن القاسم صاحب الطالقان حيي لم يمت وأنه يخرج ويقلب وفرقة قالت مثل ذلك في يحيى بن محمد صاحب الكوفه [انظر مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ١٤١].

(١) انظر الإمام زيد ص ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٣) انظر المقالات جـ١ صـ ١٤٩ ، تاريخ الفرق الإسلامية ٢٩٤ .

أبو زهرة[1] رغم أن الزيدية معتزلة في الأصول بسبب تلمذة زيد لواصل بن عطاء الغزال زعيم المعتزلة .

٦ ـ لم يقل بالبداء على الله ، وهو القول بحدوث حوادث جديدة متغيرة في علم الله على حسب ما يحدث ـ ، وهذا القول تزعمته الكيسانية وكثير من الروافض واعتقاده كفر ، ومذهب زيد أن علم الله تعالى أزلي قديم ، وأن كل شيء بتقديره سبحانه وأن من النقص في علم الله أن يغير إرادته لتغير علمه[2] ولم يتأثر بعقائد الإمامية في هذا .

٧ ـ لم يقل بالرجعة المزعومة عند الشيعة .وهي بدعة غريبة ، وهي أن كثيرا من العصاة سيرجعون إلى الدنيا ويجازون فيها قبل يوم القيامة ، وينتصف أهل البيت ممن ظلموهم ، كما أنه يرجع أقوام آخرون لاعقاب عليهم لينظروا ما يحل بمن ظلم أهل البيت[3]، إلى غير ذلك من الآراء التي تهم أهل الاختصاص والتفرغ لدراستها .

ولكن : هل استمر الزيدية على هذه المبادئ التى قيلت عن زيد .

والجواب : لا ، فقد جاءت طوائف حرفت مذهب زيد ، ورفضوا خلافة الشيخين[4]، وقالوا بالرجعة[5] وعصمة الأئمة وغير ذلك من أقوال فرقهم الأربع

(١) انظر « الإمام زيد » ص ٢٠٨ .

(٢) الإمام زيد ص ٢١١ وانظر مواقف الرافضة منه « مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ١١٣ ».

(٣) انظر مقالات الأشعري ج ١ ص ١٤٤ عن فرقة البترية منهم ، وص ١٤٥ عن فرقة اليعقوبية حيث ظلوا على رأى زيد في إنكار الرجعة .

(٤) كما هو مذهب الجارودية فيهما ومذهب السليمانيه في تكفيرهم عثمان رضي الله عنه عند الأحداث التي نقمت عليه أو البراءة منه كما هو مذهب البترية أصحاب الحسن بن صالح بن حي والنعيمية أصحاب نعيم بن اليمان حيث تبرؤا من عثمان ومن محارب علي وشهدوا عليه بالكفر وذكر الأشعري بعد ذكره ماتقدم أن الفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر.

(٥) كالفرقة الخامسة منهم فإنهم لا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم .« المقالات جـ ١ صـ ١٤٥ » .

التى هي : الجارودية ، والسليمانيـة أو الجريرية والبترية أو الصالحية ، واليـعقوبية. وأشهرها الجارودية .

٥ـ الرافضة

١ ـ معنى الرافضة لغة واصطلاحاً

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك . يقال رفض يرفض رفضاً أى ترك .

وعرفهم أهل اللغة بقولهم : « والروافض كل جند تركوا قائدهم » [١] : هذا هو معنى الرفض في اللغة .

وأمـا في الاصـطلاح : فإنه يطلـق على تلك الطائفـة ذات الأفكار والآراء الاعتقـادية .الذين رفضوا خلافة الشيـخين وأكثر الصحابة ، وزعمـوا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ .

٢ ـ سبب تسميتهم بالرافضة :

أطلقت هذه التسمية على الرافضة لأسباب كثيرة .

١ ـ قيل إنهم سموا رافضـة لرفـضهم إمـامة زيد بن علـي ، وتفرقـهم عنه كمـا تقدم[٢].

٢ ـ وقيل سموا رافضة لرفضهم أكثر الصحابة ، ورفضهم لإمامة الشيخين[٣].

٣ ـ وقيل لرفـضهم الدين [٤].

والراجح هو الثاني ، ولامنافاة بينه وبين الأول ، لأنهم كانوا رافضة يرفضون الشيخين وقد رفضوا زيدا كذلك إذ لم يرض مذهبهم .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٠٧٨ ، وانظر القاموس المحيط ص ٣٤٤ .

(٢) انظر البداية والنهاية ج٩ ص ٣٣٠ .

(٣) مقالات الأشعري ج١ ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق ، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣ ـ وجود الرافضة قبل اتصالهم بزيد.

وجدت هذه الطائفة قبل انضمامهم لزيد بن علي ، وكانت عقيدتهم هي الرفض ، ولهذا طلبوا من زيد أن يوافقهم على أهوائهم ، ويتبرأ من الشيخين فخيب آمالهم وانفصلوا عنه .

وسبب ذلك يعود إلى تشبعهم بأفكار اليهودي ابن سبأ ، وانحرافهم التام عن التشيع لأهل البيت الذي كان عبارة عن الحب والمناصرة .

٤ ـ أسماؤهم قبل إتصالهم بزيد

ومن أسمائهم في تلك الفترة :

١ ـ الخشبية .

٢ ـ الإمامية [(١)].

وسبب تسميتهم بالخشبية : أنهم كما قيل كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت وسبب تسميتهم بالإمامية: لزعمهم أن النبي ـ ﷺ ـ نص علي إمامة على ـ رضي الله عنه ـ نصا ظاهرا ويقينا صادقا ، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده كما يدعي هؤلاء .

٥ ـ فرق الروافض

لقد تفرقت الشيعة الروافض إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم . ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع ، إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامةوأحقية علي بها وأولاده من بعده ورفض من عداهم .

(١) انظر الفصل لابن حزم ج٤ ص ١٨٥ ، وانظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٧٦ .

وأشهر فرق الروافض : ـ الشيعة الإثنا عشرية كما سندرسهم بالتفصيل وفرقة أخرى منهم تسمى ـ المحمدية وسنقتصر على دراسة هاتين الطائفتين ليتضح من خلالهما مدى تناقض الشيعة في عقائدهم الهامة مثل الإيمان بالمهدي[1] والرجعه [2] وغير ذلك من عقائدهم ،إضافة إلى أن هذه الفرقة لاتزال الطائفة الذين صدقوا بقتل زعيمهم الذي ينتسبون إليه ـ النفس الزكيه ـ يأتون إلى قبره ـ الذي ظنوا بأنه دفن في مكانه ذلك ـ يأتون إليه ويتمسحون به ويدعون عنده إلى اليوم .

١ ـ وخلاصة أمر هذه المحمدية أنهم طائفة يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، ويعرف بالنفس الزكية .

ولد محمد سنة ٩٣ هـ [3]،ويوصف بأنه كان فاضلا صاحب عبادة وورع ، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية .

خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥ هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي ، فدارت المعركة على محمد فسقط قتيلا بعد مدة قليلة من إعلان خروجه ، وقد احتز عيسى رأس محمد وأرسله إلى أبي جعفر المنصور [4]جريا على العادة التي سنها الأمويون من قبل لإرهاب المخالفين .

ومما يجدر ذكره أن شخصا ماكرا اسمه المغيرة بن سعيد العجلي كانت له آراء ضالة استغل توجه الناس إلى محمد بن علي بن الحسن فأخذ يدعو الناس

---

(١) لأن مهدى الاثني عشرية غير مهدي المحمدية .

(٢) لأن المحمدية تؤمن برجعة كل الأموات قبل يوم القيامة قال شاعرهم :

إلى يوم يؤب الناس فيه ... إلى دنياهم قبل الحساب

« الفرق بين الفرق » صـ ٥٩ .

(٣) حركة النفس الزكية ص ٥٥ .

(٤) انظر مقاتل الطالبين ص ١٨٥ .

إلى البيعة لمحمد ، وجد في ذلك ، وزعم للناس أن المهـدي المنتظر قد خرج وأنه محمد بن الحسن ، وبشر الناس بأن ملكه سيمتد طويلا ويعيد الأمور إلى نصابها ويملأ الأرض عـدلا ، وأن على الجميع أن يبادروا بالطاعـة والانطواء تحت لوائه للقيام بواجبهم نحو المهدي .

وحينما قتل محمد في أول لقـاء مع عيسى بن موسى أسقط في يد أتباعه من هؤلاء الحمقي الذين صدقوا أقواله وأنقسموا فيما بينهم ـ فطائفة تبرأت من المغيرة وقالوا لا يجوز لنا متـابعته بعد أن ظهر كذبه ، فإن محمـد بن عبد الله بن الحسن مات مـقتـولا ولم يملك ولم يملأ الأرض عـدلا، ولو كان هو المهـدي لتكفل الله بظهوره.

ـ وطائفـة أخرى ـ لأغراض في أنفـسهم ولبـقاء شـوكتـهم ـ استمـروا على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن ، ولجؤوا إلى أقوال السبئية فقالوا إن محمدا لم يقتل ، وإنما المقتول كان شيطانا تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن ، وأن محمدا لايزال حيا في جبل حاجر بنجد ولابد أن يظهر مرة أخرى ، ويملأ الأرض عدلا ، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة(١).

وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن جماعة من الشيعة يأتون إلى مكان في المدينة المنورة خلف مسـجد ثنية الوداع لزيارته لاعـتقادهم أنه قبـر محمد بن عـبد الله ابن الحسن ، وقد أزيل هذا المكان في مشـروع . ويظهر أن هؤلاء الشيعة هم من قسم الذين صدقوا بموته وفارقوا المغيرة .

وقد استمر المغيرة على ضلالاته حتى قتله خالد بن عبد الله القسري .

---

(١) انظر لأخبار هذه الفرقة : الفرق بين الفرق ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢ .
ومقالات الاشعري ج١ ص ٩٨ ، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٧٧ .

٢ـ الإثنا عشرية

هذه هي الواجهة الرئيسية والوجه البارز للتشيع في عصرنا الحاضر وهم القائمون على نشر هذا المذهب الرافضي والممول له بشتي الطرق والأساليب، وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوه في العالم الإسلامي وذلك لما يبذلونه من مساعدات مادية ومعنوية .

فتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة ، وأكثرها انتشارا في العالم ، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية، ولهم نشاط ملموس في كثير من البلدان في الآونة الأخيرة حيث توغلوا إلى أماكن من بلدان المسلمين ما كان لهم فيها ذكر .

وهم مجموعة من الطوائف المختلفة الآراء بعضها معلن وبعضها مستتر ويجمعهم هدف عام واحد وهو علو المذهب الاثنا عشرى الجعفرى الذي زعم الخميني أن أتباعه يبلغون ٢٠٠ مليون شيعي ، كان النواة الأولي فيها لمذهب التشيع هو الرسول وعلي بن أبي طالب وخديجة ، حيث بدأ الرسول ـ حسب زعمه ـ يدعو للتشيع من نقطة الصفر[١].

١ ـ أسماؤهم ، وسبب تلك التسميات

للإثنا عشرية أسماء تطلق عليهم بعضها من قبل مخالفيهم وبعضها من قبلهم هم ، وهذه الأسماء هي :

١ ـ الإثنا عشرية [٢].

وسبب تسميتهم بها لاعتقادهم وقولهم بامامة اثنا عشر رجلا من آل البيت، ثبتت إمامتهم ـ حسب زعمهم ـ بنص من النبي ﷺ ، وكل واحد منهم يوصي

---

(١) انظر كتابه « ولاية الفقيه » ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(١) انظر الفرق الإسلامية ص ٨٠ ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٨١ .

بها لمن يليه .

وأولهم : علي - رضي الله عنه - ، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفي في حدود سنة (٢٦٠) هـ وسيعود بزعمهم ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وييسير الخير بين الناس وافرا إلى آخر مزاعمهم الكثيرة، وفيه قال الشيرازي : (كما تسمى الشيعة بالاثنا عشرية لأنهم يعتقدون بامامة الأئمة الإثني عشرية »(١).

وهؤلاء الأئمة الإثنا عشر هم :-

١ - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

٢ - الحسن بن علي - رضي الله عنه - .

٣ - الحسين بن علي - رضي الله عنه - .

٤ - علي بن الحسين .

٥ - محمد بن علي بن الحسين الباقر .

٦ - جعفر بن محمد بن الحسين - أبو عبد الله - الصادق -

٧ - موسي بن جعفر الكاظم .

٨ - علي بن موسي - الرضي - .

٩ - محمد بن علي - الجواد .

١٠ - علي بن محمد الهادي .

١١ - الحسن بن علي العسكري .

١٢ - محمد بن الحسن العسكري الغائب الموهوم ، كما يسميه الشيخ إحسان الهي - رحمه الله تعالى - ، ومن الملاحظ أن الشيعة الإثنا عشرية حصروا الإمامة في أولاد الحسين بن علي دون أولاد الحسن - رضي الله عنهما - ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تزوج الحسين بن علي بنت ملك فارس يزدجرد

---

(١) قضية الشيعة ص ٤ .

ومجيء علي بن الحسين منها .

٢ ـ من أسمائهم الجعفرية :ـ

نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه ـ كما يزعمون ـ وهو بريئ من أكاذيب الشيعة هذه ، فإنهم يسندون أقوالا واعتقادات لايقول بها من له أدني بصيرة في الإسلام فكيف به ؟

وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة فإنهم يتأذون منه وهم أحق بتسميتهم بالرافضة لاالجعفرية لأنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق ، وإنما هي تخرصات جمعوها وتلفيقات استحسنوها ثم نسبوها إليه[1] وأكثرها مما لا يرضي الله ورسوله بل ولا يقوله عاقل ولا طالب علم يعرف الشريعة الإسلامية ومع ذلك يتبجح الشيعة بانتسابهم إليه ظلما وزورا .

يقول الخميني مفتخرا : نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري ، ففقهنا هذا البحر المعطاء بلاحد ، وهو من آثار جعفر الصادق[2].

ويقول الشيرازي : كما تسمي الشيعة بالجعفرية لأن الإمام جعفر بن محمد الصادق ـ ع ـ تمكن أن يوسع نشر الإسلام أصولا وفروعا وآدابا وأخلاقا ، وأما سائر الأئمة فلم يتمكنوا من ذلك لما كانوا يلاقونه من الاضطراب كما في زمان علي والحسن والحسين . ـ ع ـ ، والكبت والإرهاب من أيدى الخلفاء الأمويين والعباسيين ، لكن الإمام الصادق ـ ع ـ حيث كان في زمن التصادم بين بني أمية وبني العباس اغتنم الموقف فرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة ، والشيعة أخذوا منه أكثر معالم الدين ، ولذا نسبوا إليه [3].

---

(١) انظر مؤتمر النجف ص ١٠١ من الخطوط العريضة .

(٢) الوصية الإلهية ص ٥ .

(٣) قضية الشيعة ص ٣ .

٣ ـ الرافضة:ـ

الرافضة أو الروافض وهو اسم غير محبوب لديهم وقد سموا به إما :

١ ـ لأنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي ـ كما تقدم ـ.

٢ ـ أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم .

٣ ـ أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين .

٤ ـ أو لرفضهم الدين (١).

٥ ـ وهناك تعليل لبعض الشيعة وهوأنهم سموا بهذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي منهم .

ولكن توجد رواية في الكافي عن جعفر بن محمد أن الله هو الذي سماهم رافضة ، وهذا ينقض ما زعموه أنهم لا يستحقون هذه التسمية . وكل تلك التعليلات غير الخامس تصدق عليهم .

جاء في الكافي عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال : قلت لأبي ـ عبدالله ـ جعفر ـ : جعلت فداك إنّا قد نبزنا نبزا أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت به الولاة دماءنا قال : فقال أبو عبد الله ـ ع ـ الرافضة ؟ قلت نعم. قال لا والله ماهم سموكم به ولكن الله سماكم به (٢).

٤ ـ الإمامية:ـ

١ ـ أما نسبة إلى الإمام (الخليفة) لأنهم أكثروا من الاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بحوثهم .

٢ ـ أو لزعمهم أن الرسول ـ ﷺ ـ نص علي إمامة علي وأولاده .

---

(١) قد سبق عزو هذه الأقوال .

(٢) أنظر الشيعة والتشيع نقلا عن الكافي ـ كتاب الروضة ص ٣٤ .

واختار هذا التعريف الشهرستاني [1]. وهو التعريف الذي ذكره الشيرازى منهم حيث قال : وتسمي الشيعة بالإمامية لأنهم يعتقدون بإمامة ـ على ـ أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر[2].

٣ ـ أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر[3].

٥ ـ الخاصة:ـ

وهذه التسمية هم أطلقوها على أنفسهم وأهل مذهبهم وقد ذكر العلماء كثيرا من الأمور التي شابه الشيعة اليهود فيها[4] . ومن ذلك تسميتهم لأنفسهم الخاصة ، ومن عداهم العامة كما فعلت اليهود حينما سموا أنفسهم ـ شعب الله المختار ـ ، وسموا من عداهم ـ الجويبم أو الأمميين ـ .

وتوجد بينهم وبين اليهود مشابهات في أشياء كثيرة سنذكر بعضها بعد قليل.

٦ ـ (سبب انتشار مذهب الرافضة وأماكن انتشارهم) .

لقد انتشر المذهب الرديء انتشاراً واسعا ، وسبب ذلك يعود ـ فيما يظهر لي ـ إلى أمور من أهمها :

١ ـ جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم الإسلامي .

٢ ـ وإلى جهلهم بحقيقة مذهب الرافضة .

٣ ـ وإلى نشاط هؤلاء الروافض في نشره بشتى الوسائل .

وقد تعاطف معهم كثير من المسلمين متناسين أو جاهلين أنه لافائدة للإسلام أو للمسلمين من شخص يدعي الإسلام ثم يلعن الصحابة ويكفرهم ويحكم

---

(١) انظر (أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة) رسالة ما جستير للرحيلي ، وانظر كتاب (رسالة في الرد علي الرافضة) .

عليهم بالردة ويرى بأن القرآن فيه تحريف وزيادة ونقص ، ثم ينتظر المهدي الذي يأتي ويسفك دماء أهل السنة بدون رحمة ، كما قرروه في كتبهم تنفيسا عن أحقادهم عليهم .

(أهم الأماكن التي انتشر فيها هذا المذهب)

١ - إيران : وهو المذهب الرسمي للدولة ، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم علي المذهب الجعفري .

٢ - العراق . ٣ - الهند . ٤ - باكستان .

وفي هذه البلدان أعداد منهم ، وقد انبثوا في بقاع من سوريا ولبنان ودول الخليج ، وكثير من البلدان الإسلامية مستغلين غفلة أهل السنة .

ولم أثبت هنا نسبة أعدادهم في تلك البلدان لعدم اقتناعي بصحة تلك الأعداد التي تذكر عنهم لما يحصل في الغالب من مغالطات في ذكر عدد نسبة السنة أو الشيعة في أي بلد لأغراض سياسية ودعائية .

٧ - فرق الإثنا عشرية :-

انقسمت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة[١].

من أهمها وأشدها خطرا وأكثرها نفوذا وشوكة وتأثيرا في المجتمع الشيعي ، وأشدهم نشاطا في دعوي ظهور المهدي : -

١ - الشيخية :

قال الألوسي وقد يقال لهم الأحمدية[٢]، وهي طائفة تنتسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي البحراني ، المولود سنة ١١٦٦ هـ،

---

(١) عند الأشعرى - ٣٠ - فرقةبالزيدية . وفي مختصر التحفة الاثنا عشرية أنهم - ٣٩ - فرقةص٢١

(٢) مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ٢٢ .

والمتوفى سنة ١٢٤٣ هـ ، وهو شيخ ضال ملحد ، له آراء كفرية وزندقة ظاهرة، ومهد السبيل بآرائه لظهور ملاحدة جاءوا بعده .

وأما بالنسبة للشيعة فقد مجدوه وذكروا له ألقابا هائلة من التبجيل والتعظيم، فأطلقوا عليه - كذبا وزورا - ترجمان الحكماء ، لسان العرفاء ، غرة الدهر، فيلسوف العصر ... إلخ .

وقد عاش الإحسائي كاتبا ومدرسا في مدن الشيعة الهامة ، مثل كربلاء وطوس وغيرهما من البلدان ، ونشر أفكاره ومعتقداته الضالة ، وكون له أتباعا كان لهم أثر في قيام حركات أخرى كالبابية والبهائية .

أهم معتقداته:

١ - زعم أن الله - تعالى عن قوله - تجلي في علي وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله ، وأصحاب الصفات الإلهية ، وهي عقيدة حلولية مستمدة من عقائد البراهمة وغلاة الصوفية .

٢ - أرجع وجود هذا الكون وما فيه إلى وجود الأئمة ، وأنهم هم العلة المؤثرة في وجوده إذ لولاهم ما خلق الله شيئا ، وبمثل هذا قال الغلاة عبارتهم المشهورة في مدح النبي ﷺ - بما لا يرضاه - : « لولاك لولاك .... لما خلقت الأفلاك » وهو غلو فاحش يجب التوبة منه .

٣ - وزعم في محمد بن الحسن العسكري المهدي المزعوم عند الشيعة مزاعم غريبة منها أن المهدي المذكور يتجلي ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل ، أو الباب إلي المهدي وتحل فيه روح المهدي ، ثم ادعي لنفسه وجود هذه الصفة فيه ، وضلل كثيرا ممن سار علي شاكلته إلى أن هلك .

٢ ـ الرشتية

وبعد هلاك الشيخ أحمد الإحسائي قام بأمر الشيخية أحد تلامذته وخريجيه، ويسمى كاظم الحسني الرشتي[١] سنة ١٢٤٢ هـ ... ونهج نفس المنهج والطريق التي عليها سلفه في كثير من المسائل، وخالفه في أخرى، إلا أنه زاد الطين بلة حين قال إنه حل فيه روح الأبواب كما حل في الإحسائي، ولكن آن الأوان لانقطاع الأبواب ومجيء المهدي نفسه، ومن هنا بدأ يلتمس ظهور المهدي، وهو في الحقيقة إنما بحث عن صيد فوجده، حيث وقع اختياره علي شخصية من تلاميذه ليجعل منه المهدي المنتظر بعد أن لمس أن هذه الدعوى يمكن أن تجد لها أتباعا .

وقد نشر الرشتي مذهبه الفاسد حتى صارت له أماكن كثيرة وأتباع كثيرون من شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت، وانتشرت أفكاره أيضا في الهند وباكستان، وافتتحت فيهما مراكز كثيرة، وتأتيهم المساعدات من تلك الأماكن التي وصل انتشار الشيخية إليها .

وهناك فرقة أخرى هي محل نظر في إلحاقها بالشيعة الإثنا عشرية أو الصوفية، وتسمي النور بخشية نسبة إلى رجل يسمى محمد نور بخش القوهستاني المولود سنة ٧٩٥ هـ[٢].

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية ص ٢٢ .

(٢) انظر الشيعة والتشيع ص ٣٠٧ - ٣١٤ .

الفصل السابع

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة

للشيعة آراء اعتـقادية كثيرة لايتسع المقام هنا لبسطها ،،، إلا أننا سنقتصر في دراستنا لآراء الشيعة على أهم المسائل الاعتقادية عندهم والتي كان لها أثرهام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق ... وسنقتصر علي المسائل الآتية علي سبيل الإيجاز :

١ ـ قصر استحقاق الخلافة في آل البيت ، علي وذريته رضي الله عنهم وأنها كانت بنص من النبي ﷺ فيهم .

٢ ـ دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣ ـ تدينهم بالتقية .

٤ ـ دعواهم المهدية .

٥ ـ ودعواهم الرجعة .

٦ ـ موقفهم من القرآن الكريم .

٧ ـ موقفهم من الصحابة .

٨ ـ القول بالبداء على الله تعالى .

وتوجد لهم آراء أخرى ـ كما ذكرنا ـ مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم ... ومثل القول بالتناسخ والحلول ، وغير ذلك . وهذه الآراء الظاهر سقوطها وبطلانها توجد في فرقهم القديمة والحديثة ، وقد تخرج بعض فرقهم عن رأي وتلتزم بآخر لا يقل عنه سوءا وضلالا إلا من اعتدل منهم كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهم قليل .

أولا : موقفهم من الخلافة والإمامة

هذه القضية هي الشغل الشاغل لهم ، وهي مركز بحوثهم ، ومن أهم الأسس لعقيدتهم ، وأكثر المسائل الفرعية ترجع إليها ، وأهم ما يدور من الخلاف بينهم وبين أهل السنة ، أو فيما بينهم إنما يدور حولها .

ويعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركن من أركان الإسلام ويعتقدون أنها منصب ثبتت من عند الله تعالي ... يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين .

والإثنا عشرية يحصرونها في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم.

وفيما يلي نستعرض أهم آراءهم فيها :

١ ـ الإمام له صلة بالله تعالي من جنس الصلة التي للأنبياء والرسل [١].

روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال : « أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة»[٢].

وفي هذا يروي الكليني في كتابه الكافي : « أن الحسن بن العباس المعروفي كتب إلي الرضا يقول له : « جعلت فداك ، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام ؟ » .

قال : فكتب أو قال : « الفرق بين الرسول والنبي والإمام ... أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل ، فيراه ويسمع كلامه ، وينزل عليه الوحي ، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم .

والنبي ربما سمع الكلام ، وربما رأى الشخص ولم يسمع .

(١) انظر باب الاضطرار إلي الحجة ص ١٢٨ . وباب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ص ١٣٣ . وباب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث ص ١٣٤ في الكافي ج١ للكليني .

(٢) الكافي ج١ ص ١٤٣ .

والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص [1]. أي أن الإمام حسب هذا الكلام يوحي إليه .

وهذا خلاف مايعتقده المسلمون من انقطاع الوحي بمحمد ﷺ ، ولكن الشيعة وهم يقررون أن رتبة الإمام لايصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل - كما ادعي الخميني في هذا العصر [2] - لا يمنعهم مانع من هذا الادعاء .

٢ - الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله .

روى أبو حمزة قال ، قال لي جعفرع : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لايعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا .

قلت : جعلت الله فداك . فما معرفة الله ؟

قال : تصديق الله عز وجل ، وتصديق رسوله ع وموالاة علي ع والائتمام به وبأئمة الهدي ع والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم .. هكذا يعرف الله عز و جل »[3].

ومن الذي أخبرهم أن معرفة الله لا تكفي بدون معرفة الإمام ؟

ومتي كانت معرفة أهل البيت من أركان الإيمان بالله تعالى ؟

٣ - حرفوا معاني القرآن الكريم إلي هواهم في الأئمة ، ومن ذلك :

أ - تفسيرهم لقول الله عز وجل ﴿ **وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** ﴾ النور : الإمام علي والأئمة من بعده ، كما فسره أبو عبد الله حسب زعم الكليني [4].

ب - تفسيرهم لقول الله عز وجل ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن**

(١) الكافي ، كتاب الحجة ج١ ص ١٣٤ ، وذكر روايات غيرها .

(٢) ولاية الفقيه ص ٦١ .

(٣) الكافي ج١ ص ١٣٨ .

(٤) الكافي ج١ ص ١٥٠ .

جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار ﴾ الحسنة : معرفة الولاية وحب آل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغض آل البيت . كما فسرها علي بن أبي طالب لعبد الله الجدلي ، كما يزعم الكليني[1].

ج ـ تفسيرهم لقول الله عزوجل ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ أي إمام يهديهم ابتداءا بعلي وانتهاء بالمهدي [2].

إلى غير ذلك من الآيات التي فسروها بمثل هذه المعاني الباطلة في كتبهم المعتبرة ، وأهمها الكافي .

٤ ـ زعموا في الأئمة أنهم هم الذين جمعوا القرآن كله كما أنزل [3]ولا يعترفون بغير ذلك ، وجحدوا جهود الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه ، وأبي بن كعب ، وغيرهما من خيار الصحابة رضي الله عنهم .

٥ ـ الأئمة عندهم اسم الله الأعظم [4]، وعندهم الجفر ـ وهو دعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل .

وعندهم مصحف فاطمة ، وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات ، ليس فيه من قرآننا حرف واحد [5]،وأن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم [6].

٦ ـ وأن الإمام إذا مات لا يغسله إلا الإمام الذي يليه ، وهو أكبر أولاده[7].

ومن خرافاتهم في خلق الإمام من الإمام ما يرويه يونس بن ظبيان ، عن أبي

---

(١) الكافي ج١ ص ١٤٢ . (٢) الكافي جـ ١ صـ ١٤٨ .

(٣) انظر باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله « الكافي ج١ ص ١٧٨ ، أورد روايات وأحاديث كثيرة نسبها إلى أبي عبد الله وأبي جعفر ».

(٤) الكافي ج١ ص ١٧٨ باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم .

(٥) انظر كتاب الحجة من الكافي جـ ١ صـ ١٨٥ باب فيه ذكر الصحيفه والجفر والجامعه ومصحف فاطمة ع والأحاديث كما يسمونها التي أوردها في هذا الغلو الفاحش .

(٦) جـ١ صـ ٢٠١ . (٧) جـ١ صـ ٣١٥ .

عبـد الله أنه قال : « إن الله عـز وجل ، إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمـام بعث ملكا وأخذ شـربة من ماء تحت العرش ثم أوقـعها أودفعـها إلى الإمام فشـربها ، فيمكث في الرحم أربعين يوما لايسمع الكلام ، ثم يسمع الكلام بعد ذلك .

فـإذا وضعـته أمـه بعث الله إليه ذلك الملـك الذي أخذ الشـربة فكتب علي عضده الأيمن « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مـبدل لكلماته » . فإذا قام بهذا الأمـر رفع الله له في كل بلدة منارا ينظر به إلـي أعمـال العبـاد [1]. وهذا منتهي الكذب فلا يعلم بأعمال العبـاد إلا الذي خلقهم ، وهذا المنار المزعوم لا وجود له إلا في أذهانهم .

وإذا كانت هذه الروايـة في الكافي ، فإن رواية أخري هي أيـضا في نفس هذا الكتاب تناقض هذه الرواية حيث تقول :

« روي غير واحد من أصحابنا أنه قال ـ أي جميل بن دراج ـ لا تتكلموا في الإمام فإن الإمام يسمع الكلام وهو في بطن أمه [2].إلي آخر ترهاتهم ومبالغاتهم الباطلة في الأئمة .

وجميع العـقلاء ـ وعلي رأسهم أهل السنة ـ يعرفون أن الخليـفة إنسان ككل الناس ، يولد كـما يولدون ، ويعلم أو يجـهل كمـا يعلمون ويجـهلون ، ليس له مزية إلا أن كفـايته وأخلاقه جعلت الناس يخـتارونه لتنفيذ الأحكام فـيما بينهم ، فإذا جار وخرج عن حكم الله متعمدا فلا طاعة له .

أما عند الشيعة فالخير ما فعله الإمام ، والشر ما تركه أيا كان ذلك .

ومعلوم أن عـقيـدتهم في الإمام تشل الفكر وتميته وتعطـي للحـاكم سلطة لاحد لها ولا حـصر ،،، فالعدل ما حكم به مطلقـا ، والجور مالم يحكم به بغض النظر عن صواب الحكم أو خطئه ، فهم المشرعون وهم الحاكمون ، والله عز

---

(١) ج١ ص ٣١٨ .
(٢) ج١ ص ٣١٩ .

وجل حين قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ...** ﴾ لم يشمل تشريعات الأئمة حسب معتقد هؤلاء ، حيث جاء هؤلاء الأئمة بتشريعات ـ حسب ما يروونه عنهم ـ لم يأت بها الشرع من قبل .

والشيعة حينما قصروا استحقاق الخلافة في علي رضي الله عنه وفي الأئمة من بعده تلمسوا لهم شبها كثيرة ودعاوي مردودة علي أن ماذهبوا إليه هو الصواب كما يرون [١]. نذكر منها ما يلي :

١ ـ قالوا إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان ، والرسول ﷺ بعث لرفع الخلاف ، فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلي اختلافات الناس واجتهاداتهم [٢].

٢ ـ يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي رضي الله عنه ومن ذلك:

أ ـ من كنت مولاه .. فعلي مولاه [٣].

ب ـ أقضاكم علي [٤].

ج ـ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي [٥]. زاد العاملي في الحديث « إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي » [٦].

٣ ـ استدلوا ببعض الاستنباطات من وقائع يزعمون أنها كانت من النبي ﷺ تشير إلى خلافة علي منها :

---

(١) أدلتهم علي ذلك كثيرة جدا ، حيث لفقوا عشرات الأحاديث في إثبات الوصية والخلافة في علي وأولاده كما فعل العاملي في كتابه المراجعات انظر من ص ٢٣٩ إلي ص ٢٤٦ ، وانظر بابا خاصا في الوصة هو المراجعة رقم ٦٨.

(٢) انظر فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ص ١٣ .

(٣) الكافي ج١ ص ٢٣٣ . (٤) الملل والنحل ج١ ص ١٦٣ .

(٥) صحيح البخاري جـ ٧ صـ ٧١ .

(٦) المراجعات صـ ١٦٢ وانظر أضواء علي خطوط محب الدين العريضة لعبد الواحد الأنصاري صـ ٩٨.

أ ـ أن النبي ﷺ لم يؤمر علي علّي أحدا من الصحابة ، فحيثما انفرد عن النبي ﷺ في غزوة أوسفر كان هو الأمير [1].

ب ـ أن الرسول ﷺ أرسل عليا بسورة براءة ليقرأها علي الناس في الحج مع أن أمير الحج هو أبو بكر رضي الله عنه حينئذ فأرجعه كما يزعم عبد الواحد الأنصاري [2].

والواقع أن فضائل الإمام علي مما يتباهي به أهل السنة . ويحرصون علي ذكرها ، إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة علي ما زعموه .

فأما قولهم إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان ، وأن الرسول بيّنه .. فصحيح أن الرسول ﷺ بينّه بمقدمات كثيرة تدل علي استخلافه لأبي بكر ، وإن كان هناك خلاف بين أهل السنة هل بين الرسول ﷺ خلافه أبي بكر بالنص الصريح أو الإشارة إلا أن أسعدهم بالدليل من قال إنها ثبتت بالنص والإشارة معا .

ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه .

قالت : أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ كأنها تقول الموت .

قال ﷺ : إن لم تجديني فأت أبا بكر [3].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « اقتدوا بالّذين من بعدي أبي بكر وعمر » [4].

---

(١) الملل والنحل جـ١ صـ ١٦٣ .

(٢) أضواء علي خطوط محب الدين ص ٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري ج٧ ص ١٧ ، ومسلم ج٤ ص ٢٤٩ .

(٤) أخرجه الترمذي ج٥ ص ٦٠٩ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت لي رسول الله ﷺ في مرضه : ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر (١).

وأحاديث أخرى كثيرة عرف منها الصحابة أحقية الصديق بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ ، وليس للشيعة في دفعها إلا الكذب والبهتان ، وليس معهم أي دليل عن علي رضي الله عنه ثابت يدعي فيه أن الرسول ﷺ نص على استخلافه كما شهد بذلك المنصفون من الشيعة أنفسهم في كتبهم (٢). ولو قال على ذلك لما كذبه أحد من الناس ، وكان علي يعلم أن الخلافة ليست بالوراثة ، وإنما تكون إذا اجتمع رأى أهل الحل والعقد من المسلمين على اختيار من يتولي الخلافة ، ثم تعقب ذلك المبايعة العامة في المسجد كما جرى عليه الأمر من قبل.

وقد رد على من قالوا له استخلف علينا ـ كما يرويه ابن كثير ـ فقال لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم علي خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ (٣).

والشاهد في هذا النص أن عليا لم يذكر نصا من الرسول ﷺ على ولايته .. وفيه شاهد أيضا على اعترافه بفضل أبي بكر رضي الله عنه .

ويزيد هذه الحقيقة وضوحًا ما روي أن العباس عم الرسول ﷺ طلب إلى علي أن يتحدث ويطلب إلي رسول الله ﷺ في مرضه ليوصي لبني هاشم بالخلافة ، أو يوصي بهم الناس فأبى علي ذلك وقال : لو منعناها رسول الله ﷺ لم يعطها لنا أحد بعده .

---

(١) أخرجه مسلم ج٥ ص ٢٤٨ .

(٢) انظر الشيعة والتصحيح للموسوي ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٣) انظر البداية والنهاية ج٨ ص ٣٢٥ .

وهذا يدل على بعد نظره وقوة فهمه رضي الله عنه ، فلو كان يعلم نصا في ذلك لما تردد في إعلانه وقد دعت الضرورة إليه بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد ثبت عنه ، بل أعلن على منبر الكوفة أمام جمهور أتباعه أن الخلفاء الثلاثة من قبله هم أفضل هذه الأمة بعد نبّيها ﷺ : « أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميته » .

وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر » ثم عثمان ثم عثمان » [1].

وحينما تمت مبايعة الحسن بعد استشهاد الإمام علي لم يذكر فيها تصريحا ولا تلميحا أن هناك نص من أبيه على مبايعته ، وإنما كان أول من تقدم لمبايعته قيس بن سعد بن عبادة قائلا له : « ابسط يدك أبايعك علي كتاب الله وسنة نبيّه» فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده[2]، ولو أن الحسن يعرف نصا على استخلافه لماجاز له ترك الخلافة ولا السكوت عن إخبار الصحابة به وإعلامهم بحقيقة الأمر ليخرج أقل ما يقال من اثم الكتمان ، إذا أغفلنا النظر عن حقيقة هامة وهي أنه كان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم .

وإذا كان الحسن قد تنازل عن الخلافة لمصلحة المسلمين وحقن دمائهم ، فإنه من الكذب أن يقال أنه أوصي للحسين من بعده ، فكيف يوصي بها للحسين وقد تنازل عنها ، وصارت حقا لغيره ، وإذا كان هو زهد عنها وكرهها، فكيف يرضاها لأحد من أهل بيته؟

وإذا كان تنازله عنها لحقن الدماء ... أفيوصي بسفكها بعد موته ؟

إضافة إلى أنه لايوجد لأحد من أهل البيت نص ثابت يدل على دعوى ثبوت الخلافة فيهم ، لاعن الحسن ، ولاعن الحنسين ، ولا عن غيرهما من أهل البيت لافيهم ، ولافي غيرهم ، وقد وجد من المسلمين من كانت له ميول قوية

---

(١) انظر البداية والنهاية ج٨ ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) انظر البداية والنهاية ج٨ ص ١٤ .

في إسناد الخلافة إلى من يصلح لها من آل البيت خصوصا حينما أسندت إلى بعض بني أمية الذين ماكانوا في المنزلة المرضية بمقارنة بعضهم بآل البيت ، وتجلي ذلك كثيرا حينما تولي الخلافة يزيد مع وجود الحسين وغيره من كبار آل البيت.

ثم ما كان لبعض الولاة من الأمويين من معاملة سيئة لبعض أهل البيت. إضافة إلى تلك الطريقة التي كان يتم بها نقل الخلافة دون اختيار ولا مشورة، ومع ذلك كله فإنه لم يزعم أحد من بني هاشم أن لدية أيّ نص من الرسول ﷺ لعلي يعطي له ولبنيه الحق في تولي هذا الأمر من بعده أو توارثه في أعقابهم ولا أعقاب أعقابهم كما قرره علماء الشيعة.

ومما لاشك فيه أن الأحداث السيئة التي تلاحقت بآل البيت خصوصا استشهاد الحسين مما أثار في النفوس تعاطفا قويّا نحو آل البيت ، وقد ظهر هذا التعاطف في كثير من الأمور أنه كان لمصلحة بعض المغامرين الذين يتطلعون إلى تحقيق أهداف لهم كما فعل المختار وغيره ممن تظاهر بالتشيع وحب أهل البيت ليصل إلى غرضه من أقرب الطرق .

وأما استدلالهم بقوله ﷺ : « **من كنت مولاه .. فعلي مولاه** » ... فجوا به أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعني الإمارة . فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالي وسنة نبيه ، وأن المؤمنين أولياء لله ، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالي رسوله .

كما أن الله ورسوله والذين آمنوا أولياء المؤمنين ، وليس معناها أن من كان وليا لآخر كان أميرا عليه دون غيره ، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس ، قال تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله مولي الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين** ﴾[3] .

---

(١) التوبة ٧١. (٢) محمد : ١١ . (٣) التحريم : ٤ .

وولاية علي رضي الله عنه واجبة علي كل أحد من جنس موالاة المؤمنين بعضهم بعضا ، فكل من كان الرسول ﷺ مولاه فعلي مولاه ، ولاشك فالذي لايتولي الرسول ﷺ لايكون وليّا لعلي رضي الله عنه ، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاه ، أي أميرا عليه فعلي مولاه أي أميرا عليه ، لأن معناه لايوحي بهذا .

وأما استدلالهم بحديث « أقضاكم علي » فالجواب أنه علي فرض صحته ليس فيه نص علي الخلافة لعلي ، فإن معرفة الإنسان بشيء لايلزم أن يكون هو المتولي له ، فلا يلزم من معرفة الشخص للقضاء أن يكون هو الحاكم أو الخليفة للمسلمين .

وصحيح أن معرفة القضاء أمر مهم في الحكم إلا أنه ليس من شرط الإمامة أن يكون أعلم الناس بالقضاء ، وقد جاء في القرآن الكريم أن داود عليه السلام كان هو الخليفة ، ومع ذلك خفي عليه إصابة الحكم في بعض القضايا ، وفهمها سليمان كما أخبر الله بذلك.

في قصة التحاكم في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم :﴿ **ففهّمناها سليمان** ﴾ ولم يوجب هذا الموقف أن يكون سليمان هو الخليفة في عهد أبيه .

ولو كان الحديث يؤدي إلى مافهم الشيعة لوجب على الناس تغيير الحكام باستمرار كلما وجد شخص أعرف من غيره .

وأما استدلالهم بحديث « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** » .

فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ ، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله .

وسبب الحديث يوضح مراد النبي ﷺ وذلك أن الرسول ﷺ حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك عليّا في المدينة للنظر في أمور المسلمين فقال بعض

المنافقين في المدينة إنما خلف عليّا لأنه يستثقله ولا يحبه .

فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف[1] وأخبره بقول المنافقين . فقال له رسول الله ﷺ « **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** »، فبين له أن استخلافه علي المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، ولم يستخلف موسي هارون بغضا له أو استثقالا ، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول ﷺ وعلي رضي الله عنه ، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية ، وإنما هو من الرسول ﷺ كهارون من موسى في الوصية له، ووجوب احترامه ومعرفة فضلة .

وأما استدلالهم بأن الرسول ﷺ كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة، ولم يؤمر على عليّ أحدا .

فجوابه

١ ـ أن الرسول ﷺ قد وليّ أبا بكر أمورا كثيرة لم يشركه فيها أحد مثل ولاية الحج والصلاة بالناس ، وغير ذلك .

٢ ـ أن النبي ﷺ قد وليّ من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وخالد بن الوليد، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ لم يترك ولاية أبي بكر في بعض الأمور لكونه ناقصا عن هؤلاء .

وقد وليّ الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة كما وليّ غيره في بعض أمره، فلم ينفرد علي رضي الله عنه بالولاية .

٣ ـ ربما ترك الرسول ﷺ ولايته في بعض الأمور لأن بقاءه عنده أنفع له منه في

(١) الجرف مكان معروف كان خارج المدينة علي طريق تبوك ، والآن قربت المساكن في المدينة أن تتصل به ، ولا يزال بهذه التسمية إلى الآن .

تلك الولاية ، وحاجته إليه في المقام عنده وغناءه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في الولاية.

وأما إرساله - ﷺ - لعلى بسورة براءة فلم يكن ذلك لرد أبي بكر عن ولاية الحج، ولكن أردفه لينبذ إلى المشركين عهدهم ، وقد كانت عادتهم أن لا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع المسؤول العام أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي له هذه القرابة .

وأيضا كان علي يصلي خلف أبي بكر كسائر أهل الحج . ومن قال أن الرسول ﷺ أرسل عليا لرد أبي بكر عن إمارة الحج فقد كذب بإتفاق أهل العلم. فإن المهمة التي كلف بها عليّ إنما هي تنفيذ أمر الرسول ﷺ في إخبار المشركين بنبذ العهد الذي بينهم وبين المسلمين كما أمر الله تعالى[1] .

ثانيا : دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء

هذه إحدى خرافات الشيعة في أئمتهم فقد ادعوا عصمتهم من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر ، لاخطأ ولا نسيانًا منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم وجوبالاشك فيه .

سبب ذلك :

وعند البحث عن سبب هذا الاعتقاد الذي جعلهم ينزلون أئمتهم هذه المنزلة المستحيلة ، نجد أن الذي حملهم علي ذلك هو أن العصمة عندهم شرط من شروط الإمامة [2]،ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلوا فاحشا إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء لأنهم نواب أفضل الأنبياء .[3]

---

(١) انظر كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالي .
الصفحات : ص ٨٧ ، ومن ص ٩٢ إلى ص ٩٤ ، وص ٢٢١ ، ومن ص ٨٤ إلى ص ٨٧ .

(٢) كما نص على ذلك الطوسي في كتاب الغيبة ص ٤/٣ .

(٣) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٨٤

ثم زادوا فأدعوا لهم أنهم يعلمون الغيب(١)،إلهيا يحل فيهم، وإذا كان الأمر كذلك فالعصمة أمر طبيعي أن توجد فيهم .

إضافة إلى ذلك قالوا إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة ، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هاد آخر ، وهكذا فيلزم التسلسل ، فقطعا للتسلسل ينبغي أن يكون كل إمام من أولئك معصوم في وقته حسب زعمهم حتى يؤمن على حفظ الشريعة ، وإلا احتجنا إلى حافظ آخر، إذ كيف يؤتمن على الشريعة شخص معرض للخطأ (٢).

كذلك من الأسباب أيضا في استنادهم في القول بعصمتهم إلي ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم ، فقد نقل الكليني فيما يكذب الشيعة على آل البيت أن جعفر الصادق قال : « نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون ، أمر الله بطاعتنا ، ونهى عن معصيتنا ... نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض ».

وفي رواية أنه قال لرجل اسمه سدير حين سأله بقوله : جعلت فداك ، ما أنتم ؟ قال: نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض (٣).

وادعاء الشيعة لأئمتهم علم الجفر هو غلو آخر منهم ، وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والمحتوي على كل ما كان وما يكون كليا وجزئيا، وأنه علم يتوارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم ، ويأخذ منهم المشائخ الكاملون،

---

(١) انظر كتاب الحجة من الكافي ونصه : « باب أن الأئمة يعلمون علم ماكان وما يكون ، وأنه لا يخفي عليهم شيء صلوات الله عليهم جـ١ صـ ٢٠٣ لترى الغلو في الأحاديث التي أوردها وسماها أحاديث أيضا ، وانظر أيضا باب نادر فيه ذكر الغيب ص ٢٠٠ ج١ لترى النصوص علي أن الأئمة يعلمون الغيب .

(٢) انظر كتاب الغيبة ض ١٥ .

(٣) الكافي،كتاب الحجة ج١ص١٤٩.

وكانوا يكتمونه كل الكتمان .

ويذكر الجرجاني أن الجفر والجامعة كتابان ذكر فيهما على طريقة الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم كما يدعي هؤلاء الغلاة .

وقيل إن الجفر كتاب وضعه جعفر الصادق ، وهو مكتوب على جلد الجفر لأخبار أهل البيت .

وقال ابن خلدون إن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه ، لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وهذا لاشك من الكذب الذي اختلقه غلاة الشيعة في أئمتهم ، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ، ولم يكتب الله لأحد علم المغيبات .

ولقد جاء الكليني بالغرائب عن أبي عبد الله تحت باب سماه هكذا: «باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام[1]»حيث عرّف بالصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة في حديثة الآتي « عدة من أصحابنا... عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله فقلت له: جعلت فداك، إني أسالك عن مسألة ، ههنا أحد حتى يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله « ع » سترا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ، ثم قال يا أبا محمد: سل عما بدا لك ؟ قال قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علمّ عليا بابا يفتح له منه ألف باب ؟

قال : فقال يا أبا محمدعلمّ رسول الله ﷺ عليا « ع » ألف باب ، يفتح من كل باب ألف باب .

قال : قلت، هذا والله العلم .

---

(١) المصدر السابق صـ ١٨٤ .

قال : فنكت ساعة في الأرض ، ثم قال إنه لعلم ، وما هو بذلك .

قال ثم قال : يا أبا محـمد ، وإن عندنا الجامعة ، وما يدريهم ما الجـامعة؟ قال قلت: جعلت فداك ، وما الجامعة ؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ، وإملائه من فلق فمه، وخط علي بيمينه ،،، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش . وضرب بيده إلي وقال أتأذن لي يا أبا مـحمد ؟ قال: جعلت فداك، إنما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال فغمزني بيده وقال حتى أرش هذا كأنه مغضب .

قال: قلت : هذا والله العلم .

قال : إنه لعـلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعـة . ثم قال ، وإن عندنا الجـفر ، وما يدريهم ما الجفر ؟

قال : وعاء من أدم فـيه علم النبين والوصيين ، وعلم العلمـاء الذين مضوا من بني إسرائيل .

قال قلت ، إن هذا هو العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذاك ثم سكت ساعـة ، ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟

قال قلت ، وما مصحف فاطمة (ع) ؟

قال : مصحف فيه مـثل قرآنكم هذا ثلاث مـرات ، والله ما فـيه من قـرآنكم حرف واحد.

قال قلت ، هذا والله العلم .

قال : إنه لعلم ، ومـا هو بذاك ، ثم سكت ساعة ، ثم قـال : إن عندنا علم ما

كان ، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قال قلت : جعلت فداك . هذا والله هو العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذاك .

قال قلت ، جعلت فداك ، فأي شيء العلم ؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار،الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»(1).

ثم أورد روايات أخرى كثيرة ، ولا نملك إزاء هذه الخرافات إلا أن نقول «سبحانك هذا بهتان عظيم » .

ولا تستغرب أيها القاريء الكريم حين يتحدثون ويكذبون على أبي عبدالله، فقد كذبوا حتى على حمار رسول الله ﷺ عفير ، حيث أورد الكليني في ذلك رواية طويلة قال في آخرها :

إن حمار رسول الله ﷺ عفير كلم رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، إن أبي حدثني عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة، فقام إليه نوح فمسح علي كفله ، ثم قال : يخرج من صلب هذا الحمار ، حمار يركبه سيدا النبين وخاتمهم ... فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار (2).

وكانت نهاية هذا الحمار فيما يذكر الكليني أنه حين مات الرسول ﷺ قطع الحمار خطامه ، ثم فرّ يركض حتى أتي بئر بني خطمة بقباء فرمي بنفسه فيها، فكانت قبره .

إنهم لا يتورعون عن الحديث حتى على الحيوانات فما بالك بأئمتهم؟

ومن كلام الخمينى وهو أحد أئمتهم في هذا العصر قوله عن هذه الخرافة:

---

(1) الكافي ج1 ص ١٨٥ .   (2) المصدر السابق ص ١٨٤ .

«نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون ، بدءا من علي بن أبي طالب، وختما بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان ، عليه وعلى آبائه آلاف التحيه والسلام » وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الأمور (١).

وقد أعان الله علي الكاذب بالنسيان - كما يقال - إذ توجد لهم روايات في كتبهم يخبرون فيها عن بعض أهل البيت من الأئمة وفيها اتهامات لهم وذم في مقابل ذلك الغلو فيهم فيصفونهم أحيانا بقلة العلم ، وأحيانا أخرى بالغفلة والتناقض في أفكارهم أيضا . بل ويصفونهم بصفات شنيعة مما يكذب هذه العلامات والشروط التي تصوروا وقوعها في كل إمام من أئمتهم .

قال الطوسي في ذم جعفر بن علي بعد سباب كثير له قال فيه : « وما روى فيه وله من الأقوال والأفعال الشنيعة أكثر من أن تحصى ننزه كتابنا عن ذلك»(٢).

ثم انظر تفضيل الخميني لإيران في عصره على الحجاز في عصر الرسول الله ﷺ ، وعلى الكوفة والعراق في عهد علي رضي الله عنه ، حيث قال: «إنني أقولها بجرأة أن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ﷺ ، وشعب الكوفة، والعراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي » (٣).

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم

أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوما ، فإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد، وحفظ الأمن والرجوع إليه عند الاختلاف ، وغير ذلك ، وليس من شرط بقائه فى الحكم يكون معصوما . ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتما في كل

---

(١) الوصية الإلهية للخميني ص ٥ .
(٢) كتاب الغيبة ص ١٣٧ .
(٣) الوصية الإلهية ص ١٦ .

قضيــة، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقــدر الإمكان ،ولا مانع بعد ذلك أن يخطيء ويصيب كبقية الناس .

وادعائهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع .

وكذلك زعـمهم أنه لابد من إمام معـصوم للناس ، فإنه لا يكفى إمـام واحد فإن البلدان متبـاعدة ، ووجـود إمام واحـد في كل عـصر لا يكـفى للجمـيع، فـوجب إذا أن يكون في كل بلد إمـام معـصوم يبـاشر الحـكم بنفسـه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحدا مكانه لجواز الخطأ عليه ، وفى هذا من العنت ما لا خفاء فيه .

ولو طلب من هؤلاء الشيـعة الذين يدّعـون عصـمة أئـمتـهم أن يأتوا بدليل واحـد من القرآن أو من السنة النبـوية أو عن الصـحابة ، أو عن إجـماع الأمـة لما استطاعوا إلى ذلك سـبيلا ، إذا القرآن الكريم لم يصرح بعصـمة أحد ، بل أثبت أن المعـصيـة من شأن الإنسـان ، فإنهـا قد صـدرت من آدم الذى هو أبو البشـر، وأخبر عن موسى بأنه قتل ، وعن يونس أنه ذهب مغاضبا .

وفـيه عـتاب من الله تعـالى لبعض أنـبيـائه ورسله بسبب تصـرفات صـدرت منهم.

وورد فى السنة النبـوية مـا يشـير إلى ذلـك في وقائع صـدرت من الرسـول الكريم ﷺ كما قـال تعالى : ﴿ **عفـا الله عـنك لم أذنت لهم** ﴾ ، ومـا ورد في عتابه عن أخذهـم الفداء من أسارى معركة بدر ، وغيـر ذلك مما هو معروف فى الكتاب والسنة وأقوال علماء الإسلام.

ومن العـجيب أنه قـد صرح كـل الأئمة بعـدم عـصـمتهم في كثـيـر من المناسبات، ثم يروي الشيعة بعض ذلك فى كتبهم ، ثم لا يأخذون بها .

روى الكليني في باب التسليم على النساء ، عن علي رضي الله عنه أنه كان

يكره التسليم على الشابة منهن ويقول « أتخوف أن يعجبني صوتها، فيدخل على أكثر مما أطلب من الأجر »(١) .

وكان يقول لأصحابه : « لا تكفوا عن مقالة بحق ،أو مشورة بعدل فإني لست آمن أن أخطيء »(٢) .

ورووا كذلك أن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كان يبدى الكراهة من صلح أخيه الحسن مع معاوية ، ويقول . لو جز أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي(٣).

ومن المعلوم أنه إذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة، فأين العصمة بعد ذلك ؟

ثم إن دعوى عصمة أحد من الناس ـ إلا ما ورد فيه الخلاف في عصمة الأنبياء ـ دعوى تعارض الطبيعة البشرية المركبة من الشهوات ، كما أنه لا يمدح الإنسان لأنه معصوم ، بل يمدح لأنه يجاهد نفسه على فعل الخير كما أخبر الله بذلك في أكثر من موضع من كتابه الكريم ، ولهذا رتب الله الجزاء على حسب قيام الشخص بما كلفه الله به وأعطاه القدرة والإرادة ليكون بعد ذلك طائعا أو عاصيا ، فاعلا أو تاركا ، ولو عصم الله من المعاصي أحدا ـ غير الأنبياء ـ لما كان للتكليف معنى ، بل حتى الأنبياء كلفهم الله تعالى ولم يرفع الله عن أحد التكليف وامتثال أمره ونهيه ما دام الشخص في كامل عقله وصحته ، ولو لم يكن الإنسان محلا للطاعة والعصيان لما كان للتكليف معنى .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣ ، ولو كان علي يدعي العصمة لنفسه كما يزعم جهال الشيعة لما خاف الإثم .

(٢) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ١٢١ .

(٣) المصدر السابق ، نفشس الجزء والصفحة

ثالثا : تدينهم بالتقيّة

التقية فى اللغة يراد بها الحذر . يقال توقيت الشيء أي حذرته .

والتقية في مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن .

أى أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة فى خداع الناس ، لا التقية التى أباحها الله للمضطر المكره (١) .

وقد ذمهم فى هذا الموقف بعض علماؤهم الذين يحبون الإنصاف ، فهذا الدكتور موسى الموسوى يقول :

« لقد أراد بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ أن يدافعوا عن التقية ، ولكن التقية التى يتحدث عنها علماء الشيعة وأملتها عليها بعض زعماتها هي ليست بهذا المعنى إطلاقا ، إنها تعني أن تقول شيئا وتضمر شيئا آخر ، أو تقوم بعمل عبادى أمام سائر الفرق وأنت لا تعتقد به ، ثم تؤديه بالصورة التى تعتقد به في بيتك»(٢).

ونجد مصداق هذا في أصح الكتب عندهم حيث يروى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال : « خالطوهم بالبرانية ، وخالفوهم بالجوانية » (٣) .

وللتقية عند الشيعة مكانة مرموقة ، ومنزلة عظيمة فقد اعتبروها ـ على حسب المفهوم االسابق عندهم ـ أصلا من أصول دينهم لا يسع أحدا الخروج عنها، وقد بحشوها في كتبهم كثيرا ، وبينوا أحكامها وما ينال الشخص من الثواب الذى لايعد ولا يحصى ـ ولا يصدق ـ لمن عمل بها ، وعامل الناس بموجبها فخدعهم وموّه عليهم ، وكم تأثر الناس وانخدعوا بحيل هؤلاء الذين جعلوا التقية مطية لهم .

---

(١) انظر الخطوط العريضة ص ٧ ، الشيعة في الميزان ص ٨٦ ، الشيعة وتحريف القرآن ص ٣٦ .

(٢) انظر الشيعة والتصحيح ص ٥٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٧٥ .

ولبيان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية :

١ ـ التقية أساس الدين ، من لا يقول بها فلا دين له .

روى الكليني عن محمد بن خلاد قال سألت أبا الحسن (ع) عن القيام للولاة فقال : قال أبو جعفر (ع) : « التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له »(١) .

وفيما يرويه عن أبى عبد الله أنه قال لأبى عمر الأعجمي : « يا أبا عمر ، إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له »(٢) .

بل وصل اعتناؤهم بالتقية إلى حد تأويل الأيات عليها ، مثل قوله تعالى : ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**﴾ قال أبو عبد الله ـ كما زعم الكلينى ـ : «الحسنة التقية، والسيئة الإذاعة » (٣) .

٢ ـ اعتقدوا أن التقية عز للدين ، ونشره ذل له . كما روى الكلينى عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله : « يا سليمان ، إنكم على دين من كتمه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله » (٤) .

ولا شك أن هذا قلب للحقائق ، فإن الله عز وجل طلب من الناس جميعاً نشر العلم وبيانه.. وقد قال الله عز وجل :﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ (٥) ، وقال الله:﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾(٦).

وقد امتثل الرسول ﷺ أمر ربه فلم يكتم من العلم شيئا ، بل وطلب إلى أمته أن ينشروا العلم بكل وسيلة ، فقال ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية** »(٧)، وقال:

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٤ .
(٢) المصدر السابق ج٢ ص١٧٢ .
(٣) المصدر السابق ج٢ ص ١٧٣ .
(٤) المصدر السابق ج٢ ص ١٧٦ .
(٥) المائدة ٦٦ .
(٦) الحجر ٩٤ .
(٧) صحيح البخارى ج ٦ ص ٤٩٦ .

«نضر الله امرءا سمع منّا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»(1).

وقد أثنى الله في كتابه الكريم علي الصادقين الشجعان الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، فقال عز وجل ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله**﴾(2).

وقال تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفوراً رحيما** ﴾(3).

كما ذم الله تعالى المنافقين المخادعين للناس فقال تعالى : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله.والله يعلم إنك لرسوله. والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾(4).

وقال تعالى : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون** ﴾(5).

وليس من هدي الإسلام استحلال الكذب على طريقة الشيعة ، فالرسول ﷺ يقول: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور،وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** »(6).

---

(1) لهذا الحديث طرق كثيرة استوعبها الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه « دراسة حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتي» .

(2) الأحزاب ٣٩ .

(3) الأحزاب ٢٣ .

(4) المنافقون ١.

(5) البقرة ١٤ .

(6) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٠١٣ .

٣ ـ جعل الشيعة ترك التقية مثل ترك الصلاة تماما . قال القمي : « التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة »(١). وهذا من أغرب الأقوال فإن التقية رخصة جعلها الله في حالة الضرورة القصوي ، بشرط أن لا يشرح صدور الكفار بها فكيف يعاقب من تركها ، بل قال البغوى : « والتقيّة لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية ، قال تعالى :﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾(٢) .

ثم هذا رخصة ! ، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم » (٣) .

٤ ـ حدد الشيعة لجواز ترك التقية بخروج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر) .

قال القمي : « التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى ، وعن دين الإمامية ، وخالف الله ورسوله والأئمة»(٤).

والحقيقة أن من تركها لا يخرج إلا عن دين الإمامية فقط وعن خرافاتها .

٥ ـ حرفوا معاني الآيات إلى ما يوافق هواهم ، وكذبوا على آل البيت .

قال القميّ : « وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجلّ ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ قال : أعلمكم بالتقية(٥) ، أى على هذا التفسير أكرمكم هو أكذبكم على الناس .

٦ـ زعم الشيعة أن المعيار الصحيح لمعرفة الشيعى من غيره هو الاعتقاد بالتقية.

---

(١) نقلا عن الشيعة والسنة ص ١٥٧ ، عن الاعتقادات ، فصل التقية للقمي .

(٢) النحل ١٠٦ .

(٣) تفسير البغوى ج١ ص ٢٩٢ .

(٤) الشيعة والسنة ص ١٥٧ .

(٥) الشيعة والسنة ص ١٥٧ . نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي .

وينسبون إلى الأئمة المعصومين - فى زعمهم - أنهم هم الذين قالوا هذا الكلام .

فقد رووا عن الحسين بن على بن أبى طالب الإمام الثالث أنه قال : « لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا » (١) .

ومعنى هذا أن معرفة خداع الناس ، والمبالغة فيه هو الذى يميز الشيعة عن غيرهم .

٧ - ساوى الشيعة بين التقية وبين الذنوب التى لا يغفرها الله كالشرك .

فرووا عن عليّ بن الحسين الإمام الرابع أنه قال : « يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه فى الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ، ترك التقية ، وترك حقوق الإخوان»(٢) :

ولكن الله تعالى قد قال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾(٣) .

وهذه المواقف للشيعة تجعل من الصعوبة بمكان التفاهم المخلص بينهم وبين المخالفين لهم - خصوصا أهل السنة - وذلك أن الشيعيّ إذا رأى أنه فى موقف الضعف لجأ إلى التقية، وفى هذه الحال له من الأجر الذى قدّره الشيعة ما يعادل مصافحته لعليّ رضي الله عنه أو الصلاة خلف نبي من الأنبياء (٤) كما افتروا على الله وعلى رسوله .

وأقرب مثال على عدم حصول التفاهم تلك المحاولات التى قامت للتقريب بين الشيعة وأهل السنة ثم خابت الآمال وتيقن أهل السنة أنه لا وفاء ولا إخلاص ولا صدق عند أولئك الذين يتعبدون الله بالتقية .

---

(١) الشيعة والسنة ص١٥٧ .نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي. (٢) المصدر السابق ص١٥٨.
(٣) النساء ١١٦ . (٤) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٩٠ .

أسباب قول الشيعة بالتقيّة

اختلفت كلمة الشيعة في الأسباب الحاملة لهم على التمسك بالتقية، واعتبارها أساسا في الدين.

وفيما يلي نوجز أهم ما قيل فيها:

١ ـ قالت طائفة أن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو الإخوان.

٢ـ وقالت طائفة إن التقية تجب لأنها فضيلة، والفضائل يجب التحلى بها، وسواء كانت التقية للحفاظ على النفس أو لغير ذلك فهي واجبة في نفسها، وصاحبها أعرف بحاله كما روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: «التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحلّه الله له»(١)

٣ـ والحق أنهم أوجبوا التقية لظروف أحاطت بهم، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالاتكاء على دعوى التقية.

ومن ذلك:

أ ـ أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم يختلفون في الشيء الواحد، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبررا لذلك التناقض فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية.

وهذه الأقوال أكثرها من أكاذيب رواتهم. ليست من الأئمة الذين عرفوا بالشجاعة والصراحة، كما صرح بذلك أحد علماء الشيعة المنصفون (٢).

ب ـ ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم الشيعة ويعتبرونهم كفارا، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية.

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) الشيعة والتصحيح ص ٥٨.

ومهما كان ، فإن التقية التى يراها الشيعة لا يجوز اعتقادها فى الإسلام لأنها قائمة على الكذب والخداع .

وما رووه عن الأئمة وأنهم كانوا يلجؤون إليها كذب ، بل كذّبوا أنفسهم بأنفسهم حيث يذكرون روايات كثيرة لأناس سألوا بعض الأئمة المعصومين- حسب زعمهم - عن مسائل فأجابوا فيها بجواب ، ثم سألوهم بعد مدة فأجابوا فيها بجواب آخر دون أن يوجد أى داع للتقية لصدور تلك الإجابات المختلفة من إمام واحد ، عن مسألة واحدة بين خاصة الإمام وشيعته وأنصاره كما صرحت بهذا مصادرهم ... وهذا اعتراف منهم بأن الأئمة لا يلجؤون إلى التقية بسبب الخوف وإنما هو بسبب الجهل ، ولا شك أن هذا طعن شنيع في أولئك الذين يدعون عصمتهم .

فانظر إلى ما أورده النوبختى عن عمر بن رباح ، وما أورده عنه أيضا الكشيّ في رجاله أنه سأل أبا جعفر (ع) عن مسألة فأجاب فيها بجواب ، ثم عاد إليه فى عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجاب فيها بخلاف الجواب الأول . فقال لأبي جعفر هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ؟ فقال له إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشككك في أمره وإمامته .

فلقى رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له محمد بن قيس فقال له إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابنى فيها بخلاف جوابه الأول » فقلت له لم فعلت ذلك ؟ فقال فعلته للتقية، وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به ، فلا وجه لاتقائه إياى وهذه حالي .

فقال محمد بن قيس : فلعلّه حضرك من اتقاه ؟

فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيرى ، لا ولكن جوابيه جميعا خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي

فيجيب بمثله ، فرجع عن إمامته وقال : « لا يكون إماما من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ،ولا يكون إماما من يفتى تقية بغير ما يجب عند الله »(١).

وما أحسن ما أجاب به سليمان بن جرير الشيعي عن تخليط الشيعة في تمسكهم بالتقية ليجعلوها مخرجا لأكاذيبهم على أئمتهم حيث قال كما يرويه عنه النوبختى ، وهو من كبار علماء الشيعة :

« إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معها مَنْ من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما القول بالبداء وإجازة التقية فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها فى العلم فيما كان ويكون ، والإخبار بما يكون فى غد ، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم ألم نعلمكم أن هذا يكون . فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ماعلمت ، وإن لم يكن ذلك الشيء الذى قالوا إنه يكون على ما قالوا لشيعتهم بدا لله فى ذلك بكونه.

وأما التقية ، فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها ، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ماسألوهم وكتبوه ودوّنوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة بتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ، ولا في شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة فوقع فى أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة ، وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة .. فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه ، وأنكروا عليهم ، فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟

---

(١) فرق الشيعة ص ٨٠ ، ٨١ .

قالت لهم أئمتهم إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك إلينا ، ونحن أعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم ، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ؟ ومتى يعرف لهم حق من باطل»(١).

ولا شك أن هذه صراحة تامة وشهادة على الشيعة منهم، وهذا التخليط إنما هو إفك علمائهم لا من الأئمة الذين ينتسبون إليهم مثل جعفر الصادق وغيره، وقد حاول محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على كتاب النوبختي إيجاد مبررات ورد لهذا القول ، لكنها مبررات واعتذارات مثل بيت العنكبوت.

أدلة الشيعة على جواز التقية

تلمس الشيعة لمبدأ التقية بمفهومهم لها نصوصا حملوها ما لم تحتمله من المعاني التي يعتقدون أنها تؤيد ما يذهبون إليه .

ومن تلك الأدلة التي تمسكوا بها ما ذكره بحر العلوم في تعليقه على فرق الشيعة للنوبختي بقوله : « التقيّة مما دل على وجوبه العقل إذا كانت لدفع الضرر الواجب ، وقد دل عليه أيضا القرآن العظيم ، ثم نقل عن الطبرسي بعض الآيات يحتج بها(٢) .

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾(٣) .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم** ﴾ (٤) .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ (٥) .

(١) ا انظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥- ٨٧ .
وانظر تعليق بحر العلوم في الصفحة ٨٧ .
(٢) انظر فرق الشيعة تعليق ص ٨٥ / ٨٦ ، وانظر الكافي ج ٢ ص ١٧٢ .
(٣) البقرة ١٩٥ . (٤) الصافات ٨٨ . (٥) آل عمران ١٦ .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ [١] .

وفى هذا يقول محمد مهدى الحسيني الشيرازى عن الشيعة : وهم يرون التقية لقوله سبحانه ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ [٢] .

والواقع أن استدلالهم بهذه الآيات على التقية التى يرونها استدلال خاطيء، وهذه الآيات وآيات أخرى كثيرة ليس فيها دلاله للشيعة على التقية التى هي بمعنى الكذب واستحلاله ، بل تشير إلى جواز التورية في ظاهر الكلام إذا لزمت الضرورة كقول إبراهيم عليه السلام ﴿ **إنى سقيم** ﴾[٣] أى من عملكم وعبادتكم للأوثان وليس هو من الكذب بل فيه تعريض لمقصد شرعي كما يذكر العلماء[٤] وهو تكسير آلهتهم بعد ذهابهم عنها .

وأما الاستدلال بالآية ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ فإن معناها الأمر بالاتقاء من الكفار .

قال البغوي : « ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطئن بالإيمان، دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما ، أو يظهر الكفار على عورات المسلمين»[٥].

وأما الآية ﴿ **إلا من أكره** ﴾ أى إلا من كان حاله مشرفا على الخطر، واضطر إلى القول بالكفر فله أن يتقول به من غير أن يعتقد ويعمل به بل يقول مافيه تورية ومعاريض مع طمأنينة قلبه بالإيمان ، وبحيث لا يشرح صدور الكفار بالمدح الظاهر لهم ولديانتهم ، وإنما يلجأ إلى المعاريض التى يكون فيها صادقا ولا تؤثر فى دينه ، كأن يقول لهم إنكم على معرفة ، وعندكم تقدم ظاهر، قصوركم

---

(١) النحل ١٠٦ .

(٢) قضية الشيعة ص ٦ .

(٣) الصافات ٨٩ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٣ .

(٥) انظر تفسير البغوى ج١ ص ٢٩٢ .

عالية ، وبساتينكم مثمرة ، ويريد به أنهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الأخرة هم غافلون »

قال ابن جرير في معنى الآية ، بعد أن ذكر أنها نزلت في عمار بن ياسر رضى الله عنه : « فتأويل الكلام إذن ، من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح على عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم»(١). ومن الجدير بالذكر أن هذه التقية الشيعية الباطلة لم يقصروها على الناس فقط بل جوزوها حتى على الأنبياء ، وهذا خطأ وخلاف الحق ، فإن الأنبياء لا يسلكون التقية التي يريدها الشيعة ، و لا تجوز أبدا ، فالكذب لا يجوز عليهم ، وكتمان الحق وإظهار الموافقة للكفار ،كذلك لا يجوز لهم وإلا لما انتشرت دعوتهم ، ولما ظهر الخلاف بينهم وبين أقوامهم ، ولما حصل عليهم من المتاعب والأخطار ما حصل مما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم مما لم يكن ليقع أبدا لو استعمل الأنبياء التقية الشيعية المملوءة جبنا ونفاقا ، وحاشا أن يسلكوا ذلك .

وقد يقول بعض الشيعة في احتجاجهم بالسنة أننا نجد أن محمدا ﷺ كان يلين القول ويبتسم في وجوه بعض الفسقة والظلمة وهذا كما يرى هؤلاء تقية .

والواقع أن هذه الأفعال التي صدرت عن النبي ﷺ إنما كانت من باب المداراة، ومن باب حسن الخلق وتأليف القلوب مع أنه حصل مثل هذه المواقف لاناس ما كان الرسول ﷺ يخاف من جانبهم شيئا حتى يقال إنها تقية منه لهم ثم لم تكن هذه المداراة في أمور الدين إذ لم يعرف عن أحد من الأنبياء أنه دارا أحد في دينه ، وإنما هو حسن الخلق ومقابلة الناس بالبشر مع تألفهم لأقوامهم،

---

(١) انظر جامع البيان ج ١٤ ص ١٨٢

ولا ينافي هذا أن يقع في القلب كراهية ما هم عليه من فجور مع محبة الخير لهم وإرشادهم إليه وبذل النصح لهم بصدق وإخلاص .

وفي مختصر التحفة الإثنى عشرية فوائد في هذا المعني ارجع إليها أن أحببت الزيادة(١) .

وفى الختام نود التنبيه إلى أن ما ينسبه الشيعة إلى علي رضي لله عنه من قوله بالتقية غير صحيح بروايات الشيعة أنفسهم وتناقضهم من حيث لا يعلمون شأن كل باطل :

فقد رووا في كتبهم أن عليا كان يهدد عمر في مواقف كثيرة بل ويصل أحيانا إلى الضرب والإهانة ورفع الصوت فيما يزعمون .

وأن عليا لو شاء لخسف بعمر وبغيره ، وهذا يدل على أن عليا ما كان بحاجة إلى التقية .

ثم رووا عن عليّ أيضا أنه توقف عن بيعة أبى بكر زمنا (ستة أشهر » فلو كان يرى وجوب التقية لبايعه وأبطن الخلاف .

وعلى هذا فإنهم حين ينسبون إلى الأئمة القول بالتقية ، ثم يثبتون لهم صفات لا تليق إلا بالله يعتبر كلامهم متناقضا .

فقد روى الكلينى أن الأئمة لا يموتون إلا برغبتهم واختيارهم ، وقد أجمع الشيعة على صحة هذا .

كما روى أيضا أن الأئمة يعلمون علم كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء، ومن كانت هذه صفاته فإن التقية في حقه تعتبر جبنا وخوفا لا داعي له، وكيف يلجؤون إلى التقية وهم يعلمون كل ما سيجرى عليهم .

---

(١) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٨٨ - ٢٩٦ .

ثم يتناقض كلامهم فى القضية الواحدة تبعا لحال الإمام وظروفه ولنفرض أنهم يصادفون متاعب من مخاليفهم فهل يجمل بهم الهرب منها بالتقية وخداع الناس ؟؟ فأين فضيلة الصبر وامتثال أمر الله ، وتحمل المشاق فى سبيل الله ؟ لأن هذه هي وظيفة الأنبياء والمصلحين من الناس ، وهى فضيلة لا يليق بهم تجنبها باستحلال الكذب .

وأخيرا فإنه يلزم الشيعة أن يصفوا الحسن بن عليّ رضي الله عنه بأنه ليس له كرامة وفضل لأنه لم يلتزم بالتقية مع معاوية ، وأن المنافقين فى عهد النبى ﷺ كانوا أفضل الناس لأنهم أتقاهم أى أكثرهم عملا بالتقيّة حسب تفسير الشيعة الخاطىء[1]. ولولا شدة التعصب وتزيين الشيطان لهم أعمالهم لرأوا أن هذه الخرافات التى جعلت أعداء الإسلام يسخرون منهم من أهم ما ينبغى عليهم محاربته ، وتحرير أفكارهم من هذه الشنائع التى هي إلى الوثنية أقرب .. من أهم ما ينبغي عليهم القضاء عليه إذا أرادوا تصحيح دينهم وتحرير عقولهم من هذه المباديء البدائية .

يقول الدكتور الموسوي فى رده على علماء الشيعة :

« إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التى فرضها الإسلام على المسلمين وهي أن المسلم لا يخادع ، ولا يداهن ، ولا يعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه ، وأن العمل الحسن حسن في كل مكان ، والعمل القبيح قبيح في كل مكان .

وليعلموا أيضا أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال التقيّة ديني ودين آباءي « إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم »[2].

(١) انظر لمزيد التفاصيل مختصر التحفة الاثنى عشرية الصفحات المشار إليها سابقا ، حيث ذكر أشياء كثيرة يضيق المجال عن ذكرها .

(٢) الشيعة والتصحيح ص ٥٩ .

٤ ـ المهدية والرجعة عند الشيعة

من هو المهدى

يؤمن أهل السنة بالمهدى الذى صحت به الأحاديث ولكن غير مهدى الشيعة الخرافى الذى وصلوا فى إيمانهم به وانتظاره وترقبه إلى حد جعلهم محل سخرية العالم منهم .. وأخباره عندهم أكثر من أن تذكر ، وقد أفرده الطوسّي بكتابه المسمى « كتاب الغيبة » .

إن القول بالمهدى وانتظاره من عقائد الشيعة البارزة والأساسية ذلك المهدى الذى يزعمون أنه غاب عنهم لأسباب مؤقته

وسيرجع وسيملأ الأرض عدلا ورخاءاً كما ملئت ظلما وجوراً.(١).

ولهذا فهم يقيمون على سردا به بسامرّا الذى زعموا أنه مقيم فيه دابة ترابط دائما ليركبها إذا خرج من سردا به ، ويقف جماعة ينادون عليه بالخروج يامولانا اخرج يامولانا أخرج ، ويشهرون السلاح ، وفى أثناء مرابطتهم لا يصلون خشية أن يخرج وهم فى الصلاة فينشغلون بها عن خروجه وخدمته بل ويجمعون الخمسة الفروض ، وليس هذا فقط عند السرداب ، بل أحيانا يكونون في أماكن بعيدة عن مشهده ويفعلون هذا إما فى العشر الأواخر من شهر رمضان وأما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية ، يطلبونه خروجه مع أنه لا مهدى هناك ، وإنما هى خرافة نفذ منها ومن غيرها أعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام وتجهيل حامليه وإلا فما الداعى لمثل رفع هذه الأصوات وهذه المرابطة المضنية ؟ فإنه على فرض أن هذا المهدى موجود هناك ، فإنه لا يستطيع أن يخرج إلا بإذن الله ، ثم إذا أذن الله له فإنه يحميه وينصره وييسر له كل ما يحتاجه ، وليس هو فى حاجة إلى أولئك الغلاة الذين ضل سعيهم في الحياة

---

(١) مما ينبغى الإشارة إليه هنا هو أنه ليس للشيعة مهدى واحد ينتظرون عودته بل لهم مهديون كثيرون حسب معتقداتهم وأما مهدى الإثنى عشرية فهو ابن الحسن العسكرى كما سيأتى.

الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

فعملهم على كل الاحتمالات باطل لا يؤيده عقل ولا نقل وكيف سيملأ الله به الأرض عدلا ورخاء بعد خروجه ولا يحميه حتى تلك اللحظات عند خروجه؟ أليس هذا تناقض ؟ (١).

لأنه قد تقرر فى عقيدتهم حسبما يؤكده الكليني فى « الكافي » : أن الأرض لا تخلو من إمام حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوما فحينئذ لا يوجد حجة ، ولا تقبل توبة من أحد. ومن الغريب أن يؤكد الكلينى أيضا أنه لا يجوز السؤال عن اسمه بأى حال ، وإنه لا يسميه باسمه إلا كافر. ويكتفى عن ذكر اسمه بذكر لقبه القائم حيث لقب بذلك لأنه يقوم بعد ما يموت حسب الرواية التى أوردها الطوسى عن أبي سعيد الخراسانى عن أبي عبد الله(٢).

وأنه يحج في سنة ماشيا على رجليه ، ثم لا يرى عليه أثر السفر (٣) .

وأن أقرب ما يكون الناس إلى الله حين ينتظرون الغائب ، وأشد ما يكونون

---

(١) انظر للمزيد من أخباره كتاب الغيبة للطوسي ، وانظر كتاب الحجة من الكافي من ص ٢٦٤ - ص ٢٧٧ الأبواب التالية :

باب فى تسمية من رآه (ع) .

باب في النهي عن الاسم (ع) وانظر كتاب الغيبة للطوسي

باب نادر في حال الغيبة .

وانظر باب فى الغيبة .

وانظر ص ٣٠٠ باب كراهية التوقيت إلى ص ٣٠٣ باب التمحيص والامتحان .

وانظر باب أنه من عرف إمامه لم يضرة تقدم هذا الأمر أو تأخر .

ثم انظر باب مولد الصاحب (ع) وانظر جزء ٢ الصفحات ٢٦٤ /٢٦٥ / ٢٦٦ / ٢٦٨

وانظر من كتب السلف : منهاج السنة ج١ ص ١٢ . ٢٩ - ومختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠٠ ، ٢٩٤ - والشيعة والتشيع ص ٣٥١ - ٣٨٨ .

(٢) انظر كتاب الغيبة ص ٢٦٠

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٦٨ .

بغضا عند الله حينما يفتقدونه ولم يظهر لهم (١) .

بل وسمى الكليني أمة محمد ﷺ أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانهم بغيبة المهدي (٢) والتى سوف لا تتأخر كثيرا فقد سأل الأصبغ بن نباته أمير المؤمنين عن مدة الغيبة فقال ستة أيام ، أو ستة أشهر، أو ست سنين(٣) فهو لا يتأخر بعد أن امتن الله به على خلقه فإن الكليني يذكر أن موسى بن جعفر فسّر قول الله تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾.(٤)

قال : إذا غاب عنكم إمامكم ، فمن يأتيكم بإمام جديد(٥) .

وقد وقعت علامات كثيرة تبشر بقرب ظهوره فإنه قبل ظهوره تقع الفتن بين الشيعة ويسمى بعضهم بعضا كذابين ، ويتفل بعضهم فى وجوه بعض(٦) ثم أورد الكليني روايات وقصصا كثيرة حول علم المهدى بالمغيبات وأساطير وخرافات كثيرة ذكرها عنه وأما الطوسى فى كتابه المسمى كتاب الغيبة » فقد حطب فى أخبار المهدى بليل وكذا فلا أدرى ما الذي اذكره عنه فى أخبار هذا المهدي غير أني سأشير إلى بعض ذلك فيما يلي:-

أكد الطوسى أن المهدي الغائب شوهد مرات عديدة حول الكعبة وهو يدعو بهذا الدعاء « اللهم انجز لى ما وعدتنى ، اللهم انتقم لى من أعدائك»(٧).

وأنه يظهر فى كل سنة لخواصه يوما واحدا ، فيحدثهم ويحدثونه ، ويقلب لهم الحصى ذهبا (٨) ؟ .

وهو لا يحب أن يساكن أحدا من أمة محمد ﷺ فقد ذكر الطوسى عنه أنه

---

(١) الكافى ج٢ ص ٢٦٩ .
(٢) الكافي ج ٢ ص٢٧٢ .
(٣) الكافي ج٢ ص٢٧٣ .
(٤) الكافي ج ٢ص ٢٧٤ . وقوله تعالى﴿ فإذا نقر فى الناقور﴾ أى ظهر الإمام جـ ٢ صـ٤٣١ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥ .
(٦) الكافي ج ٢ ص ٢٧٦ .
(٧) انظر ص ٤٣١ - ٤٤١ .
(٨) ص ١٥٢ .

قال كما أوصاه أبوه: « لا أجاور قوما غضب الله عليهم ولعنهم ، ولهم الخزى في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم »(1) .

وقد أورد الطوسى روايات كثيرة تفيد علم المهدي بالمغيبات (2) .

واقرأ هذا العنوان « فصل ، وأما ظهور المعجزات الدالة على صحة إمامته فى زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى ، غير أنا نذكر طرفا منها »(3) فإذا استطعت أن تقرأه فإنك ستجد ما يدهش العقل ويضيق الصدر من الأخبار التى لا يحتمل سماعها من له عقل وذوق .

واقرأ توقيعات المهدى لنوابه حال غيبته عنهم(4) .

وما أورده من الفتاوى والأقوال الجاهلة فى تلك التوقيعات المزورة على أيدى أولئك النواب والذين كثرعددهم إلى حد أنهم أصبحوا فريقين متضادين وكلاء وسماسرة ممدوحين وعددهم عند الطوسى ١٣ رجلا ووكلاء وسماسرة مذمومين وعددهم (٦) له ولسائر الأئمة

ولهم سفراء ممدوحين وعددهم (٣) ، وآخرين مذمومين وتراجمهم طويلة(5).

وهناك الكثير من المزاعم والتهويلات حول شخصية هذا المهدى في كتب الشيعة ، لعل فيما أشرنا إليه من ذلك يكفى لمعرفة مدى ضحالة هذه الأفكار ، ونسيان أهلها لعقولهم ، وتلاعب الشيطان بهم واستخفافهم بعقول الناس عند شغفهم بتثبيت آرائهم ، وإظهار مذاهبهم ، وركوبهم لذلك كل صعب وذلول غير مبالين بنتائج تهورهم وشناعة معتقداتهم .

(١) كتاب الغيبة ص ١٦١ .
(٢) ص ١٦٢ .
(٣) ص ١٧٠ .
(٤) ص ١٧٢ .
(٥) انظر من ص ١٩٩ إلى ص ٢٤١ .

أما هذا المهدى عندهم فهو الإمام الثانى عشر من أئمتهم حسب ترتيبهم لهم واسمه محمد بن الحسن العسكرى

ومع كل اهتمام الشيعة بأخباره والتلهف على لقائه فلقد اضطرب كلامهم حوله وتناقضت فيه أقوالهم ، مع أنه كما هو الصحيح عند أكثر العلماء - أنه شخصية خيالية لا وجود له إلا فى أذهان الشيعة الذين يزعمون إمامته وينتظرون خروجه بعد غيبته الكبرى(١) ومن تلك التناقضات الشيعية ما تجده من .

١ - اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته :

فقد اختلفت كلمتهم فى وجود هذا الشخص ، فبعضهم ذهب إلى أن الحسن العسكرى مات ولم يعرف له ولد أصلا ، وقال هؤلاء : بأن الحسن العسكرى حين توفى ظن بعضهم أن بجاريته حمل فوكلوا بها من يراقبها حتى تبين أن لا حمل بها .

واستدلوا أيضا : بأن الحسن العسكرى حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته ، ولو كان للحسن ولد لما حصل ذلك .

٢ - وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن ، بل وحددها محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختى . بأنها كانت يوم الجمعة منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥ هـ بينما الكلينى في الكافى يذكر أنه ولدسنة٢٥٦هـ (٢) بينما هو يقرر أنه خفى الولادة والمنشأ(٣) وهؤلاء الذين أثبتوا ولادته تناقضت أقوالهم واضطربت أفكارهم فيه أيضا . فبعضهم قال بأنه ولد بعد وفاة والده الحسن بثمانية أشهر ، وكذبوا من زعم غير

---

(١) لأنهم يزعمون أن له غيبتين : إحداهما يوم وفاة أبيه وهى الصغرى ومدتها ٨ أو ٩ وستين سنة وثانيتهما : الكبرى وتبدأ من وفاة ابي الحسين على بن محمد السمرى أخر السفراء الأربعة المزعومين ....

(٢) الكافي « باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار» . (٣) الكافى ج٢ص - ٢٧٧ .

هذا كما نص عليه النوبختي .

وقال آخرون أنه ولد قبل وفاة والده بسنين .

وقال بعضهم بخمس سنوات .

كما اختلفوا كذلك في تحديد السنة التى اختفى فيها ، فبعضهم يجعلها سنة ٢٥٦ هـ وآخرون ٢٥٨هـ ، وغيوهم ٢٥٥ هـ .

كما اختلفوا فى اسم أمه على أقوال :

- فقيل اسمها نرجس .

- وقيل صقيل أو صيقل .

- وقيل اسمها حكيمة .

- وقيل اسمها سوسن(١) .

وأقاويل أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم ، وهذه الاختلافات تدل أيضًا على مدى تخبطهم الجهل الذى يخيم عليهم إذ كيف تخفى ولادة محمد بن الحسن العسكرى وهم متأكدون - حسب شروطهم فى الخلافة والإمامة ورواياتهم العديدة - أن الحسن العسكرى هو الإمام الحادى عشر ولابد أن يخلفه عقب منه هو أكبر أولاده ، وهو الذى يتولى الأمر بعده ، ويغسله ويصلى عليه كما يقررن ذلك.

ثم أن شخصية كهذه تملأ الأرض عدلا ونورا لا ينبغى بل ولا يصدق أن

---

(١) انظر لأخبار هذا المهدى للشيعة « كتاب الغيبة » لشيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي حيث جاء بكل ما عندهم من الخرافات والأقاويل في إثباته ، وانظر أيضا كتاب فرق الشيعة للنوبختي وتعليق بحر العلوم عليها من ص ١١٥ إلى ص ١٣٢ ، وانظر الفصل لابن حزم ج٤ ص ١٩٣ وص ١٨١ والشيعة والتشيع ص ٢٧٣ إلى ص ٢٨٢ .

تكون ولادته محل خلاف أو خفاء .

ولك أن تستنتج من موافقهم المتناقضة ما يزيدك يقينا برداءة مذهبهم فيه ، هذا مع ما لهم من حكايات وخرافات هي من نسيج الخيال الغير معقول رواها الطوسي في كتابه «الغيبة» عن حكيمة والخادم نسيم كلها تدور حول ما حدث عند ولادة المهدى مباشرة .

فإنه حين سقط من بطن أمه كان يقرأ القرآن بصوت مسموع ، وأنه كان متلقيا الأرض بمساجدة ، وأن والده أمره أن يتكلم فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم استفتح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - ، وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلى قول الله تعالى ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ القصص ٥ - ٦ . كما زعم الطوسي أن خادم الحسن العسكري حينما عطس بحضرة المهدي وكان عمر المهدي عشر ليال قال له المهدي :

يرحمك الله ، قال الخادم ففرحت بذلك فقال له : ألا أبشرك فى العطاس ؟ هو أمان من الموت ثلاثة أيام (١) .

وجاء الطوسي بأخبار كثيرة وكلمات نسبها إلى المهدي وهو طفل رضيع لا يعرفها إلا فيلسوف، وأنه حينما ولد كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوما ، وأنه حينما ولد كان مكتوبا على ذراعه الأيمن«جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا».

وزعموا كذلك فى رواياتهم على لسان الحسن العسكرى أن ابنه المهدى

---

(١) كتاب الغيبة ص ١٣٩ . ١٤٢ . ١٤٧٠ .

كان ينمو في السنة الواحدة مثل نمو سنتين من غيره[1].

كشأن سائر الأئمة ، ومزاعم كثيرة ظاهرها يشهد عليها بالكذب والتهويل الأجوف لولا خوف الإطالة لكان فى ذكرها ما يتعجب منه العاقل على جرأة هؤلاء على التلفيق الذى لايقبله عقل سليم ولا فطرة نقية كما فعل الطوسي في كتاب « الغيبة » (٢٥٨) صفحة ، كلها مثل هذه المبالغات والتلفيقات دون أن يجد الشخص جوابا شافيا لما يدور في ذهنه من أسئلة مهمة .

لماذا اختفى المهدى فى السرداب مع أنه لا داعى لهذا الخوف ما دامت الملائكة تحميه وتتبرك به وتنصره ، فإن ملكا واحدا يكيفه كل أهل الأرض ؟

ثم لماذا يختفى الآن وقد ذهب كل من كان يخاف منهم ، وجاء قوم يتلهفون على خروجه ونصرته ، فلماذا إذا تخلف عنهم بدون عذر مقبول، وهم يصيحون ليل نهارعجل الله خروجه ؟؟

ثم لماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين - سبطا رسول الله ﷺ - مع عظم مكانتهما مثلما شب ابن الحسن العسكرى بتلك العجلة ؟ وما الداعى أيضا لتلك العجلة في نموه ومصيره أن يختفى فى السرداب ثم لا يراه أحد بعد ذلك ولا ينتفع به أحد ؟

قد تجد عند الطوسى [2] وغيره من علمائهم بعض الإجابات التى لفقوها فى أسباب غيبته ولكنها إجابات غير كافية ولا مقنع فيها لأحد ، من أعجب الأمور أن ينكر الهاشميون وجود ولد للحسن العسكرى على مرأى من الناس ومسمع

(١) انظر لهذه المبالغات والتوقيعات التي كان يرسلها المهدي وهو في غيبته حسب زعمهم كتاب الغيبة عدة صفحات منه ، وانظر العنوان » أخبار بعض من رأى صاحب الزمان وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد ص ١٥٨ - ١٧٠
وانظر معجزات الحجة ص ١٧٠ . فى ذكر التوقيعات ص ١٧٢ ، ص ١٩٩ التى كان يرسلها لهم من سردابه بواسطة السفراء الأربعة) - أنظر ص ١٤٢ ، ١٥٠

(٢) انظر كتاب الغيبة ص ٦٦ . ٧٣ ، ١٩٩ .

وذلك حينما ادعى شخص زمن المقتدر الخليفة العباسى أنه هو ابن الحسن العسكرى فجمع الخليفة جميع بنى هاشم وعلى رأسهم نقيب الطالبين أحمد ابن عبد الصمد المعروف فى كتب التاريخ « بابن الطومار » للبت فى أمر هذا الرجل ، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكرى لم يعقب فحبس المدعى وشهر وضرب .

ورغم أن أهل البيت أدرى بما فيه ، لكن هؤلاء الشيعة أبوا إلا المكابرة مهما كانت النتائج وادعوا وجود هذا المهدي ولابد أن دافعا قويا دفعهم إلى هذه المجازفة .. فما هو السبب فى هذا الإصرار على وجود هذه الشخصية سنذكر الجواب عن ذلك إن شاء الله فى آخرالكلام عن هذه الشخصية .

مكان وجود المهدى

اختلف الشيعة فى المكان الذي اختفى فيه المهدى محمد بن الحسن العسكرى على أقوال متضاربة ، توحي لأهل كل مكان ذكروه بقرب المهدى منهم .

ومن تلك الأقوال ، وهى كثيرة :

١ ـ أنه مختف فى سامراء ، فى سرداب دار أبيه ، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم ، وفي كتبهم (١) .

٢ ـ أنه مختف في المدينة المنورة .

قال أبوهاشم الجعفرى للحسن العسكرى : « يا سيدى هل لك ولد ؟ قال نعم . قلت فإن حدث حادث فأين أسأل عنه ؟ فقال بالمدينة (٢) .

(١) انظر رواية محمد بن يعقوب بإسناده عن ضوء بن على العجلى عن رجل من أهل فارس ، كتاب الغيبة ص ١٤٠ / ١٤٦ .

(٢) كتاب الغيبة ص ١٣٩ .

٣ ـ أنه مختف بمكة المكرمة (١) .

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة في هذا ، وأورد الكليني حديثا في هذا.

٤ ـ وبعضهم قال هو بذات طوى (٢) .

٥ ـ وبعضهم قال إنه في اليمن بواد يسمى شمروخ (٣) .

٦ ـ وبعضهم قال أنه بالطائف حسب رواية الطوسيّ الطويلة عن عليّ بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي (٤) .

وكل هذه الخلافات دليل على بطلان تلك الدعوى ، والباطل أهله يختلفون فيه حتماً ، ولا يخفى التباعد بين هذه الأماكن ، وهذا التباعد بينهما دليل على أنها افتراضات مبنيّة على هوى وأغراض سياسية ، إذ لا يمكن لأي شخص أن يجمع بينها ويصل إلى نتيجة مرضية مهما أوتي من المعرفة والذكاء ، ولكن هكذا شريعة الهوى والسياسة حيث لا تستند على أي أساس ثابت .

وإذا كان المهدي قد اختار أن يختفي ويتوارى عن الأنظار فهل يجعل لذلك الاختفاء والهرب عن الناس حدا ومدة يعود بعدها إلى قيادة الشيعة ومتى يتم ذلك الجواب نذكرة فيما يلي .

رجعة المهدي ومتى تتم ؟

يؤمن سائر العقلاء أنه لا رجعة لأحد بعد موته . ويؤمن المسلمون برجعة واحدة تكون في يوم القيامة حين يجمع الله الخلائق لفصل القضاء كما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة بخلاف ماعليه كثير من الشيعة من إمكان ذلك

---

(١) المصدر السابق ٢ص ١٥١ / ١٥٢ ، وانظر الكافي ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) كشف الأستار للطبرسي ص ٢١٤٥ ، نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٣) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٦٥ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٤) كتاب الغيبة ص ١٥٩ - ١٦١ .

فى الدنيا قبل يوم القيامة فقد قرروا فى عقائدهم أن النبى ﷺ وأهل بيته عليّ والحسن والحسين وبقية الأئمة سيرجعون وفى المقابل يرجع أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ويزيد وابن ذى الجوشن وكل من آذى أهل البيت بزعمهم كل هؤلاء سيرجعون إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة عند رجوع المهدي إلى الظهور كما قرره لهم عدو الله ابن سبأ .

يرجعون ليتم عقابهم كما أذوا أهل البيت واعتدوا عليهم ، ومنعوهم حقوقهم ، فينالهم العقاب الشديد ثم يموتون جميعاً ، ثم يحيون يوم القيامة للجزاء الأخير مرة أخرى.

وقد بلغ بهم كرههم للصحابة أن زعم أحد غلاتهم ومتعصبيهم وهو الشريف المرتضى أن أبا بكر وعمر يصلبان على شجرة فى زمن المهدى وهى خضراء فتيبس فيضل بسبب ذلك جمع كثير من الناس وهم يقولون إن هذين البريئين قد ظلما ولذا صارت الشجرة الخضراء يابسة ، وقيل تكون تلك الشجرة يابسة قبل الصلب ثم تصير رطبة خضراء بعد الصلب فيهتدى كثير من الناس» قال الألوسى « والعجيب أن هؤلاء الكذابين مختلفون بينهم فى هذا الكذب أيضا»(١) .

ولهم فى هذه الرجعة أخبار غريبة وخرافات يمّجها العقل السليم . وقد أحاطوها بتهويلات عظيمة ليخيل للقاريء أن رجوع المهدى هو يوم القيامة الذى أخبر الله عنه ، وهى خيالات وخرافات لا يصدقها إلا من لم يمن الله عليه بمعرفة دين الإسلام .

وقد ذكر الطوسيّ أن المهدي يخرج يوم عاشوراء يوم السبت بين الركن والمقام . وهذه الرواية عن أبى جعفر ، وذكر رواية عن . أبى عبد الله أنه ينادى باسم المهدي ليلة ثلاث وعشرين ، ويقوم يوم عاشوراء ، يوم قتل الحسين(٢)وفى

(١) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص٢٠١.

(٢) كتاب الغيبة ص٢٧٤.

بعضها أن جبريل ينادى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان باسم القائم ، ويقوم في يوم عاشوراء اليوم الذى قتل فيه الحسين بين الركن والمقام، فتسير إليه شيعته.... منهم من يطير طيرانا ، ومنهم من يمشي في السحاب وهم أفضل أصحابه، وتكون الملائكة حوله صافّين ومعه جميع الكتب المقدسة التى أنزلها الله على الأنبياء من أولهم إلى آخرهم .

ثم يأمر بحصر المخالفين للشيعة فينكل بهم ، ثم تعلو كلمة الشيعة ويمتد حكمهم إلى جميع الأرض وتكون الغلبة لهم ... إلخ .

ويذكر الطوسيّ عن أبي الحسن الرضا أنه قال :« ينادون فى رجب ثلاثة أصوات من السماء ... صوتا منها » ألا لعنة الله على الظالمين » والصوت الثانى «أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين » ، والصوت الثالث يرون بدنا بارزا نحو عين الشمس ، هذا أمير المؤمنين ، قد كرّ فى هلاك الظالمين(١) ، وأن أول من تنشق عنه الأرض فى الرجعة هو الحسين بن عليّ رضى الله عنه .

وأما عن الغلظة التي سيسير عليها فقد زعموا تنفيسا عن أحقادهم ضد العرب كما دلتّ عليه رواياتهم ـ أنه بعد رجعة المهدي أول ما يبدأ به أنّه يقتل قريشا ويصلبهم أحياء وأمواتا ، أى بعد أن يحيي الله من مات منهم فيجازيهم أشد الجزاء بسبب مافعلوا نحو أهل البيت فيضع السيف فيهم لايستتيب أحداً منهم ويستمر في هذا القتل مدة ثمانية أشهر لا يضع السيف عن عاتقه .

وزعم الطوسيّ في روايته عن أبى عبد الله أن المهدى يقطع أيدى بني شيبة ويعلقها فى الكعبة (٢) ، مع أن الرسول ﷺ هو الذي سلمهم مفتاحها .

كما زعموا أنه يقتل سبعين قبيلة من قبائل العرب (٣) .

(١) كتاب الغيبة ص ٢٦٨ . (٢) كتاب الغيبة صـ ٢٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

كما افترى علماء الشيعة على الله تعالى وردوا شهادته في كتابه الكريم في حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى برأها الله من كل سوء ... فزعموا أن المهدي يقيم عليها الحد ، فيجلدها الحد[١] ، لعن الله من اعتقد هذا الاعتقاد وأخزاه الله في الدنيا والآخرة ، وهذه الزندقة ذكرها الصافي فى تفسيره[٢].

وبعد ذلك قالوا أنه سيستأنف طريقة جديدة كما استأنف رسول الله ﷺ الإسلام ، قال الطوسيّ عن أبى عبد الله (ع) قال : « إذ قام القائم جاء بأمر غير الذى كان»[٣].

وقد فسروا هذا الاستئناف بأنّه يسير على حكم سليمان بن داود كما يذكر الطوسيّ[٤]، بل ويهدم ما كان قبله ويستأنف الإسلام من جديد[٥].

ومعنى هذا أنّه يكفر بالإسلام ويبدأ من جديد على حسب هذه النصوص هذا هو الظاهر ووصل سوء الأدب بأولئك أن اعتقدوا أن الرسول ﷺ في الرجعة الثانية لعلى رضى الله عنه يكون جنديا يقاتل بين يدى علي بن أبى طالب، ويبايع كذلك المهدى هو وسائر الأنبياء كما يروي العياش عن جعفر أنه قال لمْ يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدى علي بن أبى طالب»[٦].

وأن دابة الأرض المذكورة فى القرآن هى عليّ بن أبى طالب[٧] .

ونترك خرافات كثيرة يمجها العقل ، وتستثقل ذكرها النفس إن دلتّ على شيء فإنما تدل على مدى الحقد والكراهية التى كان عليها كتاب مثل هذه

---

(١) ، (٢) تفسير الصافي ص ٣٥٩ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٨ .

(٣) كتاب الغيبة ص ٢٨٣ . (٤) المصد السابق ص ٢٨٣ .

(٥) بجار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٢ .

(٦) تفسير العياشى ج ١ ص ٢٨١ نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٦ .

(٧) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ .

الأفكار وشدة كيدهم للإسلام .

ولزعماء المسلمين من الصحابة الكرام فمن بعدهم الذين قضوا على اليهودية والوثنية المجوسية ، وأنزلوهم من عرشوهم وساووهم بعامة المسلمين مما أغضب هؤلاء الذين لفقوا مثل هذه الأخبار والترهات فى ذم قريش وحكام المسلمين أجمعين ، وذم كثير من أهل البيت وزوجات الرسول ﷺ ، وهذا كله بخلاف ما هو معلوم من دين الإسلام ، بل وجميع الأديان السماوية مجمعة على أن الإنسان إذا انتهى عمره فى الدنيا ومات فإنه لا رجعة له إلا للقاء ربه يوم القيامة للحساب والجزاء .

وهذا هو ما صرح به الله عز وجلّ في القرآن الكريم حيث قال ردا علي من تمني الرجعة إلى الدنيا ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعليّ أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾(١) وهذا هو اعتقاد جميع المسلمين ، ولم يقل بخلاف هذا أحد لاسلف الأمة ولا أحد من آل البيت الذين تزعم الشيعة أنهم تبع لهم ، والقرآن صريح وواضح في إبطال هذه البدعة ، والخرافة الفكرية التافهة .

وقولهم إن المهدى هو الذي يحاسب الناس وينزل بهم العقاب بسبب ما قدمّوه في حق آل البيت فإن الإسلام يصرح بأن الله عزّ وجلّ يتولي حساب جميع خلقه ، ويثيب أو يعاقب .

أما البشر ، فليس لهم ذلك لقوله تعالى : ﴿**إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً**﴾(٢) .

وقول هؤلاء الشيعة إنما اقتبسوه من قول النصارى بأن المسيح هو الذي يتولى حساب الخلق ـ تشابهت قلوبهم ـ .

---

(١) المؤمنون ٩٩ ـ ١٠٠ . (٢) مريم ٩٣ .

وقول هؤلاء أن الرسول يقاتل بين يدّى عليّ بن أبى طالب ، ويبايعان المهدي الذي هو من ولدهما إهانة واستخفاف بحق الرسول ﷺ ، وإهانة أيضا لعليّ رضي الله عنه ، إضافة إلى تفسيرهم دابة الأرض بأنها عليّ رضي الله عنه، ولقد صدق عليهم الحديث « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وأما ما زعموه من عقوبة خيار أصحاب النبيّ ﷺ من صلبهما علي شجرة وهي رطبة فتصبح يابسة فهو افتراء ومخالفة للعقل والواقع ، إذ كيف يعقل أن يجازيا بقتل الحسين وليس لهم بذلك صلة ، ثم إن ذنبهما إن كان أخذ الخلافة ذنب لا يعقل أن يصل إلى هذا الحد من العقوبة ، ثم كيف يجازيها الله أمام أقوام لم يشهدوا ذنبهما ولم يعرفوا له سببا ... إذ الأولى أن يتم جزاءهما أمام من شهد أمرهما فى الوقت الذى آذوا فيه أهل البيت حتي تقرّ أعينهم بجزائهما .، مع أن إثبات هذا العقاب يؤديّ في النهاية إلى عكس ما يريد الشيعة ، ويناقض أقوالهم وذلك :

١ـ أن أولئك الناس لو أرجعهم الله إلى الدنيا للجزاء قبيل يوم القيامة لكان أمرهم في الآخرة إلى الجنة إذ من الظلم أن يعذبوا مرة أخرى ، فحصل لهم بتعذيبهم فى رجعتهم إلى الدنيا تخفيف وراحة .

وهذا ينقص ما ذهب إليه الإمامية ، فإنه على أصولهم أن عذاب جهنم لابد وأن يكون مستمراً على من آذى آل البيت ثم ما هو الداعى إلى هذه العجلة يخرجهم فيعذبهم ثم يموتون ويعذبون مرة أخرى ، وأيضا لماذا لم تكن هذه العجلة في وقت وقوع الجريمة لتكون أنكي ، أما تركهم هذه المدة كلها ثم يعذبهم في زمن المهدى فهو برود مثل برود الشيعة فى أكاذيبهم .

٢ـ أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم الذين حكم الشيعة عليهم بالرجوع لعظم ما ارتكبوه في حق آل البيت وجزاؤهم الشديد في الدنيا ثم يموتون ويبعثون يوم القيامة .

ذنوبهم بإقرار الشيعة غصب الخلافة وبعض حقوق ال البيت على زعم الشيعة ، وهذا الذنب إذا جاز تسميته ذنبا لا يصل إلى درجة الكفر بالله والشرك به بل هو فسق . والفسق لا يصل إلى هذا الحد من العقاب ولا يوجب الرجعة في الدنيا ، ولو كان الأمر يقتضي الرجعة لكان ارجاع الكفرة والمشركين والذين ادعوا الألوهية مع الله كفرعون ونمرود وغيرهما أولى بالرجوع والشيعة لم يقولوا بذلك فوجب أن يكون حسب مقياسهم أن غصب الخلافة أو التعدي على آل البيت أعظم جرما من الشرك ومن ادعاء الألوهية وقتل الأنبياء بغير حق، وهم لا يقولون بهذا فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة ورجعة أولئك الخلفاء لعقابهم في الدنيا بسبب عصبهم الخلافة . أو أخد أبو بكر لفدك بغير حق كما يدّعون لجهلهم بنص النبيّ ﷺ فيها .

٣- ثم إن قولهم برجوع النبيّ ﷺ وعلي وسائر الأئمّة وإخراجهم من قبورهم لحضور هذا العقاب في الرجعة فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى ، والموت أشد آلام الدنيا ... فلم يجوّز الله سبحانه وتعالى إيلام أحبائه عبثا ؟

إذ الموت لابد أن يشمل كل كائن حيّ ، وإذا أحيا الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى على حسب هذا المعتقد الخرافي ، فكيف يعذب أولياءه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرّة واحدة ؟؟

٤ - إنه على زعم الشيعة بإعادة هؤلاء وإيقاع العذاب عليهم فى الدنيا فيه نفع لهؤلاء المبعوثين إلى الدنيا إذ حين يعلمون حينئذ أنهم أخطأوا فيتوبون حتما توبة نصوحا ، والتوبة مقبولة فى الدنيا ولو بعد الرجعة ، فكيف بعد ذلك يمكن تعذيبهم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فوجب على معتقد الشيعة برجعتهم أن يقولوا بأنهم فى الآخرة فى الجنّة لصدق توبتهم فى الدنيا في الحياة الثانية.

إلى غير ذلك من الردود التي تدحض مذهب الشيعة في القول بالرجعة ،

وأنه خلاف العقل والنقل والواقع ، والله الهادى إلى سواء السبيل[1] .

ومما ينبغي الإشارة له هنا أنّه قد خرج عن القول بالمهدى على تلك الصورة المزعومة عند الشيعة بعض فرقهم كالزيدية وقد أنكروا عودة المهدي وردوّها بروايات عن الأئمة أيضا ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية في درس الزيدية ، كما سبقت الإشارة إلى أن الشيعة ليسوا كلهم على مذهب واحد في المهدى المنتظر ، وإنما اشتهر اسم محمد بن الحسن العسكرى بالمهدى المنتظر لأنها عقيدة الرافضة الإمامية في عصرنا الحاضر .

أما متى يخرج ؟

فقد وقتّ بعض الشيعة لخروج المهدى زمنا معيننا وذلك بعد وفاة الحسن العسكري بزمن ، إلا أن الذين وقتوا خروجه بزمن حينما انتهى التقدير ، ورأوا أن المسألة ستتضح ويظهر فيها الكذب مددّوا هذه الغيبة إلى وقت غير مسمى واختلقوا لذلك أعذار كاذبة فرواية وردت عن الأصبغ بن نباته كما ينقلها الكلينى تذكر أنه سيخرج بعد ستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ست سنوات وهذه الروايات هي المتقدمة والقريبة من وفاة الحسن العسكرى [1] .

ورواية أخرى يذكرها الكلينى عن أبى جعفر تذكر أنه سيخرج بعد سبعين سنة، ثم مددت هذه المدة أيضا حتى أفشى السر إلى أجل غير مسمىّ ، وذلك حسب ما روى أبو حمزة الثمالي عن أبى جعفر الباقر أن الله تبارك وتعالى قد

(١) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ - ٢٠٣ ، ص ٢٩٤ .
وانظر أيضا بحار الأنوار للمجلسي فيما ينقله عنه إحسان إلهى رحمه الله في كتابه الشيعة والتشيع من ص ٣٧٦ إلى ص ٣٩٠ .
وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٤٨ - ١٥٢ .
وانظر الشيعة فى الميزان ص ٧٧ - ٨٤ .

(٢) الكافي كتاب الحجة ج ١ص ٢٧٢ .

كان وقتّ هذا الأمر فى السبعين ، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة فحدثّنا كم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ، ولم يجعل له بعد ذلك وقتا ... إلخ(١) .

والواقع أنه لن يخرج حتى تخرج هذه العقيدة من أذهانهم ومعتقداتهم التي صنعها علماؤهم لأغراض ومقاصد كثيرة في أولها حرب الدولة الإسلامية، وإعادة السيطرة الفارسية .

وقد أبان سر هذه المهزلة المهدية أحد الشيعة وهو عليّ بن يقطين حين سئل عن المهدى فأجاب : « إن أمرنا لم يحضر فعللّنا بالأمانى ، فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ، ولرجع عامة الناس عن الإسلام ، ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه تألفا لقلوب الناس ، وتقريبا للفرج »(٢).

فانظر إلى هذه الشهادة عليهم ، وقارن بينهم وبين السلف الذين ينتظرون المهدى الذى أخبر عنه الرسول ﷺ لترى ثبات السلف وعدم وجود تلك العجلة واللهثة التى توجد فى الشيعة ، لأن االسلف مطمئنون واثقون بدينهم ونبيهم ، ويعلمون أن العجلة لا تقدمه ولا تأخره ، ولأنهم كذلك ليست لهم أحقاد يريدون أن يشتفوا من المخالفين لهم عند ظهور المهدى .

سبب إصرار الشيعة على القول بوجود محمد بن الحسن العسكرى

عرفنا فيما تقدم عمق هذه الفكرة فى أذهان الشيعة وتشبثهم بوجود ابن للحسن العسكرى الذي جعلوا منهم مهديهم المنتظر ومكابرتهم وإصرارهم على القول بولادتة فما هوالسر فى هذا ؟ والجواب حاصله أن الشيعة قد وضعوا

---

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠١ .

شروطا وقواعد وأوصافا للإمام ألزموا أنفسهم بتصديقها وهى من صنع الخيال وبالتالى فهى صعبة المنال ثم جعلوها جزءا من العقيدة الشيعية ، بحيث لو لم تتحق لانتقض جزء كبير من تعاليمهم ، ولأصبحوا في حرج .

وأكثر تلك الشروط تقوّل على الله ، ومجازفة وحكم على الغيب ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - أن الإمام لا يموت حتى يكون له خلف من ذريته هو الذى يتولى الإمامة من بعده حتما لازما .

وقد روى الطوسي عن عقبة بن جعفر قال قلت لأبى الحسن : قد بلغت ما بلغت وليس لك ولد؟

فقال : يا عقبة بن جعفر ، إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده(١).

٢- أن الأمامة لا تعود في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا بل فى العقاب وأو عقاب الأعقاب .

ومعنى هذا أن الحسن العسكرى وهو الإمام الحادى عشر لو مات دون عقب لانتفضت هذه القاعدة . وقد روى الطوسي عن أبى عيسى الجهنى قال أبو عبد الله ع : لا تجتمع الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، إنما هى في الأعقاب وأعقاب الأعقاب . (٢) .

٣- الإمام لا يغسله إلا إمام هو أكبر أولاده .

ولقد ذكر ابن بيويه القمي عن على بن موسى بن جعفر كثيرا من الشروط

---

(١) كتاب الغيبة ص ١٣٣ . وذكر الكلينى على هذا الزعم أحاديث كثيرة في كتاب الحجة في الجزء الأول الذى يبدأ هذا الكتاب من ١٢٨ إلى ص ٤٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦.

التي اشتملت على خرافات وآراء ضالة كيسة من الإسلام في شيء كقولهم :

« للإمام علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس ، وأسخى الناس ، وأعبد الناس ، ويولد مختونا ، ويكون مطهرا، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظل ، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحته رافعا صوته بالشهادة ، ولا يحتلم وتنام عينيه ولا ينام قلبه ، ويكون محدثا ، ويستوى عليه درع رسول الله ﷺ لأنها محفوظة بزعمهم عند الأئمة يتوارثونها، ولا يرى له بول ولا غائط لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك ، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعا لله عز وجل ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به، وأكف الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجابا حتى إنه لو دعى على صخرة لانشقت نصفين ، ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ ، لأنه محفوظ عند الأئمة والسيف ذو الفقار.

ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعا ، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكون عنده الجفر الأكبر والجفر الأصفر ، إهاب ماعز ، وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش، وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة(١) ».

ويروى الكليني عن أبي جعفر قال: « للإمام عشر علامات : يولد مطهرا مختونا، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونحوه كرائحة المسك ، والأرض موكلة بستره وابتلاعه، فإذا لبس

(١) ذكرها عنه احسان الهي في كتابه « الشيعة والتشيع» ص٢٨٦. نقلا عن كتاب القمي ص٥٢٧.

درع رسول الله ﷺ كانت عليه وفقا، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبرا ، وهو محدث إلى أن تنقضى أيامه»[1] وبغض النظر عن دراسة هذه الخيالات والخرافات التى يمجها العقل ويرفضها الفكر ، ويكذبها الواقع أولا يوجد رجل تتوفر فيه هذه الشروط التى لم تتوفر حتى فى الأنبياء ، والرسل عليهم الصلاة والسلام مجتمعة بغض النظر عن ذلك كله فإن الذى يهمنا هنا معرفة السر الذى أصر بموجبه الشيعة على القول بوجود ابن للحسن العسكرى يخلف والده فى إمامتهم .

وقد اتضح مما تقدم أن الذى حمل الشيعة على ذلك الإصرار هوتلك الشروط التى تنص على أن الإمام لا يموت حتى يوجد له عقب من أولاده هو الذى يتولى تجهيزه ودفنه ، والقيام بأمر الشيعة بعده حتما ... وكان موت الحسن من دون ولداً يهدم تلك الشروط التى وضعوها ومن هنا قرّروا أن يوجدوا

---

(١) كتاب الكافي ج ٢ ص ٣١٩ . وقد ذكر الكليني في هذا الكتاب في الجزء الأول في كتاب الحجة كثيرا من تلك المبالغات فى الأئمة مثل قولهم :

باب أن الحجة لا تقوم على خلقه إلا بإمام ص ١٣٥ .

باب أن الأئمة هم أركان الأرض ص ١٥٢ .

باب عرض الأعمال على النبى والأئمة ص ١٧٠ .

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة .

باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه ص ١٨١ .

باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ص ١٨٥ .

باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ص ٢٠٢ .

باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله وسلامه عليهم ص ٢٠٣ .

باب أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة ص ٣١٥ .

وأبواب أخرى كثيرة تركتها خوف الإطالة ، وقد حشيت تلك الأبواب بمبالغات وأكاذيب على أئمتهم لايقبلها عاقل له أدنى تمييز .

للحسن ولداً تخلصا من هذا المأزق الذى وضعوا أنفسهم فيه ، وليكن بعد ذلك مـا يكون ، وهم على ثـقـة بأن لكـل صـوت صـدى ، بل هم واثقـون من أن استجابة الناس للخرافات والخزعبلات أقوى من استجابتهم للحق ، وأقرب إلى نفوس الكثير من بني آدم .

وإضافة إلى ما تقدم فى سبب دعـواهم وجود المهدى فإنه ينبغى ملاحظة أنه قد مرت بالشيعة ظروف سياسية واجتماعية ودينية ذاقوا فـيها مرارة الحرمان من عدم إقامة دولة لهم ، تنظر إليهم بالعين التى يريدونها من تقديمهم واعتبار آرائهم، وغير ذلك مما كانوا فيه من العزة والتطاول على الناس ، واعتبار عنصرهم أفضل العناصر .

وحينمـا غلبتهم الدولة الإسلامـية وبلغ السيل الزبى بإخضـاع الدولة الأموية لهم... فكرّ رؤساؤهم فى ذلك الوقت فى أمر يجتمع عليه عامتهم لئلا يذوبوا في غيرهم ، وييئسوا من استعـادة أمرهم فبدأوا في حبك المخططات السرية والعلنية وتوجيه أنظار جـميع الشيعة إلى الالـتفاف حول أمل إذا تحقق عـادت به سيادتهم كما يتصـورون ، وهو انتظار المهدى الغائب(١) الذى سيزيل عند رجـوعه جميع من ناوأهم ، ويقضى على قـريش بخصوصهم بكل شراسـة حتى يقول الناس لو كـان هذا من قريش لما فـعل بهم هكذا حـسب مـا يرويه النعمـانى(٢)، وحسبما يروونه عنه فى كتبهم .

وهذه الشراسـه والشدة على العرب بخـصوصهم ومـنهم قريش تدل دلالة واضحة على أن هذا المهدى ليس له صلة بالعـرب فهو عدو شرس لهم ليس بينه وبينهم أيه عاطفة أوصلة .

وفعلا هذا المهدى ليس من قريش ، بل هو مهـدى فارسي متعصب ليزدجرد

---

(١) انظر فجر الإسلام ص ٢٧٤ / ٢٧٥ ، وانظر دراسة عن الفرق ص ١٦٠ .

(٢) كتاب الغيبة للنعمانى ، نقلا عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٦ .

وللأسرة الساسانية التى قضى عليها الإسلام يتضح ذلك فى هذه الرواية التى يرويها الطوسى :عن أبى عبد الله أنه قال :

«اتقوا العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد».(١)

وبهذا يتضح أن هذا المهدى مصنوع بمعرفة الشيعة وعلى طريقتهم حقود شديد يمثل الغلظة بأجلى صورها .

٥ ـ موقفهم من القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه وحمايته من أيدى العابثين وتأويلات المبطلين فقال عزّ وجلّ: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾(٣).

نزل به جبريل الأمين على قلب محمد سيد المرسلين وبلغنا رسول الله كما تبلّغه عن الله تعالى ، جمع الله به الكلمة ، ووحدّ به القلوب ، ولا تزال البشرية بخير ما تمسكوا به، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور كما أنزله الله، لم يزد فيه ولم ينقص منه بشهادة الله عزّ وجلّ

هكذا يعتقد المسلمون في القرآن الكريم، فما هو رأى غلاة الشيعة (الرافضة) فى صون القرآن عن التبديل والتغيير ؟

لقد كان الأولى أن يكون القرآن الكريم بعيدا عن أى مساس بتقديسه، وأن يكون نواة تجتمع عليها كلمة كافة المسلمين ، وأن يجعل الحكم فى كل قضيّة، إلا أنه ـ ومع الأسف الشديد ـ لم يسلم القرآن الكريم من تدخل أهواء الشيعة ـ المتعمقين فى الغلو ـ فقالوا بأقوال لا تجتمع معها كلمتهم و كلمة أهل السنة

---

(١) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٨٤ .

(٢) الحجر ٩ .

(٣) الحاقة ٤٥ ٤٦ .

أبداً حتى يرجعوا عنها لأنهما يسيران فى طريقين متباعدين لا يلتقيان .

لقد أعلن غلاة الشيعة أن في القرآن تحريفا ونقصا كثيرا ، ولم يكن هؤلاء من عامة الشيعة أو علمائهم غير المشاهير ، بل هم من علمائهم الكبار عندهم كالقمي والكليني وأبو القاسم الكوفي والمفيد والأردبيلي والطبرسي والكاشي والمجلسي والجزائرى - نعمة بن عبد الله - والكازرانى وغيرهم ، وهؤلاء قد صرّحوا وبكل وضوح أن في القرآن نقصًا وتحريفًا في الآيات التي يذكر فيها عليّ بن أبى طالب ، أو الآيات التى فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش ، وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا عليّ فقط .

كما يعتقدون أن مصحفا مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوما ما يسمى «مصحف فاطمة»، فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدى المسلمين ، وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافا كثيرا .

وتوجد نماذج كثيرة من تحريفات القرآن الكريم اهتم العلماء بذكرها قديما وحديثا لعلّ المقام لا يتسع لسرد أسماء من كتب في هذا أو سرد الآيات التى يدعى الشيعة أنها محرفة أو ناقصة عن مصحف آل البيت ... تجد ذلك فى كتاب « فصل الخطاب فى تحريف كتاب «رب الأرباب» « للطبرسيّ » وفى الكافي وغيرهما من كتب الشيعة .

والحقيقة أن هذا الموقف لا يمت للإسلام بأدنى صلة ومعتقده لا شك فى كفره وخروجه عن الملة مهما كان ادعاؤه للإسلام بعد ذلك .

وعلى سبيل المثال ما كتبه كبير علماء النجف الحاج ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسيّ والذى بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه فى بناء المشهد المرتضوى بالنجف ، في إيوان حجرة بانوا العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله ، وهو أقدس مكان عندهم ... هذا الرجل ألّف سنة ١٢٩٢ هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب للإمام عليّ كتابه المسمى « فصل

الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب » جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة قديما وحديثا أنهم يعتقدون بوجود النقص والتحريف فى القرآن الكريم، وطبع الكتاب فى إيران ، وعند طبعه قامت ضجّة كبيرة حوله خصوصا ما أبداه بعض عقلائهم لا لأجل ما فى الكتاب، وإنما كانوا يرغبون أن يبقى التشكيك فى القرآن سرا مبثوثا فى كتبهم المعتبرة لا أن يذاع فى كتاب واحد تقوم به الحجة عليهم، وبدلا من أن يستكين مؤلفه أو يعتذر ألف كتابا آخر سماه «رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» دافع فيه عن ما أودعه فى كتابه السابق «فصل الخطاب»...وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين.

ولبيان نظرتهم إلى القرآن نورد بعض الشواهد والأمثلة فيما يلى :

١ ـ ادعى الشيعة أن سورة من القرآن تسمى سورة « الولاية » قد اسقطت من المصحف العثمانى ، ونصها :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبيّ والولى اللذين بعثناهما يهديانكم الصراط المستقيم (*) نبيّ ووليّ بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير (*) إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم (*) والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين (*) إن لهم فى جهنم مقاما عظيما إذا نودى بهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين (*) ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب (*) فسبح بحمد ربك وعليّ من الشاهدين »(١) .

فانظر إلى هذا الكلام الفارغ الذى لو قدمّه تلميذ في مادة الإنشاء لاستحق عليه الرسوب ، كلام مفكك ركيك ، ثم يزعمون أنه كلام الله تعالى ، وأن هذه سورة من عند الله تعالى أنزلها ضمن القرآن .

(١) انظر التعليق الموجود في ص٢٢من مختصر التحفة الإثنى عشرية وصورة«سورة الولاية».

وفى كتاب الكافى وفصل الخطاب من الآيات التى زعم الشيعة أنها محرفة وناقصة ما جعلني احتار فى أيها أثبته هنا وأيها أتركه فهى كثيرة جدا ، أخذت صفحات عديدة ، وكلها مما يقتل النفس أسى على ضلال هؤلاء وتطاولهم على كتاب الله دون خوف من الله ولا مبلاة بمشاعر المسلمين .

وبعد البحث وبذل الجهد فى تصفح كتاب فصل الخطاب عثرت على الطامة الكبرى وهى « سورة الولاية » بكاملها ، وقد رغبت أن أنقلها ليعتبر المؤمن ويرجع المغالط، ويعرف أهل الشرّ على حقيقتهم .. فقارن أيها القاريء الكريم بين كتاب الله وبين هذا القرآن الذى يزعمه علماء الشيعة ويتقولونه على الله تعالى ، ولا تنخدع بأكاذيبهم حين يجحدون مثل هذا الافتراء ، فإنهم يقدسون الكليني والطبرسي أشد تقديس ، ولم يظهر منهم أحد يشنع عليهما ويرد ضلالتهما ، ويبرأ إلى الله من أباطيلهما وجرأتهما على كتاب الله الذى تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سورة الولاية

كما هى فى فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي

قال الطبرسيّ : صاحب كتاب « بستان المذاهب » بعد ذكر عقائد الشيعة ما معناه ، وبعضهم يقولون أن عثمان أحرق المصاحف ، وأتلف السور التى كانت فى فضل عليّ وأهل بيته عليهم السلام ، ومنها هذه السورة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم(*)نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم(*) إن الذين يوفون ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم(*) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون فى الجحيم(*)ظلموا أنفسهم وعصوا الوصيّ الرسول أولئك يسقون من

حميم(*) إن الله الذى نوّر السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم(*)قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم (*) إن الله قد أهلك عادا وثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون(*) وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين(*) ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون(*) إن الله يجمعهم فى يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم(*)

يا أيها الرسول بلغ إنذراى فسوف يعلمون (*) قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمى معرضون (*) مثل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم(*) إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم (*) وإن عليّا من المتقين (*) وإنا لنوفيه حقه يوم الدين (*) ما نحن عن ظلمه بغافلين (*) وكرمناه على أهلك أجمعين(*) فإنه وذريته لصابرون (*) وإن عدوهم إمام المجرمين (*) قل للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ماوعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون(*)

يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات مبينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يظهرون (*) فأعرض عنهم إنهم معرضون (*) إنا لهم محضرون فى يوم لا يغنى عنهم شيء ولاهم يرحمون (*) وإن لهم في جهنم مقاما لا يعدلون(*) فسبح باسم ربك وكن من الشاهدين (*)

ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل (*) فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون (*) فاصبر فسوف يبصرون(*) ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين (*) وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون (*) ومن يتول عن أمري فإنى مرجعه فليتمتعوا

بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين (*)

يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين (*) إن عليًا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون (*)سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون (*) .

إنا بشرناك بذريته الصالحين (*) وإنهم لأمرنا لا يخلفون (*) فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون (*) وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين (*) وعلى الذين سلكوا مسلكهم منيّ رحمة وهم فى الغرفات آمنون (*) والحمد لله رب العالمين (*) .

وبعد أن أورد الطبرسيّ هذه الآيات قال :

« قلت ظاهر كلامه أنه أخذها من كتب الشيعة ، ولم أجد لها أثرًا فيها ، غير أن الشيخ محمد بن عليّ بن شهر أشوب المازندراني ذكر في كتاب «المثلب » على ما حكى عنه أنهم أسقطوا من القرآن تمام سورة الولاية ، ولعلها هذه السورة[1] .

فانظر أيها المسلم إلى مدى ما وصل إليه ضلال هؤلاء حيث جعلوا هذا الكلام الفارغ قرآنا أنزله الله . لعن الله من قال وغضب عليه .

وقد أوردت « السورة » - كما يسميها هؤلاء الفجار - بتمامها لكى يتضح المقارنة بينها وبين « سورة الولاية » التى هي سبع آيات كما يكذبون ... فكيف زادات بعد ذلك؟

هذا التساؤل يزول إذا عرفت أيها القارىء الكريم أن الشيعة يزيدون في كل نص لهم فيه غرض على منواله إن كان شعرا أو نثراً مع عزوه إلى أصل

---

(١) فصل الخطاب ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الكلام... وما الذى يمنعهم من ذلك وقد كذبوا على الله تعالى .

واعلم أيها القاريء الكريم أنني تركت مئات الآيات من كتاب الله سطى عليها الطبرسيّ وأوردها على أنها زائدة أو ناقصة أو محرفة .

وأرى أنه يكفى مرارة أنني نقلت من كتابه الرديء « سورة الولاية » هذه، بل وأرى أن مجرد قراءة هذه السورة يكفى لجلب الغثيان وإثارة الأسى والحزن على ما وصل إليه هؤلاء وهم يتظاهرون بعد ذلك بالإسلام .

على أن هذه السورة تحتاج في نقدها وتعرية خوائها وضحالة فكر من اخترعها قبحّه الله إلى دراسة مطولة ووقت كاف .

وأما الكليني فقد جاء من كتابه « الكافي » بمئات الآيات التي زعم أن الله أنزلها هكذا ، ونأخذ كمثال الآيات الآتية التي أوردها في « باب فيه نكت من التنزيل فى الولاية»[1]:

١ ـ عن أبى بصير عن أبى عبد الله فى قول الله عز وجل : فى قوله : « ومن يطع الله ورسوله في ولاية عليّ وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً »هكذا أنزلت ». [2]

٢ ـ عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (ع) في قوله « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسى » .

هكذا والله أنزلت على محمد ﷺ » [3]. (لعن الله الكاذبين) .

٣ ـ عن جابر قال : نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد هكذا « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله »[4].

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٤١ .

(٢)الكافي صـ٣٤٢.

(٣) الكافى ص ٣٤ .

(٤) الكافي ص ٣٤٥ .

٤ ـ عن الرضا (ع) في قول الله عزّ وجلّ « كبر على المشركين بولاية عليّ ما تدعوهم إليه يا محمد ولاية علي » هكذا في الكتاب مخطوطة (١) .

٥ ـ عن أبي عبد الله في قول الله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع (*) للكافرين بولاية علي ليس له دافع » ثم قال هكذا والله نزل بها جبريل عليه السلام على محمد ﷺ .

٦ ـ عن أبي جعفر (ع) قال نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا «فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » (٢) .

٧ ـ قرأ رجل عند أبي عبد الله (ع) « قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

قال ليس هكذا هي ، إنما هي والمأمونون ، فنحن المأمونون » (٣) .

وهناك آيات أخرى كثيرة على هذا الصنيع تلاعب بها أولئك الفجار تركتها اكتفاء بالأمثلة السابقة ولعلهم حينما وضعوها كانوا يظنون ويتمنون أنها ستقرأ في المساجد والصلوات على حسب تحريفاتهم ، لأنهم لا يعلمون أن الله تكفل بحفظ كتابه ، وأن المسلمين يكتشفون كل محاولة للتلاعب بالقرآن مهما كان خفاؤها بتوفيق الله لهم .

وقد نتج عن هذا التلاعب بالقرآن أن اختلط أمره على عامة الشيعة فلم يوجد عندهم التمييز بين كلام الله في القرآن ، وما أدخله أولئك الفجار عليه وهذا ما يرويه الكليني بقوله :

« روى عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي الحسن ـ أي أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٥٦ . (٢) الكافي ص ٣٤١ . (٣) المصدر السابق .

المتوفى سنة ٢٠٦ قال : قلت له جعلت فداك ، أنا أسمع الآيات فى القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأثم ؟

فقال لا ، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم ». (١)

ينبيء عن مدى التشويش الذي أصاب الشيعة من جراء أكاذيب علمائهم عليهم وعلى أئمتهم المعصومين بزعمهم ،.. وتوجيه لأنظار الشيعة عامة إلى ترقب مجييء من يعلمهم بمصحف آل البيت ، مصحف فاطمة الذى يختلف تمام الاختلاف مع المصاحف الموجودة بأيدى المسلمين ، وقرآنه يختلف مع القرآن الذى عرفه المسلمون من فم رسول الله ﷺ ..

روى الكلينى عن أبى بصير قال : دخلت على أبى عبد الله ... إلى أن قال أبو عبد الله - جعفر الصادق - كما يزعم الكلينى وأبو بصير - : وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام ، قال قلت ، وما مصحف فاطمة (ع) ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد »(٢) .

هذه الرواية أيضا من أكاذيب الشيعة ، وصدق من قال : «عدو عاقل خير من صديق جاهل » إذا قلنا بأن لهم صداقة مع أهل البيت كما يزعمون .

وكان لابن حزم رحمه الله تعالى مواقف مشهورة وكثيرة مع النصارى ، كان يناظرهم ويقيم عليهم الحجج الدامغة أن كتبهم محرفة ، وفيها نقص وزيادات وضياع لأصولها الصحيحة ، ولم تعد تصلح للاحتجاج بها فضلا عن التدين بما فيها ، فكان القسس يردّون عليه نفس الحجّة قائلين أن القرآن كذلك فيه تحريف ونقص وضاع كثير من أصوله باعتراف المسلمين من الشيعة، فيجيبهم ابن حزم بقوله :

---

(١) الكافى ج٢ ص ٤٥٣ .

(٢) الكافي فى ج ١ ص ١٨٦ .

« إن دعوى الشيعة ليست حجّة على القرآن ولا على المسلمين لأن الشيعة غير مسلمين » . وقال رحمه الله :

« وأما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القراءات ، فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هى فرق حدث أولها بعد موت النبى ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد للاسلام ، وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر ... إلخ كلامه »(١).

ومهما حاول الحاقدون على الإسلام من أى ملة كانوا فإن الله عزّ وجل تكفل بحفظ كتابه وحمايته ، وما كان في حماية الله عزّ وجلّ فإنه لا يضيع .

وكم حاول كثير من الفجار التطاول على القرآن فأخزاهم الله وسيبقى القرآن دستورا خالدا للمسلمين محفوظا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولكم يتمنى كل مسلم غيور على دينه أن تمحى مثل هذه الأباطيل والشوائب، وأن تقترب قلوب المسلمين وتتوحد أهدافهم وتصدق نيّاتهم، ويأتوا إلى حكم القرآن خاضعين مسلمين إن أرادوا النجاة واجتماع كلمة المسلمين وقوّة شوكتهم ، لولا أن العداوة قد استحكمت ، والآراء قد ثبتت فى الأذهان بتحريض علماء السوء ، وإن التغيير الكامل لمثل هذه المواقف يتطلب نية صادقة وعزما قويا على الالتفاف حول الأساس الذى بنى عليه الإسلام وهو كتاب الله وسنة نبيه لرفع كلمة المسلمين مما هم فيه من التفرق والخذلان ، والعودة بهم إلى سابق مجدهم وعزهم إذا أراد الله بهم الخير والخروج من أيدى الطغاة الذين تكالبوا عليهم من الشرق والغرب ... قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

والله المستعان .

(١) انظر الفصل ج٢ ص ٧٨ .

٦ موقفهم من الصحابة

وأما بالنسبة لموقف الشيعة من الصحابة رضى الله عنهم :

فقد هلكوا فيهم » إذ بالغوا في العداء لهم وكفّروهم ، وحكموا بردة أخيارهم - حشاهم ذلك - بل وجعلوا من لوازم عبادتهم لله التقرب إلى الله بلعنهم صباحا ومساء ، وأعطوا من الأجر - بافترائهم على الله - ما لا يعد ولا يحصى لمن سبهم صباحا ومساء واختلقوا عليهم أكاذيب وافتراءات لا يصدّقها من له أدنى مسكة من عقل .

وبلغ من حقدهم على خيرة الصحابة أن كرهوا لفظة العشرة التى تذكرهم بالعشرة المبشرين بالجنة ، وهم فى موقفهم هذا قد خرجوا عن منهج الله ورسوله حيال المؤمنين عموما والصحابة خصوصا الذين أثنى الله عليهم وشهد لهم بكل خير فردوا شهادة الله فيهم ، وتعبّدوه بسّب أوليائه وتكفيرهم ، وحتى لم يشكروا لهم إحسانهم في إيصال الدين إليهم وإخراجهم من الوثنية والمجوسية إلى نور الإسلام وتناسوا جهادهم فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولا يخلو كتاب من كتب الشيعة - على كثرتها وبطلانها - من سب وشتم للخلفاء الراشدين وسائر الصحابة إلا من استثنوهم .

وقد عبّروا عن أبى بكر وعمر وعائشة وحفصة بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما ... وأحيانا يعبّرون عن أبى بكر وعمر بالجبت والطاغوت ، وأحيانا بكلمة الأول والثانى وقد يضيفون ، والثالث يقصدون عثمان رضى الله عنه ... وفيما يلى نذكر بعض النصوص من كتبهم تجاه الصحابة ليكون أوثق للحجة عليهم وأدعى إلى الإنصاف .

وأول ما نذكره هو تطاولهم على الصحابة وتفضيلهم لأنفسهم عليهم .

فقد أورد الطوسيّ عن أبى عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « **سيأتى قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم** ». قالوا يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين .، ونزل فينا القرآن ؟ فقال :«**إنكم لو تحملوا ما حملوا، لم تصبروا صبرهم**»(١).

أى أن حثالة الناس الذين يبكون على المهدى ،ويصيحون فى كل يوم ليخرج أجر الواحد منهم مثل أجر خمسين ممن قال فيهم الرسول ﷺ : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »

وأما الكلينى فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة فقال معرّضا بأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم عند شرحه لقول الله تعالى : ﴿ **لتركبن طبقا عن طبق** ﴾ .

عن زرارة، عن أبى جعفر في قوله تعالى﴿ **لتركبن طبقا عن طبق** ﴾ قال يا زرارة أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان»(٢).

وعن أبى عبد الله فى قول الله عزّ وجلّ ﴿ **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم** ﴾.

قال : نزلت فى فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبى ﷺ فى أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**»، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين (ع) ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة ، ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه البيعة لهم لم يبق فيهم من الإيمان شيء(٣).

وعن أبي عبد الله في قوله تعالي : ﴿ **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا**

---

(١) كتاب الغيبة ص ٢٧٥ . (٢) الكافى ج١ ص ٣٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٨ .

إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .قال : ذلك حمزه وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر و...[1] بن الأسود وعمار ، هدوا إلي أمير المؤمنين (ع) وقوله ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾ يعني أمير المؤمنين . و ﴿ **كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ **الأول والثاني والثالث**»[2] .

ومن أحاديث الكليني وذمّه للصحابة رضوان الله عليهم ما يرويه عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه في قوله عزّ وجل :﴿ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾.قال لما نزلت:﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ إجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض ما تقولون في هذه الأية ؟ فقال بعضهم: «إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها » وإن آمنّا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب. فقالوا قد علمنا أن محمدا صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع عليّا فيما أمرنا..فقال فنزلت هذه الآية ﴿ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾ يعرفون يعني ولاية علّي بن أبي طالب وأكثرهم الكافرون بالولاية[4]. وقال في ذمّه للخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم : « والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم[4]. ويبلغ الحقد والكراهة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يتهّمها الكليني في دينها وفي وعرضها وعفتها حين يفتعل الرواية الآتية على من اخترعها لعنة الله ، وهي طويلة نقتصر منها على هذه الكلمات :

(١) قال الحسن لأخيه الحسين : « واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله ﷺ وعداوتها لنا أهل البيت».

(٢) قال لها الحسين بن عليّ : « قديما هتكت آنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ وأدخلت بيته من لا يحبّ رسول الله ﷺ قربه » .

---

(١) الاسم ممسوح في النسخة المصورة عندى .
(٢) الكافي ج١ ص ٣٥٣ .
(٣) الكافي ج١ ص ٣٥٤ .
(٤) الكافي ج١ ص ٣٥٦ .

(٣) قال لها الحسين: « وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه... إلي أن قال: ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند إذن رسول الله ﷺ المعاول »

(٤) « ولعمرى لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله ﷺ بقربهما منه الأذى، وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ﷺ»[1].

إلى آخر ما أورده من كلام السفهاء والسفلة حاشا الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية أن يتلفظوا به بل ولا يتلفظ به من هو أقل منهم إيمانا، فكيف بهم ؟؟ ولكنها الغفلة والطيش الذي امتازت به هذه الطائفه حينما قادهم علماء السوء منهم إلى بغض الصحابة والحكم عليهم بالردة بعد وفاة النبي ﷺ والذي استحلوا الكذب على أئمتهم بما ملئوا به كتبهم من روايات هي من مخترعاتهم، والتي هي أيضا امتدادا لأفكار ابن سبأ الضال.

وأما شرف الدين العاملّي في مراجعاته التي زعم فيها أنه منصف يقول الحق، فقد جاء في كتابه هذا بالطامات والدواهي الغليظة بما افترى من الكلام والوقيعة في الصحابة عموما، والخلفاء الثلاثة خصوصا بطرق غامضة وأساليب ملتوية.

فقد عرّض بأبي بكر وعمر أنهما خطبا إلي الرسول ﷺ ابنته فاطمة فلم يزوجها من أحد منهما، وزوجها من علّي فحسداه على ذلك وكاداه بكل وسيلة فلم ينجحا. فقال العاملّي في ذلك مع الشتم لأبي بكر وعمر رضوان الله عليهما: « وقد تظافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله ﷺ سيزوج عليا من بضعته الزهراء وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنّة حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر لا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح. وقالوا إن هذه ميزة يظهر بها فضل علّي، فلا يلحقه بعدها لاحق، ولا يطمع في إدراكه طامع فأجلبوا بما لديهم من إرجاف، وعملوا لذلك أعمالا،

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٤٠- ٢٤١.

فبعثوا نساءهم إلي سيّدة نساء العالمين ينفرّنها ، فكان مما قلن لها إنه فقير ليس له شئ ، لكنها عليها السلام لم يخف عليها مكرهن وسوء مقاصد رجالهن ، ومع ذلك لم تبد لهن شيئا يكرهنه حتى تم ما أراده الله عز وجّل ورسوله لها»[1] ولقد نسي أن الرسول ﷺ زوّج عثمان بن عفّان على ابنتيه ، وتمنى أن لو كانت له ثالثة فيزوجّه أيضا .وأن أبا بكر وعمر لم يصنعا هذا الصنيع ولا شيء منه تجاهها ولاتآمرا عليه . وقد تناقض العاملي فإنه روى أيضا ما يدّل على تبرم فاطمة بزواجها من علّي ،،، حيث روى عن أبي هريرة قال قالت فاطمة : يارسول الله زوجتني من علّي وهو فقير لا مال له ؟

قال ﷺ : يافاطمة أما ترضين أن الله عزّ وجلّ اطلع إلى الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك[2]. وعن معقل بن يسار أن النبي ﷺ عاد فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتدّ حزني واشتدّت فاقتي وطال سقمي . قال ﷺ : أما ترضين أني زوّجتك أقدم أمتي إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما »[3] ثم قال العاملي: «والأخبار في ذلك متضافرة لاتحتملها مراجعاتنا »[4]. وقد طعن في إيمان أبي بكر وعمر وطاعتهما للرسول ﷺ وكذلك عثمان رضي الله عنه ، وكل من أطاعهم فزعم أنهم كانوا لا يمتثلون لكلام الرسول ﷺ ويؤلون قوله لصالحهم دون أي اكتراث بمخالفته ... إلي أن قال : « أما الخلفاء الثلاثة وأولياؤهم فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها »[5] وزعم أن عليّا كان دائم الشكوى من قريش ومن أبي بكر وعمر فقال : « وكم احتج أيام خلافته متظلما، وبث شكواه على المنبر متألما»[6] وأنه دائم الدعاء عليهم بقوله: « اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي ، وصغرّوا عظيم منزلتي،

---

(١) المراجعات ص ٢٥٥
(٢) المراجعات ص٢٥٦ .
(٣) ، (٤) المراجعات ص ٢٥٧ .
(٥) المراجعات ص ٣٠٠ .
(٦) المراجعات ص ٣٣٧ .

وأجمعوا على منازعتي أمرا هولي». ولقد نسي أن عليا بن أبي طالب كان لا يرى الدنيا تساوي شيئا عنده فكيف بالخلافة التي أخذها وهو كاره لها، لولا ما كان يؤمله من استقامة الناس على الدين، والقضاء على الفتن.

ومن الأمور التي لم يتورع عنها العاملي زعمه أن الحسن بن علي جاء إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال له: انزل عن مجلس أبي. ووقع للحسين مثل ذلك مع عمر وهو علي المنبر أيضا [1].

وهناك إفتراءات كثيرة وتشويه للحقائق وسباب لخيرة الناس بعد محمد ﷺ لم يجد العاملي أي حرج في هذه المواقف التي لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة.

وله في أم المؤمنين عائشة من التعريض بها والسب والشتم الذي لا يليق إلا به وبمن يعتقد معتقده ما لا أستطيع ذكره هنا لطوله، ولعدم صبر المؤمن على النظر فيه وقراءته...

فقد ذكر في وسط السب والتعريف بها أن النبي ﷺ قام خطيبا على منبره فأشار نحو مسكنها قائلا ههنا الفتنة ههنا الفتنة «ههنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان»[2].

ولقد أذهب الحقد والكراهية لأم المؤمنين عقله فادّعى أن قرن الشيطان يطلع من بيت النبي ﷺ من حجرة عائشة التى دفن فيها، وأن الفتن والشرور كلها تنبعث منه، وحاشا ذلك أن يقع، فانظر إلى سفه هؤلاء الفجار ... ثم أسند الحديث إلى البخاري ومسلم متجاهلا معنى الحديث والمقصود منه، مؤكدا أنه وارد في عائشة، وفي ذم حجرتها التي حوت قبر الرسول خير البشر ﷺ

واختلق العاملي حديثا أورده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال

(١) المراجعات ص ٣٤٥. (٢) المراجعات ص ٢٨٤.

في مرضه: ادعو لي أخي. فجاء أبو بكر فأعرض عنه. ثم قال ادعوا لي أخي. فجاء عثمان فأعرض عنه. ثم دعى له عليّ فستره بثوبه وأكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له ما قال لك؟ قال: علمني ألف باب، كل باب يفتح له ألف باب[1].

ويذكر أيضا أنّه بعد وفاة الرسول ﷺ كاد للإسلام كثير من العرب والمنافقين، والذين يريدون، للإسلام شرا إلى جانب وجانب آخر كان فيه كثير من العناصر الجياشة بكل حنق من محمد وآله وأصحابه، تريد انتهاز الفرصة وأخذ الحكم قبل أن يستتب الإسلام بقوته ونظامه، ويقصد بهذا أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

ثم قال: « فوقف أمير المؤمنين بين هذين الخطرين، فكان من الطبيعي له أن يقدم حقّه قربانا لحياة الإسلام، وإيثاراً للصالح العام ... فانقطاع ذلك النزاع، وإرتفاع الخلاف بينه وبين أبي بكر لم يكن إلا فرقا على بيضة الدين »[2].

وينقل عن عمر رضي الله عنه أنّه قال لابن عباس في كلام دار بينهما « إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفون على الناس »[3].

وهذه الكذبة مثل الكذبة التي تقول في كتبهم عن الباقر والصادق: « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم .. من ادعى إمامة ليست له، ومن جحد إماماً من عند الله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام »[4].

أو الكذبة الأخرى في قولهم: « ولله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم في كل عالم سبعون ألف أمّة، كل أمّة أكثر من الجن والإنس، لا هم لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان »[5].

---

(١) المراجعات ص ٢٨٢ .
(٢) المراجعات :ص ٢٩٤ .
(٣) المراجعات : ص ٢٩٩ .
(٤) انظر الوشيعة ص ٢١ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

وللشيعة دعاء يسمونه « دعاء صنمي قريش » أي أبو بكر وعمر ، ونصّه: «اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما..» وهذا الدعاء انتظم الخليفة الراشد أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة رضوان الله على جميعهم.. وقد أشرنا إلى عدائهم للخلفاء في درس الرجعة والمهدية.

وعلى العموم فإن كتبهم مملوءة بالسب والطعن في الصحابة، لا يستثنون إلا خمسة منهم، وقيل سبعة عشر من مجموع ذلك العدد الضخم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

وللطبرسي في كتابه « فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب » من الغمز واللمز والأكاذيب على آل البيت ما يدل دلالة واضحة على بعد هؤلاء العتاة عن الدين الإسلامي الحنيف ، وجهلهم بحق الصحابة وأنهم بعيدون عن هدي الإسلام كل البعد وهكذا فعل الطوسي في كتابه « الغيبة » ، والخميني في كتبه ردد تلك الأفكار وبالغ في زخرف القول مثل كتابه « ولاية الفقيه » وغيره من كتبه ووصاياه .

وإذا كنت قد وعيت أيها القارئ الكريم كل ماتقدم ، ورأيت مواقف الشيعة من أصحاب الرسول ﷺ وزوجاته وأهل بيته بل والقرآن الكريم، وعامة أهل السنة.

ورأيت تلك العداوة الشديدة ، وتلك المواقف التي يئن لنها قلب كل مسلم... فإن مما ينبغي أن يطأطئ له الشيعة رؤوسهم خجلا أن تكون تلك المواقف هي عقيدتهم نحو دين الإسلام وأتباعه وهم يدّعون أنهم من أتباعه .

وأن يذكر المنصفون من كتّاب الشرق والغرب ما يرفع رأس المسلم فخرا واعتزازًا بدينه وبأسلافه ، من بيانهم لحقائق الإسلام والخلفاء ودورهم المشرق، ودور الصحابة في إسعاد البشرية بوصول الخير إليهم ، ونقلهم بكل أمانة

ماسمعوه من الرسول ﷺ ، وكيف نشروا الإسلام لا لشيء إلا لإرضاء الله تعالى ، وقياما بواجب الدعوة نحو البشرية جمعاء، مع ماكانوا فيه من الفاقة والزهد والترفع عما في أيدي أهل البلاد المفتوحة ، وقيامهم بذلك العدل الذي أدهش أهل كل مكان وطأته أقدامهم الكريمة فدخلوا في دين الله أفواجا راغبين مغتبطين لهذا الدين ، وصاروا فيما بعد ذلك من جنود الإسلام الميامين .

شهادة المنصفين

والآن اسمع مايقوله المنصفون في أصحاب النبيّ ﷺ، وهناك عشرات الأمثلة تركتها لئلا يطول البحث ، ويمكنك الرجوع إليها بسهولة ويسر(١).

يقول الكاتب الإنجليزي المشهور كاريل في إعجابه بالقرآن الكريم :

« إن القرآن كتاب لاريب فيه ، وإن الإحساسات الصادقة الشريفة والنيّات الكريمة تظهر لي فضل القرآن ، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها، بل هو الكتاب الذي يقال عنه في الختام» وفي ذلك فليتنافس المتنافسون »لكثرة مافيه من الفضائل المتعددة»(٢).

ويقول الفريد غليوم أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لندن :

« علينا من المبدأ أن نقرر أن محمداً ـ ﷺ كان واحداً من أعلام التاريخ العظماء .. إلى أن يقول :

«إن إخلاص خلفائه لدعوته وإيمانهم بها وفهمهم لها قد جعلهم يعملون على تعميم الدعوة الرحيمة »(٣) .

وقالت الدكتورة لورافيتشا فاليري الكاتبة الإيطالية في كتابها « محاسن

---

(١) ارجع إلى كتاب « الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب القسم االثاني لترى مايزيدك إيمانا واعتزازا بدينك .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ نقلا عن كتاب « الأبطال » .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣ .

الإسلام»:

« أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً ﷺ في حكم الدولة الإسلامية الذين كانوا تراجم ضميره فقد صاروا على سننه التي سنها لهم ، وحملوا راية الإسلام إلى قلب القارة الآسيوية من جهة، وإلى أمواج المحيط الأطلسي من جهة أخرى»(١).

ويقول الدكتور م .. أهنو ، قنصل اليابان في مصر ، معجباً بالقرآن وما فيه من الهدى والخير :

« إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذا تمسكوا بما جاء في القرآن الكريم من تعاليم فإن هذا يكون سبباً في تقدمهم في نواحي الحياة الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية لأن القرآن قد جمع المدنيات قديمها وحديثها، وهو كتاب جامع شامل»(٢).

وقال المسيو جوته :

« كلما قلّبنا النظر في القرآن تملكنا الروعة والوجل ، لكننا سرعان مانشعر نحوه بجاذبية تنتهي بنا حتماً إلى الإكبار ، فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع ، ولسوف يحيا تأثيره في النفوس في جميع الأجيال والعصور»(٣).

ويقول الأستاذ شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق عام ١٩٣٧م:

« إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها ، إذ إنه رغم أميّته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبين أسعد مانكون لو وصلنا إلى قمتّه بعد ألفي سنة »(٤).

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧٣

وقال الأستاذ خليل إسكندر قبرصي في مدح النبي ﷺ، وخلفائه من بعده:

هذا الذي امتدت أيدي خلفائه إلى أقصى حدود أوروبا فأناروا بحسن عدلهم وأمانتهم، وجميل تقواهم ظلماتها، ومزقوا بنور الفرقان دياجر جهالتها»[1].

وهناك نصوص كثيرة جدا عن هؤلاء الذين يحبون صفة الإنصاف فاقرأها وقارن بين مواقف هؤلاء ومواقف الشيعة لترى الغبن الفاحش للمسلمين بانتساب هؤلاء إليهم مع بقائهم على تلك الأقوال والمعتقدات التي قدمنا ذكرها عن خلفاء النبيّ ﷺ وزوجاته وأهل بيته وعامة المسلمين وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٧ : قولهم بالبداء على الله

البداء : معناه الظهور بعد الخفاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ أي ظهر .

ومعناه أيضا حدوث رأي جديد لم يكن من قبل كما في قول الله تعالى: ﴿**ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين**﴾ .

وله معان أخرى كلها لاتخرج عن مفهوم تجدد العلم بتجدد الأحداث .

وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل وحدوث العلم تبعا لحدوث المستجدات لقصور العقول عن إدراك المغيبات .

وإذا أطلقت هذه المعاني على الإنسان فلا محذور فيها لتحققها فيه ، وأما إذا أطلقت على الله عزّ وجلّ فلا شك أنها كفر تخرج صاحبها من الملة ، ذلك أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة ، يعلم السر وأخفى ، ويعلم ماظهر وما سيظهر على حد سواء ، ومحال عليه عز وجلّ حدوث الجهل بالشيء فتبدو له

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ .

البداءات فيه .

وهذه العقيدة معلومة من الدين بالضرورة أنها باطلة لدى كافة المسلمين، ولا يتصور اتصاف الله بها إلا من لامعرفة له بربه ، واستحوذ عليه الجهل والغباء.. فما هو موقف الشيعة من هذه القضية ؟ .

الواقع أن كل كتب الشيعة تؤكد وجوب اعتقاد هذه الفكرة عن الله، بل ووصل بهم الغلو إلى حد أنهم يعتبرونها من لوازم الإيمان كما سيأتي ذكر النصوص عنهم ، إلا أن الأشعري يذكر عنهم أنهم اختلفوا في القول بها إلى ثلاث مقالات :

(١) فرقة منها يقولون إن الله تبدو له البداوات ، وإنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات ، ثم لايحدثه بسبب مايحدث له من البداء ، وفسّروا النسخ الحاصل في بعض الأحكام على أنه نتيجة لما بدا لله فيها ... تعالى الله عن قولهم .

(٢) وفرقة أخرى فرّقوا بين أن يكون الأمر قد اطلع عليه العباد أم لا .. فما اطلعوا عليه لايجوز فيه البداء ، وما لم يطلعوا عليه بل لايزال في علم الله فجائز عليه البداء فيه .

(٣) وذهب قسم منهم إلى أنه لايجوز على الله البداء بأى حال .

هذا ماقرره الأشعري [١]، ولكن كما قدمنا فإنه بالرجوع إلى مصادر الشيعة الإمامية الرافضة تجد أنهم متمسكون بهذا المبدأ ويقرّون أن الله تبدو عليه البداوات ، ويذكرون فيه فضائل من يعتقد على الله البداء أكاذيب كثيرة منكرة دون ذكر خلاف بينهم وقد يصدق كلام الأشعري على بعض المعتدلين ممن مال إلى التشيع ، ولم يغلو فيه غلو الإمامية .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١١٣ .

أدلتهم على القول بالبداء

تمسك الرافضة بعقيدة البداء تمسكا شديداً ولهذا فإن أدلته في كتبهم لاتكاد تحصر.

ومن ذلك ماذكره الكليني في الكافي ، حيث عقد بابا كاملا في البداء سماه« باب البداء » ، وأتى فيه بروايات كثيرة توّضح بجلاء مقدار تعلّقهم بعقيدة البداء منها :

* عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال:«ماعبد الله بشيء مثل البداء».

والحقيقة ماعبد الله بشيء مثل التوحيد له عز وجلّ والانقياد التام ، وأما البداء فهو عقيدة يهودية ، من قال بها فقد وصف ربه بالنقص والجهل والتخبط في الاعتقاد .

* وفي رواية ابن عمير عن هشام بن سالم ، عن أبى عبد الله عليه السلام «ماعُظّم الله بمثل البداء »[1] .

* وعن أبى عبد الله أنه قال : « لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر مافتروا عن الكلام فيه »[2] .

* وعن مرزام بن حكيم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ماتنّبأ نبي قط حتى يقرّلله بخمس ، بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة »[3].

وهذه لايظهر أنّها خمس فالسجود والعبودية والطاعة كلمات تغني كل واحد منها عن الأخرى .

وعن الريّان بن الصلت قال سمعت الرضا عليه السلام يقول : « مابعث الله نبيّا إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر لله بالبداء ».[4]

وهذا غير متيقن فإن شرائع الأنبياء تختلف في الفروع ، ولم تتفق دعوة الأنبياء على التأكيد إلا في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته.

(١) الكافي ج١ ص ١١١ . (٢)، (٣) ، (٤) الكافي ج١ ص ١١٥ .

ومن تمجيدهم لمن يقول بالبداء مارواه الكليّني عن جعفر أنه قال : « يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة ، عليه سيما الأنبياء ، وهيبة الملوك»(١).

وعن أبي عبد الله قال : « إن عبد المطلب أول من قال بالبداء ، ويبعث يوم القيامة أمة واحدة ، عليه بهاء الملوك وسيما الأنبياء »(٢).

والمعروف حسبما يذكر علماء الفرق أن أول من قال بالبداء في الإسلام وأظهره هو المختار بن أبي عبيد ، وأن عبد المطلب لم يدخل الإسلام .

ويبدو القول بالبداء واضحا فيما نقل الكليّني عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « ياثابت إن الله وقت هذا الأمر - أي خروج المهدي - في السبعين ، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة ، فحدّثناكم ، فأذعتم الحديث ، فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ، ﴿ **يمحو الله مايشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ .

قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال قد كان ذلك(٣).

ومفهوم هذا النص أن الله تعالى حينما وقت خروج المهدي في أربعين ماكان يعلم عن مصير الحسين ، فلما قتل الحسين غضب الله تعالى على الناس فأخر خروج المهدي جزاء لقتله وانتقاما من الناس .

ومعلوم أن نسبة الجهل إلى الله تعالى كفر وردة كما تقدم فإن الله تعالى قد كتب على الحسين كل ما هو لاقيه قبل أن يخلق السموات والأرض، واشتداد غضب الله تعالى حين قتل الحسين وبتلك الصورة المفاجئة يدل على أنه لم يكن يعلم ذلك وإلا لاشتدّ الغضب قبل قتله، ولأخّر ظهور المهدي قبل توقيته في السبعين.

---

(١) ، (٢) المصدر السابق ص ٣٧١ ، أبواب التاريخ ، مولد النبي ﷺ .

(٣) الكافي جـ ١ ص ٣٠٠ .

وبعد أن ذكر الطوسّي جملة من أخبار البداء قال :

« فالوجه في هذا الإخبار أن نقول إن صحت أنه لايمتنع أن يكون الله تعالى قد وقتّ هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت فلما تجدّد ما تجدّد تغيّرت المصلحة، واقتضت تأخيره إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ويكون الوقت الأول، وكل وقت لايجوز أن يؤخر مشروطا بأن لايتجدد ماتقتضي المصلحة تأخيره إلى أن يجيء الوقت الذي لايغيره شيء فيكون محتومًا » (١) .

وهذا هو إثبات الجهل بعينه لتوقف الأمور على ظهور المستجدات والمصلحة فيها .

أول من قال بالبداء على الله تعالى

يبدو أن أول من ادعى البداء على الله تعالى هم اليهود، قالوا إن الله تعالى خلق الخلق،ولم يكن يعلم هل يكون فيهم خير أو شر،وهل تكون أفعالهم حسنة أم قبيحة فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من التوراة مانصه :

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسّف في قلبه جداً فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته لأني حزنت أني عملتهم » (٢) .

وهذا النص وأمثاله يفيد صراحة أن الله قد بدت له أمور لم يكن يعلمها فحزن حزنا شديدًا حين رأى معاصي البشر .

فالبداء عقيدة يهودية مدوّنة في كتبهم المحرفة ، ونفس هذه الأفكار مدونة عند الشيعة فالكليني - كما رأينا فيما سبق - يروي عن الأئمة فضائل كثيرة

(١) كتاب الغيبة ص ٢٦٣ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥ في نقله كلام سليمان بن جرير الشيعي في ذمه القول بالبداء وأنه حيلة من حيل الروافض .

(٢) الكتاب المقدس ، الإصحاح السادس ، سفر التكوين .

لاعتقاد هذا الكفر ، حتى وإن ذكر بعض الروايات التي تفيد عدم حصول جهل الله بالأمور قبل ظهورها لكنها لم تكن صريحة مثل النصوص الأخرى التي سبق ذكرها عنهم .

ويذكر الكثير من العلماء « أن أشد من تزعم القول بالبداء في الإسلام هو المختار بن أبي عبيد الثقفي تغطية لكذبه قال البغدادي مبيناً سبب إدّعاء المختار القول بالبداء على الله تعالى :

« وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو أن إبراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار قد تكهّن وادّعى نزول الوحي عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الاشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ، ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفي ومحمد بن الأشعث الكندي وأكثر سادات الكوفة غيظًا منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم وأطمعوا مصعبًا في أخذ الكوفة قهرًا ، فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم إليه من سادات الكوفة ، وجعل على مقدمته المهلّب بن أبي صفرة مع أتباعه من الأزد وجعل أعنة الخيل إلى عبيد الله بن معمّر التيمي ، وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم... فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط إلى قتل مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم ، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك ، فالتقى الجيشان بالمدائن ، وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قوّاد المختار ، ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له ألم تعدنا بالنصر على عدوّنا وقد انهزمنا ؟

فقال : إن الله تعالى كان قد وعدني بذلك ، لكنه بدا له ، واستدل على ذلك بقول الله عزّ وجلّ ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ [1] ... فهذا كان سبب

---

(١) الرعد ٣٩ .

قول الكيسانية بالبداء[1].

ويقول الشهرستاني في تقريره لهذه القضية : « وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم مايحدث من الأحوال ، إما بوحي يوحى إليه، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم، وكان لايفرق بين النسخ والبداء . قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار[2] .

ومعلوم عند كافة أهل العلم أن النسخ ليس معناه البداء على الله تعالى ، وإنما النسخ رحمة من الله تعالى وتدّرج في الأحكام .

ولكن الشيعة أيضًا هم على هذا الرأى ، وهو عدم التفريق بين النسخ والبداء، وفي هذا يذكر الطوسي هذا بقوله :

« وعلى هذا يتأول أيضًا ماروى من أخبارنا المتضمنة للبداء ويبيّن أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات[3] .

وعلى كل حال فإنه مامن مسلم سليم الفطرة ، لم تدنس فطرته بشبهات المبطلين وأقاويل الضالين إلا وهو يعتقد أن الله تعالى لايلحقه نقص في علمه المحيط بكل شيء، وأن ادّعاه البداء على الله معناه نسبة الجهل إليه جلّ وعلا، هذا كفر صريح .

ولقد أصبح الشيعة باعتقادهم هذا ـ كما يقول العلماء ـ « عار على بنى آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل بسبب ما اعتقدوه من مثل هذه الضلالات».

(١) الفرق بين الفرق ص ٥٠ ـ ٥٢ .

(٢) الملل والنحل ج١ ص ١٤٩ .

(٣) كتاب الغيبة ص ٢٦٤ .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى أقوال أهل العلم، وإلى فطرة كل شخص نجد أن كل ذلك يدحض ماذهب الله علماء الشيعة ويبطل القول بالبداء وأن الذين يطلقون ذلك على الله ماعرفوه وما قدروه حق قدره... ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تكذب كل زعم يقول بالبداء على الله عزّ وجل.. ومن ذلك :

(١) قوله تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين**﴾(١) .

(٢) قوله تعالى : ﴿ **لايضلّ ربي ولاينسى** ﴾ (٢) .

(٣) قوله تعالى : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة** ﴾ (٣) .

وفي السنة أحاديث كثيرة تدل على مادلت عليه تلك الآيات ، ومعلوم أن هذه الفكرة لم ترد على أذهان السلف الأوائل ، بل إنهم كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ويستعيذون بالله منها .

فإن الله قد أحاط بكل شيء علما ، والله لم يثبتها لنفسه، والأنبياء. لم يقرّوا لله بها كا زعم الشيعة، وإنما أقر بها اليهود، وروّجها عبد الله بن سبأ في الإسلام، وجدّدها المختار،وتلقفها عنهم الحاقدون على الإسلام الذين يطمعون في التلاعب بمفاهيم المسلمين وتشويه معتقداتهم ، وليكون ذلك أيضًا غطاءً لما يريدونه من مخططات لهدم الإسلام. ومما لايتطرق إليه الشك أن الشيعة وهم ينتحلون الكذب على الله وعلى الناس أنهم هم الذين اخترعوا تلك النصوص ونسبوها إلى بعض العلماء الأجلاء من آل البيت لتكتسب بذلك وجها عند عوام المسلمين فيتقبلوها ليتم لأولئك ما أرادوه من نيات سيئة بيّتوها للإسلام والمسلمين.

---

(١) الأنعام ٥٩ . (٢) طه ٥٢. (٣) الحشر ٢٢ ..

الفصل الثامن

الشيعة في العصر الحاضر

وهل تغير خلفهم عن سلفهم؟

لقد تعمد علماء الشيعة مغالطات الناس قديما وحديثا في إبداء نظرتهم إلى المخالفين لهم من سائر الناس ومن أهل السنة ـ بخصوصهم ـ متخذين من التقية منفذا لكل ما يريدونه من قول أو فعل، كما أنها تظهر بين آونة وأخرى كتابات لهم تبدي في الظاهر تقاربهم من أهل السنة فانخدع الكثير بتلك الدعايات ولكن تبين أن الشيعة سلفا وخلفا لم يتغير موقفهم قيد أنملة ، وتبين لأهل السنة ولكل مخلص أنه لم تُجد جميع المحاولات التي قاموا بها في دعوة الشيعة إلى التقارب، ذلك أن الشيعة قد قام دينهم من أول يوم على أساس التقية والكذب كما تصرح بذلك كتبهم الموثوقة لديهم مثل الكافي الذي هو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة ، فهو مملوء بما لا يمكن أن يحصل بين الشيعة والسنة اتفاق ما داموا يعتبرونه مصدرا لهم ، ويؤمنون بصحة ما فيه من الكفر والشرك ورفع الأئمة إلي مرتبة الألوهية في أبواب كثيرة منه يصرح فيها بأنه لا حق إلا ما أخذ عن الأئمة الذين يعلمون الغيب ويحق لهم التشريع كما يريدون.

وهذا الغلو بعيد جدا عن تعاليم الإسلام إضافة إلى ماجاء فيه من البشارة لليهود بعودة الحكم والتمكين لهم في الأرض حينما يظهر أمر الأئمة، كما في باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة».

قال : ويروي عن عمار الساباطي قوله لأبي عبد الله جعفر بم تحكمون إذا حكمتم؟ قال : بحكم الله وحكم داود .

كذلك موقف الغلاة منهم من القرآن الكريم واعتقادهم أن فيه نقصا وتحريفا، وكذلك موقفهم من الصحابة وما حكموا به عليهم من الكفر والردة وسبابهم الشنيع لهم، كل ذلك وغيره من عقائدهم الأخرى ليجعل مانعا قويا

بينهم وبين أهل السنة وأقرب مثال علي ذلك ، دار التقريب التي فتحت مؤخرا بين السنة والشيعة في القاهرة منذ زمن واستمرت المحاولات علي قدم وساق من جانب واحد وهو جانب أهل السنة ، وحينما تبين لأهل السنة أن هذه المحاولات لم تجد شيئا أصيبوا بخيبة أمل ، وزاد الأمر وضوحا لدي أهل السنة أن الشيعة لم يرضوا أن تفتح دور مماثلة للتقارب في النجف وقم وغيرهما من مراكز الشيعة لأنهم إنما يريدون من التقريب أن يتم بجذب أهل السنة إليهم وإلى غلّوهم في التشيع فقط كما سبق ذكره .

ولقد حذر كبار علماء الإسلام منذ القدم من هؤلاء الشيعة، فقال الشافعي:

«ما رأيت في أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة»[1]وقال شريك بن عبد الله القاضي :

« أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا»[2].

وبمثل هذا الكلام قال الإمام مالك وابن المبارك وأبو زرعة وغيرهم والرازي والطحاوي والإمام أبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

كما رد عليهم علماء معاصرون ، وبيّنوا كفر الشيعة وعنادهم وكرههم لمن عداهم من المسلمين . كما حذر هؤلاء من الانخداع بهم ، فارجع أيها المسلم إلى ما قاله عنهم هؤلاء الأفاضل وانظر ما قاله الألوسي ومحب الدين الخطيب وبهجت البيطار ومحمد رشيد رضا والهلالي ومصطفي السباعي والمودودي وابن باز والشيخ الأمين وغيرهم من العلماء الذين عرفوا حقيقة الشيعة ويئسوا من التقارب معهم .

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٠٩ نقلا عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

(٢) منهاج السنة ج١ ص ١٣ نقلا عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

وقد وجدت الآن كتب تبين حقيقة الشيعة في هذا العصر الذي يقودهم فيه الخميني، وتُبين أهداف الخميني ونواياه بالمسلمين من أهل السنة، ولعله يريد أن يعيد مافعله ابن العلقمي سنة(٦٥٦) ببغداد بالخلافة الإسلامية من تشجيعه للتتار على التنكيل بالمسلمين، وغير ذلك من الأحداث التي تشهد بمواقف الشيعة وخيانتهم.

ومما هو جدير بالتنبيه إليه أنه حينما اشتد الخلاف بين السنة والشيعة وأقلق ذلك الملك نادر شاه سنة(١١٥٦هـ)أمر بعقد مؤتمر في النجف يوم ١٠/٢٦/ ١١٥٦هـ حضره علماء السنة والشيعة من العراق وإيران والتركستان والأفغان لبحث هذه الأمور التي فرقت بين المسلمين حيث كفر بعضهم بعضا... الأفغان والتركستان يكفرون الايرانيين لأنهم يسبون الشيخين، ويكفرون الصحابة ويقولون بحل المتعة، ويفضلون عليا على أبي بكر .. وبعد أن تمّ الاجتماع وحضرت جموع كثيرة من كلا الجانبين وبحثوا في تلك القضايا التي سجلها أهل السنة علي الشيعة اتفق رأيهم علي ما تنص عليه الوثيقة التالية :

« إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتي جاءت نبوة نبينا محمد ﷺ، ولما توفي، وكان خاتم الأنبياء، والمرسلين اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم علي أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق ابن أبي قحافةرضي الله عنه، فأجمعوا واتفقوا على بيعته كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب بطوعه وإختياره من غير جبر أو اكراه فتمت له البيعة والخلافة .

وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة قطعية، وقد مدحهم الله في كتابه المجيد فقال : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾ (١).

وقال تعالى:﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾(٢)،

---

(١) التوبة ١٠٠ .   (٢) الفتح ١٨

وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي ، وكلهم حضروا بيعة الصديق ، ثم عهد أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب فبايعه الصحابة كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب، ثم اتفق رأيهم على عثمان بن عفان ، ثم استشهد عثمان في الدار ولم يعهد فبقيت الخلافة شاغرة ، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على عليّ بن أبي طالب، وكان هؤلاء الأربعة في مكان واحد ، وفي عصر واحد ، ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ،لا نزاع ، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه، حتى إن عليا رضي الله عنه سئل عن الشيخين فقال: هما إمامان عدلان قاسطان، كانا على حق ، وماتا على حق ، فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب، فمن سبهّم وانتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاة، وعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقد سجلت وقائع هذا المؤتمر ومناقشاته والملابسات التي صحبته في رسالة صغيرة بعنوان « مؤتمر النجف »[1]وقد ضمت تلك الرسالة تفصيلات أخرى فيما دار من حوار بين الإيرانيين وعلماء الأفغان لا نرى ضرورة لتسجيلها هنا، بل اقتصرنا على ذكر الخلاصة التي انتهى إليها المؤتمر ، والتي تعتبر بمثابة توصية عامة يلتزم بها الجميع من أهل السنة والشيعة ، وفيها ـ كما ترى ـ النص على ترك كل ما يثير الخلاف والفرقة بين المسلمين .

ولو التزم الشيعة بعد ذلك بهذه الوثيقة لاجتمع أمر المسلمين على كلمة سواء، ولكن الشيعة لم يلتزموا بهذا الاتفاق بل كانوا يراوغون ويخادعون .

وشيعة اليوم لا يختلفون عن شيعة الأمس في المراوغة والكيد وفي الغلو أيضا، فهذا الخميني زعيم ثورتهم في إيران يصرح بتعصبه الشديد وخروجه عن الحق في الأئمة، ورفعهم فوق مكانتهم البشرية ، فهو يقول :

« إنهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافا في قدم الخلق وفي

(١) مؤتمر النجف مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٩١ ـ ٩٢ .

الوجود ، ولهم مع الرب تعالى مرتبة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل »[1].

ولهم نشاط في استجلاب الناس إليهم حتى انخدع كثير من أهل السنة بهم وصاروا شيعة، ووصل عددهم كما زعم الخميني(٢٠٠)مئتي مليون شيعي[2].

وارضاؤهم لعلماء السنة بالكلمات الجميلة إنما هو من باب التقية حتى يتمكنوا من إتمام مخططاتهم في إقامة دولة شيعية عالمية .

وفي هذا يقول الخميني : « لا تبعدوا الناس عنكم الواحد تلو الآخر ، لا تكيلوا التهم لهم بالوهابية تارة وبالكفر أخرى فمن يبقى حولكم إذا عمدتم إلى ممارسة هذا الأسلوب»[3].

وهو بهذه النصيحة إنما يريد أن يحثهم على معرفة طريق الخداع والنفاق، وإلا فإن قلبه ـ كما تشهد بذلك كتبه ـ يغلي حقدا على أهل الحق ابتداء بأبي بكر وانتهاء بالموجودين في عصره .

ولهذا فقد أمر الخميني الحجاج الإيرانيين بأن يصلوا مع أهل السنة تقية منهم وخداعا للناس، كما كان يفعل قادة الشيعة حينما كانوا يصلون خلف أهل السنة أحيانا ثم يعيدون صلاتهم بعد ذلك، كما صرح بهذا أحد علماء الشيعة المعاصرين حين قال الدكتور موسي الموسوي :

« وعندما أكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الإمامية يعملون بالتقية في أعمالهم الشرعية ، فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون عليها في مساجدهم، ولكنهم يخفونها في مساجد الفرق الإسلامية الأخري، وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتديا بإمام المسجد وإذا عادوا إلى بيوتهم أعادوا الصلاة عملا بالتقية معتمدين على روايات نسبت إلى أئمة

(١) ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية للخميني ص ٦١ .

(٢) انظر كتاب ولاية الفقيه ص ١٣٧ .

(٣) سراب في إيران ص ٣٩ نقلا عن الخميني في أقواله وأفعاله لأحمد مغنية ص ١٦٧ .

الشيعة في التقية » [١].

ولقد بلغ الحقد الشيعي على المسلمين وخصوصا أهل السنة في عصرنا الحاضر إلى حد الاستهتار بدماء المسلمين وأعراضهم وتهديد أمنهم في بيوتهم، ولعل ما فعلوه في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧ هـ أقوي شاهد على مدى حقدهم ونظرتهم إلى المخالفين لهم حينما تظاهروا في الحج ما يقارب مائة وخمسين ألفا، وهجموا يريدون الكعبة ، وتجمعوا في مظاهرات غوغائية، وكانوا يهدفون إلى تحقيق مخطط رهيب رافعين شعاراتهم وصور زعيمهم الخميني، وتقدموا رجالا ونساء يريدون الحرم لولا أن الله تعالى وبفضله ثم يقظة الحكومة السعودية فشل مخطط أولئك، وحيل بينهم وبين دخول الحرم، واشتبكوا مع المسلمين من المواطنين والجنود وبقية الحجاج من المسلمين في قتال ضار ، أريقت فيه دماء المسلمين الأبرياء ، وراح زعماؤهم يلقون التهديدات بشتي الأساليب للكرة مرة أخرى ، وسيرد الله كيدهم إلي نحورهم **﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾**[٢].

وقد حدث بالفعل أيضا أن أوعزوا إلى بعض عملائهم في حج عام١٤٠٩هـ متفجرات حول الحرم المكي الشريف في يوم ٧ ذي الحجة، وقام هؤلاء بهذه الجريمة النكراء وراح ضحيتها حجاج أبرياء جاؤوا لأداء فريضة الحج، ثم اندس أولئك العملاء في الناس، وظنوا أنهم نفذوا جريمتهم، وشفوا حقد صدورهم، ولكن الله أطلع الحكومة السعودية بتوفيقه فنالوا جزاءهم في الدنيا بتنفيذ حكم الله في المحاربين وقتلوا وسجن بعضهم... مع أن الحج نفسه لم يكن هدف الحجاج الإيرانيين، بل الهدف زيارة مرقد الرسول ﷺومراقد الأولياء كما صرحوا بهذا في منشور المظاهرة التي نظموها عام ١٤٠٦هـ جاء فيه: « فإننا نحن حجاج بيت الله القادمون من كل فج عميق لزيارة مرقد خاتم الأنبياء

---

(١) الشيعة والتصحيح ص ٥٨ .

(٢) المائدة ٦٤ .

محمد بن عبد الله (ﷺ) وأولياء الله الصالحين والصلاة في مسجد الرسول، خرجنا اليوم في مدينة رسول الله(ﷺ)في مسيرة... إلخ في ٢٥/١١/١٤٠٦هـ.

ولا ينبغي كذلك أن ننسي ما يفعلونه اليوم والحرب تدور رحاها في لبنان ليلا ونهارا كيف تعامل أحزابهم الكثيرة المسلمين من أهل السنة بخصوصهم بكل قسوة وعنف، وكيف تفننوا في التنكيل بهم كما تفعل اليهود أو أشد ـ كما يروي البعض ـ مع تظاهرهم بالإسلام وهم والنصيريون يدا واحدة ذئاب شرسة على الإسلام والمسلمين.

وهم على وتيرة واحدة سلفهم وخلفهم من أشد أعداء أهل السنة ومن أكثرهم تآمرا عليهم، ولقد كان المسلمون يُذبحون في بغداد ويحرقون بالألوف أمام ابن العلقمي والنصير والطوسي وهما يدلان التتار على عورات المسلمين وعلى كتبهم وعلى أماكن اختبائهم، وكانا يظهران الفرح والشماتة بالمسلمين، ثم تلت ذلك أحداث لا حصر لها كان هؤلاء الشيعة أنكى الناس والملل كلها بالمسلمين.

ولا غرابة في هذا منهم ما داموا قد بغضوا خيرة أصحاب نبينا ﷺ، ولعنوهم في كل صباح ومساء، ورووا في مثالبهم مالا يفعله الوثنيون، ويتنزه عنه الإباحيون، ويكفي أنهم حكموا عليهم بأنهم ارتدوا عن دين الإسلام، وأخضعوا كثيرا من القرآن، وقذفوا أم المؤمنين.

وفي عصرنا الحاضر من الأمثلة ما لا يكاد يحصر، ويكفي أنهم يسمون أهل السنة والجماعة «النواصب»، ثم يكيلون لهم اللعنات وأشد الافتراءات، بل ويفضلون الكلاب عليهم ويعتبرونهم من المغضوب عليهم عند الله، ولم يعترفوا لهم بأقل الصفات البشرية.

يقول الخميني في حكمه على أهل السنة الذين يسميهم نواصب «وأما

النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نجسان من غير توقف »[1].

ويقول في مساواة المسلمين بغير المسلمين في التذكية بالكلب المعلم.

« الثاني : أن يكون المرسل مسلما أو بحكمه، كالصبي الملحق به بشرط كونه مميزا، فلوا أرسله كافر بجميع أنواعه ، أو من كان بحكمه كالنواصب لعنهم الله لم يحل أكل ما قتله »[2].

بل ويرى عدم جواز الصلاة على ميت أهل السنة الذين يسميهم زورا بالنواصب فقال:

« يجب الصلاة على كل مسلم وإن كان مخالفا للحق على الأصح ولا يجوز على الكافر بأقسامه حتى المرتد ، ومن حكم بكفره ممن انتحل الإسلام كالنواصب والخوارج»[3].

ثم ادركه عرق السوء الذي جعل أسلافه يعتقدون بأن في القرآن تحريفا وزيادة ونقصا فهو يقرر ما يلي :

« مسألة : سورة الفيل والإيلاف سورة واحدة، وكذلك الضحى وألم نشرح فلا تجزئ واحدة منهما ، بل لابد من الجمع مرتبا مع البسملة الواقعة في البين»[4] أي أنه لم يكن على إقتناع من وضع القرآن وترتيبه .

(١) تحرير الوسيلة ج١ ص ١١٨ القول في النجاسات المسألة العاشرة.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦ . (٣) المصدر السابق ج١ ص ٧٩ .

(٤) المصدر السابق ج٢ ص ١٦٥ .

الفصل التاسع

الحكم على الشيعة

يسأل كثير من الدارسين عن حكم الشيعة ... هل هم كفار خارجون عن الملة، أم هم في عداد الفرق الإسلامية ؟.

وبغض النظر عن إختلاف وجهات نظر العلماء في الحكم عليهم ، وبغضّ النظر أيضا عما يورده كل فريق من أدلة على مايذهب إليه فإن الواقع يدل على أن الحكم على الشيعة أو غيرهم من الفرق بحكم واحد يحتاج إلى تفصيل ...

فأما بالنسبه للشيعة بخصوصهم فالذي اتضح لي :

١ ـ أن الشيعة ليسوا جميعًا على مبدأ واحد في غير دعوى التشيع، فمنهم الغلاة الخارجون عن الملة بدون شك ، ومنهم من يصدق عليهم أنهم مبتدعون متفاوتون في ابتداعهم، فبعضهم أقرب من البعض الآخر .

٢ ـ أن التثبت في تكفير المعين أمر لابد منه ، إذ ليس كل من انتسب إلى طائفة خارجة عن مذهب السلف في بعض القضايا يحق تكفيره .

٣ ـ ليس معنى التثبت في تكفير المعين أننا لا نطلق على الطائفة الخارجة عن الحق ألفاظ التبديع والتضليل والخروج عن الجماعة ، لأن ذلك الحكم خاص بتعيين الأفراد لا الجماعة عموما ، خصوصا من وجدنا نصا فيهم .

وعلى هذا فالحكم العام على الشيعة أنهم ضلال فساق خارجون عن الحق، وهالكون مع الفرق التي أخبرت عنها الأحاديث .. حكم لاغبار عليه .

٤ ـ اتضح أن الشيعة عندهم مبادئ ثابتة في كتبهم المعتمدة، قرّرها رجالاتهم المعتبرون قدوة في مذاهبهم .. من قال ولو ببعض من تلك المبادئ فلا شك في خروجه عن الملة الإسلامية ومنها :

أ ـ قولهم بتحريف القرآن وأنه وقع فيه الزيادة والنقص حين جمعه أفاضل

الصحابة رضوان الله عليهم كما صرح بذلك الطبرسّي في كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» ، وغيره من كتب الشيعة ، وانتظارهم أيضا مصحف فاطمة كما يزعمون .

ب ـ غلّوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة والحديثة ، الكافي ، وما كتبه الخميني في العصر الحديث .

ج ـ غلوهم في بُغض الصحابة ممن شهد الله لهم بالفوز والنجاة ، كأبي بكر وعمر وعثمان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحفصة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وردهّم شهادة أم المؤمنين رضي الله عنها، وبقاؤهم على عداوتها وإفكهم عليها ، واعتبارها عدوّة وليست بأم، وهذا حق فإنها ليست لمثل هؤلاء بأم ، فهي أم للمؤمنين فقط.

د ـ قولهم بالبداء على الله تعالى ، وقد تنزّه الله عن ذلك .

ومواقف أخرى يصل خلافهم فيها إلى حيثيات العقيدة الإسلامية من جذورها في كل قلب تشبع بها .

وأما من لم يقل بتلك المبادئ ، وكان له اعتقادات أخرى لا تخرجه عن الدين ، فإنه تقام عليه الحجة ثم يحكم عليه بعد ذلك حسب قبوله الحق أو ردّه له.

من مراجع فرقة الشيعة

١ ـ كتاب الكافي: للكليني .

٢ ـ فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب: للطبرسيّ .

٣ ـ تحرير الوسيلة: للخميني .

٤ ـ كتاب الغيبة: للطوسّي .

٥ ـ ولاية الفقيه: للخميني .

٦ ـ الشعائر الحسينية :للشيرازي .

٧ ـ فرق الشيعة :للنوبختي .

٨ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية .

٩ ـ الفقه الجعفري وأصوله: للسالوس .

١٠ ـ الرد على الرافضة :للمقدسيّ .

١١ ـ المراجعات: للعاملي مع الرد عليها للزعبي .

١٢ ـ وجاء دور المجوس :للغريب .

١٣ ـ أمل والمخيمات الفلسطينية: للغريب .

١٤ ـ الخميني بين التطرف والاعتدال: للغريب .

١٥ ـ أبرهة الجديد: لقنديل .

١٦ ـ سراب في إيران :للأفغاني .

١٧ ـ الثورة البائسة: للموسوي .

١٨ ـ الشيعة في الميزان: للنجرامي .

١٩ ـ الشيعة وتحريف القرآن :لمحمد مال الله .

٢٠ ـ **الشيعة والتصحيح**: للموسوي.

٢١ ـ **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام**: لسليمان حمد العودة.

٢٢ **عبد الله بن سبأ حقيقة لاخيال**: لسعدي الهاشمي.

٢٣ ـ **السبئيون منهجا وغاية**: د. حمدي عبد العال.

٢٤ ـ **إحسان إلهي ظهير في كتبه**:

١ ـ **الشيعة والسنة.**

٢ ـ **الشيعة وأهل البيت.**

٣ ـ **الشيعة والقرآن.**

٤ ـ **الشيعة والتشيع.**

والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع
الباطنية
الفصل الأول
تمهيد ... في بيان خطر هذه الطائفة

مذهب الباطنية من أخبث وأردأ المذاهب ، وأهله من عتاة الشر وأفسد المخلوقات ، وهم أعدى أعداء المسلمين قديما وحديثا ، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى بعض عقائدهم نحو المسلمين ، فذكر أن لهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة ، فإذا كانت لهم مكنة يسفكون دماء المسلمين، وإن عجزوا لجؤوا إلى الخطط والمؤامرات السرية ضدّهم ، وحينما استولوا على البحرين وصارت لهم فيه دولة عاثوا فسادا .

وكذلك حينما تمكنوا من الوصول إلى مكة والناس في الحج قتلوا الحجيج ، بل حصدوهم كما تحصد الحشائش ، وألقوا بجثثهم في بئر زمزم ، وبعضهم دفنوهم في صحن المسجد ، وبعضهم تركوهم جثثا منثورة ، ثم اقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم ، وقتلوا من علماء المسلمين ومشائخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ، فقد كانوا في أيام الحروب الصليبية أعظم أعوان النصارى ، فلم يستول الصليبيون على السواحل الشامية إلا من جهتهم، وما دخل التتار بلاد المسلمين إلا بمعونتهم ، فلقد كان النصير الطوسي أبرز عيونهم ، ولقد كان الخليفة مغترا به .

وما أن دخل التتار بغداد حتى حرضّهم النصير الطوسي على قتل الخليفة

وعشرات الألوف من المسلمين ، وهدم عليهم دورهم ، وقتل النساء والأطفال، وسبي من أراد سبيه من نسائهم وفضحهن وأغرق كثيرا من كتب المسلمين في نهر دجلة حتى تغير ماء النهر .

وأعظم أعيادهم هو اليوم الذي يصيب المسلمين فيه بلاء وكرب كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام ، وكيوم استيلاء التتار على بغداد .

كما كانت أعظم مصائبهم يوم أن نصر الله المسلمين على التتار والصليبيين والعبيديين.

وقد أوجز البغدادي عداوة الفرق الباطنية للإسلام والمسلمين في كلامه الآتي فقال :

« اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان لأن الذين ضلوا عن الذين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر»[1].

والسبب أن من ذكرهم البغدادي خطرهم ظاهر وعداوتهم معروفة والناس يحذرونهم بطبيعة الحال ، ولكن الضرر الشديد يأتي ممن يتظاهر بالإسلام فيغتر به المسلمون ، فيطعنهم من خلفهم كما هو حال الباطنية في مختلف عصورهم، وقلّما تجد كاتبا من علماء المسلمين من المؤرخين وعلماء الفرق إلا وهو يذكر من أفعال هؤلاء بالمسلمين ما تقشعر له الجلود .

وقد وصف ابن كثير رحمه الله عداوتهم ووقيعتهم بالمسلمين حينما قادهم

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٨٢ .

أبو طاهر الجنابي ووصلوا إلى مكة ، والناس في الحج آمنون مطمئنون ... قال عن ذلك :

« فانتهب أموالهم ، واستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا ، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام ، في الشهر الحرام ، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول : « أنا الله وبالله أنا ، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا ».

فكان الناس يفرّون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا بل يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلون وهم في الطواف ... إلى أن قال :

« فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره ، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام ».

وهدم قبّة زمزم ، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه... »[1] إلخ ما ذكره عن جرم هؤلاء ، وقد حدد بعض العلماء عدد من قتل بثلاثة عشر ألف نسمة [2].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أشد المحذرين من الباطنية لمعرفته الواسعة بمذاهبهم ، وقد أجاب من سأله عنهم بجواب طويل جاء فيه :

« هؤلاء القوم المسمّون بالنصيرية [3]هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في

(١) البداية والنهاية ج١١ ص ١٦٠ . (٢) كشف أسرار الباطنية ص ٣٩ .
(٣) ستأتي دراسة النصرية .

الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار ... إلى أن قال:

« فإن كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحُجاج وألقوهم في بئر زمزم .. إلى أن قال :

« ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائما مع كل عدوّ للمسلمين ، فهم مع النصاري علي المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمون للسواحل وانقهار النصارى ..

ومن أعظم المصائب عندهم إنتصار المسلمين على التتار .

ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله - النصارى على ثغور الإسلام.

ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي، كان وزيرا لهم بالموت، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء»(١).

وفي كتب الباطنية من المدح والتمجيد لهذا المجرم فوق ما يستحقه . يقول مصطفى غالب عنه :

« حتى أخضع هولاكو خان قلعتي « آلموت » ، « ميمون دز » فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة ، فاقتاده الجند إلى هولاكوخان، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له فرفض في بادئ الأمر إلا إذا أمن على أرواح وممتلكات الإسماعيلية ، فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد، وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم إلى خدمة هولاكوخان بعد أن أخذ منه العهد علي المحافظة على الإسماعيلية .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٣٥ ص ١٤٩ - ١٥٢ .

ثم قال عن إشارته على هولاكو بقتل خليفة المسلمين :

« وبعد أن تّم لهولاكو احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله » .

ثم قال عن سرقته كتب المسلمين ، ونهب ما شاء منها :

«واغتنم فرصة وجوده في بغداد ، فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب النادرة، وقيل أن مكتبته أصبحت بعد فتح بغداد - انظر كيف يسمى تلك الفاجعة فتحًا - تضم أكثر من أربعمائة ألف مجلد » (١).

ولقدظل هؤلاء على عداوتهم للمسلمين ، ورغم تشتت النصيرية قديما لكنهم ظلوا يعملون في الخفاء بنشاط إلى أن استطاعوا الوصول إلى الحكم في سوريا في هذا العصر على حين غفلة من المسلمين ، فما كان لهم همّ مثل همهم القضاء على المسلمين أهل السنة في سوريا وفي غيرها ، وأفعالهم اليوم تعيد إلى الأذهان فعل أسلافهم قديما .

ولهم في الحروب التي جرت بين العرب واليهود في سنة ١٩٦٧ م تعاون ظاهر وخفي إذ مكنوا - كما قال المطلعون على أخبارهم - - اليهود من احتلال أجزاء كبيرة من سوريا - هضبة الجولان والقنيطرة - ومن الأردن ، ومن لبنان لقاء اتفاقيات سرية ومصالح مشتركة » (٢).

ومن المؤسف أن تجد الكثير من أهل السنة قد انخدع بنفاق هؤلاء الباطنية، فصادقوهم وأمدوهم بالأموال متناسين ما تنطوي عليه نيات هؤلاء ، ظانين أن تغير الأسماء قد أخرجهم عن ديانتهم وحقدهم على المسلمين .

---

(١) انظر أعلام الإسماعيلية ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

(٢) اقرأ كتاب سقوط هضبة الجولان .

الفصل الثاني

متى ظهر مذهب الباطنية؟

اختلفت كلمة العلماء حول تحديد ظهور هذا المبدأ الهدام - على نحو ما قدمنا في بيان بدأ ظهور الفرق - وقد ذهب بعض العلماء إلى التحديد بالزمن، فذكر أن الباطنية ظهر مذهبهم في سنة ٢٠٥هـ ، وقال آخرون في سنة ٢٥٠هـ، وبعض العلماء يقول مائتين وكسر .

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في زمن المأمون وانتشرت في عهد المعتصم ، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين بحرّان ، ويذكر البغدادي أنهم دهرية زنادقة .

يقول الديلمي في بيانه لنشأتهم :

« اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية ، سلط الله عليهم طوفان نوح، وريح عاد وحجارة لوط، وصاعقة ثمود. كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة»(١).

وقال عندما شرع في تفصيل مذهبهم :

« اعلم أن مذهب الفرقة الغويّة الضالة الشقية المسماة بالباطنية ، قطع الله دابرها ، وبت أواخرها ، وألحق أولها بآخرها على ما نقله العلماء حدث بعد مائتي سنة وكسر من الهجرة » (٢).

ويقول البغدادي في بدأ ظهور الباطنية :

« ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران .. إلى أن يقول:

« قال عبد القاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم» (٣).

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٩٤ .

بينما يذهب الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي إلى أن نشأة الباطنية كان في سنة ٢٧٦ مائتين وست وسبعين حينما قام زعيمهم ميمون القداح بإنشاء هذا المذهب الخبيث هو وزملاؤه الذين كانوا على شاكلته(١).

والذي يظهر لي أن سبب اختلاف العلماء في تحديد نشاط الباطنية يعود إلى عوامل عدة من أهمها :

١ ـ غموض أمر الباطنية في أدوار كثيرة مرّ بها تاريخهم ، كل واحد من العلماء أرخ لهم حسب ما وصل إليه من أخبارهم .

٢ ـ أن مذهب الباطنية نفسه يقبل تلك الاختلافات ... فمن قال إنهم ظهروا في الإسلام ، فلما يبدونه من تظاهرهم به وتشيعهم أيضا لآل البيت .

ومن قال إنهم قبل الإسلام ، فلما وجده من آرائهم الكثيرة التي بدا عليها طابع الدهرية أو الفلاسفة القدماء أو البرهمية أو اليهودية أو النصرانية أو البوذية .. لأن مذهب الباطنية خليط من شتى الديانات .

والحقيقة التي يجب أن ندركها أنه مهما كانت الأسباب فإن الدعوة الباطنية يحوطها كثير من الغموض خصوصا في بدأ أمرها ، أي في الدور الذي يسمونه «دور الستر» إذ لا يتمكن أحد من معرفتهم والكتابة عنهم الكتابة الدقيقة ومهما كان فإن جذور الباطنية علي العموم قديمة ، ولكن بدأ التخطيط لإقامة هذا المذهب في الإسلام كما يترجح من أقوال العلماء مابين سنة ٢٠٠ و٣٠٠ هـ أي بعد انتشار الإسلام وعز أهله به ، وانطفاء نار المجوسية ، وكسر صليب النصارى، وكسر طاغوت الوثنية ، ودحر اليهودية ، وضرب الذلة والمسكنة عليهم ، فأكل الحسد قلوبهم ، وبدأوا يخططون في الخفاء لطريق ينفسوّن فيها عن أحقادهم

(١) انظر كشف أسرار الباطنية ص ٣٢ .

للنيل من الإسلام وأهله ، فاهتدوا إلى هذه الطرق التي سيأتي الحديث عنها ليستيقن طلاب العلم أن ما نعايشه في عصرنا هذا من مؤامرات ظاهرة وخفية على الإسلام وأهله إنما هو امتداد لتلك الحركات الأصول في ذلك الزمن ، وإنما تخمد حينا وتنشط أحيانا أخرى والهدف واحد على امتداد الزمن .

الفصل الثالث

الغرض من إقامة هذا المذهب

وكيف تأسس

قام هذا المذهب الهدام من أول الأمر علي النيل من الإسلام وأهله ، إما بإخراج المسلم عن دينه بالكلية ، أو بإدخال الشكوك في قلبه .

ولقد استفاض العلماء في بيان ذلك كله ، واتضح أن قيام هذا المذهب كان لأسباب كثيرة ومقاصد خبيثة من أهمها :

إبطال الإسلام والقضاء عليه وعلي أهله ، أو زعزعته من نفوس المسلمين أو تشكيكهم فيه ، وإحلال المجوسية والإلحاد محله .

من أجل ذلك ، ومن أجل إقامة حكم عام في الأرض تسيطر عليه الآراء الباطنية، وينفذ فيه حكمها .. قام هذا المذهب .

واتخذ أهله عدّة أقنعة تستّروا بها لتحقيق ما يهدفون إليه منها :

١ ـ اعتمادهم علي تأويل النصوص تأويلات تنافي ما يقرره الإسلام ويأمر به.

٢ ـ إظهار التشيع لعلمهم بأن مذهب التشيع يحتمل كلامهم، إذ لم يجدوا مدخلا إلى الإسلام إلا من جهة إظهار التشيع والانتساب إلى المذهب الشيعي.

وقد تم تأسيس هذا المذهب فيما يذكر الغزالي[1] كما يلي :

« تم في اجتماع لقوم من أولاد المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، ـ زاد الديلمي ـ وبقايا الخرمية واليهود ... جمعهم ناد واشتوروا[2] في حيلة يدفعون بها الإسلام ...

---

(١) انظر فضائح الباطنية ص١٨-٢٠. (٢) انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص١٩.

« وقالوا إن محمدا غلب علينا وأبطل ديننا ، واتفق له من الأعوان مالم نقدر علي مقابلتهم ، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيدي المسلمين من المملكة بالسيف والحرب، لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم ، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من قبيل المناظرة لما فيهم من العلماء، والفضلاء والمتكلمين والمحققين ،،، فلم يبق إلا اللجوء إلى الحيل والدسائس .

ثم اتفقوا على وضع حيل وخطط مدروسة يسيرون عليها لتحقيق أهدافهم من خلال الأمور التالية :

١ ـ التظاهر بالإسلام وحّب آل البيت والانتصاف لهم .

٢ ـ دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لبّ، والعاقل يأخذ اللبّ ويترك القشور .

وهذا الزعم الكاذب يريدون من ورائه سلب المعاني عن الألفاظ، والإتيان بمعاني باطنية تتفق مع ما يهدفون إليه من الكيد للإسلام .

٣ ـ اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع ، وعلي مذهب الرافضة، وإن كان هؤلاء الباطنيون يعتبرون الروافض أيضا علي ضلال ، إلا أنهم رأوهم ـ على حدّ ماذكر الغزالي ـ أركّ الناس عقولا ، وأسخفهم رأيا، وألينهم عريكة لقبول المحالات ، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات[١]، وأكثر الناس قبولا لما يلقي عليهم من الروايات الواهية الكاذبة، فتستروا بالانتساب إليهم ظاهرا للوصول إلي أصناف الناس، فكان ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض » كما ذكر الغزالي[٢].

أو كما قال بعض العلماء إن الإمامية دهليز الباطنية ... وهذا هو التفسير الواضح لما تلحظ من التقارب الشديد بين الباطنية والرافضة .

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٩ . (٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

٤ ـ اتفقوا أن يبثوا دعاتهم وأن يلزموهم بخطّة ماكرة ، وهي أنه يجب على كل داعية أن يوافق هوى المدعو مهما كان مذهبه ودينه مستعملا معه الحيل التسع المعروفة عنهم والتي سنذكرها فيما بعد .

وكان من أبرز دعاتهم ميمون بن ديصان القدّاح ، وهو رئيسهم[١]، وابنه عبيد الله، وحمدان قرمط[٢]، وزكرويه بن مهرويه ـ عبدان ـ ، وأبو سعيد الجنابي، وولده أبو طاهر[٣]...

وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم هنا .

وقد تحمل دعاة الباطنية كثيرا من المشقة والآلام والأسفار الكثيرة في نشر باطلهم من بلد إلى بلد ، مما يتوجب على أهل الحق وهم يعرفون بأنهم سيحصلون من دعوتهم إلي الله علي خيري الدنيا والأخرة أن لا يكون هؤلاء الطغاة أكثر حماسا وصبرا منهم في نشر باطلهم .

---

(١) ويذكر أنه تظاهر بالإسلام علي يدي جعفر الصادق وترك المجوسية فغيروا اسمه إلى القداح فيما بعد، لأنه يقدح العلم عن خاطره على حد زعمهم وهو فارسي من الأهواز .
بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢٠ ، وانظر ترجمته في أعلام الاسماعيلية ص ٥٥٩ .

(٢) هو حمدان بن الاشعث الأهوازي الملقب بقرمط ، أصله من خوزستان ، تزعم طائفة نسبت إليه ، ولقب بقرمط لقصر كان فيه ، فرجلاه قصيرتان بشكل ملفت للنظر الأمر الذي جعله ناقما علي المجتمع .
القرامطة ص ٥ ، وقد سماه ابن كثير قرط بن الأشعث البقار ، انظر البداية والنهاية ج١١ ص٦٢، وسماه النوبختي قرمطويه ، انظر فرق الشيعة صـ٩٣ وسماه ابن الجوزي كرمية نسبة إلى رجل يسمى بهذا الاسم تلبيس إبليس ص ١١٠ .

الفصل الرابع

أسماء الباطنية

وسبب تسميتهم بتلك الأسماء

أطلقت على هذه الطائفة أسماء كثيرة للتمويه على الناس، بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه، ومن أشهرها :

١ ـ الباطنية :

وقد أطلق عليهم هذا الاسم لزعمهم أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن . وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب[١].

٢ ـ الإسماعيلية :

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه[٢] لأن والده جعفر الصادق نص على إمامته من بعده وأوصى له بها رغم أن علماء النسب مجمعون على أن إسماعيل مات في حياة والده سنة (١٤٥ هـ)، لكن الإسماعيليون يزعمون أن إسماعيل لم يمت في حياة والده وفي العام المذكور، بل أن أباه قد جعله وصيه ، ولخوفه عليه من الخليفة العباسي احتال لإخفائه عنه فكتب محظرا بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور العباسي بالمدينة المنورة ، وفي نفس الوقت توجّه إسماعيل سرّاً إلى (السلمية) وهي من أعمال حماة، وإلى الجنوب الشرقي منها ،بينهما ٣٥ كم ، وهي مركز الإسماعيلية حيث كان يقيم فيها أنذاك رهط من بني هاشم، وانتسب إليهم فعرفوه وأقام بينهم.

يقول مصطفى غالب عن سلمية هذه :

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢١ ، وانظر فضائح الباطنية ص ١١ .

(٢) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٢٣ .

« ويكفي سلميّة فخرا أنها أنجبت جماعة » إخوان الصفا .

ومنها انطلقت جحافل الإمام عبيد الله المهدي لتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب»[١].

ثم يزعم الإسماعيليون أن الخليفة العباسي علم بمكان إسماعيل في السلمية، وحينئذ خرج إسماعيل متخفيا إلى دمشق، وعلم به كذلك الخليفة، وكان العامل على دمشق إسماعيليا فأخبر إسماعيل بما كتب به الخليفة من إلقاء القبض على إسماعيل وإرساله إلى الخليفة . فقرّر إسماعيل التوجّه إلى العراق ووصل البصرة سنة ١٥١ هـ، ثم ظل يتنقل بين أتباعه سرا وتحت أزياء مختلفة وأسماء عديدة إلى أن توفي سنة ١٥٨ هـ بعد أن رزق ـ حسب زعمهم ـ من الأولاد محمد وعلي وفاطمة، وبعد أن أوصى بالإمامة من بعده إلى محمد[٢].

وقد حصل شقاق وتفرق بين الإمامية والإسماعيليه في سوق الإمامة، فبينما هي عند الشيعة الاثنى عشرية في جعفر الصادق ثم في موسى الكاظم ، إذا هي عند الإسماعيلية في جعفر الصادق ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل .... إلخ أئمتهم المستورين.

وقد تفرّقت الإسماعيلية إلى ثلاث فرق معاصرة هي :

أ ـ الدروز .

ب ـ الإسماعيلية النزارية ـ البهرة ـ .

ج ـ الإسماعيلية الأغاخانية .

وأخبار الإسماعيلية طويلة،وقد كتب فيها الشيخ إحسان إلهي كتابا مستقلا[٣].

---

(١) هو كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

(٢) انظر هذه التفاصيل في كتاب«أعلام الإسماعيلية»لمؤلفه الباطني مصطفى غالب ص١٦١-١٦٥.

(٣) هو كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

٣ ـ السبعية :

قيل في سبب إطلاق هذه التسمية عليهم ما يلي :

أ ـ لدعواهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة كلما انتهي حكم سبعة من الأئمة قامت القيامة وابتدأ الدور من جديد إلى ما لا نهاية .

ثم لشغفهم بالعدد سبعة حيث فسرّوا كثيرا من الأمور علي وفق هذا العدد، فقالوا إن السموات سبع ، والأرضون سبع ، والكواكب السيارة سبعة ، والأيام سبعة، وأعضاء الإنسان سبعة ، والنقب في رأس سبعة ... إلى آخر أدلتهم على مزية العدد سبعة .

وقد رد بعض العلماء علي الإسماعيلية بتفضيل بعض الأعداد علي السبعة، إما الأربعة، أو الخمسة ، أو العشرة ، وكل ذلك مما لا طائل تحته ولا حاجة تدعو إليه ، والذين يتشاءمون بالأعداد أو يتفاءلون بها جهال .

ب ـ وقيل أنه أطلق عليهم بسبب اعتقادهم أن العالم السفلي تديره الكواكب السبعة وهي : زحل ـ المشترى ـ عطارد ـ المريخ ـ الزهرة ـ الشمس ـ القمر .

وهي عقيدة مأخوذة من ملاحدة المنجمين [١].

« وملتفت إلى مذاهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاءه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة » [٢].

٤ ـ التعليمية :

وقد أطلق عليهم بسبب أن مذهبهم قائم على الحجر على العقل ، وإبطال النظر والاستدلال ، والدعوة إلى الإمام المعصوم المستور ، وأن العلم لا يجوز أخذه إلا منه.

---

(١) انظر الأفحام ص ٢٣ .

(٢) فضائح الباطنية ص ١٦ .

واستدلوا لهذا بأن الحق أما أن يعرف بالرأى أو بالتعليم وباطل أن يعرف بالرأى لتعارض الأراء واختلاف العقلاء ، فلم يبق إلا أن يعرف بالتعليم ، والعلم لا يجوز أخذه عن أحد غير الإمام المعصوم لضمان صحته والوثوق به[1].

وهذا الدليل من أردأ الأدلة ، بل هو يحكي رداءة مذهبهم وأفكارهم الشريرة .

ويرد عليهم بأن الإمام الذي يدعون إليه وإلي أخذ العلم عنه لا وجود له إلا في أذهانهم وفي خططهم لاحتواء كل الاديان والسيطرة علي الناس ، فإن دعواهم أنه مستور لا يظهر هو أقوى الأدلة علي كذبهم .

٥ - الإباحيّة :

وهذه التسمية التي أطلقت عليهم هي في الواقع مأخوذه من اعتقاداتهم وأفعالهم ، وهم لذلك أهل باحة لا يحرمنون محرّما ولا يلتزمون بشرع ، بل الحلال ما حل في أيديهم، والحرام ما منعوا منه .

ويستدلون علي هذا المسلك بقول الله عز وجل : ﴿ **خلق لكم مافي الأرض جميعا**﴾ » [2].

ومن أدلتهم علي ما يذهبون إليه أيضا من استحلال المحرّمات حسب بواطن النصوص التي اطلعوا عليها بفهمهم السقيم قول الله عز وجل ﴿ **قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾[3]، وقوله عز وجل ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه**﴾[4]، أي إن فيه حكما ظاهرا وحكما باطنا ، فقالوا إن الظواهر من النصوص قد تدل على التحريم ، بينما بواطنها تدل علي الإباحة ، وهذه حيلة من حيلهم لاستدراج الناس إلى مذاهبهم الرديئة وحججهم الباطلة على أن الأحكام لها ظاهر ولها باطن ، فهم يريدون من التأكيد علي هذا المفهوم هدم

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) البقرة ٢٩ .
(٣) الأعراف ٣٣ .
(٤) الأنعام : ١٢٠ .

ظواهر النصوص بعد ذلك بتلاعبهم بمعانيها وفق أهدائهم وتحريفاتهم .

٦ ـ القرامطة [١] :

أما سبب تسميتهم بهذا الاسم فلا نتسابهم إلي رجل يقال له حمدان قرمط، وهو رجل من أهل الكوفة، وقد كان راعيا مائلا إلى الزهد والديانة[٢] فيما يذكر عنه ـ في بداية حياته، وقيل إنه كان يتظاهر بذلك وأنه على المجوسية[٣] فصادفه أحد دعاة الباطنية ويسمى حسين الأهوازي وهو متوجه إلى قريته ، وبين يدي حمدان بقر يسوقها ، فدارت بينهما المحادثة التالية :

قال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله: أراك سافرت من موضع بعيد فأين مقصدك؟ (انظر إلى تفاني أهل الباطل في تبليغ الناس باطلهم).

فذكر له الداعي موضعا هو قريبة حمدان .

فقال له حمدان : اركب بقرة من هذا البقر لتستريح من تعب المشي .. فلما رآه مائلا ـ إلى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلا إليه ـ وهذه إحدي خطط الباطنية ـ فقال له إني لم أومر بذلك .

فقال حمدان : وكأنك لا تعمل إلا بأمر ؟

قال : نعم .

قال حمدان : وبأمر من تعمل ؟

فقال الداعي : بأمر مالكي ومالك ومن له الدنيا والآخرة .

فقال : ذلك هو رب العالمين .

فقال الداعي : صدقت ، ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء .

---

(١) أصل القرمطة قصر الخطو في المشي ، أو دقة الحروف وتقارب الأسطر في الكتابة .

(٢) الإفحام ص ٢٢ .　　(٣) القرامطة ص ٦ .

قال حمدان : وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه إليها ؟

قال : أمرت أن أدعو أهلها ، وأخرجهم من الجهل إلى العلم ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة ، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأملكهم مايستغنون به عن الكد والتعب .

فقال حمدان : أنقذني أنقذك الله فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته .

فتحرج الداعي أن يخبره بشيء حتى يأخذ عليه العهد أن لا يفشي سرّ الإمام المعصوم المستور، ولا يفشي له خبر ـ وهذه إحدى حيل الباطنية ـ فعاهده حمدان علي ذلك ، فشرع الداعي في استدراجه إلي الباطنية حتى صار فيما بعد ركنا من أركانها ، وصار له أتباع وفرقة تنسب إليه تسمي (القرامطة) أو (القرمطية) كان لهم في تاريخ الأمه الإسلامية حوادث هائلة، وأخبار بتنكيلهم بالمسلمين مؤسفة[1].

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ٢٧٨ هـ :

« وفيها تحركت القرامطة ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات ، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولا ، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق[2].

وفي سنة ٢٨٦ تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد .

وقد كان أبو سعيد هذا سمسارا في الطعام يبيعه للناس في القطيف فجاء بعض الدعاة الباطنيون إلى شيعة القطيف فاستجابوا له وتأمر عليهم أبو سعيد

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) البداية والنهاية ج١ ص ٦١ .

الجنابي، وأصله من بلدة جنابة قريبة من القطيف ، وعاثوا في الأرض فسادا وأخافوا أهل العراق والشام إلى أن هلك أبو سعيد هذا في عام ٣٠١ هـ فتولى بعده ولده أبو طاهر الجنابي وكثر دعاة القرامطة وصارت لهم دولة [١].

وفي سنة ٣١٧ هـ اشتدت شوكتهم جدا وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة، والناس يوم التروية ، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر الجنابي قد انتهبوا أموالهم وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة ، وجلس أميرهم أبوطاهر - بل أبو النجس - على باب الكعبة والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في المسجد الحرام ، في الشهر الحرام، في يوم التروية ، وكان يقول هذا الملعون : أنا الله و بالله ، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا - تعالى الله عما يقول علوا كبيرا - ، ولم يدع أحدا طائفا أو متعلقا بأستار الكعبة إلا قتله ، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم ، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها ، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود ، فجاء قرمطي فضرب الحجر بمثقل في يده وهو يقول : أين الطير الأبابيل ، أين الحجارة من سجيل، ثم قلعه وأخذوه معهم ، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، وهو ابتلاء من الله للمسلمين في ذلك الوقت [٢].

وفي نفس هذه السنة نبغت لهم نابغة في بلاد المغرب عرفت باسم الفاطميين على يد زعيمهم أبي محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان يهوديا صباغا بسلمية فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد المغرب ، وادعي أنه شريف فاطمي فصدقته طائفة كثيرة من البربر حتي صارت له دولة فملك مدينة سجلماسة[٣]، ثم ابتني مدينة سماها المهدية ، وانتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب على أفريقية وقد اختلف في نسبه :

---

(١) المصدر السابق ص ٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١.

(٣) المصدر السابق ص ١٦١ .

١ ـ فمرّة قيل هو عبيد الله بن الحسن بن محمد ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب .

٢ ـ ومرّة قيل إنه من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق .

قال ابن خلكان :

« والمحققون ينكرون دعواه في النسب وينصون على أن هؤلاء المتسمين بالفاطميين أدعياء ، وأنهم من أصل يهودي من سلمية بالشام ، وأن والده لقبّ بالقداح لأنه كان كحالا يقدح العيون ، وقد هلك عبيد الله سنة ٣٢٢ هـ .

وتمكن حفيده المعز من الاستيلاء على مصر واستمر ملك العبيديين بها نحو قرنين من الزمان إلي أن قضى عليهم بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٦٤هـ وأزال منها كل أثار العبيديين وقطع شرورهم عن الناس وأراح الله منهم.

أماكن وجود القرامطة

مما يجدر ذكره أن القرامطة توزعوا إلي أقسام ، وأخذوا أماكن كثيرة تجمعوا فيها ، ويمكن أن نوجز أماكن تجمعاتهم فيما يلي :

١ ـ في اليمن :

وقد تزعم القرامطة في أول الأمر رجلان وهما المنصور بن الحسن بن زاذان، وعلي بن الفضل الجدني، أرسلهما ميمون بن ديصان القداًح، وقد تلقب المنصور بمنصور اليمن ، واجتمع حوله عدد من القبائل ، وأظهر الدعوة باسم الإمام الإسماعيلى المنتظر ، وقد تمكن عام٢٦٦هـ أن يؤسس أول دولة إسماعيلية، وقام بنشاط كبير ، وأرسل الدعاة إلى عدة جهات بعيدة عن مركز الخلافة العباسية ، مثل الداعية عبيد الله المهدي الذي ذهب إلى المغرب ، وادعى كذبا أنه شريف فاطمي من آل البيت ، وكون هناك كما سبق دولة .

وكان علي بن الفضل الجدني أيضا من أصدقاء المنصور إلا أنه اختلف معه فيما بعد، وقامت بينهم حروب حين تمكن علي بن الفضل من جمع عدة قبائل حوله، ثم ادعى النبوة، وأباح المحرمات، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: «وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله » ، وامتد به العتو والفجور فكان يكتب إلى عماله : « من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلي عبده فلان ...

إلى أن مات مسموما بواسطة طبيب أقسم ليقتلنه غيرة لله ، فتم له ذلك في سنة ٣٠٣هـ[١].

٢ ـ العراق :

والمعروف أن جنوب العراق القريب من فارس أرض الشيعة ومهدها الأول، ومركز الجهل والخرافات أيضا،كان القاعدة والمركز الأساسي لانتشار القرامطة ، وقد نشط الدعاة من الإسماعيلية هنا أمثال مهرويه وهو مجوسي من أصل فارسي، وحسين الاهوازي وهو فارسي وانتسب إلى الأهواز لإخفاء شخصيته، لأن الأهواز كانت عربية وتسمى « الأحواز» ، وعبيد الله بن ميمون القداح رأس الدعوة الإسماعيلية الذي فرق أولاده في أماكن كثيرة من تلك الجهات.

ونشط دعاة آخرون متسترون بالدين وبالانتساب إلي آل البيت وقلوبهم المجوسية تغلي علي الإسلام والمسلمين وبسطوا نفوذهم في أماكن كثيرة من الأهواز وخراسان والشام إلى أن قتل آخر زعمائهم وهو زكرويه عام ٣٠١هـ، وتشتت أتباعه في تفاصيل كثيرة يذكرها علماء الفرق [٢].

ولقد كان أساس نشأة القرامطة في العراق يتأثير من حمدان قرمط الذي ثأثر

(١) انظر كشف أسرار الباطنية ص ٤٠ ـ ٦٣ ، وانظر الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ص ٢٠ ـ ٢٤ ، وانظر القرامطة لمحمود شاكر ص ٥٢ ـ ٥٤ .

(٢) القرامطة ص ٥٥ .

بدعوة حسين الأهوازي حين خرج من سلمية في الشام قاصدا العراق فصادف حمدان وجري بينهما ماقدمنا الأشارة إليه من تلك المحادثة التي أعقبها دخول حمدان في دعوة الباطنية ، ثم كان له بعد ذلك شأن كبير في إشاعة الفساد وتخويف الآمنين .

« وقد قدر عدد الضحايا الذين سقطوا في حروب القرامطة من أهل الشام ومن البوادي ومن الحجيج ومن أهل المدن ومن جند مصر ، ومن جند العراق بما يزيد علي ٦٠٠ ر ٠٠٠ بين رجل وامرأة وطفل » [١].

٣ ـ البحرين :

أول ما عرف شأن القرامطة في البحرين كان علي يد شخص نزل البحرين وأعطى نفسه اسم يحيى بن المهدي [٢]، وبعضهم يقول الحسن بن بهرام الفارسي [٣].

وقد استمال إليه الناس بالتدريج فأظهر بالتاريخ أولا أنه شيعي ، وحينما رأى إقبال الناس ادعى أنه المهدي المنتظر .

وكانت الدولة العباسية قد بدأت في مراحل الضعف واشتغلت بمشاكلها الداخلية الكثيرة ، وقد تبع هذا الداعية رجال كان لهم شهرة وقيادة مثل الحسن بن بهرام الذي عرف باسم أبي سعيد الجنابي الذي عاث في الأرض فسادا، وأذاق الناس القتل والجوع إلى أن قتل عام ٣٠١ هـ وتولي بعده أبو طاهر ، وفعل أفعالا تقشعر منها الجلود من القتل والنهب فقد دخل البصرة عام ٣١١ هـ في ٢٧٠٠ من رجاله فقتل خلقا عظيما وحمل الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ورجع بها .

---

(١) الباطنيون والحركات الهدامة ص ١٢ ـ ١٥ .

(٢) القرامطة ص ٦٦ .

(٣) الباطنيون والحركات الهدامة ص ١٦ .

وفي عام ٣١٢هـ قطع علي الحجاج الطريق، فأخذ منهم جميع ما يملكون، وترك من لم يقتله منهم بلا ماء ولا زاد ، فمات أكثرهم في تلك القفار.

وفي عام ٣١٣هـ دخل الكوفة وعاث فيها فسادا مدة ستة أيام نقل خلالها ماأراد من الأمتعة، وفعل ما فعله في العام السابق. وأغار علي مدينة الأنبار وعين التمر.

وفي عام ٣١٧ هـ فعل فعلته الكبري فهجم علي الحجاج في يوم التروية كما تقدّم ، فنهب الأموال ، وقتل الحجاج في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه، ورمى القتلي في بئر زمزم حتى امتلأت بالجثث ، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه علي بابها ، وخلع الحجر الأسود ورجع به إلي بلده وبقى معهم اثنتان وعشرين سنة، إلى أن رده هؤلاء القرامطة بتأثير من الفاطميين في المغرب، وهم الذين أمروهم برد الحجر الأسود إلى مكانه بعد أن ساءت سمعتهم كثيرا في العالم الإسلامي، ولحق الفاطميين بالمغرب شيء من سوء تصرفاتهم، فسعوا في إرجاع الحجر الأسود إلى البيت تغطيه لشنائعهم .

ووصل نفوذ هؤلاء القرامطة إلى نجد والحجاز والشام ، وأرادوا القاهرة إلا أنهم صدّوا من قبل جوهر الصقلي .

ثم تناوب عدة زعماء إلى أن أراد الله إهلاكهم فقام أحد زعماء قبيلة بني عبد القيس المشهورة وهو عبيد الله بن علي العيوني فاستعان بالخليفة العباسي القائم بأمر الله ، كما استعان بالسلطان السلجوقي « ملكشاة » ، وجاءت القوات العباسية وساعدت عبيد الله بن عليّ العيوني ، وقضت علي القرامطة نهائيا في عام ٤٦٧ هـ وأراح الله منهم العباد ، وطهرّ منهم البلاد[١].

ويذكر العلماء أحداثاً كثيرة لتحركات قرامطة البحرين ، وما فعلوه من

(١) انظر الباطنيون والحركات الهدامة في تاريخ الإسلامي ص١٦-١٩.والقرامطة ص٦٦-٧٠.

قتلهم المسلمين وتخريب بلدانهم لا نري ضرورة للتطويل بذكرها ، إذ إن خلاصتها أن هؤلاء الذين يتظاهرون بالتشيع والإسلام فعلوا مالم يفعله سائر الكفار غير التتار .

٧ ـ الملاحدة :

لأنهم ينفون وجود الله عز وجل ، ويقولون بتأثير الكواكب[1].

هكذا يذكر الديلمي ، والذي يظهر لي أن هذا الإنكار كان نتيجة لإعتقادهم في الصفات ، حيث وصفوا الله تعالي بصفات سلبية مؤداها إنكار وجود الله تعالى .

٨ ـ المزدكية :

نسبة إلى رجل يقال له « مزدك »، قيل إنه رئيس الخرمية ، وقيل غير ذلك[2]، ولعله غير مزدك صاحب الشيوعية الأولي ، ثم أطلق علي الباطنية لمشابهتهم مذهب مزدك .

٩ ـ البابكية :

لانتسابهم إلى بابك الخرمي ، خرج في أيام المعتصم بناحية أذربيجان، فجهز لهم الجيوش حتى قتلهم .

وقد كان من إباحية هؤلاء البابكية أن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهبون النساء ، فيبيت كل واحد مع امرأة ، ويزعمون أن من احتوى على امرأة استحلها بالاصطياد كائنة من كانت ، وأن هذا الصيد من أطيب المباحات بزعمهم ، وتسمى هذه الليلة « ليلة الإفاضة » ، وهو عمل لا تقبل به حتى البهائم ، وقبلته عقولهم التي هي أحط من عقول البهائم .

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

إضافة إلى أنهم يدعون نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام يقال له «شروين» ، يزعمون أنه أفضل من نبينا محمد ﷺ ومن سائر الأنبياء [1].

١٠ ـ الخرمية أو الخرمدينية :

وكلمة «خرم» أعجمية ، ومعناها : الشيء المستلذ المستطاب الذي ترتاح له النفس ، وهو من باب الدعاية لمذهبهم الذي هو رفع التكاليف وتسليط الناس علي ارتكاب الشهوات ، وهو لقب كان يطلق على المزدكية قبل الإسلام ، وهم أصحاب الشيوعية الأولى الإباحية الذين ظهروا في عهد قباذ ، وقضى عليهم ولده أنو شروان[2].

وهم الذين قال فيهم أبو الحسين الملطي عند ذكره لأصناف الفرق: «وإنما سموا مزدكية لأنه ظهر في زمن الأكاسرة رجل يقال له مزدك، فقال هذة المقالة»[3].

١١ ـ المحمرة :

قيل لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ، ولبسوها شعارا لهم .

وقيل لأنهم يطلقون على مخالفيهم اسم الحمير [4].

وقيل لأن أخلاقهم وطبائعهم صارت شبيهة بطبائع الحمير [5].

ولامانع أن توجد هذه الأسباب كلها فيهم ، وإن كان أكثر العلماء يرجح القول الأول.

وقد أضاف أحد علمائهم وهو«مصطفى غالب»اسما جديدا للباطنية هو «الهادية» وهو اسم يشعر بالهداية التي يطلبها كل احد،ولكن ما أكثر الخداع

(١) فضائح الباطنية ص ١٥ .
(٢) انظر الأفحام ص ٢٢ .
(٣) التنبيه والرد ص٩٢.
(٤) انظر الافحام ص٢٣ ، فضائح الباطنية ص١٧.
(٥) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٨٠ .

في التسميات ، فهم أليق أن يسموا بالهاوية لأنه لاهدى لديهم إلا تأليه غير الله عز وجل ، والسير خلف ميمون القداح اليهودي وأتباعه الذين دافع عنهم مصطفى غالب في كتابه « أعلام الإسماعيلية » دفاعا طويلاً .

ولاشك أن قراءة عابرة لهذا الكتاب يجد المنصف صريح الكفر والغلو ظاهر عليه .

يقول ناصر خسروا ، من أعلام الإسماعيلية عن المسلمين : « فاعط التأويل للحكماء ، واعط التنزيل للغوغاء »«فاطلب المعنى الحقيقى لظاهر التنزيل ، وكن كالرجال الأصفياء ولاتكن كالحمير فتقنع بالنهيق والقول الهراء » [١] .

ويقول مصطفى غالب فى ترجمته لمحمد الباقر :

« وقيل إن الإمام الباقر كان يعرف الغيب » [٢]. وقد تحاشى كلمة « يعلم » خداعا منه .

ومن العجيب أن يذكر هذا المؤلف بعض عظماء الإسلام على أنهم من أعلام ورجال الإسماعيلية مثل علي بن أبي طالب ، [٣] ومحمد الباقر[٤]، والحسين بن على بن أبي طالب [٥] ، وغيرهم إلى جانب ميمون القداح ، وحمدان قرمط، والحاكم بأمر الله وغيرهم من طغاة الإسماعيلية .

ويقول أيضًا في غلوهم في الأئمة .

« والإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر وأنهم خلقوا من الطين، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت مثل غيرهم من بنى آدم ، ولكن فى التأويلات الباطنية يسبغون عليه وجه الله ويد الله وجنب الله ، وأنه هو الذي

(١) المصدر السابق ص ٥٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٦٦ .

يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم إلى غير ذلك من الصفات[1].

وحينما يسمي الباطنيون الله بالعقل الأول أو السابق نجدهم يقولون :

« يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالإمام هو مثل السابق ، وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الأول السابق جعلت للإمام »[2] .

أي أن الإمام عندهم مثل الله تماما ، وهل بعد هذا الكفر كفر، وأقوال أخرى كثيرة كلها تدل على مدى كفر هذه الطائفة، ينقلها أحد علمائهم المعاصرين، وهو يفتخر بأعلامه الإسماعيليين وتمسكهم بالدين الإسلامي وتبحرهم في العلوم.

---

(١) أعلام الإسماعيلية ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ .

الفصل الخامس

الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لاغواء الناس

من المبادئ الأساسية عند الباطنية تقديس النفاق والكذب والخداع ، ومن الوصايا الهامة التي يجب أن يسير بموجبها كل داعية باطنى هي أن يجاري من يخاطبه ، ويوافقه في مذهبه تماما ، بل ويحسن له الغلو فيه ، ويريه أنه أحرص منه على التزامه به .

فإذا كان المدعو شيعيا فإنه يجب أن يكون مذهب الداعية شنيعيا أيضًا ...

وإذا كان المدعو فاجرًا مستهترًا أو ناسكًا متعبدًا أو يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا فإن مذهب الداعي كذلك .

فإذا كان المدعو فاجرًا حسن له الداعي انتهاب اللذات ، وأن الحياة منتهية والدنيا فانية .

وإذا كان المدعو ناسكًا حسّن له التعبد والزهد وعدم الالتفات إلى الدنيا .

وإذا كان المدعو يهوديًا حسّن له الداعي مذهبه ، وأظهر له تعظيم السبت ، وشتم النصارى والمسلمين جميعًا .

وإذا كان مجوسيًا يظهرون عنده تعظيم النار والضوء والشمس وغير ذلك من مذهب المجوس .

ومن وجدوه نصرانيًا يظهرون عنده الطعن في اليهود والمسلمين جميعًا ، وأن القول بالأب والابن وروح القدس حق ، ويعظمون الصليب عندهم .

ومن وجوده فيلسوفًا فهو منهم وقد وصل الحبيب إلى المحبوب لاتفاق هؤلاء مع الفلاسفة في دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن وإنكار الشرائع.

وقالوا بسائر أقوال الفلاسفة من قدم العالم ، وإبطال المعاد والمعجزات وغيرهما من أقوال الفلاسفة، ومن وجدوه تنويا فقد ظفروا ببغيتهم فيدخلون عليه بإبطال التوحيد والقول بالسابق والتالي وهكذا فإن مذهبهم هو مذهب المدعوين، مهما كان هذا المذهب ، يتلونون تلون الماء بالإناء الذي فيه ، والنتيجة من كل ذلك هو استجلاب المدعو ثم إخراجه من دينه إلى دين الباطنية .

ولهم حيل وطرق للوصول إلى قلوب الناس والتدرج بهم في الكفر شيئًا فشيئًا.

وقد ذكرها الغزالي قائلا « ففي الاطلاع على هذه الحيل فوائد جمة لجماهير الأئمة»(١).

وسبب لجوؤهم هذه الحيل هو الخوف من إظهار كفرهم بطريقة مكشوفة ، وترتيب حيلهم هذه كما يلي :

الزرق والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس ، ثم التأسيس ، ثم الخلع ، ثم المسخ أو السلخ .

وفيما يلي تعريف موجز بهذه الحيل :

الحيلة الأولى :

وهي حيلة الزرق والتفرس: ومعناها أ ن يكون الداعي ذكيًا فطنًا صاحب فراسة ، يميز بين من يطمع في استدراجه لقبول دعوته ، ومن لايطمع في ذلك، وله معرفة بتأويل النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة إلى المعاني الباطنة، وأن لايبدأ بالمخالفة للمدعو بل يوافقه ثم يستدرجه بعد ذلك على حسب الخطط الباطنية إذا تفرس فيه القبول .

---

(١) فضائح الباطنية ص ٢١ .

الحيلة الثانية :

وهي التأنيس : والمراد بها الوصول إلى قلب المدعو واستمالته بلطف الحديث وذكر بعض الآيات والأحاديث والأشعار ، وبحث جوانب من الأمور اليومية، وإلقاء خطب ومواعظ ، ويظهر له كل أمر يزيد في الأنس بينهما ويقرّب بين الأفهام.

الحيلة الثالثة :

هي التشكيك : وهي أن يسأل الداعي المدعو عن مسائل فى أمور الدين، وهيَ مسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله ، وذلك أن الدعاة الباطنيون يركزون دعوتهم في العوام .

وأيضًا لأن بعض تلك المسائل تعبدية قد لاتعرف الحكمة فيها ، كأن يسأله عن متشابه القرآن ، ومسائل فقهية .. لم أمر بالغسل من المني ، ومن الغائط والبول بالوضوء وهما أغلظ نجاسة ؟ ولم أمرت الحائض بقضاء الصوم دون الصلاة وهما واجبان على السواء ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وعن رمي الجمار ، والإحرام ، والطواف ، وعن الحروف التي في أوائل السور «المر»، «كهيعص» وغير ذلك ، ويعظمون أمرها ويدعون أن لكل ذلك جوابًا لايعرفه كل أحد .

الحيلة الرابعة :

وهي التعليق : فتتم بعد طرح تلك المسائل ، فإذا طلب المدعو الاستفسار عنها، وتعليق قلبه بها وبمعرفتها قالوا له إننا لانخبرك بشيء حتى تعطينا العهد والميثاق، فإذا رضي بذلك نقلوه إلى الحيلة الخامسة وهي الربط .

الحيلة الخامسة :

وهي الربط : وهي إحكام قبضتهم عليه بما يؤخذ عليه من العهود والمواثيق

الغليظة في عدم إفشائه سراً من أسرارهـم ، وأنه إذا فعل ذلك فقد استوجب لعنة الله وغضبه ، وأنه مخلد في النار أبد الآباد ... إلى آخر تلك الأيمان الطويلة التي لايؤمنون بهـا هم ، فـإذا كان المدعـو ذكـيا مـوفـقا عـرف أن هذه الأيمان كلهـا لاتطلب منه إلا لأن ماسيخبرونه به غـير مرضي وليس فيه حق ،لأن الحق لا يتكتم عليه أهله ، ويتذكر قول الله تعالى : ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه** ﴾ (1) ، وآيات كثيرة يحذر الله فيـها من كتمان العلم ، وأن كتمانهم لعلمهم دليل على أنه مليء بالعورات والفضائح .

الحيلة السادسة :

وهي التـأسـيس : وهي إظهـارهم تعظيـم الشـرع والرغـبـة في طـلب العلم والمحـافظـة على أوامـر الدين ، وأن تـلك العـهـود التي أعطاهم المدعـو يجب احتـرامها ، وهـم فـي الواقع إنما يظهرون له هذه الأمور مـن أجل اصطياده ، وإلا فهم لايؤمنون بعـهد ولا بميثـاق وأخذ العلم عن الإمـام المعصوم المستور الذي هو الطريق إلى علم النبي الناطق والوصي ، وهو الأساس إلى علم الناطق ، وزعمهم أنه مستـور لأنهم يعلمون أن لا وجود له ، فلئـلا يطالبهم المدعو بلقائـه زعموا أنه مستور، وإنما هو دجل وتمويه وخداع للمدعو .

وقد ذكر الغزالي سبعة أمثلة لهذا المسلك وأطال في شرحها .

الحيلة السابعة :

التأسـيس : وهى أنهم يضعـون مقـدمة لاتنكر في الظاهر ، ولاتبطـل الباطن، يستـدرج فيهـا المدعو بحيث لايدري ويوهمونه أن الله تعالـى جعل لكل شيء ظاهرا وباطنا ، ويستدلون عليه بقوله تعالى : ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾(2)، ونصـوص أخـرى ثم يقـال له الظاهر قـشـور والبـاطن هو اللب ، والظاهر رمز

(1) آل عمران ١٨٧ .

(2) الأنعام ١٢٠ .

والباطن المعنى المقصود ، ثم يؤسسون في نفسه الشغف لمعرفة البواطن والأعراض عن ظواهر النصوص .. لأنه وصل بزعمهم إلى مرتبة وهي طلب العلم الباطني .

الحيلة الثامنة :

وهي الخلع من الدين : فهي أن يقول الداعي للمدعو أن فائدة الظاهر أن يفهم ما أودع فيه من علم الباطن لا العمل به ، فمتى وقف المدعو على الباطن سقط عنه حكم الظاهر ، وهو المراد بزعمهم الكاذب لقوله تعالى: ﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾ (١) ، أي يضع عنهم هذه التكاليف الشاقة من صلاة وصيام وغيرها من شرائع الإسلام بعد أن يعرفوا بواطن النصوص التي تدعو إلى القيام بالتكاليف مثل خرافة غلاة الصوفية حين يصلون إلى اليقين بزعمهم .

الحيلة التاسعة :

الانسلاخ من الدين : أو حيلة السلخ فهي أنهم إذا أنسوا من المدعو الإجابة وصار منهم ، أعلموه أنه قد أطلق من وثاقه وحل له كل ما حرم على غيره من الناس الذين لم يدخلوا مذهبهم ﴿**اليوم أحل لكم الطيبات . وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم**﴾ (٢) ... وزالت عنه جميع التكاليف ، ولا يحرم عليه شيء(٣) .

ولهم حيل في إسقاط التكاليف عن المدعو ، حيث يوهمونه أن التكاليف تسقط عنه تلقائيًا إذا تدرج في المعرفة ، ووصل إلى معرفة أن التكاليف إنما كانت موضوعة في الظاهر للناس الجهال حتى يطلبوا العلم ويخرجوا عن مشقة

---

(١) الأعراف ١٥٧ .   (٢) المائدة ٥ .

(٣) انظر لتفصيل تلك الحيل : فضائح الباطنية ص ٢١ - ٢٢، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢٥-٣٠ .

التكاليف، لأن الإمام المعصوم المستور ونوّابه يعلمون معنى القيام بتلك التكاليف ومعناها الحقيقى، فتسقط عنهم فريضة الصلاة إذا دفع للإمام مبلغ ١٢ دينار، ويقرأ له الإمام قول الله تعالى: ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾[١]، ويفهمه أن الصلاة معناها الحقيقي بزعمهم معرفة أسرار الباطن أو معرفة خمسة أسماء وهي: عليّ والحسين والحسن ومحسن وفاطمة ثم يسقطون عنه فريضة الصوم بعد أن يدفع المبلغ المذكور للإمام، ثم يفهمونه أن الصوم إنما المقصود منه كتمان أسرار الباطنية، أو معرفة ثلاثين رجلا أو ثلاثين امرأة يعدّونهم فى كتبهم، وليس معنى الصوم لامتناع عن الأكل والشرب، ويقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ **إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيا** ﴾[٢]. فلو كان معنى الصوم ترك الطعام لقال فلن أطعم ،،، فدل على الصيام هو الصمت والسكوت عن إبداء أسرار الأئمة بزعمهم.

ثم يسقطون عنه الحج بتفهيمه أن المقصود بالحج إنما هو زيارة مشائخهم لا الذهاب إلى مكة.

ثم يسقطون عنه حرمة الخمر والميسر بتفهيمه أن المقصود بهما أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما ولعن الباطنية، فأما الخمر المصنوع من العنب وسائر مايصنع منه فليس بحرام لأن كل ماتنبت الأرض حلال ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾[٣].

﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ماتقوا وآمنوا** ﴾[٤].

ثمّ يسقطون عنه وجوب الاغتسال من الجنابة بدعوى أن الطهارة هي طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس بذاته ولايطهره الماء ولاغيره، بل

---

(١) الأعراف ١٥٧ .
(٢) مريم ٢٦ .
(٣) الأعراف ٣٢ .
(٤) المائدة ٩٣ .

إن الجنابة المقصود بها موالاة أضداد الأنبياء والأئمة .

وأما المنيّ فهو طاهر إذ هو أصل الإنسان ، ولو كان الاغتسال منه لنجاسته لكان الاغتسال من البول والغائط أولى بزعمهم .

وعلى هذا فإن معنى الآية ﴿ **وإن كنتم جنبًا فاطهروا** ﴾ (١) أي إن كنتم لاتعرفون معنى الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الباطني .

ثم يسقطون عنه حرمة الزنا ويسمونه المشهد الأعظم ونهاية الفوز ، وإن إحلال الزنا هو دخول الجنة ، ويتلو عليه قوله تعالى: ﴿ **فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرّة أعين** ﴾ (٢) . وقوله تعالى: ﴿ **قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده** ﴾ (٣) . ويفسر له الزينة هنا بأنها ماخفي من أسرار النساء التي لايطلع عليها إلا المخصوص بذلك ، ويسلك به مسالك ملتوية ، وفي نهايتها يبدأ بتطبيق ماتعلمه المدعو من جواز الفحش والفجور ، وأن ذلك حلال ، فيبدأ يطبق ذلك على زوجته فيبيحها للمدعو ، ثم يحضر المشهد الأعظم وهو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد وإطفاء السرج بعد أن تدار الكؤوس ، وتحمى الرؤوس ، ثم يتناهبون النساء ويسمون ذلك صيداً كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم (٤) .

وهكذا ينقضون الإسلام درجة درجة إلى أن يوهموا المدعو أنه أصبح فوق مستوى التكاليف لتعمقه في العلم ومعرفته لبواطن تلك الظواهر فيصل إلى تحقيق قول الله تعالى ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ (٥) وهو في الحقيقة يصل إلى حماة الفساد والإفلاس من الدين ومشابهة البهائم ، والخروج عن الإنسانية المكرّمة....

---

(١) المائدة ٦ . (٢) السجدة ١٧ .

(٣) الأعراف ٣٢ .

(٤) ذكرها الديلمي في بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ١١ - ١٥ .

(٥) الحجر ٩٩ .

فلايعرف بعد ذلك معروف ولاينكر منكرا ، مات قلبه وضميره فهو أضل من البهائم لأنها لاتعرف تلك المسالك الشيطانية التى وصل إليها هؤلاء المفسدون.

وينبغي أن تعلم ماقدّمناه من تلك الحيل لاتتم على عجل ، بل إنهم يدّرسون الشخص دراسة لانظير لها إذا وقع عليه اختيارهم ولاينبغي أن تفهم أن تلك التعليمات تلقى عليه بهذه البساطة التي عرضناها بل إنه يمر بتعقيدات وتعليمات وصقل ، قد يأخذ فيها مددا طويلة أو قصيرة حسب ميوله وذكائه وتقبله ، ولهذا يحكمون عليه قبضتهم ، وهذا مايفسره وقوف التابعين لهم في صفّهم ودفاعهم عن هذه العقيدة ، لايهمهم حتى تقديم دمائهم في سبيل نشرها وعلوّ شأنها، وذلك لتشبعهم بتلك التعاليم الملتوية ومسخ فكر الداخل وتفريغه من كل علاقة إلا بهذا المذهب .

ولمزيد من التفاصيل عن حيلهم وخططهم في استجلاب الناس إلى دعوتهم وترتيبهم العميق الذي لايدركه المدعو إلا بعد الإطاحة به ، ننقل هنا ماباح به أحد علمائهم المعاصرين حيث قال مانصه :

« ولقد وفّقَت الحركة الإسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم الذي كان معروفًا في عصرنا ، مثل السنة الزمنية ، والسنة مقسمة إلى اثنى عشر شهراً ، وإذا فيجب أن يقسم العالم إلى اثنى عشر قسمًا ، وسموا كل قسم جزيرة ، وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيا هو المسئول الأول عن الدعاية فيها وأطلقوا عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » ... إلى أن يقول :

« والشهر ثلاثون يومًا ، ولذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعيًا نقيبًا لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوّته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ، وهم عيونه التي يعرف بها أسرار الخاصة والعامة .

واليوم مقسم إلى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشر ساعة بالليل ، واثنتي عشر ساعة بالنهار ، فجعل الإسماعيلية لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعيًا ، منهم اثنى عشر داعيًا ظاهرين كظهور الشمس بالنهار ، واثنى عشر داعيا محجوبًا مستترًا استتار الشمس بالليل .

وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الإسماعيلية في العالم كان حوالي (٨٦٤٠) داعيا في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لايشملهم هذا ، وهم الدعاة الذين يكونون دائمًا في مركز الدعوة الرئيسي مع الإمام .

علما بأن لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لايتعدّاه ، حفظًا لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثنى عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة فى درجات الدعاة .

وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس وكأنهم تلاميذ يريدون الإفادة من أساتذتهم دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعة للأخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء بأن من يجادله أو يناقشه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة - انظر إلى هذا الدهاء والمكر - وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب الصحيح أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكاسر ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكاسر، فيسرع إليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الأسئلة التي طرحها، والموضوعات التي ناقش فيها العلماء .

ومن الظاهر أن الداعي المكاسر كان يختار اختياراً خاصًا ولايسمح له المكاسرة إلا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ونجد في بعض الكتب الإسماعيلية الشروط الواجب توافرها عند اختيار الداعي المكاسر ، والخصال التي يجب أن يتحلى بها من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها

حتى يكون معروفًا عند الجمهور ويجب أن يكون حسيبًا ونسيبًا بين قومه .. إلى أن يقول :

« فإذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الإسلامية حتى يتبحر فيها (!) فإذا تم له ذلك أخذ يلقنه مسائل الخلاف بين المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق إسلامية وغير إسلامية ، ويظهر له موطن الضعف في كل مذهب ، وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها فإذا تم له ذلك يبدأ الداعى في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس إليه ، فإذا أتقن كل هذه الأمور وتدّرب عليها ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الأخرى دون أن يشعر أحد بأنه إسماعيلي المذهب ، بل يجب أن يكتم ذلك كتمانًا شديدًا ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكيًا ذا فراسة حتى لايخطئ في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم .

فإذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصما عنيدًا أكثر منه علما وتبحرًا في مختلف الفنون وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لاحد لها ، والتي لايفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الإسماعيلية التي لايعرفها غير الدعاة ، وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لايفهمونها ولايعرفون كنهها .

هكذا كان الداعي المكاسر أو الداعي المكالب الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الإسماعيلي للدعاية ، فإذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ماكان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم .

وفي حالة توصلّ الداعي المكاسر إلى إقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون

الوصول إلى معرفة الحقيقة يأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحة في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئًا من عقائده بل يكتفي بإطلاعه على بعض المسائل المذهبية ، ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لاضير في كشفها ، فإذا أصرّ المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله إلى الداعي المأذون، وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق، فإذا وثق بإخلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منها، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون إلى إخلاصه ، ويطمئن المستجيب إلى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله إلى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيرًا بحضور مجالس داعي دعاة الجزيرة الذي له وحده الحق في أن يعلم الناس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث، كما يعلّم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي علم الحقيقية .

صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والأحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعد إلى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الأسرار الإسماعيلية العليا » (١) .

ثم ذكر بعد ذلك مراتب كبار الدعاة الذين كانوا يلازمون مركز الإمامة وهم ١٦ مرتبة .

فانظر أخي الكريم إلى هذه الخطط الشيطانية ، وانظر كيف يدخلون إلى قلوب الناس ويسرون فيهم سريان النوم .

ولك أن تعجب من حال المدعو وهم يقذفونه من شيخ إلى شيخ كأنه كرة في أيديهم دون أن يعلم الحال الذي سيوردونه عليه .

كما يحق لك أن تعجب من كثرتهم وتماسكهم حيث ينتشرون في البلد

---

(١) أعلام الإسماعيلية ص ١٨ ـ ٢٤ تحت عنوان « أسرار نظام الدعوة » .

الذي ينكب بهم مثل انتشار الجراثيم في الجسم السليم ثم يحكمون الطوق عليه ليقع فريسة هامدة أمامهم .

وكيف يدرسون نفسيات الناس وميولهم ، ويعرفون كل شيء عنهم قبل الإقدام عليهم .

فأين دعاة الحق من مثل هذه التنظيمات ؟! إن كثيراً منهم قد يجهل حتى أدنى الآداب التي يقابل بها الناس .

ولو عرضت الدعوة الصحيحة إلى الإسلام ، ولو بقليل من هذه الخطط لكان للعالم الإسلامي شأن غير شأنه الموجود اليوم فإن جودة عرض البضاعة تغري بشرائها .

ومن هنا نجد هذا الباطني يتمدح بهذا الجانب فيقول : « وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الدعوة الإسماعيلية بشكل لم تعهده أية دعوة إسلامية وغير إسلامية من قبل في جميع الأقاليم ، وبين كل طبقات المجتمع على السواء »[1] .

الذي يهمنا من كلامه هذا هو الإشارة إلى دقتهم في التخطيط وحبك المؤامرات بغض النظر عن مبالغاته في انتشار دعوتهم الخبيثة فلقد انتشرت الدعوات الإسلامية الصحيحة انتشارا لم تصل إلى القرب منها أية دعوة في العالم بأسره ولم يثبت أصحاب أية دعوة في التمسك بمبادئهم ثبوت أصحاب العقيدة الصحيحة على مرّ التاريخ .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥ .

الفصل السادس

عقائد الباطنية

يجد المتتبع لأخبار الباطنية ومذاهبهم تناقضا ظاهرا ، والسر في هذا التناقض يعود إلى أن أهل هذا المذهب هم الذين أرادوا ذلك لكي تتضارب أخبارهم عند الناس ، وبالتالي يستطيعون تكذيب مايريدون مما ينقل عنهم بحجة أن الناس يكذبون عليهم .

ثم هم أيضا لايقوم مذهبهم إلا على هذا التلون الكثير ، ومن هنا قال الغزالي: «والذي قدمناه في جملة مذهبهم يقتضي لا محالة أن يكون النقل عنهم مختلفا مضطربا، فإنهم لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد، بل غرضهم الاستتباع والاحتيال، فلذلك تختلف كلماتهم، ويتفاوت نقل المذهب عنهم»[1].

ومهما كان الحال فإن عقائد الباطنية هي مجموعة أفكار ملفقة من مذاهب شتى، وكلها خبط واضطراب ، ومن عجيب أمرهم أنهم يستدلون على كفرهم، ومحاربة الإسلام ببعض الآيات من القرآن الكريم ، وبأحاديث مختلقة مكذوبة على النبي ﷺ ، وأحاديث صحيحة يحرفون معانيها ويؤلونها على وفق اعتقاداتهم الإلحادية ، وكل عقائدهم ترجع إلى :

١ ـ إنكار وجود الله تعالى .

٢ ـ جحد أسمائه وصفاته .

٣ ـ تحريف شرائع النبيين والمرسلين[2] .

وفي كل ذلك يتسترون :

١ ـ إما بالتشيع لآل البيت .

---

(١) فضائح الباطنية ص ٣٨ .

(٢) انظر الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٢١٠ .

٢ ـ وإما بزعم التجديد والتقدم .

وغير ذلك مما يختلقون من الشعارات والأكاذيب المخترعة .

أولا : عقيدتهم في الالوهية

فقد اختلفت مذاهبهم فيه على درجات من الكفر والإلحاد كما اتضح من خلاصة معتقداتهم[١] .

فذهب قسم منهم إلى القول بوجود إلهين ، لا أول لوجودهما من حيث الزمن ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الأول عقلا والثاني نفسا تخرصا وكذبا .

بل قالوا إن السابق والتالي هما المراد باللوح والقلم ، واستدلوا من القرآن الكريم بما جاء فيه من صيغة الجمع مثل ﴿ **إنا نحن نزلنا** ﴾[٢]، ﴿ **نحن قسمنا بينهم** ﴾[٣] .

قالوا : ولولا أن معه إلها آخر له العلو أيضا لما ورد قوله تعالى : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾[٤] ، قالوا وهما أيضا الرحمن الرحيم [٥] .

ولاشك أن هذا يدّل على مدي جهلهم بلغة العرب لأنهم من فارس ، وبعضهم لم يتقن العربية وإلا لعلموا أن هذا الخطاب « أنا» أو « نحن » إنما هو من باب التعظيم ، والله عزّ وجل له العظمة المطلقة .

وقد ذكر مصطفى غالب ـ باطني من أهل سلمية ـ خلاصة معتقدهم في الخالق عزّ وجل فقال :

« ولما كان الله فوق العالم وهو غير محدود، فلا يمكن أن يخلق العالم

---

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٣٩ ـ ٤٠ . (٢) الحجر ٩ .
(٣) الزخرف ٣٢ . (٤) الأعلي ١ . (٥) فضائح الباطنية ٤٠ .

مباشرة وإلا اضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه ، لا ينزل إلى مستواه ، ولما كان واحدا فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد ، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم، لأن الخلق عمل وإنشاء شيء لم يكن ، وذلك يستدعي التغير في ذات الله والإله لا يتغير»(١) .

ومعنى هذا الكفر أن الله علة العالم وسبب وجوده فقط ، وأن الله فوق العالم، ولا يستطيع أن يتصل به ويخلقه بنفسه مباشرة لأنه واحد ويستنكف أن يباشر خلق الأشياء بنفسه لترفعه وعلوّه ، وهذا من أعظم الجهل والغفلة .

وذهب قسم آخر منهم إلى الاعتقاد أن عليا رضي الله عنه هو الذي خلق السموات والأرض خالق محيي مميت مدبر للعالم ، وأنه ظهر في صورة الناسوت ـ الناس ـ ليؤنس خلقه وعبيده ليعرفوه ويعبدوه ، وقد أنشد بعضهم في سنة سبعمائة قوله :

أشهد أن لا إله إلا ... حيدرة الانزع البطين
ولا حجاب عليه إلا ... محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه لا ... سلمان ذو القوة المتين (٢) .

وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يصح وصفه بأنه موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا موصوف ولا غير موصوف ، ولا قادر ولا غير قادر... وهذا ما يقصده مصطفى غالب حين قال : « وتحدث الفلاسفة الإسماعيليون عن وجود الله تعالى، فأثبتوا ضرورة وجوده عن طريق وجوده عن طريق ليسيّته، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها إلى موجد ، ونفوا عن الله الأيسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا إن الله لا يمكن أن يكون ليسا ولا أيسا ، أي أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ولا أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي

---

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص٩٦.

(٢) مجموع الفتاوي ج٣٥ص١٤٧.

وجدت عنه، ويطلق عليه اسم المبدع الأول، والعقل الأول، والمحرك الأول....

ويأتي بعده في ترتيب العقول العقل الثاني الذي وجد عن طريق الانبعاث» إلخ تقسيمه الطويل الممل.

إلى آخر خرافاتهم وإلحادهم وغرضهم نفي وجود الله تعالى بوجه يدق على عوام الناس، يكون ظاهره التنزيه، والغرض الحقيقي نفي وجود الله عزّ وجل، إذ لا يمكن أن تصدق تلك الأوصاف إلا على معدوم، ومثل هذه المزاعم معلوم بطلانها من دين الإسلام بالضرورة، فلا خالق إلا الله عز وجل كما هو معلوم عند أصحاب كل الأديان، وعليّ وغيره في هذا الكون مخلوق لله، أوجده بعد أن لم يكن، لا يملك أحد لنفسه ضرا ولا نفعا. ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾[1].

ثانيا: اعتقادهم في النبوات

يجحد الباطنيون النبوات، وينكرون المعجزات، ويزعمون أنها من قبيل السحر والطلاسم، ويفسرون النبوة بأنها عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوّة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات، كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حين تشاهد في مجاري الأحوال في المستقبل، إما صريحا بعينه أو مدرجا تحت مثال يناسبه مناسبة ما فيفتقر فيه إلى التعبير، لأن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة[2].

ويزعمون أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها، كما لا تستكمل النطفة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر، فكذلك هذه القوة كمالها أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت »[3].

---

(١) الزمر ٦٧.

(٢)، (٣) فضائح الباطنية ص ٤١.

ومن هذا التصور الرديئ اعتقدوا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض على النبي لأنه شخص ينتقل من علو إلى سفل .

وعلى هذا فهم يعتقدون أن القرآن الكريم تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو جبريل ، وسمي كلام الله مجازا .

ومن اعتقاداتهم التي بينها الغزالي أنهم قالوا كل نبي لشريعته مدة ، فإذا انصرمت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته . وحددوا لشريعة كل نبي سبعة أئمة[1]، أولهم النبي الناطق ، ثم الأساس الصامت ، ثم السوسي ، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره.

قالوا : ولكل نبي سوسي ، والسوس هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته ، والإمام لمن هو في زمانه .. ومن هنا زعموا أن آدم سوسه شيثا، وهو الثاني ، ويسمى من بعده متما ولاحقا وإماما، إلى أن بعث الله محمدا ﷺ وسوسه عليّ بن أبي طالب ، وقد استتم دوره بجعفر بن محمد ، فإن الثاني من الأئمة الحسن بن عليّ ، والثالث الحسين بن عليّ ، والرابع علي بن الحسين والخامس محمد بن علي ، والسادس جعفر بن محمد ، وقد استتموا سبعة معه، وصارت شريعته ناسخة ، وهكذا يدور الأمر أبد الدهر»[2] .

وفي مثل هذه الضلالات يقول علماؤهم :

« ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ، لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، قام بنسخ الشريعة التي سبقته، فجمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرية

---

(١) حددها الغزالي بسبعة أعمار أي سبعة قرون ، ولعل التحديد بسبعة أئمة أوضح ، إذا إنهم بنوا نسخ الشرائع وقيام القيامة بعد الإمام السابع دائما .

(٢) فضائح الباطنية ص٤٢- ٤٤، وقد قال - بعد أن ذكر أشياء كثيرة تركتها اختصارا واكتفاء بما ذكرته - قال:«هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة أهملنا ذكرها ضنة بالبياض أن يسود بها».

للشريعة، فنادى بالتأويل واهتم بالباطن »[1] .

إلى أن يقول حاكيا عن أحد دعاتهم في ضمن فضائل محمد بن إسماعيل:

« وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ »[2] .

ووصف مصطفى غالب محمد بن إسماعيل بأنه القيامة الكبرى[3]، لاكتمال الدور به ، والابتداء من جديد .

ويقول النوبختي وهو من أعرف الناس بهم :

« وزعموا أن النبي ـ ﷺ ـ انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس بغديرخم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب ، واعتلوا في ذلك بقول النبي ﷺ : « **من كنت مولاه، فعلي مولاه** » ، وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة، وتسليم منه في ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله عز وجل ، وأن النبي ـ ﷺ ـ بعد ذلك كان مأمونا لعلي محجوجًا به» ... إلى أن يقول :

« وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي لم يمت ، وأنه في بلاد الروم ، وأنه القائم المهدي ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث برسالة وشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ـ ﷺ ـ إلى أن يقول :

« واعتلوا في نسخ شريعة محمد ـ ﷺ ـ وتبديلها بأخبار رووها عن أبي عبد الله جعفر بن محمد « ع » أنه قال : « لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا » . وأنه قال:

« إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء » ونحو ذلك من أخبار القائم »[4] .

---

(١) أعلام الإسماعيلية ص ٤٥٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٥٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٥٢ .
(٤) فرق الشيعة ص ٦٤ ـ ٩٥ .

وسبب نقل هذا الكلام إنما هو لإيضاح إصرار الباطنية على نسخ شريعة محمد ﷺ، وأن ما يظهره مصطفى غالب وغيره من عتاة الباطنية من التلاعب بمعاني الكلام ، إنما هو خداع للناس وستر لهذه العقيدة الخبيثة التي ترد ما أخبر الله به من إتمام الدين إلى أن تقوم القيامة ، وينتهي هذا الكون ومن فيه ، ولا يبقى إلا وجه الله عز وجل .

ولا يخفي على القارئ اللبيب ما في آخر كلام النوبختي من عبارات تتفق مع هوي الشيعة الغلاة منهم حول القرآن الكريم .

وأما استدلالهم بأن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، بمعنى يظهر شخص ينسخه، فلا شك أنه كلام يدل على قصر عقولهم ، فإن الإسلام والحال ما ذكروا لا يبقي غريبا فقط بل أنه لا يبقى له أي وجود .. فكيف يسمونه غريبا وقد انمحى ونسخ ، وحاشا أن يتم ذلك .

وكلامهم إنما هو تأويل للحديث ، وكذب على الله ورسوله أن يكون المراد من معنى الحديث ما ذكروا، بل إنه يدل على قلة المتمسكين به والعاملين بأحكامه وتعاليمه كما كان في بدء أمره كذلك .

وأما أن يكون الرسول ﷺ يبشر في هذا الحديث بنسخ شريعته ، فإنه لا حقيقة لهذا المقصود إلا في أفهام سخفاء العقول .

وأولوا معجزات الأنبياء تأويلات باطنية، فثعبان موسى أي غلبته عليهم، وإظلال الغمام أي الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم، ومعنى عدم الأب لعيسى أنه لم يأخذ العلم عن إمام مستور معصوم، وإنما استفاد العلم من الله بغير واسطة.

والجن الذين ملكهم سليمان باطنية ذلك الزمان ، والصيام الإمساك عن كشف السر.

في تخرصات وتلفيقات يطول ذكرها ، ولا خير من وراء بحثها وإنما هي

الإشارة إلى التحذير من مسالك هؤلاء ، ومن أفكارهم وعباراتهم الخادعة ، فلا ينبغي أن يهدر الوقت في التعمق في دراسة هذه الأفكار والردود عليها .

وقد أورد الغزالي في الباب الخامس من كتابه « فضائح الباطنية » أمثلة كثيرة لتلك التأويلات في فصلين :

* **الفصل الأول** : في تأويلاتهم للظواهر .

* **الفصل الثاني** : في استدلالهم بالأعداد والحروف ، وبين زيف أقوالهم في عدة صفحات (١) .

وكذا الديلمي في كتابه « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » ويحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ». كل هؤلاء وغيرهم من علماء الفرق قد ذكروا أمثلة ومناقشات لدحض أقوال الباطنية ، تحتاج إلى دراسة خاصة ووقت متسع لها.

ثالثا : اعتقادهم في الآخرة

اتفقت كلمة الباطنية على إنكار الآخرة التي جاء الإسلام بتفاصيل بيانها، وأولوا القيامة في القرآن والسنة ، وقالوا بأنها رموز تشير إلى خروج الإمام، وقيام قائم الزمان ـ إمام العصر ـ، السابع الناسخ للشرع المغير للأمر كما يصفونه. وقالوا أيضا أن معني القيامة انقضاء الدور .

وأنكروا بعث الأجسام والجنة والنار ، وقالوا : « إن معني المعاد هو عود كل شيء إلى أصله ، وأن الإنسان مركب من عالم روحاني وعالم جسماني، فالجسماني منه جسده، وهو مركب من الأخلاط الأربعة وهي : الصفراء، والسوداء ، والبلغم، والدم فيتحلل الجسد ويعود كل خلط إلى طبيعته...

---

(١) انظر من ص ٥٥ ـ ٧٢ ، وانظر ما كتبه الديلمي عنهم في كتابه « بيان مذهب الباطنية وبطلانه»ص ٣٥ ـ ٣٦ ، وما كتبه يحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الإفحام » .

فالصفراء تصير نارا ، والسوداء تصير ترابا، والدم يصير هواء ، والبلغم يصير ماء. وهذا هو المعاد الجسدي عندهم ، فلا تعود الحياة إلى الاجساد بعد الموت .

أما الروحاني ، وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان فإنها إن صفيت بالمواظبة على العبادات ، وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات ، وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة عن الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي كان منه انفصالها ، فتسعد بذلك وهذا هو جنتها (١) .

بهذه الخرافات فسرّوا المعاد الأخروي ، ولا شك أنها مأخوذة عن مذاهب الهندوس والبوذيين ولذلك أجمع هؤلاء الباطنيون على القول بالتناسخ الموجود عند البراهمة والبوذيين ، وصبغوه في الظاهر بالإسلام فصار الكلام مسلما والفكر هندوسيا وبوذيا ووثنياً.

وقد أكثر الشيخ إحسان إلهي - رحمه الله - من النقول عن كتب الباطنية ، وتأويلاتهم لأخبار القيامة بما لا يتسع لاستقصائه المجال هنا (٢).

رابعا : اعتقادهم في التكاليف الشرعية

يتميز مذهب الباطنية بأنه من أشد المذاهب استحلالا للمحرمات ، وأوغل في الإباحية البهيمية ، وأكثر تفلتا عن القيام بالتكاليف الشرعية وتبرماً منها ، مع أنهم لا يتظاهرون أمام العامة بترك التكاليف إلا فيما بينهم .

وأما ظاهر مذهبهم فهو لزوم القيام بالتكاليف، بل وأحيانا بعضهم يبالغ في إيجاب أشياء لم تجب ليظهروا بمظهر الزهاد والعباد ، وليستفيدوا من جهة أخرى، إرهاق الناس بكثرة التكاليف لتضيق صدورهم بها .

وفي مقابل ذلك يركز هؤلاء الفجار على مسامع الناس أن للخروج من تبعة

---

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٤٥ . وانظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٣٧ .

(٢) في كتابه « الإسماعيلية تاريخ وعقائد » .

هذه التكاليف أمر ميسر لكل أحد أراده .

وحينما يشتاق الشخص إلى معرفة هذا الأمر لا يجودون به عليه إلا بعد مراحل واختبارات عديدة ليشعر المدعو فعلا أنه قد وصل إلى السر بعد تعب واجتهاد.

ومعرفة هذا السر يكون بطلب التابع لهم رتبة الكمال في العلوم التي تؤخذ ـ شرط ـ من نواب الإمام المعصوم المستور . وعلى الشخص أن يجتهد ويسعى في العبادة في أثناء تلقيه لذلك إلى أن يصل إلى رتبة الكمال ـ وهي في الحقيقة رتبة منتهى الجهل والغفلة ـ، محبا للشهوات والفواحش على حد ما أخبر به النوبختي، حيث قال وهو يعدد عقائد الباطنية :

« وإن الله تبارك وتعالى جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم ﷺ ، ومعناها عندهم الإباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا ، وهو قول الله عز وجل ﴿**فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة**﴾[1]»[2].

هذا بالإضافة إلى أنهم يعمقون في ذهن الشخص أن القيام بهذه التكاليف والمنع والإباحة إنما تستهدف من ورائها فائدة واحدة وهي استنهاض همة القلب ليصل إلى معرفة بواطن هذه الأمور، فإذا لم يكن كذلك فإن عليه أن يبقى في عداد الجهال الذين هم مثل الحمير التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة[3].

في زخرف من القول أخذوه من شتى المذاهب،حيث أخذوا من كل مذهب شرّ ما فيه .

ولقد كان للرافضة عليهم فضل كبير ، فقد أخذوا عنهم فكرة الإمام المعصوم المستور، وأنه لا حق إلا ما خرج عن الأئمة ، وكذا تحريف الآيات على حسب هواهم ، ودعوي وجود الإمام الصامت والناطق ، ونسخ الشريعة

(١) البقرة ٣٤ . (٢) فرق الشيعة ص٩٥.

(٣) انظر فضائح الباطنية ص ٤٧ ، وانظر فرق الشيعة للنوابختي ص ٩٦ .

الإسلامية بمجيء مهدي الشيعة ، ومجيء الإمام السابع من الأئمة المستورين عند الباطنية ، وأشياء كثيرة لا تخفي على القارئ الكريم ، وقد ذكر أكثرها في درس الشيعة .

فهذا الكليني يفسر قول الله تعالي ﴿ **وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾[1]، عن موسي بن جعفر أنه قال : « البئر المعطلة الإمام الصامت ، والقصر المشيد الإمام الناطق»[2].

والوالدين الذين ذكرهما الله في قوله ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير**﴾[3]، فسرها الكليني عن عليّ رضي الله عنه قال : « الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم ، وأمر الناس بطاعتهما»[4].

وعن الظاهر والباطن في النصوص يقول الكليني : « إن القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق»[5].

وللطوسي في كتابه « الغيبة » مثل هذا التأسيس الباطني[6]، بل وبالغ الطوسي ، وافتري ـ كما يبد على ـ جعفر بن محمد « أنه قال حقيق على الله أن يدخل الضُلال الجنة ، فقال زرارة : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : يموت الناطق ، ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة »[7].

وإذا كان على حسب هذه الرواية كل من مات بين موت الناطق وسكوت

---

(١) الحج ٤٥ .
(٢) الكافي ج١ ص ٣٥٣ .
(٣) لقمان ١٤ .
(٤) الكافي ج١ ص ٣٥٤ .
(٥) الكافي ج١ ص ٣٠٥ .
(٦) انظر كتاب الغيبة ص ٩٦ .
(٧) كتاب الغيبة ص ٢٧٧ .

الصامت (أي بين مـوت الرسول ﷺ وسكوت على) فكان ينبغي على الشـيعة أن يقولوا بدخول الصحابة جمـيعهم الجنة وهم لا يقولون بذلك ، وهذا جزء من تناقضهم ، وهو من الأدلة على رغبتـهم في تأسيس المذاهب الهدامة التي تخرج المسلم عن دينه .

ولقد انتفع الباطنيون كثيرا بمثل هذه الاعتقادات التي كونوا منها ومن غيرها مذهبهم الردئ الذي خرج بسببه الآلاف المؤلفة من الناس عن دينهم ....

والله المستعان

الباب الرابع

النصيرية

الفصل الأول

تمهيد: في بيان خطر النصيرية

النصيرية هي إحدى فرق الباطنية الغلاة ظهرت في القرن الثالث للهجرة انشقت عن فرقة الإمامية الاثنى عشرية والنصيريون كغيرهم من أعداء العقيدة الإسلامية الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر إذ لم تمر بهم فرصة دون أن يهتبلوها في إيقاع أكبر الأذى بالمسلمين والنصيريون حينما يوقعون الأذى بالمسلمين دون هوادة أو رحمه يعتقدون في نفس الوقت أنهم يثابون على ذلك فكلما أوغل الشخص منهم في إلحاق الأذي بالمسلمين كلما زاد ثوابه حسب اعتقادهم وهذا ظاهر في غلظتهم ومعاملتهم للمسلمين وأقرب مثال على مواقف النصيريين في العصر الحاضر ما يجرى في أماكن المسلمين في سوريا ولبنان من تقتيلهم الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ثم وقوفهم كذلك في صف المارونيين والخمينيين ولقد هيأ هؤلاء للتتار قديما وللصلبيين الفرص لذبح المسلمين وإنزال أفدح المصائب بهم مما لم يسمع بمثله باعتراف كتاب النصيريه أنفسهم وما من فتنه تثور ضد المسلمين من أهل السنة إلا وهؤلاء النصيريون في خندق واحد مع عدو المسلمين ضد المسلمين وكم ذهبت من أنفس واستبيحت من أعراض بسبب دسائس النصيرية وتآمرهم في وقائع تقشعر منها الجلود وبينهم وبين اليهود والنصارى مودة وبينهم تشابه في كثير من المعتقدات تجد مصداق هذا وقائع حرب الأيام الستة كما يسمونها فما حصل منهم فيها إنما هو دليل من الأدلة

الكثيرة على مواقف النصيريه تجاه أهل السنة وعدائهم لهم ولأسلافهم الأخيار مثل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من فضلاء الناس بعد الرسول محمد ﷺ ولا يزال القارئ الكريم يذكر ماقدمنا نقله عن علماء السنة وشهاداتهم بما فعله النصيريون والباطنيون عموما بالمسلمين على مختلف العصور حين تمكنوا من إلحاق الأذى بأهل السنة . وكيف كانوا يتحولون إلى وحوش ضارية لاتدخل الرحمة إلى قلوبهم لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا لقد انطوى هؤلاء على كفر وإلحاد وخرافات تجعل الإنسان ييأس تمام اليأس أن يعود هؤلاء إلى رشدهم وإذا شئت الاطلاع على مصداق هذا فأقرأ كتابهم « الهفت الشريف » بتحقيق علمائهم في هذا العصر الذي يزعمون أنهم تحرروا من كل الخرافات وأنهم أصحاب إنصاف وتحقيق ونورد لك أخي القارئ دليلا واحدا مما جاء في هذا الكتاب المفضل لديهم حيث قال :

« إن الحسين لما خرج إلى العراق وكان محتجب به وصار لا ينزل منزلا صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبريل فيحدثه حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت الخيول لديه وقام الحرب حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له يا أخي - انظر الله يقول لجبريل يا أخي - من أنا قال أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والمحي أنت الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك والبحار فتسارع إلى طاعتك وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار » إلى أن قال عن جبريل وهو يخاطب عمر بن سعد القائد الأموي الموجه لحرب الحسين قائلا له: «ويحك تقتل رب العالمين وإله الأولين والآخرين وخالق السموات والأرض وما بينهما فلما سمع عمر بن سعد ذلك أخذه الخوف»[1] إلى آخر ترهاتهم التي تدل على عمق جهلهم وبدائيتهم ويسب صاحب الهفت عمر رضي الله عنه وينسبه إلى أنه كان في زمن الحسين

(١) الهفت الشريف اقرأ من ص ٩٦ إلى ص ١٠٢ لترى العجائب .

في صورة كبش عن طريق التناسخ فدى الله به الحسين من الذبح وذبح هو أي عمر الذي سماه « دلامة » فقال عن الصادق عن المفضل أنه قال له : « يامفضل إن الكبش الذي فدي به الحسين كان الأدلم أدلم قريش وهو يومئذ شيخ في تركيب كبش».

ثم زعم أن قرني هذا الكبش معلقين في الكعبة .

« أما رأيت يامفضل قرنيه في البيت الحرام معلقين قلت نعم يامولاي قال فذاك القرنان لذلك الكبش الذي فدي به الحسين ثم ضحك الصادق حتي بدت نواجذه قلت يامولاي ما الذي أضحكك قال يا مفضل إن الناس إذا اجتمعوا بالموسم بمكة المكرمة رغبوا أن ينظروا إلي قرني الكبش تعجبا لأنه من الجنة ونحن نقوم بالنظر إليهما تعجبا أنهما قرنا دلامة فالناس يتعجبون من شيء ونحن نتعجب من شيء خلافة [1].

وما أدري ما الذي يقصد هذا المجوسي بقرني الكبش المعلقين بالكعبة فما رأينا أي قرن ولا حكى أحد من العلماء أنه رأي هذين القرنين وفي هذا العصر خرجت مرة كتائب الباطنيه النصيريه في حماه « وهي تملأ أجواز الفضاء بذلك الهتاف الذي لن تنساه حماه »« هات سلاح وخد سلاح دين محمد ولى وراح»[2] وهذه جريدة الثورة أحفاد الوثنية النصيريه تكتب » الله والأنبياء والكتب المقدسة كلها محنطات ينبغي تحويلها إلى متاحف التاريخ »[3] وذاك النشيد وهذا التصريح وقع حينما اقتحم اليهود الصهاينة المسجد الأقصي وهم يرددون « محمد مات خلف بنات فليسقط الإسلام » [4].

---

(١) الهفت الشريف ص ٩٤ .

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١١٠ .

(٣ ، ٤) الإسلام في مواجهة الباطنيه ص ١١٠ .

الفصل الثانى

(زعيمهم) وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه

تنتسب هذه الطائفة إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الإثنا عشرية وأصله من فارس ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم علي ثبوت صفة الباب له حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تقر له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكون له طائفة وقد ظل زعيما لطائفته إلى أن هلك سنة ٢٦٠ هـ وبعضهم يذكر أنه في سنة ٢٧٠ هـ وقد كان فيما يقول علماء الفرق مولى للحسن العسكري - الإمام الحادي عشر للشيعة الإثنى عشرية ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية .

لقد صار ابن نصير داخلا في قسم كل نصيري ، وهم قسم مملوء بالشرك والالحاد وهو يشير بكلمات موجزة إلى دياناتهم وما فيها من الاعتقادات لا يعرفها إلا من توسع في دراسة هذه الطائفة ووقف علي مخازيهم بمداخلته لهم وهذا القسم هو كما يأتي : « أني وحق العلي الأعلى وما أعتقده في المظهر الأسني وحق النور ما نشأ منه والسحاب وساكنه، وإلا برئت من مولاى علي العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان بغير إذن وبرئت من دعوة الحجة ابن نصير وخضت مع الخائضين في لعن ابن ملجم وكفرت بالخطاب - أي بالديانه والدعوة - وأذعت السر المصون وأنكرت دعوي أهل الحق وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتي اجتثت أصولها وأمنع سبيلها وكنت مع قابيل علي هابيل ومع النمرود علي إبراهيم وهكذا مع كل فرعون قام علي صاحبه إلى أن ألقي العلي العظيم وهو عليّ ساخط وأبرأ من قول قنبر وأقول أنه بالنار ماتطهر »[1] وستتضح معاني هذا القسم من خلال دراستنا لهذه الطائفة وحين بنى ابن نصير ديانته على الالتصاق بالحسن العسكري

---

(١) العلويون أو النصيريه ص ٣ . ولعله لإحراقه الذين ألهوا عليا .

وإنه الباب إلى ابنه المزعوم محمد بن الحسن العسكري كان الحسن العسكري شديد التحذير منه شديد السخط عليه حيث كتب إلى أحد أتباعه قائلا له ومحذرا من أفكار ابن نصير وفجوره :

« إني أبرء إلى الله من ابن نصير النميري وابن بابا القمي فأبرأ منهما وإني محذرك وجميع موالي ومخبرك أني ألعنهما عليهما لعنة الله فتانين مؤذيين آذاهما الله وأرسلهما في اللعنة وأركسهما في الفتنة »[1].

والسبب في لعنه إنما كان في دعوي ابن مصير النبوة ودعوي الألوهية لأهل البيت وغير ذلك من المبادئ والاعتقادات الوثنية المجوسية وقد نقل عبد الحسين عن القمي وصفه لابن نصير بأنه كان فاحشا وشاذا جنسيا بالتعبير الحديث حيث أجاز اللواط وسائر المحرمات مدعيا أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به إلخ ما وصف به من صفات شنيعة[2] لانحب ذكرها هاهنا ولكن في الهفت الشريف نفى هذا تماما وأنه لا يقع من مؤمن منهم بل يقع على من أبغض عليا فقط كما يرويه المفضل[3] الجعفي وقد أجمعت كتب الشيعة على ذكر دعوى ابن نصير أنه الباب ثم النبوه ثم القول بألوهية علي وإباحة المحارم والقول بالتناسخ كما استوعب عبد الحسين الشيعي أخباره في كتابه « العلويون أو النصيرية» نقلا عن أهم مصادرهم مثل سعد القمي[4] والنوبختي[5]وأبو عمر الكشي[6] وأبو جعفر الطوسي[7] والحلي[8] والطبرسي[9] والدكتور مصطفي الشيبي[10] الشيعي الاثنى عشري .

وبعد ذلك حاول جاهداً البراءة من النصيريه ومن ابن نصير وجميع أفكاره

---

(١) المصدر السابق ص ٤ .

(٢) العلويون أو النصيريه ص ٢١ نقلا عن مقالات القمي ص ١٠٠ .

(٣) الهفت الشريف ص ١٤٠ . (٤) المقالات والفرق . (٥) فرق الشيعة.

(٦) رجال الكشي . (٧) رجال الطوسي وكتاب الغيبة . (٨) الرجال.

(٩) الاحتجاج . (١٠) الصلة بين التصوف والتشيع .

ومعتقداته حتى وأن كان له صلة الصحبة بالحسن العسكري ثابته في كتب الشيعة إلى أن مات الحسن العسكري ثم قيام ابن نصير بدعوى الباب إليه منكرا وكلاء الإمام محمد بن الحسن العسكري [1].

ويؤكد أحد علماء الشيعة الإثنى عشرية وهو محمد رضا شمس الدين الذي زار النصيرية سنة ١٣٧٦ هـ للتعرف علي أحوالهم موفدا من أحد المراجع الدينية في النجف عبد الهادي الشيرازي أن النصيرية لايزالون إلى اليوم يتمسكون بأفكار زعيمهم محمد بن نصير وذكر أنه حينما زارهم رحبوا به أجمل ترحيب ولكنه لاحظ عدم اكتراثهم بفرائض الدين من صلاة وحج وعدم وجود مساجد في منطقتهم ، كما لاحظ أن فكرة تناسخ الأرواح لا تزال منتشرة بينهم وهم يسمونها تقمص الأرواح » [2].

ولاشك في صحة شهادة محمد رضا فإنه أعلم بهم « وشهد شاهد من أهلها » فأي إسلام لهم بعد تركهم الصلاة والحج ومحاربة بناء المساجد ثم القول بالتناسخ الذي هو قول المجوس عباد الأوثان . ومع هذا فإن أهل السنة في غفلة تامة عنهم .

---

(١) يدعي الإثنا عشرية أن محمد بن الحسن العسكري بعد أن اختفي في السرداب كان له أربعة وكلاء بينه وبين الناس وهم عثمان بن سيد العمري ، محمد بن عثمان الخلاني، الحسين بن روح النوبخي وعلي بن محمد السمري .

(٢) ذكر هذا في كتابه العلويون في سوريا ص٥٤ نقلا عن كتاب« العلويون أو النصيرية» ص٤٦».

الفصل الثالث

أسماء هذه الطائفة والسبب في إطلاقها عليهم

أطلقت على هذه الطائفة أسماء بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومنها :

١ ـ النصيرية :

وهو الاسم الذي غلب على غيره من أسمائهم واشتهروا به ومع هذا فإن النصيريين لايحبون أن يسموا به ويتضايقون منه ومن أسباب كراهيتهم له حسب تعليلاتهم :

١ ـ أنه أطلق عليهم بسبب العصبية المذهبية وبدافع من العداوة والمذهبية حيث أطلقت هذه التسمية عليهم ذريعة لاضطهادهم كما يزعمون .

٢ ـ زعموا أن الأتراك حينما كانوا مسيطرين على بلادهم أطلقوا عليهم اسم النصيرية نسبة إلى الجبال التي يسكنونها نكاية بهم واحتكارا لهم حتى جاءت فرنسا واستعمرت بلادهم فأطلقوا عليهم التسمية التي يحبونها والتي سنذكرها فيما بعد ولهذا تجد أن النصيرية تدين لفرنسا بالولاء والتقدير حيث أصدر الفرنسيون قرارا يقضي بتسمية جبل النصيريين بأراضي العلويين المستقلة تعميقا لانفصالهم ويوجد تعليل آخر لسبب تسميتهم بالنصيريين : وهو لمستشرق يسمى ـ ريسو ـ فقد جعل تسميتهم النصيريين بهذا الاسم لوجود صلة بينه وبين تسمية نصارى أو نصراني ولعل الذي حمله على هذا القول هو ما رآه من المشابهة بين النصيريين والنصارى في كثير من التقاليد والطقوس الدينية ومشاركة النصيريون للنصارى في كثير من أعيادهم وتقديس كل منهم للخمر والوقوف إلى جانب بعضهم البعض في الأوقات الحرجه وما هو حاصل الآن في لبنان أقوى شاهد علي هذا إلا أن هذا القول وإن صدق في وجود التشابه إلا أن الأقرب إلى الصواب ، أن هذه التسمية إنما أخذت من اسم مؤسس طائفتهم أبو

شعيب محمد بن نصير البصري النميري [١]، ولقد ذكر عبد الحسين تعليلا آخر إضافة إلى ما تقدم وهو أن تسميتهم بالنصيريه قد علق بها تاريخيا ذم وتشنيع وتكفير ولهذا فهم يريدون أن يسدل عليها الستار[٢].

وما ذكره « ريسو » في سبب تسميتهم بالنصيرية يؤيده ماذكره أيضا عنهم الدكتور حسن إبراهيم حسن بقوله :

« وثمة تفسير آخر لا يزال مألوفا عند السنيين الذين يجاورونهم وهو أن لاسمهم صلة بلفظ نصراني أو نصاري ومما يزكي هذا التفسير أن النصيرية لايزالون بما يمارسون بعض طقوس النصاري كالاحتفال ببعض الأعياد النصرانية مثل عيد الميلاد وعيد الفصح ويعتبرونها من الأعياد الكبرى كما أن بعضهم يحمل أسماء نصرانية مثل متى ويوحنا وهيلانه ، وبالإضافة إلى المبادئ التي اقتبسها النصيرية من النصرانية فإن ديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبئ عن معتقداتهم التي هي مزيج من عناصر غير متجانسة تماما تقوم علي أساس نظام ديني يتصل بعبادة النجوم والكواكب وقد اقتبست هذه التعاليم في القرون الأولى للعصر المسيحي بعض المبادئ الروحية عند المسيحيين ويقوم نظام النصيرية على التجسد ويدور حول هذه الأسماء الثلاثة التي تكون التثليث الشبيه بتثليث النصارى ويتمتع هؤلاء بالوحدانية والخلود وهذه الأسماء الثلاثة التي يرمزون إليها في قائمة مذهبهم هي التي تكون تثليثا شبيها بالتثليث الكائن في النصرانية ويرمز إلى هذا التثليث عند النصيرية بحروف(ع.م.س) ويقولون أن الله حل في ثلاثة هم علي ويرمزون إليه بالمعنى ومحمد ويرمزون إليه بالاسم. وسلمان الفارسي ويرمزون إليه بالباب»[٣].

ومن الجدير بالذكر أن النصيريين وهم يكرهون إطلاق هذه التسمية عليهم

---

(١) طائفة النصيرية ص ٢٣ - ٢٤ .   (٢) العلويون ص ٨ .

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:٤/٢٦٥، ٢٦٧ انظر«العلويون ص٥٤,٥٥.

إلا أنك تجد أن بعض علمائهم المتأخرين حينما رأى أن الناس لم يتركوا إطلاق هذه التسمية عليهم أحب فيما يبدو أن يجعل أصلا مقبولا لإطلاق تسمية النصيريين عليهم ومن ذلك ماذكره النصيري محمد أمين غالب الطويل في تعليله لسبب إطلاق كلمة النصيرية عليهم فهو يرى أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حينما كان يقاتل في الشام طلب المدد فأتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص وأتاه من المدينة جماعة من العلويين وهم ممن حضروا بيعة غديرخم وهم من الأنصار وعددهم يزيد عن ٤٥٠ مجاهدا ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحا جزئيا فسميت هذه القوة نصيرة «ثم سلمت لهم ـ بحكم قواعد الجهاد في تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه ـ فسلمت لهم الأراضي التي امتلكوها وهو جبل النصيرة » ـ وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية المعروفة الآن ثم أصبح هذا الاسم علما خاصا لكل جبل العلويين من جبال لبنان إلى الأنطاكية[1].

وهذا التعليل غير سديد لأمور من أهمها ـ كما يبدو ـ لي ـ أن إطلاق هذه التسمية لم تعرف في عصر عمر رضي الله عنه ثم ما كان المسلمون لينظروا إلى هذه الطائفة التي جاءت من المدينة وينسبوا النصر إليهم ثم كيف تناسوا جهود بقية الجيش ثم وكيف تطيب نفوس الصحابة بترك الجهاد وتسلق جبال النصيرية يمتلكوها . أضف إلى هذا أنه ما كان في عهد الخلفاء الراشدين من يسمون بالعلويين كحزب ، وإنما نشأ الخوارج ، والشيعة في عهد علي رضي الله عنه وبدأ التحزب في أواخر عهد علي رضي الله عنه .

وما زعمه بأنهم كلهم حضروا غد يرخم يقال له أن الصحابة ما كانوا ينظرون إلى من حضر غد يرخم إلا كما ينظرون إلى سائر المسلمين فلم تعرف لهم مزيه في زمن الخلفاء جميعهم ابتداءً بأبي بكر وانتهاء بعلي رضي الله عنهم. ويقال لهم أيضا إنكم تكذبون بهذا القول بقية أسلافكم الشيعة الذين يحكمون

(١) طائفة النصيرية ص ٣٥ .

على كل من حضر غد يرخم بالردة إلا عددا قليلا استثنوهم حيث نشأ كفر أولئك من تركهم بيعة علي بالخلافة بعد ترشيح النبي ﷺ له حسب معتقدهم.

٢ ـ ومن أسمائهم المحبوبة عندهم « العلويون » .

وهم يحبون هذا الاسم ويتمنون أن يطلقه الناس عليهم وينسوا ما عداه من أسمائهم وقد ذكر بعض العلماء أن هذه التسمية أخذت من عبادة هؤلاء لعلي رضي الله عنه وتأليههم له وعلي برئ من إلحادهم مثل براءة جعفر بن محمد من مذهب الجعفرية .

ويقول عبد الحسين عن ارتياحهم لهذه التسمية وقد ارتاحوا لها لأنها في الأقل تخلصهم مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير كما أنها تفتح لهم آفاقا أرحب للتقارب مع الشيعة إلى أن يقول«ولا شك في أن الانتساب إلى الإمام عَلِي على أي نحو كان أفضل من الانتساب إلى ابن نصير»(١).

٣ ـ وقد أطلق عليهم الأتراك اسم « سوره ك » .

وبمرور الزمن صار الناس يلفظونها «سوزاك» ومعناها عند الأتراك المنفيين أو المساقين ويوجد إلى هذه الأيام ـ كما يذكر الحلبي ـ بعض النصريين في حلب وفي أقضية صهيون وال ـ العمرانية وصافيتا يسمون بهذا الاسم(٢)..

وقد سألت كثيرا من الأتراك عن هذا المفهوم « لسوراك » فلم يعرفوه ولعلها لغة قديمة للأتراك ثم تركت .

٤ ـ ويطلق عليهم اسم (النميرية).

نسبة إلى محمد بن نصير النميري ولهم أسماء أخرى محلية مثل«التختجية» «الحطابون»في غربي الأناضول والعلي إلهيه في فارس وتركستان وكردستان»(٣).

---

(١) العلويون ص ٣٢ .

(٢) تاريخ العلويين ص ٣٤٢ « طائفة النصيرية ص٣٥».

(٣) العلويون ص ٣١ .

الفصل الرابع

نشأة النصيرية

تركت وفاة الحسن العسكري - الإمام الحادي عشر للإثنى عشرية - دون عقب كما قدمنا أثرا ظاهرا وخلافا حادا بين الشيعة فقد اختلفوا إلى ١٤ فرقة تقريبا بين مؤيد للقول بوجود ابن للحسن العسكري يسمى محمدا. وناف لوجوده أصلا، ولما كان الزمان لا يخلو من وجود إمام معصوم يتولي تصريف شئون الناس، وإلا لتعطلت الحياة بزعمهم وكان هذا الإمام غير ظاهر فأوجد وا في أذهانهم فكرة « الباب » إليه والباب شخص مخلص لآل البيت يكون حلقة الأتصال بين الناس وبين الإمام المستور ويستدلون على هذه البابيه الخرافيه بما يزعمون من روايات عن الرسول ﷺ: « من طلب العلم فعليه بالباب » أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن هنا وضعوا قائمة بالأبواب أولهم علي بن أبي طالب وهو باب للرسول ﷺ، وسلمان الفارسي وهو باب لعلي وهكذا إلى الإمام الحادي عشر - الحسن العسكري - ثم اختلفت كلمتهم فادعي النصيريون أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري لم يكن له باب بل استمر الباب للإمام الحادي عشر - الحسن العسكري - أبو شعيب محمد بن نصير ومن هنا وقع الخلاف بين النصيريه والإماميه الإ ثنا عشرية مما أدى إلى انفصاله وفرقته عن الإثنى عشرية كما تقدم بيان ذلك.

ولقد أصبح مذهبه فيما بعد من أعمق المذاهب في الوثنية والغلو في البشر قال عنه عبد الحسين العسكري: « وقال ابن نصير بربوبية أبي الحسن العسكري وزعم أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن »[1].

وبعد وفاة ابن نصير تناوب على زعامة النصيرية عدة أشخاص أثروا

(١) العلويون ص ١٥ وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨.

المذهب النصيري بأفكارهم وتنوع المعتقدات وتعدد الطرق والآراء كان من أبرزهم أبو محمد الجنبلاني وتلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي ومحمد بن علي الجلي وعلي الجسري والميمون ابن سرور بن قاسم الطبراني وحسن المكزون السنجاري وهو آخر مظهر لقوة النصيرية قال د . سليمان الحلبي عن الحال النصيرية بعد وفاته :

« وبعد وفاة حسن المكزون تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض يتبوأ كل منها لمرجع ديني يطلقون عليه لقب الشيخ، واستقل كل شيخ برئاسة مركز صغير إلى أن استطاعوا بالأمس القريب وفي غفلة المسلمين « غفاة البشر » في سوريا وغيرها من السيطرة علي نظام الحكم في سوريا فعادت لهم سطوتهم وقوتهم مرة أخري يتحكمون بها في رقاب المسلمين»(١).

ولكنهم في هذا الظهور الجديد اتخذوا لهم أسماء براقة خادعة مثل حزب البعث الاشتراكي«ودعوى التقدمية والتحرر وما إلى ذلك وهم إنما غيروا الاسم لإبعاد الأنظار عن حقيقتهم قدر الإمكان ولجلب الساقطين إلى صفوفهم.

---

(١) طائفة النصيرية ص ٤٢ .

الفصل الخامس

تكتم النصيرية على عقائدهم

يعتبر النصيريون ديانتهم ومذهبهم سرا من الأسرار العميقة التي لا يجوز إفشاؤها لسواهم وقرروا أن الذي يفشي شيئا منها يكون جزاؤه القتل في أسوأ صورة له لأنه أفشى سر العلي الأعلى ، ومن أمثلة ذلك أن سليمان الأضني وهو من أبناء مشايخ النصيرية من ولاية أضنه تنصر بتأثير بعض المنصرين الأمريكيين وجاء إلى اللاذقية ، وكتب كتابا سماه « الباكورة السليمانية وكشف فيه الكثير من أسرار العقيدة النصيرية ، وطبع المنصرون الأمريكيون الكتاب في بيروت سنة ١٨٦٣ وبعد أن قام باللاذقية مدة أخذ أقاربه يراسلونه ويحببون إليه العودة إليهم مستعملين في ذلك كل وسائل التودد والمجاملة حتي أمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي فكان جزاؤه أن أحرقوه حيا ثم حاول النصيريون بكل جهد وعزم على احتواء الكتاب حتى اختفى تدرجيا ولا توجد منه الآن نسخة واحدة[1]، وهكذا فإنهم يترصدون لكل من يذكر عنهم شيئا أو يشير إلى عقائدهم الخبيثة التي تنضح شركا ووثنية ولا يملكون من وسائل الدفاع والرد غير التصفية الجسدية لعلمهم بأن مذهبهم عورات لا تحتمل النقاش وعرض الأدلة فهي أقنعة واهية سرعان ما يظهر وراءها وينكشف ومن هنا فإنهم ليسوا على استعداد لأي بحث ومناظرة.

وقد كتب محمد فريد وجدي خلاصة عن ماجاء في كتاب الباكورة السليمانية هي:

١ ـ أن النصيرية علويون يعتقدون بألوهية الإمام علي والشمالية منهم يقولون إنه حال في القمر . والكلازية يذهبون إلى أنه حال في الشمس ولهذا فهم يقدسون الشمس والقمر وسائر النجوم .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : ١٠/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، نقلا عن « العلويون ص ٦٣ » .

٢ ـ ويعتقدون بتناسخ الأرواح . فالأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم ولهذا يسمون عليا أمير النحل أي أمير النجوم والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير والقرود وبنات أوي .

٣ ـ أن كلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع . م . س أي علي ، محمد سلمان.

٤ ـ أن للنصيرية كتابا مقدسا يعتمدونه ويرجعون إليه وهو غير القرآن ولا يحتل القرآن عندهم إلا مكانا ثانويا .

٥ ـ العقائد النصيرية غير متجانسة وثنيه قديمة وإسلامية متطرفة » [1].

وحين تزعم النصيري علي عيد التنظيم النصيري في طرابلس فأشار إلى هذا صاحب مجلة الحوادث اللبنانية فقتل بمؤامرة هؤلاء[2] وأمثلة أخري كثيرة تدل علي أن هؤلاء ليسوا علي يقين من صلاحية ديانتهم وصفائها وأنهم يعلمون أنها قامت على شفا جرف هار مملؤة بالخداع والتضليل وتبيت النية السيئة لغيرهم من البشر فأن من كانت نيته طيبه ومبادئه سليمة لا يتخوف أحد أن يطلع عليها بل يفرح بكثرة المطلعين كما هو الحال عند أهل السنة والجماعة الذين يتمنون لو أن أهل الأرض كلهم يدرسون مبادئهم ويطلعون عليها بل إنهم بالعكس يشعرون دائما بالمرارة من محاربة علماء السوء والزعماء الضلال لأفكارهم التي هي تبع لأوامر الله ونواهيه في كتابه الكريم وسبب تلك العداوة من قبل أولئك الضلال المنتفعون أنهم يعلمون تماما أن العقيدة الصحيحة حينما تصل إلى قلوب أتباعهم تحول فورا بينهم وبين الخضوع والسجود لأولئك الطغاة . ومن هنا كانت السرية هي أهم ما يطلب به الداخل في ملتهم .

وقد جاء في الهفت الشريف من الحث على لزوم الكتمان ما رواه المفضل

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ جـ ١٠ نقلا عن العلويين ص : ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ١٠ / ٢٥٠ نقلا عن طائفة النصيرية ص ٤٣ .

الجعفي عن رجل انتهى من تكرار التناسخ أنه قال له «وأوصيك يا أخي ،ونفسي بكتمان سر الله تعالى وباطني مكنونة إلا من إخوانك الموحدين المقربيين بمعرفة العلي الأعلى ثم غاب عني فقال الصادق لقد أتاني في هذا الأسبوع ثلاث مرات فسلم علي وأنا فيكم ولا تعرفونهم»(١).

وقال الصادق للمفضل كما يرويه صاحب الهفت « يامفضل لقد أعطيت فضلا كثيرا وتعلمت علما باطنا فعليك بكتمان سر الله ولا تطلع عليه إلا وليًا مخلصا فإن فشيته إلى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك » (٢).

ويسمى صاحب « الهفت » المسلمين كلهم بأنهم أنجاس ورعاع إلا من دخل في ضلالاته وذلك في قوله : « وأن هذا العلم يامفضل سر الله ومكنون خزائنه الذي لم يطلع عليه أحد من عباده إلا الأولياء المختصون وواجب سبحانه وتعالى أن لا يتطلع (هكذا) على هذا العلم الرعاع الأنجاس ثم قرأ (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يدي ومن خلفه صدا » إلخ (٣).

---

(١) الهفت الشريف ص ٥٤ . (٢) ص ١٠٢

(٣) ص ١٣٤ .

الفصل السادس

طريقتهم في تعليم مذهبهم

تعليم المرأة :

المرأة النصيرية إلا من خرجت عن تعاليمهم تعتبر من أجهل نساء العالم إذ إن التعاليم النصيرية تقضي بعدم جواز اطلاع المرأة على أي سر من أسرار المذهب لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة ولأنها أكثر شرا من الرجل وأكثر احتيالا ومكرا وهن سبب كل شر كما صرح بذلك الهفت الشريف المقدس عندهم .

فالمرأة النصيرية إذا لا دين لها(١)وفي كتابهم المذكور وصايا عديدة حول الاحتراس من المرأة ، وذكر المساوئ الكثيرة التي تصدر عنها وأن الرجل قد يجازي أيضا في التناسخ بأن يتحول إلى صورة امرأة عقابا له إذا كان في حياته السابقة غير مؤمن ـ أي غير نصيري ـ أو كانت عليه ذنوب كثيرة في حق إخوانه النصيريين أولم يحترم المشائخ ويقدم لهم الهدايا وأنواع المأكولات»(٢).

وقد ذكر المفضل الجعفي عن الصادق ـ وهو من جملة أكاذيبهم عليه أنه قال في وجوب الحفاظ على سرية المذهب.«كذلك الكافرين ينحطون من درجة الرجال حتى يصيرون عامة نساء كافرات » قال المفضل يامولاي روي عن أبيك أنه قال النساء أشر من الرجال وأكثر احتيالا ومكرا ، قال الصادق يامفضل إنْ أصل كل شر النساء وحين أخرج أبونا آدم من الجنة(٣) كان بسبب حواء حين أغواه ضده على أكل الحبة وكذلك قتل قابيل أخاه هابيل بسبب النساء ألم تسمع

---

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين مادة نصر وانظر العلويون ص٥٧، وطائفة النصيرية ص٤٣ .

(٢) انظر الجيل التالي ص ٩ .

(٣) يعتقد هؤلاء أن آدم قبله سبعة أوادم كل آدم مثل أمة وانتهي حتي جاء أبونا آدم الجديد وهو الثامن كما يذكر الهفت الشريف انظر الباب ٦٠ و ٦١ صـ ١٥٠ / ١٥٣ .

كلام الله في كتابه الكريم عن امرأة نوح ولوط وكيف خانتاهما[1] وكذلك قتل يحيى بن زكريا بسبب امرأة باغية وقد قال النبي وأبلغ في القول وازجر في المعنى حين نظر في النار فرأى أكثر أهلها نساء . ثم قال الصادق كيف لايكون ذلك وهم[2]عايلة وأقوى كيدا من الرجال وقال تعالى وقال منه السلام[2] والشياطين من إلامرأة ، وأن الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوه وتمرده وتناهى في ذلك صار إبليسا ورد في صورة امرأة قلت سبحان الله يامولاي ما علمت ذلك ولا ظننت أنه يكيني قال الصادق ألم تقرأ في القرآن قوله تعالي ﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾ وقال ﴿ **إن كيدكن عظيم** ﴾ إذ هم صور النساء قلت صدق مولاي»[3].

ومن هذه النظرة المتشائمة للنساء فإنه لا أمل في صلاحها ويجب إبعادها عن كل أمر مهم ومنه سر الديانة . أما في الإسلام فلا أحد يجهل مكانة المرأة العالية حيث جعلها راعية ومسؤلة وأن الله لا يضيع عمل عامل سواء كان ذكرا أو أنثي وأن المرأة مكلفه بنفس التكاليف التي أمر بها الرجل إلا ما استثنى لضرورة المرأة وجعل لها حق التملك وطلب منها إخراج زكاة مالها ورغبها في الصدقة وفعل الخير بل وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات وأوصى الله بطاعتها وقرنها بطاعته إلى غير ذلك مما هو معروف في الإسلام مما ينبغي أن يطأطئ له دعاة تحرير المرأة رؤسهم حياءا وإكبارا له وإجلالا لمبادئة التي يجهلونها تمام الجهل ثم يتهجمون عليه بأنه ظلم المرأة حقوقها وما لهؤلاء السفهاء وللخوض في مالم يحيطوا بعلمه فليقرأوه أولا وليقرؤا كلام العقلاء من منصفي سائر الملل ليروا أنفسهم المتطاولة وصغرها أمامه .

---

(١) أي في الدين إذ كانتا كافرتين ولم تكن خيانة في العرض قال ابن عباس رضي الله عنهما «مابغت امرأة نبي قط » أيسر التفاسير : ٣٨٩/٥ ، ٣٩١ .

(٢) هكذا بالأصل . (٣) الهفت الشريف ص ١٤٤ .

تعليم الرجل سر الديانة

وبعد أن أوجزنا موقف النصيرية من تدين المرأة نوجز فيما يلي كذلك موقفهم من تدين الرجل أو تعليمه للدين النصيري حين يظهرونه عليه بعد ذلك التكتم الشديد. ولما كانت العقيدة النصيرية من أردء المذاهب وأشدها توغلا في الباطل ولم يأنسوا من إظهار مذهبهم صراحة حتى من بعضهم لبعض إلا بعد تعقيدات واختبارات شديدة يذلل من خلالها ويتجرع أشد أنواع الإذلال والإهانة.

إذ يتم دخوله في المذهب بطريقة فاحشة يتم من خلالها القضاء علي كل عرق ينبض بالرجولة والشهامة فيه وتداس كرامته وينتهك عرضه .

فحينما يحضر التلميذ يختار الشيخ الذي سيلازمه من بين مجموعة المشائخ الموجودين ويسمونه الوالد الروحي أو الوالد الديني ثم يغرسون في نفس التلميذ تقديس شيخه والتواضع له تواضعا مطلقا أشبه ما يكون بالقاعدة الصوفية «كالميت بين يدي الغاسل» ومن الطرق التي يتوسلون بها إلى إذلال الشخص.

أنه حينما يدخل يقف في ناحية وهو ساكت لا يتكلم بشيء وأحذية المشايخ مرفوعة فوق رأسه . ثم يتكلم شيخه لبقية المشايخ ويتوسل إليهم أن يقبلوا هذا الشخص الماثل أمامهم ويدخلون في زمرتهم فإذا قبله المشائخ أنزلت الأحذية من فوق رأسه ثم يأخذ في تقبيل أيدي وأرجل الحاضرين من المشايخ ثم يقف في مكانه ويوضع علي رأسه خرقة بيضاء ثم يأخذ الشيخ في قراءة العقد الذي سيتم بين التلميذ وبين المشايخ وهو أشبه ما يكون بعقد الزواج ويعتبرون هذا بمثابة الخطبة ويعتبرون الكلام الذي يسمعه بمثابة النكاح وما يتحمله من العلم عنهم بمثابة الحمل فإذا علم وأراد التعليم فإن ذلك يكون بمثابة الوضع وبعد أن تتم هذه المرحلة يقال للتلميذ يجب عليك أن تكرر في اليوم خمسمائة مرة بحق ع. م.س لمدة يحددونها ثم بعد ذلك يأتي إليهم ليتم تعليمه

المذهب بعد اختبارات قاسية يرضي فيها بكل شئ حتى ولو بإهدار رجولته[1].

وفيما يلي نشير إلى أهم الشروط في تعليم المذهب النصيري :

١ ـ يشترطون في من يلقي إليه تعليم المذهب أن يجتاز سن التاسعة عشر[2].

٢ ـ أن يمر بالمراحل الآتية على التدريج :

أ ـ المرحلة الأولى : وتسمي مرحلة الجهل . وفيها يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب .

ب ـ مرحلة التعليق : وفي هذه المرحلة يلقنونه شيئا من تعاليم المذهب ويبقي مدة سنة إلى سنتين تحت إشراف شيخ من شيوخ الطائفة ليطلعه على شيء من أسرار المذهب بالتدريج فإذا توسموا فيه القبول والنجابة نقلوه إلى المرحلة الثالثة الآتية وإلا طردوه .

ج ـ مرحلة السماع : وهي الدرجة العليا ويطلعونه فيها على أكثر أصول المذهب النصيري ثم يعقد الرؤساء الروحيون للطائفة مجمعا خاصا لتلقينه بقية أسرار المذهب ثم ينقلونه إلى درجة أعلى يطلقون عليه درجة الشيخ أو صاحب العهد .

ويتم ذلك بحضور الكفلاء والشهود يشهدون باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظته عليه ثم يحلف اليمين المقررة عندهم أن يحافظ على السر ولو أريق دمه. وبعد حصوله على هذه الدرجة يصبح شيخا من شيوخ الطائفة [3].

ومما يجدر التنبيه إليه أن التلميذ دائما وهو بين أيدي المشايخ لايلقي إليه شيء من تعاليم المذهب الملتوية إلا في غياب عقله وتفكيره عنه ليقبل تلك

---

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) العلويون أو النصيريه ص ٥٧ نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين مادة « نصر » .

(٣) طائفة النصيرية ص٤٥ ـ ٤٦ وانظر العلويون ص٥٧ نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين «مادة نصر».

العقائد التي تشمئز منها النفس ويمجها العقل وتأنف منها الفطرة السليمة فعبد النور تسمية الخمر عندهم في يد الساقي وهالة من الموقف وتهديدات من هنا ومن هناك وكل هذه الأهوال يعيشها الشخص حتى تستكمل إجراءات تفهيمه المذهب في جو غير طبيعي :

وقد وصف أحد الداخلين في العقيدة النصيرية الموقف والحال المتبع عند دخول الشخص الذي يرتضونه لتحمل سر الديانه واسمه مخلوف فقال مخبرا عن ذلك كما يصوغه محمد حسين «وفي اليوم المحدد اجتمع من المشائخ وأهل القرية والقرى المجاورة جمهور كثير واستدعوني إليهم وناولوني قدح خمر(١) ثم وقف أحد المشائخ وهو برتبة النقيب في الديانة النصيرية وقف بجانبي وقال لي: قل بسر إحسانك ياعمي وسيدي وتاج رأسي أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي «ولم أجد بدا من شرب الخمر لأول مرة في حياتي فلما شربت الكأس التفت إلى الإمام قائلا هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراما لسيدك فقلت كلا بل حذاء سيدي فقط فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور فكشفوا رأسي ووضعوه عليه وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء ، ثم أخذ النقيب يصلي على رأسي وأوصوني بالكتمان وانصرفوا« إلى أن يقول ثم بعد أربعين يوما اجتمع جمهور آخر واستدعوني إليهم ووقف الشيخ الكبير بجانبي وبيده كأس خمر فسقاني الكأس وأمرني بأن أقول سرع.م.س..ثم بعد ذلك قال لي الإمام إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة وهي سر ع.م.س كل يوم خمسمائة مرة ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا.

ثم بعد سبعة أشهر « والمدة للعامة تسعة أشهر » اجتمع جمهور(٢) آخر أيضا

---

(١) من ضروريات تعليم الدين النصيري أن يكون الداخل تحت تأثير الخمر في حالة تعلمه للدين فاعجب من هذا الدين الذي يبدأ بالخمر وإهانة كرامة الإنسان .

(٢) من الضروري أن هذا الجمهور كلهم ممن مرت عليهم هذه الطقوس السخيفة ولا أظن أن تكون الدعوة عامة لشدة تكتمهم علي ديانتهم .

واستدعوني حسب عادتهم وأوقفوني بعيدا عنهم - ثم قام هؤلاء بمهازل أمامه وطقوس ثم قام وكيل وقال للإمام « نعم نعم نعم ياسيدي الإمام فقال له الإمام ما مرادك وماذا تريد ؟ فأجابه أنه تراءي لي شخص بالطريق - إلى أن قال هذا الشخص اسمه مخلوف وقد أتي ليتأدب أمامكم فقال من دله علينا فأجاب: المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم وهي لفظة ع.م.س فقال الإمام ائت به لنراه فأخذ المرشد بيدي وذهب بي إلى الإمام فلما دنوت منه مد لي رجليه فقبلتهما ويديه أيضا وقال لي ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلمني أن أقول « بسر الذي أنتم فيه يامعاشر المؤمنين » ثم نظر إليّ بعبوسة وقال ما الذي حملك أن تطلب منا السر المكلل باللؤلؤ والدر ولم يحمله إلا كل ملاك مقرب أو نبي مرسل ؟ اعلم ياولدي أن الملائكة كثيرون ولا يحمل هذا السر إلا المقربون والأنبياء كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلا الممتحنون أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولاتبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له نعم فقال لي أريد منك مائة كفيل فقال الحاضرون القانون ياسيدنا الإمام فقال إكراما لكم ليكن اثنا عشر كفيلا ثم قام المرشد الثاني وقبل أيدي الاثني عشر كفيلا وأنا أيضا قبلت أيديهم ثم نهض الكفلاء وقالوا نعم نعم نعم ياسيدي الإمام فقال الإمام ما حاجتكم أيها الشرفاء قالوا أتينا لنكفل مخلوقا فقال إذا باح بهذا السر أتأتوني به نقطعه تقطيعا ونشرب دمه؟ فقالوا نعم فأجاب وقال لست أكتفي بكفالتكم فقط بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه وقبل أيدي الكفيلين المطلوبين وقبلتهما أنا أيضا ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما،فالتفت إليهما الإمام وقال: الله ممسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران أهل البرش والكرش فماذا تريدان فأجابا أننا قد أتينا لنكفل الإثني عشر كفيلا وهذا الشخص أيضا فقال إذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوات أو باح بهذا السر هل تأتياني به لتعدم حياته ، فقالا نعم قال الإمام أن الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون وأنا أريد منه شيئا لا يفني فقالا له افعل

ما شئت فالتفت إليّ وقال : ادن يامخلوف فدنوت منه وحينئذ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأني لا أبوح بهذا السر ثم ناولني كتاب المجموع في يدي اليمنى وعلمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول تفضل حلفني ياسيدي الإمام على هذا السر العظيم وأنت برئ من خطيئتي فأخذ كتاب المجموع مني وهو مكتوب بالخط اليدوي .. إلى أن يقول ثم قال الإمام اعلم ياولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفونا أن أبحث بهذا السر ولا تعود تدخل القمصان البشرية بل حين وفاتك تدخل قمصان المسوخية وليس لك منها نجاة أبدا .

ثم أجلسوني بينهم وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاء ثم إن الكفلاء وضعوا أيديهم على رأسي وأخذوا يصلون فقرأوا أولا سورة الفتح والسجود والعين ثم شربوا الخمر وقرأوا سورة السلام ورفعوا أيديهم عن رأسي (١).

وأخذني عم الدخول وسلمني إلى مرشدى الأول ثم أخذ بيده كأس خمر وسقاني وعلمني أن أقول « بسر الله ـ يسمي الله على شرب الخمر ـ وبالله وسر السيد أبي عبد الله العارف بمعرفة الله سرتذكار والصالح سره أسعده الله » .

ثم انصرفت الجماعة وأخذني الشيخ صالح الجبلي شيخ الخياطين إلى بيته وابتدأ يعلمني أولا التبري وهو الشتائم وحينئذ أطلعني على صلاة النصيرية وفيها عبادة على بن أبي طالب وهي ست عشرة سورة »(٢).

وقد دعاني ترابط الكلام إلى سرد ماجري لمخلوف مع محاولتي الاختصار وترك ذكر بعض الأمور خصوصا وأن المخبر كشاهد عيان كما يقال في المثل ومن الواضح جدا أن القائمين على تعليم المذهب مجموعة أو شركة من

(١) انظر الجيل التالي من ص ٣٩ إلى ص ٤٧ .

(٢) هي مجموعة من الأدعية والكلام الركيك أكثره في مناجاة أمير النحل ـ يقصدون علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وبرأه الله منهم ـ مملؤة بالشرك واظهار ربوبية علي وأنه الله رب العالمين خالق السموات والأرضين لانريد التطويل بذكرها هنا اقرأها في كتاب الجيل التالي .

اللصوص سراق عقول البشر همهم الزعامة وجمع الأموال بأي وجه كان ووجدوا في أشباه البشر من يصدقهم في ترهاتهم وأباطيلهم التي تبدأ بترداد ع.م.س وتنتهي بعبادة غير الله عز وجل إنها مهازل يندى لها الجبين قام بها عتاة المجوسية عباد الأوثان واقتطعوا أمما بتلك المسالك الشيطانية وأخرجوهم عن دينهم.

الفصل السابع

أهم عقائد النصيرية

للنصيرية عقائد كثيرة بعضها ظاهر وبعضها - وهو الأكثر - لايزال في طي الكتمان وقد اتضح أن أهم عقائدهم وأبرزها :

١ - تأليه عليّ رضي الله عنه، ولا تستبعد وقوع هذا فإن هؤلاء من أساسهم كانوا عباد أوثان وعباد بقر، وفروج، وبعد أن دخلوا في الإسلام أو على الأصح تظاهروا به كان من أبرز عقائدهم . تأليه الإمام علي رضي الله عنه زاعمين أنه أمام في الظاهر وإله في الباطن لم يلد ولم يولد ، ولم يمت ولم يقتل ولا يأكل ولا يشرب ، وبحسب اعتقادهم أن الله تجلى في علي فقد اتخذ على محمدا وبالغوا في كفرهم فقالوا إن عليا خلق محمدا ومحمد خلق سلمان الفارسي وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم :

١ - **المقداد** : رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق ، والزلازل .

٢ - **أبو الدر** : (أبو ذر الغفاري) الموكل بدوران الكواكب ، والنجوم .

٣ - **عبد الله بن رواحه** : الأنصاري الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

٤ - **عثمان بن مظعون** : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

٥ - **قنبر بن كادان** : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام (١).

والمجوسية ظاهرة في هذه الأفكار لم يتغير فيها إلا الأسماء فقط .

وهذه الأقوال يكفي واحد منها لدحض ما يزعمونه من إسلام فهي نهاية الكفر والخروج عن منهج الله عز وجل.ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بقولهم أن الله معبود مقدس يحل في الأجسام متى يشاء وله التصرف وإليه ترجع الأمور.

---

(١) انظر طائفة النصيرية ص ٤٧ وانظر الجيل التالي ص ١١٣ .

وعلي رضي الله عنه وحاشاه عن كفرهم حين زعموا أنه إمام في الظاهر وإله في الباطن قسموا طبيعته إلى قسمين : الظاهر وهو القسم البشرى منه « قسم الناسوت الذي يأكل ويشرب ويلد ويولد ويتقرب إلى عباده ليعرفون عن كثب .

وأما الباطن منه فهو قسم اللاهوت : الذي لا يأكل ولا يشرب ومن حماقتهم أنهم يستدلون على ألوهية علي بما حصل له من كرامات كقلع باب خيبر وشجاعته الحربية وزعموا أنه كان يكلم الجن وأن الرسول ﷺ أسند إليه قتال الكفار الظاهرين وعليّ أسند إليه قتال المنافقين لأنه يعرف البواطن .

١ ـ وقد اختلفوا في مكان حلوله بعد أن ترك ثوبه الأدمي أي صورته البشرية فمنهم من يتجه إلى القمر في عبادته لاعتقاد أنه حل فيه بل القمر نفسه هو علي ـ وهؤلاء يسمون الشمالية .

٢ ـ ومنهم من يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقادهم أنه حل فيها ، بل الشمس نفسها هي على وهؤلاء يسمون الكلازية[١]، ومن هنا قال مدير مدرسة نصيري حينما سمع بوصول أمريكا إلى سطح القمر ، بزعمهم أن كان ما ذكروه حقا أن القمر مكون من جمادات فعلى الدين السلام وغضب لربه وقال في ذمه لهذه الكشوفات عن القمر «الآن ينتهي مفعول الدين إذا أثبتت هذه الكشوف كونه مجموعة من التلفيقات»[٢].

بينما المسلم الحق لا يتأثر في دينه ولو دخل الناس النجوم الواحد تلو الآخر بل يقول هذا من تمكين الله لهم لا بقدرتهم ولا يغضب لأنه يعلم أن ربه هو خالق الكون وما فيه وأنه هو الذي يمكن عباده من كل ما يشاؤه تعالى . ويؤكد صاحب الهفت الشريف أنه « ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام على فينظر فيها فإذا كان مؤمنا ممتحنا صافيا صعدت الملائكة بروحه إلى السماء

---

(١) العلويون ص ٥٧ .

(٢) اقرأ مقال الأستاذ أبو الهيثم «معركة في القمر»في كتابه الإسلام في مواجهة الباطنية ص٣٩-٤٣ .

فتغمسها في عين على باب الجنة اسمها عين الحياة » إلخ [١].

ويقول عن الأئمة :

« نحن الأئمة أولياء الله لا يفتر علينا من علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء نحن يد الله وجنبه ونحن وجه الله وعينه وأينما نظر المؤمن يرانا أن شئنا شاء الله ـ ولا تلقه إلا إلى أهله ـ والحمد لله الذي اصطفانا من طينة نور قدرته ووهبنا سر علم مشيئته ... إلخ » [٢].

ويتجلي تأليههم للإمام علي رضي الله عنه في تلك الأدعية الركيكة الخالية عن العقل وعن أدنى المعرفة والتي تسمى«سورا» عندهم. جاء في السورة الثالثة.

« اللهم إني أسألك يامولاي يا أمير النحل ياعليا ياعظيم ياأزل يافرد ياقديم ياعلى ياكبير يا أكبر من كل كبير ياخالق الشمس والقمر المنير ياعلى ياقدوة الدين ياعالم ياخبير ياراحم الشيخ الكبير يامنشئ الطفل الصغير ياجابر العظم الكسير يامحل كل يسير من غير عسير الذي يعرف المعرفة وينكرها عليه وعلى أبو دهية[٣]ما يستحق من الله وعلى أبو سعيد السلام ورحمة الله»[٤]. وفي سورة السجود ياعلى سجد لك وجهي الفاني البالي إلى نور وجهك العزيز الحي الدائم ... ياعلي لك الإلهية ياعلي لك الملكوتية ...إياك مولاي على نعبد[٥] إلخ ذلك الهراء الطويل .

وفي سورة الإشارة

« لله ارتفاع القصد والعزة والإشارة لك يامولاي يا أمير المؤمنين ياعلي ياانزع يابطين[٦] يامحي العظام الدوارس وهي رميم . اللهم إني أسألك يامولاي

---

(١) الهفت الشريف ص ٨٢ .　　(٢) ص ١٩٧ .

(٣) في كتاب الإسلام في مواجهة للباطنية ص ٢٥٠ اسمه « أبو دهية إسماعيل بن خلاد» كانت له آراء خالف فيها النصيرية . انظر الصفحة المذكورة .

(٤) الجيل التالي ص٧٩ .　　(٥) المصدر السابق ص٨٧ ـ ٨٨ .　　(٦) أي كبير البطن .

يا أمير المومنين ؟ ١ ـ أن تجعلنا في عبادتك كاسبين غانمين مؤيدين منصورين ولا تجعلنا في عبادتك لاخاسرين ولانادمين »[1] وما أحراهم بنهاية الخسارة والندامة ولو كانت لهم عقول لما جمعوا لعلى رضي الله عنه بين الألوهية والإمارة .

وجاء في السورة الكبيرة .

« أول معرفتي بالله أشهد شهادة تقية نقية مشعشعة نورانية بيضيه علوية حجابية محمدية أشهد شهادة الحق في منهج الصدق أشهد شهادة بأن لا إله إلا مولاي ومولاك أمير النحل على ولا حجاب إلا السيد محمد ولا باب إلا السيد سلمان ... وأشهد أن الله على ربي يحييني ويميتني وهو الحي الذي لا يموت[2] بيده الخير وهو على كل شيء قدير وإليه المصير[3].

ويظهر الأثر اليهودي واضحا في السورة السادسة عشر المسماة سورة النقباء وفيها «سر اثني عشر نقيبا سر ثمانية وعشرين نجيبا سر أربعين قطبا أولهم عبد الله بن سبأ وآخرهم محمد بن سنان الزاهري .. سر عبد الله بن سبأ نقيب النقباء سر محمد بن سنان الزاهري نجيب النجباء سرهم أسعدهم الله أجمعين في أربع أقاليم الدنيا والدين بحق الحمد لله رب العالمين » [4].

إلى آخر هذه الخزعبلات والسور التي تحوي مثل ذلك الكفر والإجرام والتعابير الركيكة التي لا تمت إلى العقل والمعرفة بأدنى صلة لقد فاق هؤلاء بلادة الحمير وكل المخلوقات وكانوا أضل من الأنعام وهناك نصوص أخرى تركتها خشية الإطالة تنضح مجوسية وإلحاد مما يدل دلالة قاطعة على أن الذين وضعوا الديانة النصيرية كانوا متشبعين بالمجوسية ولهم اطلاع على كل الديانات من يهودية ونصرانية وهندوسية وغير ذلك .

(١) المصدر السابق ص ٩٣ .

(٢) لانهم لايقولون بموته ويفسرون موته بخلعه للتقمص البشري الذي خلصه منه عبد الرحمن بن ملجم وهذا هو السر في تقديسهم له وترضيهم عنه .

(٣) ص ٩٩ .

(٤) ص ١٠٩ .

وقد أضافوا إلى ألوهية علي وحلول الإله فيه أن الإله له حل أيضا في سائر الأئمة من بعد على ومن ذلك ماقالوه في مقتل الحسين مما نقلناه سابقا عن الهفت الشريف وزعمهم فيه أن الحسين هو الله رب العالمين ، بل إنهم يعتقدون جازمين أن الأئمة أفضل من كل الأنبياء لأن الأئمة بزعمهم يكلمون الله بدون واسطة والأنبياء بواسطة وقد اقتبسوا هذه الأفكار الخاطئة عن الشيعة الإثني عشرية وهؤلاء أخذوها عن ابن سبأ اليهودي ومن العجيب أنهم مرة يجعلون الإمام عليا إلها ومرة أخرى يجعلونه نبيا ومرة أخري يستدلون على فضائله بكلام الله في القرآن بحرفونه بأقوال مكذوبة عن الرسول ﷺ ولهذا خرج كثير من شبابهم بسبب هذا الخلط والاضطراب الفكري إلى الإلحاد الماركسي[1]. وبعد أن استوثق هؤلاء الفجار من قبول الطغام الذين هم على شاكلتهم بكل ماجاؤهم به من الكفر والإلحاد دون اعتراض طمع هؤلاء في دعوى الألوهية بعد أن استهانوا بأمرها لكثرة المتألهين في مبادئهم بحجة أن الله ـ تعالى عن جهلهم ـ يحل في من يشاء من عباده وقد ادعى رجل منهم الألوهية في هذا الزمن[2] حين كانت فرنسا مستعمرة للشام وتخطط لإحياء الجهل وطمس الدين بأي وسيلة كانت لتبقى أطول مدة تحكم فيها بلاد المسلمين فوقع اختيارهم على دمية نصيري من سوريا يسمى سلمان المرشد فأوصل نفسه إلى رتبة الألوهية ـ لأن الله تقمص به ـ وآمن به واتبعه كثير من النصيريين وقد مثل المهزلة تمثيلا جيدا فكان كما يذكر في تاريخه يلبس ثيابا فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار فإذا أوصل التيار شعت الأنوار من الأزرار فيخر له

---

(١) انظر لما سبق ذكره عن علي رضي الله عنه وموقف النصيرية منه كتاب طائفة النصيرية ص ٤٦ ـ ٥٠ نقلنا عنه بتصرف وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٦ والعلويون ص ١٥ ، ٤٤ ، ٥٢ ولقد توسع الدكتور محمد أحمد الخطيب في هذه المسألة وبين تقصيلاتها في الفصل الثاني من كتابه الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٤١ إلي ص ٣٥٤ .

(٢) وتسمي جماعته المرشديه وقد ظهرت قبل أربعين سنة حين تزعمها سلمان المرشد انظر : الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠١ .

أنصاره ساجدين حين يرون طلعته الشقية .

ومن الطريف أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين ويخاطب سلمان المرشد بقوله يا إلهي وبعد أن ادعى الألوهية كان عليه أن يرسل الرسل وهذا ماحصل بالفعل فقد اتخذ سلمان المرشد رسولا اسمه سلمان الميده وكان يشتغل جمالاً عند أحد المزارعين في حمص في حين كان سلمان المرشد مدعي الألوهية راعي أبقار وهكذا يكون الإله راعيا والرسول جمالا كما يذكر الحلبي .

قال أبو الهيثم: «لقد جاء يوم على المرشديه كانت فيه سيف الفرنسيين المصلت على رقبة كل وطني في هذه المحافظة ـ يقصد اللاذقية ـ وكان ذلك عام ١٩٣٨م إذ أقام ربها سلمان نفسه دولة ضمن دولة يفرض الإتاوات ويجبي الضرائب وينصب المحاكم وينفذ أحكام الإعدام ويقطع طرق المواصلات إلخ[١].

وحين رحل الفرنسيون عن سوريا في مواكب العار كما سماها أبو الهيثم وذلك سنة ١٩٣٨ م ترك له هؤلاء من أسلحتهم ما أغراه بالعصيان فجردت الحكومة السورية آنذاك قوة بقيادة محمد على عزمة فتكت ببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين ثم أعدم شنقا في دمشق عام ١٩٤٦ م وقد سئل مرة قبل هلاكة فقيل له أنت إله وأغاخان إله فكيف تتسع الأرض لإلهين؟فأجاب بقوله: «إن الخالق يبث روحه فيمن يشاء وقد يبثها في مائة من مخلوقاته فيصبحون أربابا مثلي»[٢].

وقال عنه أبو الهيثم : « العجيب في أمر سلمان أنه لم يكن ليصرح بمزاعمه الإلهية خارج حدود نفوذه قط وقد مثل منطقته في البرلمان السري كأي نائب ـ من غير الناطقين فلم يسمع منه أي تصريح أو تلميح لما يقول فيه أتباعه ، وأذكر أنني اجتمعت به وسألته عن هذه الدعوي التي تشيع عنه فأنكرها أشد الإنكار

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٣ .
(٢) الأعلام : ٣ / ١٧٠ للزركلي .

وشهد على نفسه بالإسلام وقد قال لي يومئذ أن كل مهمته في جماعته هي أن يحاول تنظيم أمورهم على أساس الإسلام وعدد بعض أعماله الإصلاحية هناك مما لاغبار عليه ... غير أن الواقع أن الرجل كان أذكي من أن يصرح بغير هذا أمام أي عاقل خارج جماعته » (١).

وبعد هلاك هذا المتأله إله أتباعه ابنه مجيب الأكبر بن سلمان المرشد وقد قتل هذا أيضا ولكن استمر أتباعه على تأليهه ، ومن حماقاتهم وخبثهم على المسلمين وزعمائهم أنهم يقولون عند ذبح أحدهم ذبيحته باسم مجيب الأكبر من يدي لرقبة أبي بكر وعمر»(٢) ومن هنا فإنه لايجوز لأي مسلم إذا مر بديارهم أن يأكل من ذبائحهم .

ومن العلماء من يذكر أنهم الآن يريدون تأليه أحد أخوة مجيب الذين لايزال لهم نفوذ عند جهلاء النصيرية (٣). بل ويصرحون بتمسكهم بالمرشديه يقول أبو الهيثم فالمرشدي لايكتم عقيدته في تأليه سلمان وأبنائه الذين أعدهم ذلك الأب (البار) لمنصب الألوهية منذ أن اختار لهم بعض أسماء الله الحسني (فاتح ، سميع ، مجيب)(٤)وقد أصبح من المألوف أن تسمع هذا المرشدي يدافع عن عقيدته باسم حرية الفكر ولهم صلاة يسمونها الصلاة المرشدية وينسبونها إلى مجيب الأكبر يقولون فيها : تسبيح إلى مولانا مجيب بن سلمان المرشد الرب العظيم .

مولانا لك العزة ، والمجد ، والتهليل والتكبير سبحانك ربنا إنك كريم رحيم يامولانا يامجيب المرشد سبحانك أنت الرب العظيم إلخ الدعاء الذي اشتمل على صدق اللجوء إلى هذا الرب المخترع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وينص النصيريون في دعائهم ويلحون على أن الله تعالى يرزقهم بجنود

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص١٠٣، ١٠٤.
(٢) انظر طائفة النصيرية ص٥٤.
(٣) إسلام بلا مذاهب ص٣٠٩نقلا عن طائفة النصيرية.
(٤) الاسلام في مواجهة الباطنيه ص ١٠٢ .

غربا عنهم وعن وطنهم يأتون إليهم من جهة الغرب لينقذوهم من حكامهم المسلمين .

وقد وصف الأستاذ الشكعة هذه الإشارات في دعائهم إلى أنها دعوة لفرنسا المستعمرة لتثبت أقدامهم في بلادهم[1]. يقول أبو الهيثم « ثبت بصورة قاطعة أن المرشدية على صلة وثيقة بالإرسالية البروتستانية الأمريكية في اللاذقية وهي صلة مريبة لاشك أن وراءها أصابع السياسة الأمريكية وبكلمة أوضح أصابع الصهيونية العالمية[2].

٢ ـ القول بالتناسخ : هذه أهم قضية في عقائد النصيرية ويعود سبب تعلقهم بالتناسخ إلى أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب والجزاء في الآخرة ، وقد بين النوبختي فكرة التناسخ عند القائلين بها فقال « هم أهل القول بالدور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره أن خيرا فخيرا وأن شرا فشرا وأنهم مسرورون في هذه الابدان أو معذبون فيها والأبدان هي الجنان وهي النار وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الرديئة المشوهه من كلاب وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا أبد الأبد فهي جنتهم ونارهم لاقيامة ولابعث ولا جنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لائمتهم ومعصيتهم لهم » الخ [3].

والتناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور حسب قرب الشخص أو بعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم وهي كما يلي: نسخ ـ مسخ ـ فسخ ـ رسخ.

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩ نقلا عن كتاب محمد المجذوب إخواننا في جبال اللاذقية » .

(٢) انظر الإسلام في مواجهة الباطنية ص ١٠٣ .

(٣) فرق الشيعة ص ٥٧ ، ٥٨ .

١ ـ أما النسخ : فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر .

٢ ـ وأما المسخ : فهو إنتقال الروح من جسم آدمي إلى جسد حيوان .

٣ ـ وأما الفسخ : فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

٤ ـ وأما الرسخ : فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد[١] ومن الجدير بالذكر أن بعض الروايات تذكر أن المسخ والفسخ والرسخ لا تصيب النصيري بل هي خاصة بمن عداهم من الناس الذين يطلقون عليهم الكفرة والذين يمرون في تكرار مولدهم بالوان العقاب والجزاء في هذه الدنيا .

وفي الهفت الشريف نصوص لا يتسع المقام لذكرها كلها هنا في بيان كيفيات التناسخ وكيفيات العذاب الذي يحل بالكفار عند انتقال أرواحهم من جسم إلى جسم .

يقول في الهفت الشريف : « وأنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي وإنما هو قردا أو خنزيرا أو كلبا أودبا»[٢] أي في صورته المسوخيه المستقبلة.

قال المفضل : « سألت مولانا الصادق هل يذل الأعداء من دون الأولياء والأولياء من دون الأعداء في اصطناع الخير والشر فيما كان من أحدهما إلى الآخر فقال أما علمت أن المؤمن يكون في الناسوتية والكافر في المسوخية وفي تراكيب شتي حتي يصنع كل واحد منهما إلى الآخر من الخير والشر مثلما كان يصنع إليه إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشرا » [٣].

وقال عن سبب إيذاء الكلب للإنسان « وأن الرجل حينما يمر بالكلب لا

---

(١) تحقيق ماللهند من مقوله الباروني ص ٣٨ ـ ٤٤ ، نقلا عن طائفة النصيرية ص ٨٨ .

(٢) ص ٨٠ . (٣) صـ ٣٦ .

يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك اليوم أو ربما يكون الرجل متزوجا امرأة هذا الكلب لأنه كان مركبا في الإنسانية وكان مجراه في بادي الأمر مجري الإنسان.. فأهلكه الله بعذاب ذبح أو قتل بما وصل إليه من شقاوته في حالة الدنيا والرجل يكون قد تزوج امرأته وسكن داره ولبس ثيابه فيعرفه الكلب في مسوخيته فإذا نظر إليه نبح ووثب عليه أو عضه في وجهه »[1].

وقال عن انقضاء كل آدم وذريته في مراحل وجودهم أنه حينما ينتهي عمر أي آدم وذريته يصبحون طوائف طائفة هم أهل المسخ وهم أهل العقاب .

وطائفة هم أهل النسخ وهؤلاء أهل الثواب [2].

ثم يصير المسخ والنسخ في الجمع الأكبر والدور والآخر « أي آخر دور كل آدم وذريته ومنه أبونا آدم الثامن وذريته كما يعتقدون في سخافاتهم » وعن محمد بن سنان قال ما من طائر يطير إلا له أم وأب وعم وخال ثم التفت أبو الحسن إلى نجار ينجر بداره فقال هذا النجار كان في الدور الأول ديكا وهو اليوم نجاراً»[3].

وهناك عشرات النصوص لا تخرج عن هذا الفكر الآسن والسخافات والحماقة التي انتجتها عقول المجوس وعباد الأوثان .

٣ ـ ومن أهم عقائدهم أيضا تقديس الخمر حيث زعموا أن الله تعالى يتجلى فيها وأنها تسمى عبد النور تشريفا لها وجعلوا من أكبر الإجرام قلع شجرة العنب.

---

(١) ١٢٠ / ١٢١ .　　(٢) ص ١٥١ .　　(٣) ص ١٨١ .

الفصل الثامن

عبادات النصيرية

يختلف النصيريون عن المسلمين في العبادات بل وفي كل شيء وهذا طبيعي إذ إن تعاليم الإسلام لا يمكن أن تتفق مع التعاليم الوثنية مهما أظهروها بالمظهر الإسلامي مثل استعمالهم الأسماء الإسلامية كما قد يتسمون بالأسماء المسيحية أيضا لكنهم لا يسمحون لأحد منهم أن يتسمى بأفضل أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر ، ولأن مذهبهم خليط من شتي الأفكار والديانات كما تقدم فإن ماورد في عقيدتهم وكتبهم من كلمات الصلاة والحج والزكاة، والصيام لا يريدون بها المقصود منها في الشريعة الإسلامية بل أولوها إلى معان أخري باطنية، ويذكر بعض العلماء أن النصيريين يفرقون في التزام التكاليف بين المشايخ وبين الجهال فيرون أن جبرية التكاليف تسري على المشايخ وتسقط عن الجهال.

ولعل في هذا الكلام نظراً فإن الشيوخ أو أصحاب العهد وهم يعرفون الباطن يكونون في حرية تسقط معها التكاليف كما هو المعروف عن المذهب الباطني عموما فهم يزعمون أن الشخص إذا عرف بواطن النصوص سقطت عنه ما تدل عليه ظواهرها من التكاليف والحلال ، والحرام . نعم قد يكلف الشخص الداخل في المذهب بالقيام بالتكاليف لحثه على طلب العلم الذي يسقط عنه في النهاية جميع ماحظر على غيره ممن لم يصل إلى درجته على حد ماصرح به الهفت الشريف حيث قال وهو يعدد الدرجات مقررا أن الاصطفاء درجة فوق درجة النبيين وفوق هذه أيضا درجة أعلى منها وهي درجة الحجاب ثم قال المفضل الجعفي : « قلت يامولاي هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات قال الصادق نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ومادام لا يعرف هذه الدرجات ولا يبلغها بمعرفته، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ودرجة درجة فهو حينئذ حرقد سقطت عنه العبودية وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية

باشتهائه ومعرفته قلت يامولاي فهل ذلك في كتاب الله قال نعم أما ما سمعت قوله تعالى ﴿ وإن إلى ربك المنتهى﴾ فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب ولاشيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة وإنما وضعت الاصفاد والأغلال على المقصرين وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك فقد اعتقه من الرق ورفعت عنه الأغلال والاصفاد وإقامة الظاهر ثم تلا قوله تعالى: ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ وقرأ مولاي﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ قلت ما تعني هذه يامولاي قال يعني رفعة في المعرفة وارتفاعا في الدرجات(١).

وذكر الدكتور مصطفى الشكعة (٢) أن النصريين يصلون في خمس أوقات إلا أنها تختلف في الآداء وفي عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية وصلاتهم لا سجود فيها وفيها بعض الركوع أحيانا .

ولا يصلون الجمعة ولا يعترفون بها كفرض ولا يتطهرون قبل أداء صلواتهم ولا يصلون في المساجد بل يحاربون بناء المساجد ولا يرضون بإقامتها بل يجتمعون في بيوت معلومة وأوقات معينة ويسمون هذا الاجتماع عيدا يقوم الشيوخ بتلاوة بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم ويختلط الحابل بالنابل في هذه الاجتماعات رجالا ونساء ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والصلوات المشابهة لقداسات وطقوس المسيحيين ومن قداساتهم الكثيرة قداس الطيب لكل أخ وحبيب ، وقداس البخورفي روح ما يدور في محل الفرح والسرور ، وقداس الآذان وبالله المستعان وكل قداس له ذكر خاص به وأدعية يتوسلون فيها بالإله على والخمسة الأيتام وكبار مشائخهم الذين جعلوهم أربابا من دون الله كالخصيبي وغيره أن تحل في ديارهم البركة وأن ينصروا على

(١) الهفت الشريف ص ٤٢ وانظر ص ١٢٥ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ٣١٢ نقلا عن طائفة النصيرية ص ٥٧ .

أعدائهم ومن أمثله هذه القداسات :

قداس الآذان وهو « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا الحمد لله كثيرا وجهت وجهي وجهي إلى محمد المحمود طالبا سره المقصود المتقرب بتجلي الصفات وعيني الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل هو الذي سماكم مسلمين حنيفا مسلما ولا أنا من المشركين (هكذا) ديني سلسل طاعة إلى القديم الأزل أقر كما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول شهدت أن لا إله إلا هو العلى المعبود ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولاباب إلا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام ولارب ألا ربي شيخنا وهو شيخنا وسيدنا الحسين حمدان الخصيبي سفينة النجاة وعين الحياة حي على الصلاة حي على الفلاح تفلحوا يامؤمنون حي على خير العمل بعينه الأجل الله أكبر الله أكبر قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها الله مولاي ياعلى أسألك أن تقيمها وتديمها مادامت السموات والأرض وتجعل السيد محمد خاتمها والسيد سلمان زكاتها والمقداد يمينها وابا ذر شمالها نحمد الله بحمد الحامدين ونشكر الله بشكر الشاكرين وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الآذان وبحق متي وسمعان[1]والتواريخ والأعوام بحق يوسف بن من كان بحق الأحد عشر كوكبا[2]الذين رآهم يوسف بالمنام تحل في دياركم البركة بالتمام يامولاي ياعلى ياعظيم[3] وهناك قداسات كثيرة كل قداس فيه مثل هذا الكلام السخيف .

ويقول في الهفت الشريف في بيان معنى الصلاة والزكاة أن جعفر الصادق قال للمفضل : « أتدري ما معني قوله تعالي ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة** ﴾ قلت يعني أهله المؤمنين من شيعته الذين يخفون إيمانهم وهي الدرجة العالية والمعرفة

(١) هذا تأكيد لتأثرهم بالنصرانية . (٢) هذه إشارة إلي معتقداتهم الوثنية في النجوم ..

(٣) العلويون ص ١٠٩ .

والإقرار بالتوحيد وأنه العلي الأعلى . فأما معنى قوله تعالى ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة**) فالصلاة أمير المؤمنين والزكاة معرفته وأما إقامة الصلاة فهي معرفتنا وإقامتنا » (١).

والصيام عند النصيرية ليس هو عن الأكل ، والشرب وجميع المفطرات في نهار رمضان بل هو الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان والحج إلى البيت الله الحرام يعتبرونه كفرا وعبادة للأصنام (٢).

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه توجد خلاصة وافية لتعاليم النصيرية وعقائدها في كتيب صغير بعنوان « كتاب تعليم ديانة النصيرية وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٦١٨٢ وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من(١٠١) سؤال وجواب نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

س : من الذي خلقنا .

ج : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين .

س : من أين نعلم أن عليا إله .

ج : مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال : « أنا سر الأسرار أنا شجرة الأنوار ... أنا الأول والآخر أنا الباطن والظاهر إلخ كذبهم عليه .

س : ما أسماء مولانا أمير المؤمنين في مختلف اللغات .

ج : سماه العرب باسم علي وهو سمي نفسه ارسطوطاليس . وفي الانجيل أسمه إيليا « إلياس » ومعناه علي . الهنود يسمونه ابن كنكرة إلخ .

س : لماذا نسمي مولانا باسم أمير النحل .

ج : لأن المومنين الصادقين هم مثل النحل الذين يشتارون من أحسن الأزهار ولهذا سمي أمير النحل .

---

(١) الهفت الشريف ص ٤٠ .

(٢) طائفة النصيرية ص ٦٦ .

س : ما أسماء النجباء في العالم الصغير الأرض .

ج : يورد ٢٥ اسما أولها أبو أيوب وآخرها عبد الله بن سبأ .

س : ما القرآن .

ج : هو المبشر بظهور مولانا في صورة بشرية .

س : ما علامة إخواننا المؤمنين الصادقين .

ج : ع . م. س .

س : ما دعاء النيروز .

ج : تقديس الخمر في الكأس .

س : ما اسم الخمر المقدس الذي يشربه المؤمنون .

ج : عبد النور .

س : لماذا .

ج : لأن الله ظهر فيها .

س : لماذا يولي المؤمن وجهه في الصلاة قبل الشمس ؟

ج : اعلم أن الشمس نور الأنوار .

إلى آخر ١٠١ سؤال وجواب ذكرها كلها عبد الحسين العسكري في كتابه العلويون »[١] تشتمل في مجملها على تأليه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب واعتقاد التناسخ والحلول وتعظيم الخمر التى سموها عبد النور لأن الله حل فيها وتعظيم الأعياد النصرانية والمجوسية وتقديس النجوم والاعتماد عليها وعبادة الشمس وفيها كذلك الحث على [illegible]رام السرية والكتمان لتعاليمهم الوثنية المجوسية .

(١) العلويون ص ٨٢ ، ٩٦ نقلا عن مذاهب الإسلاميين : ٢/٤٧٤ ـ ٤٨٧ . د / بدوي .

الفصل التاسع

أعياد النصيرية

للنصيرية أعياد كثيرة في أوقات كثيرة مثل عيد الغدير ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعيد عاشوراء وعيد الغدير الثاني يوم المباهلة ، وعيد النوروز ، وعيد المهرجان وعيد الصليب ، وعيد الغطاس وعيد السعف ، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة ، وعيد الميلاد إلخ ، أعيادهم الكثيرة التي وافقوا فيها المسلمين والنصارى والوثنيين[1]» وعن احتفالهم بعيد النوروز يقول عبد الحسين العسكري:« احتفال النصيرية بعيد النوروز وهو العيد الديني والقومي للفرس يدل على الأثر الفارسي في النصيرية ويشير إلى تمجيدهم للفرس بدعوي حلول الإله وشخوصه في ملوكهم حتى أنهم جعلوا منهم ثالوثا نظير ثالوثهم الإسلامي حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة وتجلي الإله فيهم وهم شروين وكروين ، وكسري ، ويقابلهم في الإسلام النصيري المعني والاسم والباب علي، محمد سلمان (ع.م - س) [2].

(١) ذكرها د / الحلبي بتوسع في كتابه طائفة النصيرية ص ٧١ .

(٢) العلويون ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

الفصل العاشر

موقف النصيرية من الصحابة

النصيرية شأنهم شأن غيرهم من أعداء الإسلام في عدائهم للإسلام وزعمائه فلقد بالغ هؤلاء في بغض الصحابة رضوان الله عليهم بل واعتقدوا أن من الصحابة من لم يكن مؤمنا حقيقة بل كان يتظاهر بالإسلام ويبطن النفاق خشية من سطوة على ، ومن هؤلاء بإفترائهم أبو سفيان وابنه معاوية رضي الله عنهما وقد خصوا الصحابي الجليل وخليفة رسول الله ﷺ والذي يليه عمر الفاروق رضي الله عنهما بالبغض الشديد فلم يجيزوا حتى مجرد التسمية بأبي بكر وعمر بل بلغ بهم السفه والحقد عليهما أن عمدوا إلى الحيوانات البريئة وتفننوا في تعذيبها لأن روح أبا بكر وعمر وأم المومنبن عائشة رضي الله عنهم حلت فيهم عن طريق التناسخ ومن هنا فهم يأخذون بغلا أو حمارا ليذيقوه اسوء العذاب لأنه تقمص روح أبا بكر أو عمر كما أنهم يأخذون غنمه ويعذبونها كذلك تنكيلا بأم المؤمنين عائشة وتنفيسا عن أحقادهم المجوسية إلا أن المشكل هو كيف يقع أختيارهم على إحدى هذه البهائم بعينها للتنكيل بها ولهم عليهم غضب الله أفعال وأقوال في ذم الصحابة وخصوصا ما قالوه عن عمر رضي الله عنه الذي يرمزون إلى اسمه بـ « أد لم » .

يتنزه من له أدني مسكة من عقل أوحياء ، من ذكرها ، والسبب في بغضهم هؤلاء الأخيار من الصحابة واضح وهو أن هؤلاء هم الذين أطفئوا نار المجوسية ونشروا راية الإسلام خفاقة بين جحافل المجوسية والوثنية فكيف يرضى عنهم هؤلاء وهم قد وتروهم في ديانتهم وفي حكمهم واستعلائهم .

الفصل الحادي عشر

فرق النصيرية

تفرق النصيريون إلى فرق وطوائف كثيرة .. ومن أهم تلك الطوائف :

١ ـ الجرانة نسبة إلى قريتهم جرانة ثم سميت بعد ظهور محمد يونس كلازو من زعمائهم « الكلازية » ويقال لهم القمرية لأنهم يعتقدون أن عليا حل في القمر(١) ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر .

٢ ـ الغيبية :أي الذين رضوا بما قدر لهم في الغيب فتركوا التوسل ـ كما يذكر الحلبي ـ أوهم الذين قالوا إن الله تجلى في على ثم غاب عن البشر واختفى والزمان الحالي هو زمان الغيبة ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي ـ كما يذكر صابر طعيمة ثم سميت بعد ظهور زعيم منهم سمى على حيدر «الحيدرية».

٣ ـ الماخوسية : نسبة إلى زعيمهم على الماخوس المنشق عن الكلازية .

٤ ـ النياصفه : نسبة إلى زعيمهم ناصر الحاصوري من بلدة نصاف بلبنان (٢).

الفصل الثاني عشر

أماكن النصيرية

يذكر عبد الحسين العسكري أماكنهم بقوله « وأكثرهم يعيش اليوم في الجنوب والشمال من القطر العربي السوري ولهم وجود في جنوب تركيا وأطراف لبنان الشمالي وفارس وتركستان الروسية وكردستان » (٣).

---

(١) هذا ما يذكره د . الحلبي في كتابه طائفة النصيرية صـ ٨٣ والذي يذكره أكثر العلماء أن الكلازية يعبدون الشمس على اعتقاد أن عليا حل فيها والنصيرية عموما يقدسون الشمس والقمر وتتداخل عبادتهم لهما حسب ميول رؤسائهم .

(٢) طائفة النصيرية انظر ص ٨٣ ودراسات في الفرق ، صابر طعيمة ص ٥٤ ، ٥٥ مذاهب الإسلاميين ص٢٩٥ ج٤ .

(٣) العلويون / والنصيرية ص ٧ .

الفصل الثالث عشر

محاولات لم تثمر

حاول كثير من الزعماء المسلمين ارجاع النصيرية إلى الإسلام وقاموا بمجهودات كثيرة بالترهيب تارة وبالترغيب تارات متوالية وكما هو شأن هذه الطائفة إذا أحسوا بقوة تضغط عليهم وخافوا سطوتها أظهروا الموافقه والتمسك بشرائع الإسلام الظاهرة فإذا ضعفت هذه القوة ظهر النصيريون على حقيقتهم وأعلنوا الحرب على تلك الشعائر الإسلامية التي ألزموا بها كبناء المساجد والصلاة جماعة فيها والتمسك بصوم شهر رمضان وغير ذلك من الإصلاحات والتي كان ينجح فيها النصريون بخداع الناس بأنهم متمسكون بسائر شعائر الإسلام وأنه لافرق بينهم وبين بقية المسلمين ومن هؤلاء الزعماء الذين حاولوا إصلاح النصيرية.

١ ـ صلاح الدين الأيوبي فبعد دحره للصليبيين بني المساجد وأمر جميع النصريين بالصلاة فيها وبالصوم وغيرهما من بقية شعائر الإسلام فأطاعوه إلى أن توفي فتركوا ذلك وجعلوا المساجد زرائب للحيوانات .

٢ ـ الظاهر بيبرس : بعد أن دحر التتار ألزمهم ببناء المساجد بقراهم وإقامة الصلاة فيها فبنوها بعيدة عن القري وهجروها وربما كان يمر الغريب في المسجد فيؤذن فيه فيقولون له : لا تنهق بأتيك علفك بعد قليل كما حكى ذلك الرحالة ابن بطوطة .

٣ ـ السلطان العثماني « سليم » : بني المساجد وقام بكثير من الإصلاحات ولكنهم رجعوا بعده إلى ما كانوا عليه .

٤ ـ إبراهيم باشا بن محمد على باشا والي مصر كذلك قام بإصلاحات كثيرة من أجل تركهم عقائدهم الفاسدة إلا أنهم حينما أنسوا من أنفسهم قوة رجعوا عن ذلك كله.

٥ ـ السلطان العثماني عبد الحميد : كرر المحاولات بإرساله رجلا من خاصته اسمه ضياء باشا وجعله متصرفًا على لواء اللاذقية فأنشأ لهم المساجد والمدارس فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون وأقنع الدولة بأنهم مسلمون إذ لم يعصوا له أمرا ولكنه بعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع ودنست»(1) .


وهكذا انتهت تلك المحاولات بلا جدوى وربما يعود السر في محاربتهم لبناء المساجد إلى عقيدة عندهم إذ يزعمون أن من عرف ربه وعرف معنى التكاليف صار حرا غير مكلف ، وبقاء المساجد في نظرهم دليل على الجهل والتقصير وعدم معرفة الرب ومعرفة أوامره ظاهرا وباطنا وليس فيه أجهل منهم بربهم وهذا هو المفهوم عند غلاة الباطنية تجاه إسقاط دلالات النصوص .

وعند غلاة الصوفية الذين يزعمون أنه يصل أحدهم إلى درجة اليقين ثم ينفلت عن جميع التكاليف .

---

(1) انظر مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص٦٥، تحقيق أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى طبعة القاهرة وخطط الشام محمد كرد علي : ١/٢٦٠ ـ ٢٦٣ ، ٣/١٠٥ نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٣٣٢، ٣٣٣.

وانظر طائفة النصيرية ص ٦٥ .



الباب السادس

الدروز

الفصل الأول

تمهيد : في بيان خطر هذه الفرقة :

هذه الطائفة هي إحدى فرق الباطنية الاسماعيلية العبيدية[1] الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله وجحدوا كل ما أخبر الله به من يوم القيامة والثواب والعقاب وقالوا بالتناسخ الذي يسمونه التقمص مخالفة للنصيرية ، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر[2] ولقد حذر علماء المسلمين من هذه الطائفة أشد تحذير يقول عنهم العلامة السفاريني وعن كتبهم ووجوب إتلافها هي وجميع كتب أهل الكفر « وكتب أهل الكفر لاسيما كتب الدروز عليهم لعنة الله فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب فلا يهود ولانصارى ولامجوس مثلهم بل هم أشد من علمنا كفرا لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة وزعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الأنام». [3]

وهم يتكتمون على عقائدهم أشد التكتم ، ولهذا خفي أمرهم على كثير من علماء الفرق والتاريخ وهم لايسمحون لأحد أن يدخل في مذهبهم ولايعترفون بخروج أحد منه ولهم في هذا فلسفة يبررون بها موقفهم قائمة على

---

(١) نسبة عبيد الله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة ٢٩٦ هـ ثم امتد نفوذهم إلى مصر وصارت القاهرة عاصمة لهم .

(٢) أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥ .

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب : ١/٢٥٢ .

مفهوم التناسخ الذي يسمونه التقمص ومن الجدير بالذكر أن بينهم وبين النصيرية اتفاق في كثير من الآراء الاعتقادية واختلاف أيضًا في بعضها وبينهم عداوة شديدة بسبب تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعدم تأليههم للحاكم بأمره وكراهة النصيرية لهم لتأليههم الحاكم دون علي رضي الله عنه.

﴿ ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ .

والدروز في إسرائيل من أخلص الناس لليهود وتعاملهم إسرائيل أيضًا بالمثل لمعرفتهم بعمالتهم التامة لهم.[1]

ولإسرائيل مشاريع كثيرة في قراهم وفي مدنهم ـ حسبما ـ سمعته من إذاعة إسرائيل باللغة العربية في هذه السنة ١٤٠٧ هـ وقد سلمتهم السلاح وألقت منهم دوريات على حدودها مع لبنان لثقتهم بهم .

غير أن محمد على الزعبي بالغ كثيرًا في الثناء على الدروذ وعلى تمسكهم بالإسلام وتعاليمه كلها تمسكا صحيحا وذكر أن الدروز يتمنون أن لو أتيحت لهم الفرصة للإنقضاض على إسرائيل وسحقها وإعادة الوجه الإسلامي لفلسطين[2] إلى آخر مدحه لهم .

ومن هنا قال أحمد الفوزان في رده عليه : « وكأني به لم يسمع أبدًا عن الدروز العاملين في الجيش الصهيوني وعن بلائهم الذي كان على العرب شر بلاء وكانوا للعرب شر أعداء » .[3]

(١) انظر عقيدة الدروز ص ٢٥١ .

(٢) انظر كتابه عقيدة الدروز ص ١٣٤ .

(٣) انظر كتابه أضواء على العقيدة الدرزية ص ٧٩ .

الفصل الثاني

التعريف بالدروز

قبل ذكر هذه الطائفة وبيان عقائدهم نذكر تعريفًا موجزًا بهم فيما يلي :

(١) التعريف بهم في اللغة :

تطلق كلمة الدروز على معان عديدة في اللغة منها : أنها تطلق على الأولاد غير الشرعيين الذين لايعرف لهم أباء ، وتطلق كذلك على السفلة والسقاط من الناس فيقال لهم أولاد درزة .

قال الأزهري نقلا عن ابن الأعرابي :

« والعرب تقول للدّعي هو ابن درزة وابن ترني وذلك إذا كان ابن أمة تساعي فجاءت به من المساعاة ولا يعرف له أب »

قال : « ويقال هؤلاء أولاد درزة ـ وأولاد فرتني ـ للسفلة ـ والسقاط قاله المبرد»[1].

وتطلق هذه اللفظة أيضًا على القمل والصئبان فيقال بنات الدروز كما يذكر الفيروزأبادي.[2]

وتدل هذه المعاني على الرداءة والانحطاط ومن هنا نجد أن الدروز لايحبون أن تطلق عليهم هذه التسمية لأسباب سنذكرها وربما يكون منها سوء مفهوم هذه التسمية عند الناس مضافا إليها وجود الأسباب الأخرى .

(٢) التعريف بهم في اصطلاح علماء الفرق :

يطلق علماء الفرق تسمية الدروز على طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية هم

---

(١) انظر تهذيب اللغة : ١٨١/١٣ .

(٢) القاموس المحيط : ١٨٢/٢ وانظر كتب اللغة مادة « درز » .

من غلاة الباطنية يعتقدون ألوهية الحاكم بأمره انشقوا عن الإسماعيلية ، في الظاهر وإن كانوا متفقين معهم في جوهر عقائدهم ونسبوا إلى أحد دعاة الضلال المجوس نشتكين الدرزي وإن كانوا لايحبون هذه النسبة كما سيأتي بيانه[1].

بيان أصل الدروز :

اختلف الناس في أصل الدروز على أقوال كثيرة نوجزها فيما يلي :

(١) أنهم سلالة قبائل عربية وهما يزعمونه لأنفسهم وقد أكده الأستاذ محمد حمزة وإنهم من لخم وتنوخ وأثنى عليهم ثناءاً كثيراً » [2] .

(٢) إنهم من سلالة السامريين القدماء .

(٣) إنهم من بقايا الحيثيين القدماء .

(٤) إنهم مزيج من عناصر مختلفة من عرب وفرس وهنود .

(٥) إنهم سلالة الجنود الفرنسيين الصليبيين .

(٦) إنهم من أصل إنجليزي .

وتبدو تلك الأقوال كلها ـ غير القول الأول بعيدة وتهدف كذلك إلى أغراض سياسية فيما يرى محمد كامل حسين[3] .

---

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٩٩ .

(٢) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٨ .

(٣) طائفة الدروز ص ٦ ، ١٤ .

الفصل الثالث

زعيمهم

تنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي ويسمى هذا الداعي محمد بن إسماعيل ويقال له درزي وهو من أصل فارسي ويعرف بـ «نشتكين»[1] قدم إلى مصر ودخل في خدمة الحاكم ثم كان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المفتون ، ولم يكن نشتكيني في هذا الميدان وحده بل كان معه ضال آخر فارسي أيضاً يسمى حمزة بن علي الزوزني من أهالي زوزن بإيران وكان له الأثر البارز في تاريخ الدروز فيما بعد بل هو زعيم المذهب الدرزي ومؤسسه[2] .

وقد بدأ درزي في إعلان مذهبه الهدام بتأليف كتاب أعلن فيه إلوهية الحاكم ثم جاء به إلى أشهر مكان في القاهرة ، الجامع الأزهر وبدأ يقرأه على الناس فأحدث ضجة بين الناس . وثارت غيرتهم الإسلامية وأرادوا قتله فهرب ـ أو هربه الحاكم ـ من مصر إلى جبال لبنان حيث أخذ ينشر مذهبه إلى أن هلك سنة ٤١٠ هـ مقتولا .[3]

وقد أصبح درزي هو الزعيم الذي يعترف به الدروز ويقدسونه في ذلك الوقت وخصوصا أهل بلاد تيم الذي انتشر مذهب درزي بينهم ، ولكن في الوقت الحاضر ، نجد الدروز يعلنون درزي مع أن نسبتهم إليه ويقدمون حمزة ويقدسونه ، وسبب خلافهم على درزي وسبهم له هو موقف حمزة منه فقد أراد درزي أن يستقل بالإمامة . ثم كذلك تسرعه في إظهار العقيدة الدرزية التي تنادي بألوهية الحاكم قبل أن يرضى حمزة عن ذلك التوقيت لإعلانها فقد أظهر درزي إلوهية الحاكم سنة ٤٠٧ هـ بينما أحب حمزة إظهارها سنة ٤٠٨ هـ وهي السنة التي يعتبرها الدروز أولى سنتي تقويمهم[4] .

---

(١) ويذكر بعضهم أن اسمه ـ منصور نشتكين الدرزي .

(٢) طائفة الدروز ص١٠٦ .

(٣) انظر طائفة الدروز ص ٧٧ .

(٤) طائفة الدروز ص٧٤ـ٧٥ .

إلا أن الأستاذ محمد حمزة يذكر أن الدروز يجلون درزي إلى اليوم[١] وينبغي ملاحظة أن الدعوة إلى تألية الحكم بدأت في حدود سنة ٤٠٠ هـ سرية فلما أنس أشرار الدعوة من قوتهم أظهروها وكان أول من أظهرها محمد بن إسماعيل الدرزي « نشتكين» ليحض بسبق التقدم بها إلى الحاكم وتجاهل زميله في الخيانة وهما حمزة بن على الزوزني والحسن بن حيدرة الفرغاني كبار شياطين الدعوة الاسماعيلية الذين استولوا على عقل الحاكم وحولوه إلى عقائدهم المجوسية الوثنية التى تجعل من الحكام آلهة .

وقد صار حمزة فيما بعد هو صاحب الميدان وله الكلمة النافذة والطاعة التامة حيث صارت الدولة رهن إشارته بعد أن طابت أفكاره في نظر الحاكم الذي وقف من ورائه بكل ثقله لتتم دعوى الإلوهية والتقمص الإلهي في شخصه.

ولم ينسى حمزة أن يخص نفسه بعدة ألقاب وصفات لم يسبغها حتى الأنبياء على أنفسهم فهو الآية الكبرى ، وآية التوحيد ، وآية الكشف ، والعقل الكلي ، والإرادة وعلة العلل وذو [٢] معه[٣] .

كما أنه « هادي المستجيبين » وإمام الزمان وقائم الزمان » والمنتقم من المشركين لسيف مولانا »[٤] ، ثم ادعى أنه هو نفسه سلمان الفارسي في عصر

---

(١) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٧ ، ولعل محمد حمزة وهم في التفريق بين شخصين كان لهما نفس اللقب أحدهما يلعنه الدروز ويتبرأون منه والثاني : يحترمونه الأول يقال له دَرَزي « بفتح الدال » والراء » وهو محمد بن إسماعيل نشتكين الذي أعلن إلوهية الحاكم وغضب عليه حمزة . والثاني يقال له دُرْزي « بضم الدال وسكون الراء» وهو منصور انوشتكين الدرزي وقد كان هذا الرجل أحد قواد الحاكم بأمر الله وهو الذي يجله الدروز ويحترمونه وانتسابهم إنما هو إليه » وهو خلاف مايذكره كثير من كتاب الفرق .

انظر : اسلام بلا مذاهب ص ٥٢ (أضواء على العقيدة الدرزية ص ٦) .

(٢) أي دائما مع المعبود . (٣) طائفة الدروز ص ١١٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٧ .

الحاكم عن طريق التناسخ »(1) وأنه هو الذي أنزل القرآن على محمد ﷺ حينما كان في دور سلمان إلى آخر ماجاد به من أوصاف عالية لشخصه الذي سيلاقي من الله مايستحقه من الجزاء العادل في يوم القيامة ، اليوم الذي لايؤمن به حمزة ومن هم على شاكلته ممن طبع على قلوبهم ، وقد جاء في كتاب لحمزة بعث به إلى قاضي القضاة في زمنه ويسمى أحمد بن محمد بن العوام جاء في أول الكتاب « توكلت على أمير المؤمنين جل ذكره وبه أستعين في جميع الأمور معل علة العلل صفات بسم الله الرحمن الرحيم من عبد أمير المؤمنين ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه ولامعبود سواه إلى أحمد بن محمد بن العوام الملقب قاضي القضاة»(2) إلخ الكتاب الذي ملأه بالسب والشتم والاستهزاء بهذا القاضي بسبب امتناعه عن الدخول تحت عبادة الحاكم . ثم بين حمزة نتيجة امتناع هذا القاضي بقوله :

« وقد أرسلت إلى القاضي عشرين رجلا ومعهم رسالة رفعت نسختها إلى الحضرة اللاهوتية(3) فأبى القاضي واستكبر وكان من الكافرين واجتمعت على غلماني ورسلي الموحدين لمولانا جل ذكره زهاء مئتين من العسكرية والرعية وما منهم رجل إلا ومعه شيء من السلاح فلم يقتل من أصحابي إلا ثلاثة نفر وسبعة رجلا من الموحدين في وسط مائتين من الكافرين(4) فلم يكن لهم إليهم سبيل حتى رجعوا إلى عندي(5) سالمين »(6) .

ويبدو من رسالته هذه ضحالة فكره وجهله المشين بالدين الإسلامي وباللغة العربية وقد كانت آخر حياته أن اختفى بعد موت الحاكم وظل مختفيا إلى أن مات سنة ٤٣٠هـ.

---

(1) الحركات الباطنية ص ٢١٧ .

(2) انظر طائفة الدروز ص ٧٨.

(3) يعني الحاكم .

(4) الذين لم يؤمنوا بالحاكم ربا لهم .

(5) ضعيف في اللغة العربية وفي العلم .

(6) انظر طائفة الدروز ص ٧٩ .

الفصل الرابع

أسماء الدروز

(١) **الدروز** : هذا هو الاسم المشهور عنهم والمتداول على ألسنة الناس وهو نسبة إلى نشتكين الدرزي ، وقد رأينا أنه مع شهرة هذا الاسم عنهم إلا أنهم لايحبون أن يطلق عليهم لأنه ينسبهم إلى درزي المذكور وهم قد انحرفوا عن موالاته بعد أن اختلف هو وحمزة بن علي وصاروا بعد ذلك يلعنونه ويحكمون عليه بالضلال والكفر بمبادئهم لما سبق ذكره .

(٢) **الموحدين** : هذا هو الاسم الذي يحبونه ويطلقونه على أنفسهم في كتبهم التي يقدسونها [١] .

ويجب ملاحظة أنهذه التسمية لاتعني توحيد الله عز وجل الذي يعبده المؤمنون ولكن معناها الإخلاص في توحيد الحاكم بأمره حيث يذكر حمزة بن علي الزوزني ذلك بقوله : « التوحيد لمولانا عوض الشهادتين » [٢] .

---

(١) انظر طائفة الدروز ص ٦ .

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٧٨ .

الفصل الخامس

كيف انتشرت العقيدة الدرزية

حينما فر درزي من مصر توجه إلى بلاد تيم في لبنان وكانت تقيم فيه قبائل عربية في الجاهلية ثم اعتنقوا الإسلام .

وفي أيام الدولة العبيدية انتشر بينهم المذهب الاسماعيلي بتأثير هذا الداعي وفراغهم عن معرفة الدين الإسلامي .

وهذه العقيدة على تفاهتها وجدت من يستمع لها ويدين بها إلى وقتنا الحاضر مع شدة حرصهم على كتمانها الأمر الذي جعل المعلومات حولهم ناقصة جدا ومتضاربة في كثير منها حول ديانة هؤلاء الدروز وهي في مجملها تتألف من أفكار شتى ونظريات مختلفة فلسفية وهندية ويونانية وفارسية وفرعونية ثم أحاطوها بالسرية الكاملة لايبيحون لأحد أن يطلع عليها غيرهم كما لا يبيحون لأحد منهم أن يفشي سرا من أسرارها وقد جاء في كلام لحمزة ابن علي قوله في الترهيب عن إفشاء أسرارهم « إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سر الديانة وإظهار كتب الحكمة - يعني كتبهم - والذي يظهر شيئًا من ذلك يقتل حالا تجاه الموحدين ولا أحد يرحمه » ويقول عليكم أيها الإخوان الموحدون في دفن هذه الأسرار ولايقرأها إلا الإمام على الموحدين في مكان خفي ولا يجوز أن تظهر كتب الحكمة الذي كلها رسم ناسوت مولانا سبحانه وإن وجد شئ من هذه الأسرار في يد كافر فيقطع إربا إربا » (١) .

على أنه لامانع مع الحفاظ على هذا التكتم أن يتظاهر الدرزي - كما أوصاه علماؤه - بإنكار هذه المبادئ أمام الآخرين إذا لم تكن له قوة أمامهم مستعملا في ذلك مابوسعه من النفاق والكذب والخداع وأن يظهر لكل أهل مذهب الرضى عن مذهبهم والسلوك في سبيلهم على طريقة الباطنية وقد ذهب الغلو بمحمد

(١) عقيدة الدروز ص ١٧٥ .

كامل حسين أن يقـول : « وللدروز قضاة منهم يحكمون دائما حسب الشريعة والتقاليـد الإسلامية إلا أنهم في بعض المسـائل الخاصة يحكمون حسب التـقاليد الدرزية».(١)

ثم مثل بعدة أمـثلة هي ضد الإسلام ومما ينبغي التنـبيه له أن الدروز لا يزالون على اعتقاد تأليه الحاكم إلى وقتنا الحاضر يقرونه في مجالسهم الخاصة وخلواتهم ولكنهم قد يتـظاهرون أمام الناس بعدم تأليـه الحاكم وهم يعلمـون أنهم لو تركوا هذه الفكرة لأصبـحوا بلادين وقد كـشف هذا الستار أحـد علماء الدروز وهو عبد الله النجار الذي قتلوه بعد ذلك في أحداث لبنان فهو يقول :

« وإني لأذكر عـتاب كـبير الأشياخ الثـقات لأني ذكرت في أحـد الكتب المطبوعة أن أم الحاكم كانت صقلبيه إذ قال لي : أن الحاكم لا أم له مرددا ما جاء في الرسـالة ٢٦ : حاشـا مولا نا جل ذكـره من الابن والعم والخـال « لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفوا أحد »(٢).

فهذه شهادة شاهد من أهلها والباطل لابد وأن يكشفه الله مهما حاول أهله التستر عليه . وقد كان لهذه الفكرة الإجرامـيـة نتائجها على الحاكم فيما بعد فإنه أنكر أباه ولم يوصي بالخـلافة لولده « الظاهر بالله » وإنما أوصي بهـا إلى شخص آخر للايحـاء بأن الأمر لا يزال بيده حـتى وإن غاب عنهم يعطيه من يشـاء ويمنعه عن من يشاء . ومن هنا فقد انتقم الظاهر من هؤلاء بعد توليه الخلافة أشد انتقام.

---

(١) طائفة الدروز ص ٢٩ .

(٢) مذهب الدروز والتوحيد ص ١٠٥ ، ١٠٦ عن الحركات الباطنية ص ٢٣٧ .

الفصل السادس

معاملة الدروز لمن يكشف شيئا من عقائدهم

ومن هذا الموقف فإن من أفشى شيئا من عقائد الدروز فإنهم لا يقابلونه بالمناقشة والحجة كما يفعل سائر الناس الذين يثقون بمبادئهم وإنما يقوم هؤلاء الدروز وهم يعرفون تفاهة مذهبهم بسب الشخص وإلصاق التهم به وإثارة الضجة حوله إذا لم يستطيعوا قتله.

ويذكر د/الخطيب أن الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض كتب في مجلتي المنهل وراية الإسلام اللتين كانتا تصدران في جدة والرياض عنهم بعض الحقائق ورد على من يسميهم مسلمين فقامت قيامة الدروز على الفياض وسبوه بأقذع السباب ، وأصدر شيخ العقل في لبنان فتوي ضده ونشروا ذلك في عدة صحف وقد قام أحد علماء الدروز ويسمي عبدالله النجار بإصدار كتابه مذهب الدروز والتوحيد وبين حقيقة هذا المذهب فقامت ضجة حوله وحول كتابه وحاكمه مشائخ الدروز لفضحه أسرار المذهب وجمعوا نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها وقد استغلوا أحداث لبنان واغتالوا النجار »[1].

ولاشك أن قيامهم بمثل هذا الإجرام يعتبر دليل واضح على معرفتهم برداءة مذهبهم وبطلانه إذ الحق لا يخاف صاحبه من اظهاره بل يحب ويتودد إلى الناس لنشره وانتفاع الناس به .

ويقول محمد أحمد الخطيب عن موقف الدروز منه حين طبع كتابه « عقيدة الدروز» وما لاقاه من مضايقات وتهديدات بسبب مادونه من حقائق لا يستطيعون دفعها بأي حال لاستناده فيما كتبه عنهم إلى مصادرهم يقول : « وللحقيقة أذكر أن هذه الأمور مجتمعة قد حدثت معي شخصيا حينما تم طبع ونشر كتاب عقيدة الدروز عرض ونقض وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام

(١) عقيدة الدروز ١٧٩ .

محمد بن سعود عام ١٤٠٠ هـ حيث ظهر وبشكل واضح طريقة التعامل القذر الذي يتم مع كل من يحاول أن يبحث عن حقيقتهم فقد توالت عليّ المكالمات الهاتفية التي تهدد بالقتل وجاء على أثرها الكثير من الرسائل والتي تتوعدني بالويل والثبور إن لم أعتذر عن كتابي وما ورد فيه ، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور وإحراقه[1] وكذلك عملوا على مطالبة المسئولين في كثير من البلاد العربية بمنع الكتاب فكان أن منع في عدد من البلاد العربية »[2].

ومما لا يخفي أن هذه الدول التي منعت انتشار الكتاب والانتفاع بما فيه إنما تمثل الانهزام التام والتودد إلى هؤلاء الأشرار هذا إن أحسنا بهم الظن وإلا فإن هؤلاء مما يترجح لدي كل فاهم لأوضاع الدول العربية إنهم ممن يبيتون النية السيئة لشعوبهم ولدينهم وأنهم أقرب إلى أعداء الإسلام وأشد على المسلمين من كثير ممن يتظاهر بعدم الإسلام . والله المستعان .

(١) يقول الخطيب« وهذا ماتم أيضا مع كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي « مذاهب الإسلاميين».

(٢) عقيدة الدروز ٢٩٩ .

الفصل السابع

أماكن الدروز

استوطن الدروز أماكن كثيرة متفرقة وأهم أماكن تجمعاتهم كما يذكر عنهم العلماء الذين اطلعوا على تلك الأماكن هي :

١ ـ في سوريا : ويسكنون في محافظة السويداء ـ جبل حوران أو جبل الدروز أو جبل العرب كما يقال له ويعيش منهم في هذه المنطقة أكثر من ثلاث وسبعين قرية .

٢ ـ في لبنان : ويسكنون في عدة مناطق منه في الغرب الأسفل وفي الغرب الأعلى وفي الشحار والمناصف وفي الجرد وفي العرقوب والباروك والجرد الشمالي وفي الشوف.

٣ ـ في فلسطين : عند جبل الكرمل وصفد .

٤ ـ في بلاد المغرب بالقرب من مدينة تلمسان قبيلة تعرف ببني عبس تدين بالعقيدة الدرزية دون أن يعرف جيرانهم حقيقة مذهبهم .

قال محمد كامل حسين بعد أن ذكر تلك الأماكن : « ومن يدري لعل الباحثين يكتشفون طوائف أخري تعتنق مذهب الدروز في الأقاليم العربية[1]» هكذا قال ونسأل الله أن لا يوجد ذلك وقد ذكر الأستاذ محمد حمزة كثيرا من أماكنهم وأثنى على شجاعتهم وبسالتهم ومقاومتهم ـ حسبما يذكر ـ لإسرائيل في الوقت الحاضر في هضبة الجولان وغيرها»[2]رغم أن المعروف عنهم لدي كافة الناس هو تفانيهم في خدمة إسرائيل .

(١) طائفة الدروز ص ٥ ، ٦ .

(٢) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١١٨ .

الفصل الثامن

طريقة الدروز في تعليم ديانتهم

علماء الدروز من أشد الناس تسترا على مبادئهم حتى من الموالين لهم فلا يطلعون أحد على أسرار المذهب إلا بعد أن يجتاز امتحانات كثيرة من قبل هؤلاء المشائخ الذين هم بمنزلة السلطه العليا .

وقد وصف محمد كامل حسين ذلك بقوله : « وهم من الناحية الدينية ينقسمون إلي عقال أو أجاويد أي الذين لهم الحق في معرفة شيء من العقيدة السرية وبين جهال أي الذين ليس لهم الحق في معرفة أسرار الدين .

والعقال ينقسمون بدورهم إلى درجات ثلاث ففي مساء كل يوم جمعة يجتمع العقال في أماكن العبادة التي تعرف بالخلوات (جمع خلوة) بسماع ما يتلي عليهم بمن الكتاب المقدس ، وبعد تلاوة المقدمات يخرج من الخلوة الطبقة الدنيا من العقال ، ثم بعد تلاوة بعض الرسائل البسيطه التي ليس بها تأويلات تخرج الطبقة الثانية بحيث لا يبقي إلا رجال الدرجة الأولي الذين لهم وحدهم الحق في سماع الأسرار العليا للعقيدة أما الجهال فلا يسمح لهم بحضور هذه الخلوات أو بسماع شيء من الكتب المقدسة إلا في يوم عيدهم وهو يوافق عيد الأضحى عند المسلمين على أن طبقة الجهال يسمح لهم بأن ينتقلوا إلى طبقة العقال بعد امتحان عسير شاق يقوم على ترويض النفس واخضاع شهواتها مدة طويلة إذا لا يقبل في طبقة العقال من يد من التدخين مثلا .... وقد يستمر الامتحان أكثر من سنة بأكملها حتى يثق الشيوخ بأحقية الطالب أن ينتقل من طبقة الجهال إلى طبقة العقال » .

وقال عن صفات العقال:«والعقال في المجتمع الدرزي يعرفون بعمائمهم ولبس القباء الأرزق الغامق ويطلقون لحاهم على أن الذين يسند إليهم وظائف حكومية يباح لهم ترك هذه الملابس وارتداء الزي الذي يتطلبه منصبه الرسمي» .

وقال عن مكانة المرأة في المذهب الدرزي : « والنساء في المجتمع الدرزي ينقسمن أيضا إلى عاقلات وجاهلات مثل الرجال تماما لا فرق بين المرأة والرجل والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمه صاية » .

وعن التنظيم الاجتماعي السائد في المجتمع الدرزي يقول : « وللدروز رؤساء دينيون في كل مكان على رأسهم شيخ يلقب بشيخ العقل ويتولي منصبه بالانتخاب أو بالاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة ، ولشيخ العصر أعوان في كل قرية أو بلدهم شيوخ عقل محليون وشيوخ العقل في لبنان ينقسمون إلى حزبين سياسيين هما الشيوخ الجانبلاطية[1] والشيوخ اليزبكية[2] بينما ينقسم الدروز عامة في لبنان مدنيا إلى أمراء ومشائخ وعامة فالأمراء هم آل أرسلان[3] والمشائخ هم الجانبلاطية واليزبكية»[4].

ويذكر محمد حمزة أن أغلب الأحكام الفقهية التي ليس للدروز فيها تشريع خاص يتبعون فيها مذهب أبي حنيفة النعمان وأن ذلك كان بتأثير العثمانيين الذين فرضوا المذهب الحنفي في سوريا ولبنان [5].

(١) الجانبلاطية نسبة إلي جانبلاط بن سعيد ابن مصطفي بن حسين جانبلاط .

(٢) اليزبكية عائلة من مشائخ الدروز في لبنان ينسبون إلي قبيلة من قبائل أزد عمان القيسية .

(٣) آل ارسلان هم المناذرة ملوك الحيرة الذين كان لهم في زمن الدولة العباسية قوة ونفوذ في لبنان وكذلك في زمن الدولة الفاطمية .

(٤) انظر طائفة الدروز ص ٢٨ ، ٢٩ فصل « طبقات المجتمع عند الدروز » .

(٥) التآلف بين الفرق الإسلامية ص ١٢٤ .

الفصل التاسع

من هو الحاكم بأمر الله الذي ألهه الدروز

هذا الشخص هو أبوعلي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي لقب بالحاكم بأمر الله ـ ولد سنة٣٧٥هـ وتولى الملك بعد موت أبيه في رمضان سنة٣٨٦هـ وكان سادس الملوك العبيديين تولي الملك وعمره إحدى عشرة سنة.

ادعى الألوهية على يد حمزة بن علي، وغيره من ملاحدة الإسماعيلية سنة٤٠٨هـ إلى أن قتل سنة ٤١١هـ ويذكر المؤرخون لهذا الحاكم أنه كان أسطورة في سفك الدماء وإرهاب الناس وكانت له مواقف متناقضة عجيبة وله غرائب كثيرة.

ومن غرائبه أنه كان دائما يفتك بوزرائه ويقتلهم شر قتلة يعين أحدهم في منصبه ثم يقتله ويعين آخر فلا تمضي فترة بسيطة إلا وهو يتشحط في دمه وقد قتل من العلماء والكتاب ووجوه الناس مالا يحصى .

لقد كان الحاكم نفسه مثال الشذوذ فقد كانت له تصرفات غريبة غير مفهومة فقد لبس الصوف سبع سنين وامتنع من دخول الحمام وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلا ونهارا. ثم عني له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة ومن تناقضاته أنه مرة يأمر بسب الصحابة وبكتابه ذلك في المساجد ثم يعود فيأمر به أن تمحى.وقد بنى المساجد الكثيرة ثم منع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها وأراق خمسة آلاف جرة من العسل في البحر خوفا أن تعمل نبيذا ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلا ونهارا.ثم أمر بقتل الكلاب كلها ثم عاد فمنع من ذلك وهكذا كانت حياته مليئة بالمتناقضات والشذوذ وقد أثبت حمزة كثيرا من تناقضات الحاكم وتصرفاته المجانبة للعقل ثم أجاب عن كل ذلك بتأويلات باطنية[1].

---

(١) انظر طائفة الدروز ص ٤٢ ـ ٤٧ وفيها وصف كامل لكل حياة الحاكم وتصرفاته اليوميه وأعماله وكل مايقوم به. وانظر لمزيد التفاصيل .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٤/١٧٦، ١٧٧ .

ويقول السيوطي : أن الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا أعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتي في الحرمين الشريفين .

وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا جتي أنه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرها وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريداً كثير التلون في أقواله وأفعاله»[1].

وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له وكان لا يركب إلاحمارا - فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبد له يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى[2]وهو منكر لم يسبقه إليه أحد وأما القتلى فقد قدر بعض العلماء ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات.

ومما يروى في إرهابه للناس. أنه أمر في سنة٣٩٥هـ بعمل شونة كبيرة مما يلي الجبل وملئت بالسنط والبوص والحلفاء فارتاع الناس وظنه كل من له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر أو الدواوين أنها أعدت لإعدامه بها وسرت في ذلك إشاعات مخيفة .

فاجتمع سائرالكتاب وأصحاب الدواوين والمتصرفون من المسلمين والنصارى في أحد ميادين القاهرة ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر فوقفوا على بابه يضجون ويتضرعون ويسألون العفو عنهم ثم دخلوا القصر ورفعوا إلى الحاكم بواسطة قائد القواد الحسين بن جوهر ورقة يلتمسون فيها العفو. فأجابهم الحاكم علي لسان الحسين إلى ما طلبوا وأمروا بالانصراف

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : ١ / ٦٠١ .

(٢) البداية والنهاية : ١٢ / ٩ ، وانظر طائفة الدروز ص ٣٨ وقف علي تشكيك د/محمد كامل حسين قي صحة ذلك .

والبكور لتلقي سجل العفو .

ثم اشتد الذعر بالغلمان والخاصة على اختلاف طوائفهم فضجوا واستغاثوا وطلبوا العفو والأمان فأجيبوا إلى ما طلبوا وتبعهم في الاستغاثة التجار وأرباب المهن والحرف . وتوالي صدور الأمانات لمختلف الطبقات(١).

وهذه حالة واحدة من أحوال الحاكم العديده وواضح من تلك السجلات العجيبة مدي بطشه بالناس واستهانته بسفك الدماء حتي صار الناس يطلبون العفو من غير جرم فعلوه . وكل ذلك كان تمهيدا لدعوي الألوهية . وصورة كتاب الأمان هي: « هذا كتاب عبد الله ووليه المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين وأمان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا على خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمد يد بسوء إليكم إلا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجبه فيوثق بذلك وليعول إن شاء الله »(٢).

ولقد حيرت العلماء مواقف الحاكم واختلفت كلمتهم حول الحكم عليه «فقد رفعه قوم إلى درجة الألوهية وهم الدروز واعتقد فيه قوم أنه إمام المسلمين وخليفة رب العالمين وهم الاسماعيلية الفاطميون وذهب أكثر المؤرخين إلى أنه كان شاذ الطباع مريضا بالعقل يأتي بأعمال تضحك الثكلى تدل على الجنون وهؤلاء هم مؤرخوا العرب والمؤرخون المسيحيون »(٣).

ولكن وبالنظر إلى أن مدة الحاكم كانت من سنة ٣٨٦ إلى سنة ٤١١ هـ يظهر أن الاعتذار عنه بأنه كان مجنونا ؛ كلام لا يلتفت إليه لأنه من المحال أن يبقي في الحكم شخص مجنون مدة تصل إلى خمس وعشرين سنة .

(١) انظر الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ص٥٩ عقيدة الدروز ص٤٨ .

(٢) طائفة الدروز ص ٣٩ نقلا عن المقريزي .　　(٣) طائفة الدروز ص ٣١ .

بل كان سلوك الحاكم على تلك الصور إنما نشأ عن تأثير فكرة الألوهية وأن كل ماصدر عنه من أعمال وأقوال إنما كان بدافع واحد وهو تأليهه ـ خصوصا وأنه تولي الحكم وهو صغير السن وقد أحيط بهاله من التعظيم مما أسبغته العقيدة الإسماعيلية على أئمتها فكان يطمح إلى أكثر من الملك، إضافة إلى مازينه له بعض زعماء المجوسية من الجرأة على تلك الدعوى بعد أن قربهم إليه وصاروا خاصته حتى أنسوه الدين والعقل وبعد أن رأي كذلك دعوي الوهية بعض أهل البيت عند السبئية وألوهية جعفر عند الخطابيي وغيرهم ممن ادعى الألوهية[1] أو ادعيت له .

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد من بين الكتاب المعاصرين من يحاول الدفاع عن الحاكم وعن تصرفاته متهما المؤرخين بالتحامل على تاريخ الحاكم وأنه ما كان إلا مفكرا مخلصا لوطنه وحاكما بارعا[2] إلخ .

وهذا الدفاع عن الحاكم يعتبر شذوذا وزورا ويكفي لرد سخافته ما أجمع عليه العلماء من تاريخ ذلك الحاكم الضال .

هلاك الحاكم

لقد شغف الحاكم بالطواف بالليل . خصوصا في جنبات جبل المقطم بالقاهرة ينظر في النجوم ويخلو بنفسه.

وفي ليلة الإثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ خرج كعادته للطواف في هذا الجبل وليس معه إلا رجل وصبي ، ولكنه لم يرجع إلى بيته ومن هنا وقع ا لخلاف بين الناس في شأنه.

فقيل إن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله لأمرين :

(١) انظر طائفة الدروز ص ٤٩ .

(٢) هذا ما يذكره الدكتور أحمد شلبي في كتابه « التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ص ١١٦ ـ ١١٢ » نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٢ .

ـ إنها خافت على نفسها من بطشه إذا اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال فأثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها ودفنته في مجلس دارها .

ـ والأمر الثاني : هو إنكارها لما أقدم عليه الحاكم وخوفها أن تزول الخلافة بسبب دعواه الألوهية(١). وبعض العلماء ينكرأن تكون أخته قتلته .

وقد ذهب د / محمد كامل حسين إلى القول أن الحاكم قتل نتيجة مؤامرة يهودية لاضطهاد الحاكم لهم ويرى أن هذا هو القول الصواب وما عداه لاصحة له(٢) بينما يذهب الدكتور محمد أحمد الخطيب إلى أن الحاكم قتل بسبب مؤامرة باطنية بسبب ما أفشاه من مذهبهم السري(٣)وقد رد على المقريزي الذي ذكر هو الآخر أن الحاكم قتله شخص ثم اعترف بذلك(٤)فهو يرى « أن قتل الحاكم كان مؤامرة معدة بأحكام من قبل سلطات الدولة الرسمية وبمباركة دعاة الاسماعيليين» .

ومهما قيل فقد كان لاختفاء الحاكم على هذا الوجه فرصة لإذكاء دعوة الدروز وأن الحاكم اختفي وسيعود قريبا مرة أخري ويملك الأرض وينشر العدل إلى آخر خرافاتهم فيه وإذا كان ما ذكره الخطيب صوابا فلا استبعد أن يكون هناك تواطيء أيضا على اخفاء موته وجثته عن الناس ليتم تنفيذ بقية المخطط الذي يريدونه ومن الجدير بالذكر أن القول بانتظار الحاكم ليظهر مرة أخرى كان هو نفس معتقد الشيعة الاثني عشرية في المهدي المنتظر ولقد جرى على الدروز ماجرى على الشيعة من ظهور بعض الأشخاص المغامرين يدعون أنهم :

ـ المهدي عند الشيعة أو الحاكم عند الدروز .

ـ فقد ظهر رجل اسمه « سكين » كان رئيس الدعوة الدرزية في سوريا ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله قد رجع من غيبته في سنة ٤١٨ هـ خصوصا وأنه

---

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٣ .
(٢) طائفة الدروز٤٨ .
(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢١٢ ، ٢١٣ .
(٤) انظر ص٢١٤ .

كان يشبه ملامح الحاكم وقد وصل مصر ودعا الناس إلى هذه الفكرة بل ووصل إلى قصر الحكم ووقف على بابه ينادي أصحابه بأنه الحاكم فارتاع حرس القصر برهة ثم عادوا إلى رشدهم وهجموا على سكين وأصحابه وقتلوهم وأخذ سكين وصلب ثم ظهر رجل آخر في صعيد مصر قبطي اسمه شروط ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله وأعيا الدولة في القبض عليه وسمى نفسه أبا العرب .

ثم ظهر شخص آخر يعرف بابن الكردي وادعى نفس الدعوة السابقة إذ إنها صارت دعوى سهلة لاتتطلب أكثر من الجرأة والإقدام والاستهانة بعقول الناس واستحلال الكذب بكل أشكاله .. قال محمد كامل حسين : « وهكذا كانت عقيدة غيبة الحاكم وقرب عودته مثار الظهور عدة أشخاص يدعون بأنهم الحاكم بأمر الله مما يذكرنا بعقيدة المهدي المنتظر فكم من رجال ادعوا بأنهم المهدي هذا »[1].

والواقع أن هذه المهازل هي الترجمة الصحيحة لتطبيق المذهب وإبراز مبادئه واضحة للعيان .

﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾[2].

(١) طائفة الدروز ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٩ .

الفصل العاشر

أهم عقائد الدروز

للدروز عقائد كثيرة وخرافات عديدة ملفقة من عدة ديانات وأساطير وقد ذكر الدكتور محمد أحمد الخطيب أنه عثر على مخطوطة للدروز بعنوان «رسالة في معرفة سر ديانة الدروز».

ويري من وجهة نظره أنها كتبت في فترة ليست بالطويلة مستنداً إلى ما يبدو عليها من اللهجة اللبنانية وهي ٤٣ سؤال وجواب نأخذ على سبيل المثال منها الأسئلة الآتية :

س : أدرزي أنت .

ج : نعم بنعمة مولانا الحاكم سبحانه .

س : لماذا إنكار كتب سوى القرآن .

ج : اعلم أنه من حيث لزمنا الاستتار بدين الإسلام[١] وجب علينا الإقرار بكتاب محمد.

س : ماهو دين التوحيد الذي عليه الدروز والعقال مستدلون .

ج : هو الكفر بكل الملل والطوائف .

س : فإذا عرف أحد دين مولانا وصدق به وإنقاد إلى دين التوحيد وعمل بحسبه فهل له خلاص ؟

ج : كلا لأنه غلق الباب وثم الكلام وإذا مات يرجع إلى ملته ودينه القديم وهذا هو السر في أن الدروز لا يريدون أحدا يدخل في دينهم ولا يعترفون بأحد يخرج منه .

---

(١) هكذا وبكل صراحة .

س : كيف نعرف أخانا الموحد إذا رأيناه في الطريق ومر بنا يقول أنه فينا ؟ .

ج : بعد اجتماعنا فيه والسلام نقول له في بلدكم فلاحون يزرعون الاهليلج فإن قال: نعم مزروع في قلوب المؤمنين فتسأله عن معرفة الحدود فإن أجاب وإلا فهو الغريب.

س : ماهي الحدود ؟.

ج : هم أنبياء الحاكم الخمسة: حمزة، وإسماعيل،ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاءالدين.

س : وكيف ترجع النفوس إلى أجسادها ؟

ج : كل ما مات إنسان ولد آخر والدنيا هكذا .

إلى آخر تلك الأسئلة التي تبين معتقداتهم والتي تمثل الأمور الآتية الهامة :

١ ـ ألوهية الحاكم :

حيث أسبغ الدروز كما قرره زعيمهم حمزة بن على ومن اشترك معه في تثبيت هذه الجريمة على شخصية الحاكم أوصافا لا تكون إلا لله عز وجل مدعين أن الحاكم له حقيقة لاهوتيه وظهر بناسوته ليقيم الحجه على عباده ...وأن أفعاله المتناقضه له فيها حكمة.

مع أن الدروز كغيرهم من فرق الضلال أحيانا يتظاهرون أمام خصومهم بالموافقة لهم ويتواصون بكتمان تأليه الحاكم عندما لا يقدرون على إظهار ذلك ـ كما تقدم ـ وللداخل في هذا المذهب عهد لابد أن يقوله ويردده ,

وفيه التصريح ببيع الشخص الداخل نفسه للحاكم وأن يخلص في عبادته وأن يتبرأ من جميع الأديان غير هذا الدين ـ الدرزي ـ وأول العهد يقول : «آمنت بالله ربي الحاكم العلى الأعلى رب المشرقين ورب المغربين [1] الخ » .

(١) انظر لذلك العهد بطوله ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ من كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي .

ولهم تأويلات للقرآن تدل على مدي حقدهم على الإسلام ونبيه وتدل كذلك على ضحالة وتفاهة عقولهم وأفهامهم مما لانرى التطويل بذكره .

ورسائل حمزة كثيرة يثبت فيها ألوهية الحاكم أخذ جميع صفات الله عز وجل وأحكامه وما يليق به ومالا يليق به وجعلها للحاكم وادعي أن الشرك معناه عدم توحيد الحاكم .

جاء في « رسالة السيرة المستقيمة » وهي من الكتب المقدسة عند الدروز قوله : «والآن فقد دارت الأدوار وبطل ما كان في جميع الأمصار ولم يبق من نار الشريعة الشركية غير لهيبها والشرار وسوف يخمد حرها ويضمحل العوار فقد بدأت ظهور نقطة البيكار ؛ (أي ظهور حمزة بن علي) بتوحيد مولانا البار الملك الجبار العزيز الغفار المعز القهار الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبه والولد فلمولا نا الحمد والشكر على ظهور نور الأنوار وخروج ما كان مدفونا تحت الجدار فقد أنعم علينا وعليكم بمباشرته في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كيما تدركون بعض ناسوته الإنسية»(١).

وقد علل حمزة لسبب تسمية الحاكم بالإمام أو الخليفة بقوله :

« ولو كان في العالمين شيء أفضل من الإمامة لكان المولى جل ذكره في ظاهر الأمر تسمى به. فلما لم يظهر في الناسوت إلا باسم الإمامة علمنا أنه أجل أسماء المولى جلت قدرته (٢).

ومن عقائد الدروز أن الحاكم يتشكل في كل عصر ودور بصور أناس من أجل مصلحة الناس ومراعاة لحالهم وليس المشاهير في تلك العصور أناس غير الحاكم بل هم الحاكم تصور بصور واتخذ له تلك الأسماء الإنسية ليتعرف خلقه إليه تفضلا ورحمة منه على عباده(٣).

---

(١) طائفة الدروز ص١٠٥.
(٢) رسالة الصبحة لحمزة ـ عن عقيدة الدروز ص١٣٣.
(٣) رسالة من دون قائم الزمان والهادي إلي طاعة الرحمن لحمزة بن علي عقيدة الدروز ص١٣٣.

ولقد ذكر الدكتور محمد كامل حسين كثيرا من أقوالهم في إثباتهم ألوهية الحاكم من كتبهم - مطبوعة ومخطوطة - رغم تحرزهم على إخفائها عن أعين الناس ومن تلك النصوص :

١ - جاء في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « ومولانا سبحانه معل علة العلل جل ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه ليس له شبه في الجسمانيين ولا ضد في الجرمانيين ولا كفء في الروحانيين ولا نظير في النفسانيين ولا مقام له في النورانيين » (١).

٢ - وفي رسالة سبب الأسباب لحمزه الزوزني :« فقولي توكلت على مولانا جل ذكره أردت به لاهوت مولانا الذي لا يدرك بوهم ولا يدخل في الخواطر والفهم ما من العالمين أحدا لا هو معهم وهم لا يبصرون يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو جل ذكره أعظم من أن يوصف أو يدرك ومن اتكل عليه فهو يكفيه جميع مهماته » (٢).

ونصوص أخرى كثيرة كلها تدور حول وصف الحاكم بكل صفات الله تعالي لأنهم يعتبرونه « رب العالمين » تصور في صورة الحاكم فى دوره الجديد تأنيسا لخلقه حيث ظهر في الصورة البشرية ليجدد الناس العهد به ولولا ذلك لكان الناس يعبدون العدم كما يري هؤلاء الكفرة .

وفي رسالة الغيبة :« أظهر لنا ناسوت صورته تأنيسا للصور فحار فيها الفكر حين فكر وعجزت العقول عن إدراك أفعالها واعترفت بالعجز والتقصير في معلومها فبتقدير أحكامه من عل خلقه بوجود صورته من جنس صورهم»(٣).

ولا يقصر الدروز الألوهية على الحاكم فقط بل أطلقوها على كثير من آبائه ومن كبار رؤسائهم على مقتضى اعتقادهم أن الله يظهر للناس بين فترة وأخرى

---

(١) طائفة الدروز ص١٠٢. (٢) طائفة الدروز١٠٢.

(٣) المصدر السابق ص١٠٣.

في صور بشرية ولا شرورة لذكر آلئك الأشخاص الـذين يعتبرونهم ظهوراً إليها في أوقات وجودهم وليس أمـامنا تجاه هذه الآراء الإلحادية والتي تفتـقر أيضا إلى العقل إلا أن نقول ﴿**ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**﴾.

٢ ـ القول بالتناسخ

يعتقد الدروز بالتناسـخ أو التقمص كما يسمونه ومـعناه عندهم انتقال النفس من جسـم بشرى إلى جسـم بشري آخر . والجـسم قمـيص للروح التى لا تموت أبدا بل تتقمص أجساما أخرى في كل نقله فنفس الموحد تنتقل إلى موحد ونفس المشرك إلى مـشرك ومن هنا زعـموا أن عدد سكان العـالم غيـر قابل للزيادة ولا النقـصـان منذ بدء الخليـقة ويبـقى على هذه الحـال إلى الأبد فـهم لا يزيدون ولا ينقصون وكل من مات انتقلت روحه إلى جسد جديد دائما(١) .

ومفهـوم التناسخ عند الدروز يختلف عن مفهومـه عند الآخرين من القائلين بالتناسخ كالنصيرية مثلا .

فالدروز يقصرون الـتناسخ بين الأجسام البشرية فقط بينمـا هو عند النصيرية لا ينحـصر فقط بين البـشر بل وقـد يكون أحيـانا بينهم وبين البهـائم حيث تنـتقل الأرواح فتحل في أى جسم ، جسم بهيمة أو غيرها .

والدروز يكرهون لفظ التناسخ ويستبدلونه بلفظ التقمص .

ويعود السبب فى قصر الدروز التناسخ في الأجسام البشرية لما يأتى : ـ

١ ـ قالوا أن انتـقال النفس إلى جسم حيـوان غير بشرى ظلم لهـا لعدم تعلق الثواب والعقاب على غير النفس العاقلة .

٢ ـ أن وقوع العقاب على النفس لا يصح إلا بعـد مرورها في أجسام بشرية على مدى دهر طـويل بحيث يمنحهـا الدهر الطويل فرصـة الاكـتسـاب والتطور

(١) طائفة الدروز ١٠٧ .

والامتحان والتبدل لكى تحاسب حسابا عادلا على مجموع ما اكتسبت وحقيقة العذاب عند الدروز معناه أن الإنسان يعذب بنقله من درجة عالية إلى درجة دونها ثم يستمر فى هذا الهبوط إلى أقل الدرجات ويعذب فى كل دور بأنواع العذاب التى هى عذاب الضمير وعذاب الندم على ما فات لأنها لم تنتفع من أدوارها الماضية .

ومن خرافاتهم أنهم يشبهون الروح بسائل يحتاج إلى إناء يضبطه فإذا كسر فلابد من تلقى السائل فى إناء غيره لئلا يضيع ، وعلى هذا فإن روح أحدهم إذا فارقت الجسم انتقلت فورا إلى جسم أخر تحفظ فيه . وفى نقلتها الجديدة ترجع على نفس المذهب الذى كانت عليه أيا كان المذهب . ومن هنا تعرف السر فى عدم قبول الدروز لغيرهم أن يدخلوا فى مذهبهم وعدم اعترافهم بأحد منهم يخرج عنه حتى ولو تركه وهو حى طائعا مختاراً .

لأن روحه فى نقلتها أوتقمصها الجديد ستعود على نفس المذهب الدرزى فلا فائدة إذاً من دخول الآخرين فى مذهبهم لأن أرواحهم سترجع إلى مذاهبهم القديمة ثانية إذا ماتوا ومما لا يجهله أى مسلم أن عقيدة التناسخ عقيدة بدائية وثنية تتعارض مع كل الأديان التى أنزلها الله تعالى إذ كلها تقرر أن الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى خالقها سواء كانت منعمة أو معذبة ولها اتصال بالجسد فى صورة لا يعلمها إلا الله إلى أن يأتى يوم القيامة وتعود الأرواح إلى أجسادها للحساب ثم للمصير النهائى إما الجنة أوالنار .

٣ ـ إنكار القيامة :

لا يؤمن الدروز بيوم القيامة فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب فى الحياة الآخرة وإنما يتم ذلك كله في الدنيا عن طريق التقمص وما تلاقيه الروح في تقمصها من النعيم أو العقاب إلا أنهم ينتظرون يوما يجيء الحاكم في صورة ناسوتيه مرة أخرى ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة كما يزعمون:

يخرج من بلاد مصر كما يرى حمزة أو من بلاد الصين من سد الصين العظيم وحوله قوم يأجوج ومأجوج القوم الكرام أو المؤمنين بالحاكم كما يسمونهم.

ويتضح حقد هؤلاء على الإسلام والمسلمين في زعمهم أن الحاكم إذا جاء يأتي إلى الكعبة ويهدمها ويفتك بالمسلمين والنصارى فى جميع الأرض حيث يحاسبهم حمزة حسابًا شديدا (١) .

وأما متى يكون هذا اليوم فيذكر محمد كامل حسين أنه لم تحدد كتب الدروز ذلك ولكنها تذكر أنه سيكون في شهر جمادى أو رجب ويسبق مجيئه علامات منها :

١ ـ عندما يرى الملوك يملكون حسب مآربهم وأهوائهم الشخصية ولا يعدلون بين الرعية.

٢ ـ عندما يتسلط اليهود والنصارى على البلاد .

٣ ـ وعندما يستسلم الناس إلى الآثام والفساد ويأخذون بالآراء الفاسدة .

٤ ـ وعندما يتملك شخص من ذرية الإمامة ويعمل ضد شعبه وأمته ويضع نفسه تحت سلطان المخادعين .

٥ ـ ثم ظهور ملك آخر في مصر يحارب المصريين ويحاربونه .

٦ ـ ويأتى المسيخ الدجال في صورة رومى يجتمع الروم حوله ويخرب حلب

٧ ـ ثم يظهر المسيح بن يوسف في أرض مصر .

ويملك اليهود بيت المقدس ثم ينتقمون من سكان القدس وعكا ثم يقوم المسيح ابن يوسف ثم يطرد اليهود من بيت المقدس إلى غير ذلك من العلامات المزعومة(٢)، ولهذا فهم يفرحون باستيلاء اليهود على بيت المقدس وبتسلط النصارى على المسلمين بل وظهور الفواحش كلها ليظهر ربهم الحاكم ويكون المجازى للعباد

---

(١) الحركات الباطنية ص ٢٣٦ نقلا عن مخطوطه وجدها في جبل لبنان لمؤلف مجهول .

(٢) طائفة الدروز ص١٢١ ، ١٢٢ .

في هذا اليوم هو حمزة يأخذ مال المخالفين ويعطيه لأتباعه الموحدين(١).

ومن الطرائف المضحكة أن أحد مشائخ الدروز ويسمى داود أبو شقراء أعلن أن يوم القيامة سيكون في ١٦ آب عام ١٩٥٢م معتمدا فى ذلك على حساب الحروف والجمل وبالفعل فقد اقتنع بذلك بعض شيوخ لبنان وحوران وشاع الخبر وجاء الوقت وظهر افتراء الكذابين ولم يحصل ما توقعوه .(٢)

وحساب الجمل والحروف والمنامات وما يقع فيها من أخبار بيوم القيامة وما يزعمه بعض الناس من مشاهدة الدابة ومخاطبتها له(٣) وغير ذلك من أخبار القيامة كلها تلفيقات وهى مطايا الكذابين .

٤ ـ عداوتهم للأنبياء :

يحقد الدروز على الأنبياء حقدا شديدا وينكرون فضائلهم بل ونسبوهم إلى الجهل لأنهم يدعون الناس بزعمهم إلى توحيد المعدوم ـ تعالى الله عن قولهم ـ وما عرفوا المولى الموجود ـ أى الحاكم بأمر الله ـ .

وقد أوجب داعيتهم الأول حمزة محاربة دعوة الأنبياء وأوجب البراءة من جميع أديانهم ويحقدون على الرسول محمد ﷺ كثيرا لأنه أوجب الجهاد بينما إلههم الحاكم قد أبطله وسبوا الصحابة وخصوصا من اطفأ نار المجوسية منهم كأبى بكر وعمر وغيرهما من خيار الصحابة .

والدروز لا يؤمنون بالكيفية التى أخبر الله بها عن بدء الخلق فأنكروا أن يكون آدم هو أبو البشر وحواء أمهم مدعين أن آدم وحواء من نسل بشر أيضا لا أن آدم مخلوق من تراب ، إذ التراب لا يخلق منه إلا العقارب والحيات والخنافس

---

(١) الرسالة الموسومة بالأعذار والإنذار ـ عقيدة الدروز ص١٦٧ .

(٢) أيها الدرزي عودة إلى عرينك ص ٩٠ ـ انظر عقيدة الدروز ص ١٦٩ .

(٣) يؤمن المسلمون بظهور الدابة التى أخبر الله عنها والتى هى من علامات القيامة إذا قرب وقتها.

ولم يستندوا في هذا الافتراء والهوس إلا إلى عقولهم وأفهامهم السقيمة.(١).

٥ - إنكارهم التكاليف

لا يؤمن الدروز بوجوب القيام بتلك التكاليف التى جاء بها الشرع فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية .

وقد جعلوا المكلف طريقة يستطيع أن يتخلص بها من كل تكليف أو عمل وهى ما بينها عنهم د/محمد كامل حسين بقوله:

«واتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية وهى معرفة البارى(٢) وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء».

ثم معرفة الإمام قائم الزمان وهو حمزة بن على بن أحمد وتمييزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة ثم معرفة الحدود(٣) بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم . فإذا اعترف الإنسان بهذه الفرائض التوحيدية الثلاثة أصبح موحدا وليس عليه أن يقوم بتكاليف أى فريضة من الفرائض »(٤) إلى أن يقول بعد ذكره شريعتهم التى نقضوا بها التكاليف(٥) ؛ « ومعنى هذا أن شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية » (٦) .

ويذكر أحمد الفوزان السبب في هذا المسلك للدروز فقال : « ويعتقدون أيضا أنهم موجودون منذ الأزل واعتنقوا كثيرا من الديانات على مر الدهور كان آخرها الإسلام ثم تحولوا عنه إلى دين مستقل هو الدين الدرزى الذى يجدده الأقطاب من زمن إلى زمن » (٧) .

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢ . ٣ « عقيدتهم في الأنبياء » .

(٢) أى الحاكم .

(٣) كبار دعاتهم .

(٤) طائفة الدروز ص١١٨.

(٥) إقرأ ص ١١٧ ، ١١٨.

(٦) الصفحات السابقة .

(٧) أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥١ .

ومن هنا فإن الدروز أخذوا فى الدعوة إلى إسقاط التكاليف بتأويلاتهم الباطنية التى يستندون فيها إلى القرآن الكريم أكثر من كل الفرق وهم لا يؤمنون به فالصلاة والصوم والحج والجهاد لها معان عندهم غير المعانى التى فهمها المسلمون وبينها الرسول ﷺ وغير التى فهمها الإسماعيليون أيضا؛لأن حمزة الزوزنى أراد أن يأتي بشريعة جديدة تبطل كل ما قبلها من الشرائع سواء كانت عقيدة الباطنية أو غيرها من العقائد والتى في أولها الإسلام ولهذا فقد أول النصوص على هواه مجانبا المفاهيم الإسلامية والباطنية أيضا في كتابه «النقض الخفى».(١)

فالصلاة : معناها صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم على يد خمسة حدود هم أنبياء الحاكم الخمسة - حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء الدين على بن أحمد السموقى - وهؤلاء هم أشهر دعاة الدورز ومعرفة هؤلاء وحبهم هى الصلاة عند الدورز أما الصلاة المعروفة عند المسلمين فقد أبطلها حمزة ، ومن هنا فإنهم لا يؤدونها بل وتظاهروا في هذا الزمن - كما يذكر عنهم العارفون بهم - بحرب إقامة المساجد ومنعوها ومنعوا المسلمين الموجودين بينهم من بنائها وأقاموا عوضا عنها الخلوات التى يجتمعون فيها لاقامة طقوسهم .

وهذا المفهوم للصلاة عند الدورز يخالف أيضا مفهومها عند الباطنية الذين يزعمون أن معناها الدعاء إلى الإمام ومعرفة الأئمة (٢).

والزكاة معناها عبادة الحاكم وتزكية قلوبهم وتطهيرها وترك ما كانوا عليه قبل معرفة الحاكم في ظهوره الجديد يقول عنهم محمد كامل حسين :« الزكاة الحقيقية هى توحيد المولى وترك ما كان عليه الناس قديما» (٣) ؛ أي من الأديان بما فيها الإسلام ، بينما الزكاة عند الباطنية معناها أخذ العلم عن الأئمة (٤) .

والصوم معناه صيانة قلوبهم - التى هى من أردأ القلوب - بتوحيد مولاهم

(١) انظر لهذه المعانى « النقض الخفي - نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٨٠ .
(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨ .
(٣) طائفة الدورز ص ١١٨ .
(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٨.

الحاكم وقد ذكر محمد حسين أن الدورز يصومون فى أيام خاصة وهى التسعة الأيام الأولى من شهر ذى الحجة (١) .

بينما الصوم عند الباطنية معناه كتمان أسرار الأئمة (٢) .

والحج معناه توحيد الحاكم لا المجيء إلى مكة والطواف والسعى والرمى والوقوف بعرفة إلى آخر مشاعر الحج بينما هو عند الباطنية طلب العلم والمجيء إلى مشائخهم . (٣)

ولهم كلام في غاية الفحش والاستهزاء بهذه المشاعر التى فرض الله تعظيمها .

والجهاد : معناه السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفته وعدم الاشراك به لا الجهاد الذى فرضه الله لأن الحاكم أبطله في الشرع الجديد .

بينما الجهاد عند النصيرية الباطنية كما يذكر سليمان الأضنى نوعان :

١ ـ أولهما الشتائم على أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وعلى جميع الطوائف المعتقدين بأن على بن أبى طالب أو الأنبياء أكلو وشربوا وتزوجوا وولدوا من نساء ؛ لأن النصيرية يعتقدون بأنهم نزلوا من السماء بدون أجسام وأن الأجسام التى كانوا فيها إنما هى أشباه وليست هى بالحقيقة أجسام .

والنوع الثانى : من الجهاد ـ اخفاء مذهبهم عن غيرهم ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر وهو خطر الموت » .(٤) .

وهكذا فإنهم أرادوا بهذه الأفكار محاربة الإسلام والقضاء عليه بأى وسيلة يستطيعون من خلالها تحقيق أهدافهم الخبيثة وعودة الناس إلى المجوسية وهم ألد أعداء الإسلام والمسلمين قديما وحديثا .

---

(١) طائفة الدروز ص١٢٠.   (٢) فضائح الباطنية ص٥٦.   (٣) بيان مذهب الباطنية ص٨.
(٤) الباكورة السليمانية ص ١٦٤ نقلا عن الحركات الباطنية ص ٣٩٢ .

الفصل الحادي عشر

الدروز في العصر الحاضر

كمال جنبلاط ودوره في تثبيت عقيدة الدورز .

هذا الشخص من كبار الدورز ومن أشد المتعصبين لمذهبه الدرزى وقد أقدم على جريمة كبيرة في هذا العصر حيث بدأ هو وشخص آخر اسمه عاطف العجمي بتأليف كلام يحاكيان به القرآن الكريم زاعمين أنه كلام مقدس تحت اسم المصحف المنفرد بذاته أو مصحف الدورز مملؤ من شتى الأفكار ومن شتى السور من القرآن الكريم .

ومن حكم الهند التى يميل إليها كمال جنبلاط كثيرا بل هى قبلة حجهم إلى وقتنا الحاضر ومن كلام زعمائهم فأصبح خليطا فاسدا يدور كله حول تأليه الحاكم والثبات على العقيدة الدرزية ومع أن هذا المصحف ـ كما يسمونه ـ قد نسب إلى حمزة بن على إلا أن الدكتور الخطيب يرى أنه من صنع كمال جنبلاط بدليل ماجاء فيه من ألفاظ وأسلوب عصري وقد أنكرجنبلاط في مصحفه هذا القرآن الكريم واعتبره فرية وشنع على الذين يلتزمون به وقد نقل الدكتور الخطيب عن هذا المصحف ـ الذى لا يوجد إلا عند الدروز وقد تيسر له الاطلاع عليه فنقل عنه هذه النصوص : « لقد ضل الذين جحدوا الحكمة[1] واتبعوا فرية صحف اكتتبوها فهى قبلة آبائهم يتلونها بكرة وعشيا[2] وقالوا هذا من عند الله المعبود»[3] .

وقال الذين كفروا منكم إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وعليه وجدنا آباءنا قل لو كنتم على الهدى لآمنتم به ولكنكم لا تعلمون غير ما تهواه أنفسكم وأنتم تجهلون نحن أعلم بما في أيديكم ونحن المنزلون لقد ضل هؤلاء الذين

(١) يقصد أهل مجالس الحكمة التى أنشأها الحاكم لتثبيت ألوهيته .

(٢) على رغم أنفه . (٣) إذا ذكر المعبود عند الدروز فانهم يريدون به الحاكم .

يريدون أن يحكموا بالقرآن ويتخذوه سبيلا ثم به يكفرون بعد أن تبين الحق قل أليس الحق أن يتبع[1] » « ويقسم هذا المصحف إلى أربعة وأربعين عرفا ويقع في ٢٦٩ مائتين وتسع وستين صفحة ويقول كاتبه في مقدمته : جرى تقسيم هذا المصحف المكرم وفق المواضيع لتسهيل الاطلاع عليه ووضع لكل فصل تسمية تنطبق مع ما ورد فيه من معان ولقد اخترنا اسم العرف تناسبا مع ما يطلق على أبناء التوحيد : كنيتم بالأعراف ووصفتم بالأشراف » [2] .

جاء في عرف الأمر والتقديم من هذا المصحف قوله : « أنتم وماتعبدون مكبكبون على وجوهكم يوم ينادى منادى مولاكم الحاكم من مكان بعيد . هذا يومكم الذى فيه توعدون تتلوها أيام العذاب أنكم لخالدون ولات محيص ... إلى أن يقول : « وإلا فقولوا لي أيها الضالون المعاندون فهل جاء لكم رب غيره مع جنوده أرونى إن كنتم صادقين» .[3]

وفي هذا المصحف ألفاظ كتبت بالعربية وهى غير معروفة يرونها من الأسرار التى لا يبوحون بها لأحد ومن أمثلتها«يود يلووهكا طران كنان وهقويكان سهى وهطمكل واطغظلوأو هكز كان بطكه وعد ودلولذ وسلر»[4].

وقد ذكر الدكتور الخطيب [5] أمثلة كثيرة من ما جاء في هذا المصحف الذى يدور حول تثبيت ألوهية الحاكم والابتعاد عن كل الشرائع وعلى رأسها الإسلام الذى يتظاهرون به أمام الناس وهم ألد أعدائه .

---

(١) المصحف المنفرد بذاته ، عرف عاقبة المكذبين ص ٢٤١ ، ٢٤٢ وعرف المحرمات ص ١٥٤، ١٥٥ ، الحركات الباطنية ص ٢٨١ .

(٢) مصحف الدروز ص ١ عقيدة الدروز ص ٩٧ .

(٣) مصحف الدروز عرف الأمر والتقديم ص ١٠ - ١١ عقيدة الدروز ص ٩٧..

(٤) عرف شمس المغيب ص ٢٣٠ .

(٥) انظر عقيدة الدروز ص ٩٥ ، ٩٩ وانظر الحركات الباطنية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وقد ظن هذا الملحد أنه بمحاكاته للقرآن الكريم في أسلوبه جاء بشيء ينفع إلهه الحاكم الذى تكلم هو على لسانه بهذا الغثاء الذى يتمنى أن يهدم به الإسلام الذى اكل الحقد عليه قلوبهم وملأوا بالتشنيع عليه كتبهم ومقالاتهم ولكنهم كانوا كما قال أحد الشعراء :

كنا طح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

الفصل الثاني عشر

الفرق بين النصيرية والدروز

يتفق النصيريون والدروز في أمور ويختلفون في أمور أخرى وبين الطائفتين عداوة شديدة لتباين أفكارهم حول دعوى الألوهية لزعمائهم الذين ينتسبون إليهم وقد اتضح من خلال دراستنا للطائفتين فيما سبق الأمور الآتية :

١ ـ أن عقيدة الطائفتين باطنية ـ من الغلاة ـ .

٢ ـ أنهم لا يطلعون أحدا على أسرار مذهبهم وكتبهم السرية .

٣ ـ لا يعترف الدورز لأحد بالدخول في مذهبهم أو الخروج عنه .

٤ ـ لا يأخذون بظواهر الألفاظ وإنما يؤولونها .

٥ ـ كلهم يقولون بالتناسخ ـ ويختلفون في التسمية فالنصيريون يسمونه « تناسخ » والدروز يسمونه « تقمص » والنصيرية يعممونه في كل شيء بينما الدروز يحصرونه بين البشر فقط .

٦ ـ عند النصيرية التناسخ يشمل المسخ(١) والنسخ(٢) والفسخ(٣) والرسخ(٤).

٧ ـ الجسد البشرى في عقيدة الدروز ثوب أو قميص للروح تتقمص به الروح و عند الولادة وتنتقل منه بالموت فورا إلى جسد مولود إنسانى آخر .

٨ ـ الجنة عند الدروز معرفة الدعوة الهادية ـ أى الدعوة الدرزية و الجحيم هو الكفر بها . والنصيريون يقولون بأن الجنة معرفة ألوهية على بن أبى طالب والجحيم هو الكفر بها أو الجهل بها .

---

(١) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسد حيوان .

(٢) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسم آدمى آخر .

(٣) هو خروج الروح من جسم آدمى إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

(٤) هو انتقال الروح من جسم آدمى إلى الشجر والنبات والجماد . انظر طائفة النصيرية صـ ٨٨ .

٩ ـ يتفقون جميعا في اعتبار الحج ظاهرة وثنية وأنه كفر وعبادة أصنام .

١٠ ـ كل هذه الطوائف تتفق في التشديد على التقية والسرية التامة .

١١ ـ الشرك عند الدروز عدم الاعتراف بإفراد ألوهية الحاكم .

وعند النصيرية عدم الاعتراف بإفراد ألوهية على رضى الله عنه .

١٢ ـ يزعم الدروز أن الناس خلقوا دفعة واحدة فهم لايزيدون ولاينقصون كلما مات إنسان تحولت روحه إلى جسم جديد وهكذا .

ومن الجدير بالذكر أن النصيرية انشقت عن الشيعة الاثنى عشرية والدروز انشقوا عن الإسماعيلية .

والنصيرية أقدم من الدروز في الظهور .

وكل طائفة حاولت الابتعاد عن أصلها رغم وضوح تأثرهم فى كثير من أفكارهم بأصولهم الشيعية أو الإسماعيلية إلى غير ذلك من وجوه الاتفاق والافتراق بينهم وكل أفكار الجميع تنضح مجوسية ووثنية تستر أصحابها بالتشيع لأهل البيت وبالاسلام لتحقيق ما يهدفون إليه من إعادة كلمة المجوسية وإظهار قوتها من جديد وهم ألد أعداء أهل البيت وألد أعداء الإسلام والمسلمين والله متم نوره ولو كره الكافرون .

مراجع فرقة الباطنية

أ ـ مراجع الباطنية عموما :

١ ـ فضائح الباطنية ـ للغزالى

٢ ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامى للدكتور / الخطيب .

٣ ـ أسرار الباطنية والفرق الخفية . محمد عثمان الخشت

٤ ـ الباطنيون والحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى للجبهان .

٥ ـ كشف أسرار الباطنية لأبى الفضائل الحمادى .

٦ ـ أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية / لبرنارد لويس .

٧ ـ الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام . يحيى بن حمزة العلوى .

٨ ـ الإسلام فى مواجهة الباطنية / أبو الهيثم .

٩ ـ أعلام الاسماعيلية / مصطفى غالب .

١٠ ـ الاسماعيلية تاريخ وعقائد / إحسان إلهي .

١١ ـ بيان مذهب الباطنية وبطلانه / الديلمى .

١٢ ـ القرامطة / محمود شاكر .

١٣ ـ الإمامة في الإسلام / عارف تامر .

ب ـ مراجع فرقة النصيرية :

١ ـ طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها / د . سليمان الحلبى

٢ ـ الهفت الشريف تحقيق د / مصطفى غالب .

٣ ـ سقوط الجولان / خليل مصطفى .

٤ ـ الجيل التالى / محمد حسين .

٥ ـ العلويون أو النصيريون / عبد الحسين مهدى العسكرى .

ج ـ مراجع فرقة الدروز :

١ ـ المراجع السابقة .

٢ ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة / شيبة الحمد .

٣ ـ عقيدة الدروز / محمد أحمد الخطيب .

٤ ـ التآلف بين الفرق الإسلامية / محمد حمزة .

٥ ـ أضواء على العقيدة الدرزية / أحمد الفوزان .

٦ ـ الدروز محمد الزعبى .

٧ ـ طائفة الدورز محمد كامل حسين

ولا يكاد كتاب فيه بحث عن الفرق يخلو من ذكر هذه الفرق الباطنية .

الباب السابع

دراسة عن البهائية

الفصل الأول

نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالبابية

البهائية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديما وحديثا .

وقبل البدء بالكلام عن البهائية لابد من التطرق أولا وبإيجاز إلى التعريف بالبابية وبيان الصلة ما بين البابية والبهائية التي هي موضوع هذه الدراسة :

والواقع أن البابية والبهائية والشيخية والرشتية حلقات متصلة بعضها بالبعض الآخر وتعتبر الشيخية والرشتية هى النواة الأولى للبابية كما تعتبر البابية هى الدرجة الأولى للبهائية ونبدأ الآن بذكر الشيخية زعيمهم - تعاليمه - نهايته - زعامة الرشتي .

أما الشيخية : فهى الطائفة المنسوبة إلى زعيمها الضال أحد شيعة العراق(١)، ويسمى الشيخ أحمد الإحسائي وهو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي الذي ولد بالمطير من قرى الإحساء في شهر رجب سنة ١١٦٦ هـ، وتوفي سنة ١٢٤١ ، ودفن بالبقيع(٢)، وبعضهم يقول أنه ولد سنة ١١٥٧(٣)، ويعتبر من كبار علماء الإمامية وهو باطنى من الغلاه وله أفكار خارجة عن الإسلام يظهر فيها الاعتقاد بالحلول كما تقدم - وذلك في مثل قوله :

(١) البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٥ .

(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٣٠ .

(٣) البهائية لعبد الرحمن الوكيل ص ٧٣ .

أن الله تجلى في علي وأولاده الأحد عشر ومثل قوله الآخر :

أن عليا وأولاده مظاهر الله ، وأنهم أصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية تعالى الله عن قوله كما يظهر فيها غلو الفلاسفة في قوله أن الأئمة هم العلة المؤثرة في وجود المخلوقات ولولاهم ماخلق الله شيئا كما يظهر فيها الإلحاد وفي قوله أن اللوح المحفوظ هو قلب الإمام المحيط بكل السموات وكل الأرضين وكان ينكر المعاد والبعث كما يظهر فيها كذلك القول بالتناسخ حينما كان يزعم للناس أن المهدى يحل في أى رجل كا ن فيكون له صفة الباب، وأن روح المهدى حلت فيه هو فصار هو الباب إلى المهدى إلى آخر ما قاله من خرافات وإلحاد وهذه الأفكار دليل على تضلعه من مشارب الباطنية الغلاة والفلاسفة الغواة.

إلا أن محمد حسين آل كاشف الغطاء يقول فى ترجمته :

« كان العارف الشهير الشيخ أحمد الإحسائى في أوائل القرن الثالث عشر وحضر على السيد بحر العلوم وكاشف الغطاء وله منهما أجازة تدل على مقامه عندهم وعند سائر علماء ذلك العصر والحق أنه رجل من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم . وكان على غاية الورع والزهد والاجتهاد في العبادة كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه ، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة»(١).

وقد حاول محمد حسين هنا أن يثنى على الإحسائى ويمجده ولكن وقفت أفكار الإحسائى دون استرسال محمد حسين ومن هنا أخذ يعتذر له بأن في مؤلفاته ألفاظ مجملة متشابهة وفاته أن هذا العذر غير مجد للإحسائى فإن الذى حمل الإحسائى على ذلك الألغاز والإجمال إنما هو معتقده المغالى وإذا كان آل كاشف الغطاء يدافع عنه فإن كثيرا من علماء الشيعة غير راضين عنه .

فقد ذكر الدكتور محسن عبد الحميد أن جماعة من علماء الإمامية ذهبوا إلى أن الإحسائى كان فاسد العقيدة منحرفا أوجد طريقة فى مذهب الشيعة

(١) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الإحسائى ص٥ نقلا عن حقيقة البابية والبهائية ص٣٠.

الاثنى عشر والتى سميت فيما بعد بالشيخية وقد ردوا عليه بكتب معروفة متداولة».

ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة كتب لمشاهير الشيعة وهى :

كتاب ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية ـ لمحمد مهدى الكاظمي ـ ، وكتاب هدية النملة للميرزا محمد رضا الهمدان ـ وكتاب رسالة الشيخية والبابية لمحمد مهدى الخالصي وبعد دراسة قام بها الدكتور محسن عبد الحميد لأفكار الشيخية من كتبهم ظهر له أن الإحسائى يلجأ أحيانا إلى التفاسير الباطنية لتأييد وجهة نظره ، وأنه غالى في الأئمة الاثني عشر الذين يزعمهم الشيعة وغالى في الرسول ﷺ ، وزعم أن العلة في وجود جميع المخلوقات هم أولئك حيث خلقها الله من أجل الأئمة . كما زعم أيضا أن الرسول(ﷺ) مخلوق من نور الله وهذا النور عقل واحد يظهر في محمد ثم يظهر في على ثم في الحسن ثم في الحسين ، وأن الزمان لا يخلو من ناطق وأن كلامه فى المعاد غامض مع إيمان بالرجعة وما يتبعها من الحوادث[1] ولكن الشيخ عبد الرحمن الوكيل يبين أن هذه الرجعة التي يؤمن بها الإحسائى ، ليست هى الرجعة المفهومة عند الإثنى عشرية فإنه حكم بموت الإمام الثانى عشر وبأن روحه طارت إلى الملأ الأعلى ولكنها ستعود لتحل مرة أخرى بجميع خصائصها في إنسان جديد تولد ولاده حقيقية من أب وأم جديدين غير والدى الإمام الثانى عشر الغائب المزعوم ولهذا ثار عليه شيعة إيران[2]، وتتضح شخصية الإحسائي وأوهامه من خلال دراسة الرشتية والبابية لأن هؤلاء صاروا على طريقته مع زيادة الغلو الذى استحسنوه لتقوية المذهب وتكامله ولتتم كذلك المؤامرة الرهيبة التى خطط لها هؤلاء ومن وراءهم بهدف القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية وتمزيق وحدتها وتشتيت كلمة أبناء الإسلام وضرب بعضهم ببعض حتى تم لهم فعلا الكثير من ما يريدونه ويعملون

(١) انظر حقيقة البابية ص ٣٠ ـ ٣٤

(٢) البهائية للوكيل ص ٧٤ .

من أجله خصوصا والمسلمون وزعمائهم في جرى حثيث وراء التيارات المنحرفة إلا القليل منهم فلم يتمكنوا من التقاط أنفساهم ولم يتح أعداء الإسلام لهم الفرصة للنظر في الواقع الذى يعيشونه فضلا عن التفكير في رد المخططات الرهيبة التي تحاك ضدهم ، وهم في قلق وصراع مرير وخصام عنيف بينهم وصار القائل :

وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

صار هذا القائل خير منهم لأن الذين أخبر عنهم لم يجدوا عدوا يحاربونه فاشتغلوا بحرب بعضهم بعضا وهؤلاء تركوا العدو يتأهب ويعد العدة واشتغلوا عنه بالقتال والعداوة فيما بينهم .

وما أن انتهيت أيام الإحسائى الذى ألهب مشاعر أتباعه من الشيعة بقرب مجيء المهدى وجعله في أذهانهم قاب قوسين أو أدني ، ما إن انتهت أيامه حتى تولى بعده أعظم تلاميذه وهو الرشتى الذى أسس بعد ذلك جماعة ينتسبون إلى اسمه وهم الرشتية واسمه كاظم الرشتي ولد سنة ١٢٠٥ هـ في بلدة « رشت في إيران»(١) ، وقد سار على نفس طريقة أستاذه الإحسائى وزاد عليه أقوالا كفرية أخرى كانت هى النواة الأولى لظهور البابية بفعل تأثير الرشتي في تلميذه على محمد الشيرازى الذى تزعم الدعوة البابية الهدامة التي ظهرت في إيران البلد المضياف لكثير من الدعوات المناوئة للإسلام (٢) وقد قال بالتناسخ حيث ادعى أنه حل فيه روح الباب كما حل في الإحسائى ولكنه عاف فكرة الأبواب هذه وقفز إلى التبشير بظهور المهدى نفسه وقد روج الرشتي أفكار شيخه الإحسائى وأدخل الكثيرين في مذهبه ، ومذهب الإحسائي وصارت الشيخية فرقة مستقلة(٣) في كثير من الأفكار ويحترم البابيون والبهائيون الإحسائي والرشتي احتراما عظيما ويسمونهما كما يقول ـ محسن ـ بالنورين (٤) .

(١) حقيقة البهائية ص ٣٥ .
(٢) البابية عرض ونقد ص ٤٥ .
(٣) الشيعة والتشيع ٣١٣ .
(٤) حقيقة البابية والبهائية ص ٣٥ .

البابية

١ - زعيم البابية :

زعيم البابية الأول هو علي بن محمد رضا الشيرازى ولد في سنة ١٢٣٥هـ في بلدة شيراز جنوبي ايران مات أبوه وهو طفل فكفله خاله ويلقب بالميرزا وقد نسب بعضهم أسرته إلى آل البيت وهذا غير صحيح والذين أطلقوا عليه هذه النسبة إنما أطلقوها لشيء يريدونه في أنفسهم لكي يطبقوا الروايات التي تذكر أن المهدى يكون من آل البيت أى ومحمد على الشيرازى من أهل البيت وهو المهدى المنتظر حسب خرافاتهم ولم يلتفتوا إلى أن اسم المهدى محمد بن عبدالله كما ثبت بالسنة المطهرة ووالده الشيرازى يسمى محمد رضا وأمه فاطمة بيكم وقد توفي والده وهو صغير فقام بكفالته خاله ويسمى المرزا «علي».

وحين بلغ السادسة من عمره عهد به خاله إلى رجل يسمى الشيع عابد وهو أحد تلامذة الرشتي لتعليمه في مدرسته التي سماها « قهوة الأنبياء والأولياء»، وبعد أن حصل على قسط قليل من التعلم عزف عن مواصلة التعليم فأشركه خاله في التجارة ببيع الأقمشة ـ وتفنن فيها مع خاله الآخر المرزا محمد وكان قد بلغ السابعة عشر من عمره فاتصل به أحد دعاة الرشتية ويسمى جواد الكربلائى الطباطبائى وبدأ يلقى في مسامعه أفكار الشيخية عن المهدى المنتظر ويوهمه بأنه ربما يكون هو نفسه ـ أى على محمد الشيرازى المهدى المنتظر لظهور علامات تدل على ذلك ـ حسب زعمه فوقع الشيرازى في فخه وترك التجارة ومال إلى قراءة كتب الصوفية التي زادته هوسا ومارس شتي الرياضيات حتى أنه كان كما قيل عنه يقف في حر الظهيرة المحرقة تحت أشعة الشمس على سطح البيت مكشوف الرأس عارى البدن مستقبلا قرص الشمس حتى كان يعتريه الذهول والوجوم وتأثر عقله وكان الكربلائى ملازما له يحرضه على هذا المسلك.

فأشفق عليه خاله وأرسله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء بزيارة المشاهد

التي يقدسونها هناك إلا أنه في كربلاء بدأ يتردد على مجلس كاظم الرشتى ويدرس أفكاره وآراؤه الشيخية ، وكان الرشتي أيضا قد وقع اختياره على المرزا ليجعل منه المهدى المنتظر فكان يبشر أتباعه ومريديه وتلاميذه باقتراب الأوان لظهور المهدى ودنو قيام القائم المنتظر ويشير إلى الميرزا على محمد ويبالغ في إكرامه وكثيرا ما يردد شعرا :

يا صغير السن يا رطب البدن   يا قريب العهد من شرب اللبن

وبعد أن أحكمت الخطة بينه وبين مشائخ الرشتية وسفير روسيا في ذلك الوقت والمترجم بها دالجوركي أعلن في سنة ١٢٦٠ هـ ، أنه هو الباب الموصل إلى الإمام الغائب المنتظر عند الشيعة وأن صديقه الملا حسين البشروئي هو باب الباب وهو أول من آمن به وكان عمر الباب الشيرازى آنذاك خمسا وعشرين سنة واعتبر ذلك اليوم عيد المبعث لظهور الباب ودعوته جهرا وآمن بدعوته كثير من زعماء الشيخية وأهمهم ثمانية عشر شخصا جمعهم فى حروف «حي» لان الحاء والياء يعاد لها ثمانية عشر بحساب الحروف الأبجدية ثم وزع هؤلاء فى أقاليم مختلفة من إيران وتركستان والعراق وكان لهؤلاء نشاط فى الدعوة إلى البابية خصوصا زرين تاج بنت الملا صالح القزويني والملا حسين البشروئى والملا محمد علي الزنجابي والملا حسين اليزدى والملا البارفروشى(١).

٢ - صلتهم بالمستعمرين فى ذلك الوقت

لقد واتت الفرصة الذهبية جميع الحاقدين على الإسلام حينما اصطنعوا فكرة الباب لعلي محمد ، وقفوا بكل عزم في نشر دعوته الهدامة فقد سارع زعماء الإنجليز والروس إلى حماية هذه الطائفة بل وإلى مدها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة والهجوم على حكومتهم في أماكن كثيرة ولإرهاب الناس وتوجيههم

(١) انظر البابية المقال الأول ص ٤٥ وانظر البهائية تاريخها وعقائدها ص ٧٥ وانظر حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبد الحميد الفصل الأول المرزا على محمد الباب ص ٣٩ .

إلى قبول هذه الدعوة وفتحت الحكومة الروسية أبواب بلادها للبابية ليعيشوا فيها بكل حرية وراحة ويدبروا المؤمرات من مكان مصون .

وكان للمترجم الروسي « كنياز الجوركي » بالسفارة الروسية نشاط قوى في دفع الميرزا على محمد إلى زعامة البابية وادعاء المهدية ، ثم دفع البها أيضا إلى زعامة البهائية ومناصرته أمام الشاة كما صرح بذلك فى مذكرته(١) وقد قوى أمر الشيرازى وانتشرت دعوته وخافت الحكومة والعلماءمن انتشارها حتى ألقى القبض على الشيرازى وحوكم وقتل .

٣ ـ نهاية الشيرازى

لقد كان للحاكم حسين خان حاكم شيراز مواقف حازمة ضد الباب الشيرازى ورفقته حيث استدرج الشيرازى والآن له القول واعتذر عما صدر منه من إهانة له ولأتباعه سابقا وأوهمه أنه قد تابعه أيضا على فكرة البابية وسائر الدعاوى التى جاء بها الباب ثم استدعى الحاكم العلماء ليقيم عليهم الحجة في صدق الباب كما أوهمه وكان قد عهد إليهم بأن يصبروا في مخاتلة الرجل وأخذ الاعتراف منه بخط يده فى سائر عقائده الباطلة وأوهمه بأن كل من سيجرأ على إظهار الكفر به فسيكون القتل مصيره فاطمأن الباب وحضر مجلس العلماء ثابت الجنان طافي الجرأة ثم بدأ الجميع بقوله « إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتابى البيان فاتلوه واقرؤه تجدوه أفصح عبادة من القرآن . وكظم العلماء ثورتهم ثم طلب الحاكم إلى الباب أن يسجل ما يدعوه إليه كتابة ففعل ذلك ثم نظر العلماء فى ما كتبه الشيرازى فإذا به ينضح كفراً وخروجا عن الإسلام فما كان من الحاكم إلا أن صب جام غضبه على الشيرازى قائلا له : «فلأعذبنك لعلك ترجع عن غيك » ثم ضربه ضربا شديدا وأمر أن يطاف به فى فى الأسواق على دابة شوهاء وأن يعلن التوبة من كفره

(١) البهائية رأس الأفعى ، لمجموعة من الكتاب ص ١٠ ـ ١١ .

على منبر المسجد الكبير .... ثم ارتقى المنبر وأعلن رجوعه عن كل ما ادعاه وأنه على دين الاثنى عشرية لأنه الحق اليقين ثم ألقى به في غيابة السجن[١] ولكن أتباعه ضلوا ينشرون فكرة المهدية والبابية وسائر الأفكار الشريرة وعوام الناس يتناقلونها بكل لهفة لموافقتها هوى في نفوسهم .

ولما تجاوز الأمر الحد وأدرك عامة الشعب الإيراني واستيقظت الحكومة في إيران على مدافع هؤلاء وبنادقهم يقتلون المسلمين ويستبيحون منهم كل ما يشاؤن في معارك دامية واغتيالات متنوعة ويدعون إلى ظهور المهدى وإلى كتابه المقدس اجتمع عدد كبير من العلماء والفقهاء وكفروا الباب وأعلنوا مروقه عن الإسلام ووجوب قتله بالأدلة الدامغة إلا أن حاكم ولاية أصبهان الذى تظاهر بالإسلام ويسمى منوجهر خان الأمرمني وهو صليبى العقيدة والهوى استطاع إخفاؤه فى قصره معززاً مكرمًا ليطعن به الإسلام والمسلمون من الخلف .

وكان الشيرازى يصدر توجيهاته إلى أتباعه من هذا المخبأ إلى أن توفى هذا الحاكم وخلفه جورجين خان فكتب هذا إلى الحكومة فى طهران يخبرهم عن وجود الشيرازي فألقى عليه القبض وأمر الميرزا أقاس رئيس الوزراء أن يعتقل الشيرازى فى قلعة ماه كوومكث معتقلا حوالى ثلاث سنوات .

٤ ـ مؤتمر بدشت[٢] وما تم فيه من خطط

وحينما أحسن البابيون من أنفسهم القوة وكان زعيمهم الباب معتقلا قرروا عقد مؤتمر لهم لبيحثوا فيه .

١ ـ أمر الباب وكيفية خلاصه من السجن حتى ولو بالقوة .

٢ ـ نسخ شريعة الإسلام وإظهار شرائعهم وهذا أهم ما عقد له المؤتمر .

---

(٢) بتصرف عن البهائية لعبد الرحمن الوكيل انظر ص ٨٥ ـ ٨٧ .

(١) بدشت صحراء فى إيران .

وقد تم بالفعل عقد هذا المؤتمر فى صحراء « بدشت » حضر فيه جميع زعماء البابية وكان من بينهم غانية البابيين الخليعة أم سلمى زرين تاج التى كانت تلقب بقرة العين وبالطاهرة وهى ذات جمال فائق وأنوثة ثائرة تستميل بجمالها اغمار الناس .

وكانت هى القوة الحقيقية في الظاهر فى هذا المؤتمر ولها أخبار طويلة لا يتسع المقام لذكرها هنا .

وفى هذا المؤتمر الخليط من الرجال والنساء لا تسأل عما جرى فيه من الإباحية والخمر والفرح والمرح والأفعال القبيحة والتي أقلها إباحة الزنى وجميع ما يشتهيه الشخص ثم أضافوا إلى هذا أيضا إقرار نسخ الشريعة الإسلامية بمجيء الباب الشيرازى باعتبار أنه المهدى الذى ينسخ شريعة محمد ﷺ ودعوى البابية هذه إنما هي ستار لاستجلاب الناس إلى البابية ولأنهم يعتقدون أن الشيرازى ليس فقط أو مهديا بل هو رسول مثل سائر الرسل وله شريعة خاصة به وأقر فى المؤتمر أحكام الخطط لتنفيذ مآربهم بالنسبة لنسخ الشريعة الإسلامية بتحريض شديد من تلك الغانية الملقبة بقرة العين(١) .

وانفتحت على حكومة طهران مصائب كثيرة من البابيين وحروب مشتعلة فرأت الحكومة وعلى رأسها ناصر الدين شاه القاجارى قتل الشيرازى رأس الفتنة فجيء به وأظهر تراجعه ولكن لم يكن لينفعه الاستمرار على خداعه ومراوغته فتقرر قتله وقتل كبار أتباعه المسجونين معه فى صبحية يوم الإثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م ولما علم الشيرازى بهذا الحكم ضده انهارت قواه واسقط فى يده وصار يبكى وينوح وغمره الذهول العميق والشرود حتى فهم أصحابه في السجن أن هناك أمر قد قرر ولكنهم ما أرادوا أن يسألوه فاستفاق بعد منتصف الليل وبدأ يردد أبياتا شعرية منها :(٢)

(١) البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٥ .
(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٣٠ .

تروم الخلد فـــى دار المنـايـا   فكم قد رام مثـلك ما تروم

تنـام ولـم تـنم عنك المنـايـا   تنبــه للمـنية يانـــؤوم

لهوت عن الفناء وأنت تفـنى   فمـا شيء من الـدنيا يدوم

ويروى عنه أنه طلب من يقتله فى السجن في تلك الليلة حتى لا يرى المهانة والذل ثم القتل في صبيحة هذه الليلة وقال لأصحابه لو فعل أحد من الأحباء هذا لكان ما فعله عين الصواب[1] .

ولما استعد لذلك الملا محمـد على الزوزني ارتعد الشيرازى وتراجع حينما رأى سيـفه مسـلولا وبدأ هو وأصحـابه فى النحيب والبكاء وفـى الصبـاح اقتـيد هووالزوزنى وكان يوما مشهودا فقـد احتشد الناس رجالا ونساء وأطفالا من كل مكان ليروا تنفيد حكم الإعدام .

ثم جيء بمجموعة من الجنود وصوبوا بنادقهم إليه فوقع أشلاء ممزقة فيه أكثر من بضعة وعشرين رصاصة لم تخطأ منها واحدة .

ولقد كـان لهذه الحادثة ألم شديد في نـفس قنصل الروس الذى حاول بكل جهـده أن ينقذه ليتم به تنفـيد مآرب الحاقـدين على الإسلام ولقد سـر المسلمون بقتله ونهايتـه فتنته ثم امتد القتل بعـد ذلك إلى جميع زعماء البابيـة مثل قرة العين والكاشاني وغيرهم[2].

وكان قـد استـمر في ضـلالته مـترقيـا من كونه البـاب للمهـدى إلى أنه هو المهدى إلى النبوة وأخيرا إلى الألوهيـة وكان أتباعه ينادونه بالرب وبالإله[3]، وقد

---

(١) البهائية لعبد الرحمن الوكيل ص ٧٣ .

(٢) انظر البـهائية للوكـيل صـ ١٠٧ « نهاية البـاب » ، وانظر البابيـة عرض ونقـد ص ٩٢ « قتل الشيرازى » وانظر دراسات عن البهائية والبابية ص ١٩ « الحكم على الباب بالإعدام » .

(٣) انظر البابية عـرض ونقد صـ ١٨٢ فقد نقل نصـوصا كثيرة في هذا تحت عنوان دعواه الألوهية والربوبية » .

أذله الله فى أماكن كثيرة أمام الناس بعد مناظراته ويضرب ضربا مهينا ثم يبدى التوبة[1]، إلا أن المتآمرين على إثارة التفرقة بين المسلمين والراغبين في الإباحية ونسخ الشريعة الإسلامية كانوا يدفعونه دفعا ويهيئون له الجو الملائم لمثل هذه الدعاوى الكاذبة وقد اسفرت الديانة البابية عن إنكار القيامة وما جاء فى وصفها فى القرآن الكريم وزعم أنها قيام الروح الإلهية في مظهر بشرى جديد وأن البعث هو الإيمان بألوهية هذا المظهر وعن لقاء الله يوم القيامة بأنه لقاء الباب لأنه هو الله وعن الجنة بأنها الفرح الذى يجده الشخص عندما يؤمن بالباب وعن النار بأنها الحرمان من معرفة الله فى تجلياته فى مظاهره البشرية وزعم أنه البرزخ المذكور في القرآن : لأنه كان بين موسى وعيسى .

كما أنه خرج عن تعاليم الإمامية الاثنى عشرة ـ حول مفهوم الرجعة حيث بينها بأنها رجوع الصفات الإلهية وتجليها مع أثارها في مظهر جديد للحقيقة الإلهية ثم ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا فى الجنازة وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب وأن القبلة هى البيت الذى ولد فيه بشيرازا ومكان سجنه والبيوت التى عاش فيها هو وأتباعه وهى نفس الأماكن التى فرض على أتباعه الحج إليها .

وأما الصوم فهو تسعة عشر يوما يصوم الشخص فيه من شروق الشمس إلى غروبها والزكاة خمس العقار تأخذ فى آخر العام من رأس المال ويدفع للمجلس البابى المكون من تسعة عشر عضوا ، وأما الزواج فهو إجبارى بعد بلوغ الحادية عشر ويكفى رضا الطرفين ويجوز وقوع الطلاق تسعة عشر مرة وعدة المطلق تسعة عشر يوما وعدة المطلقة خمسة وتسعون يوما وإذا تزوجت الأرملة فيجب دفع الدية كاملة على من يتزوج بها وليس في دين البابية نجاسة لشيء لأن اعتناق البابية يطهر من كل شيء ، ويجب دفن الميت في قبر من البلور والمرمر المصقول

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٠ / ١٨٠ .

ووضع خاتم في يمناه منقوش فقرة من كتاب البيان .

والميراث يكون لسبعة أشخاص من القرابة هم الولد والزوج والزوجة والأب والأم والأخ والأخت والمعلم .

والعيد الرئيسى عند البابية هو عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوما كما أنه يجب على البابي أن يستقبل الشمس بالسلام فى صباح كل يوم جمعة

وقد حرم الباب على أتباعه قراءة القرآن ووجوب إحراقه وسائر الكتب المخالفة ومن هنا قاموا بإحراقها كما اعتبروا كل من لم يدخل فى دينهم كافراً حلال الدم(١) .

٥ ـ الكتاب المقدس للبابية

كتب على محمد الشيرازى كتابه الذى سماه البيان وهو كتاب « البيان العربى » الذى زعم فيه أنه منزل من عند الله وأنه ناسخ للقرآن وأنه أفضل الكتب المنزلة على الإطلاق بل وتحدى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله وهذه بعض الأمثلة لهذا الكتاب الذى لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله على حد زعم الشيرازى (٢) .

قال الشيرازى فى بيانه المزعوم فى اللوح الأول من آيات الوحى « شئون الحمراء » :

---

(١) توجد تعاليم البهائية مبينة فى كثير من الكتب انظر البهائية للوكيل ص ـ١١٧/١٢١، ومنها ذكرت تلك المسائل المختصرة وانظر البابية عرض ونقد المقال الثالث ص١٨٧ «شريعة الباب وتعليماتها» .

(٢) قال الدكتور محسن عبد الحميد فى كتابه حقيقة البهائية والبابية ص ٤٠ إذا أردت تفصيل حياة الميرزا فراجع مطالع الأنوار ، ومفتاح باب الأبواب ، والبابيون والبهائيون والكتاب الأول مؤلفه يسمى محمد زرندى والثاني مؤلفه ميرزا محمد مهدى خان والثالث مؤلفه عبد الرزاق الحسنى واسم الكتاب كاملا البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم .

١ ـ إنا قد جعلناك جليلا للجالين وإنا قد جعلناك به عظيماعظيمانًا للعاظمين وإنا قد جعلناك نورا نورانا للنورين قد جعلناك رحمانا رحيما للراحمين وإنا قد جعلناك تميما للتامين إلى أن يقول : قل : إنا قد جعلناك مليكانا مليكاً للمالكين قل إنا قد جعلناك علينا عليا للعالين قل إنا قد جعلناك بشرانا بشيرا للباشرين(١) .

٢ ـ ومن قوله : « تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ تبارك الله من بدء مبتدأ بديئ تبارك الله من فخر مفتخر فخير تبارك الله من قهر مقهرقهير تبارك الله من غلب مغتلب غليب إلى أن يقول وتبارك الله من وجود موجود جويد(٢) .

وقال متحديا الإنس والجن على أن يأتوا بحرف من مثل ما في بيانه المنزل من الله بذعمه « يوم نكشف الساق عن ساقهم ينظرون إلى الرحمن وذكره في الأرض المحشر قريبا : فيقولون يا ليتنا اتخذنا مع الباب سبيلا إمامكم هذا كتابى قد كان من عند الله فى أم الكتاب بالحق على الحق مشهود لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب بالحق على أن يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق ظهيرا فوربك الحق لن يقدروا بمثل بعض من حروفه ولا على تأويلاته من بعض السرقطميرا(٣) ، إلى آخر هذا الهذيان التافه الذى فضله على كتاب الله المنزل على محمد ﷺ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هذا فقط بل تحدى الجن والإنس ومثلهم معهم أن يأتوا ببعض الحروف التى وردت فيه وحينما يقارن الإنسان بين كلام الله عز وجل وكلام مثل هؤلاء السخفاء الدجاجلة يتبين له نور الحق وبضدها تتميز الأشياء وبعد أن انتهى أمر الباب الشيرازى قام صراع حاد جدا

---

(١) انظر مفتاح باب الأبواب صـ ٢٨٢ نقلا عن حقيقة البابية والبهائية ص ٩٩

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) انظر تاريخ البابية للدكتور ميرزا محمد مهدى خان ص ٣٠٩ نقلا عن البهائية للوكيل ص ٨٠ وانظر كتاب البيان للشيرازى منقولا بكامله فى كتاب خفايا البهائية .

على تولى الزعامة البابية وما بعدها بين حسين على المازندرانى وزعماء البابية متمثلة فى أخيه صبح الأزل وقد أخذ حسين على المازندرانى منها نصيب الأسد وهزمت البابية على يديه شرهزيمة فى أحداث طويلة قد لا تكون من الضرورى سردها هنا كاملة بل نشير إلى أهم ما وقع فيها فيما يأتى .

٦ ـ هزيمة البابية

لقد خاض البهائيون بزعامة حسين المازندراني مواجهات عنيفة وجدال كبير وسفك دماء وتآمر وأحيانا خداع ومراوغة البابية .

وكان من حظ البهائية العميلة أن وقفت معها اليهودية العالمية بالتأييد وتهيئة الظروف لانتشارها وأماتة البابية الأزلية أتباع يحى صبح الأزل الذى أخذ الزعامة بعد الباب الشيرازى بوصية من الشيرازى له فاختطفها منه أخوه حسين المازندرانى ولقد هاجم المازندرانى أخاه صبح الأزل وأتباعه بكلام طويل زاعما أنه من وحي الله وكلامه ، وأنه هو المظفر الإلهى وصاحب نسخ الديانات كلها .

وزعم أن البيان الذى ألفه الشيرازى وأكمله صبح الأزل إنما كان من وحيه هو «فاعتبروا يا أولى الألباب » .

وفسر هو وأتباعه وصية الشيرازى بالبابية إلى يحيى صبح الأزل بأنها خطة لتحويل أنظار الناس عن المازندرانى لخوفهم عليه في ذلك الوقت ونشطوا في بث الدعايات السيئة ضد البابية الأزلية .

وقد ظل صبح الأزل يواصل بث الدعاية ضد البهائية بكل وسيلة وهو فى منفاه فى جزيرة فاماجوستا بقبرص وألف المؤلفات الكثيرة في بيان كذب المازندراني ونشر الدعايات ضده إلا أن الأمور كانت تسير في غير صالحه إلى أن هلك في سنة ١٩١٢ م عن اثنتين وثمانين سنة .

بعد أن أوصى بالأمر من بعده لابنه الميرزا محمد هادى مع أنه ما كان له ما

يوصى به[1] ، وقد تفرق بقية أتباعه بعد ذلك وانتهت البابية التى لا حقتها مطاردة البهائية في كل مكان وصلت إليه البهائية .

ولم يفد البابية شيئا ذلك الوحى الذى لفقه زعيمهم الشيرازى حين قال فى كتابه البيان : « لا إله إلا أنت لك الأمر والحكم ، وأن البيان هدية مني إليك حيث فسر البابيون هذا الكلام على أنه موجه إلى يحيى صبح الأزل بينما العجل حسين كما سماه أخوه صبح الأزل جاء فى حقه قول يحي « خذوا ما أظهرنا بقوة وأعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون » على أن الإثم والعجل المقصود بهما حسين المازندرانى[2].

لقد أفنى حسين المازندراني اتباع يحى صبح الأزل بحد السلاح ولم يأخذه فيهم أى إحساس بالرحمة أو اللين لأنه فى عجل شديد للوصول إلى مايهدف إليه من آماله العريضة ولما كان الغرض يتعلق بدراسة البهائية وآرئها وبيان ما وصلت إليه من نفوذ وانعكاسات فى العالم الإسلامى فإننا نكتفى بذكر الإشارات السابقة فى بيان نشأة البهائية التى قامت على انقاض البابية التي قامت هي الأخرى على اكتاف الرشتية بتأسيس من الشيخية الضالة .

فمن هى البهائية وكيف قامت ؟

---

(١) انظر قراءة فى وثائق البهائية ص ٦٩ / ٧٧ .
وانظر البابية عرض ونقد ص ٢٦٦ / ٢٦٨ .

(٢) انظر تاريخ البابية ص ٣٦٧ / ص ٤٣٤ للدكتور ميرزا محمد خان نقلا عن البهائية للوكيل ص ١٣٢ .

الفصل الثانى

خطر البهائية

قبل الدخول فى تفاصيل أمور البهائية ينبغى حسب ما أرى أن نذكر ما أجمع عليه العلماء العارفون حقيقة هذه الطائفة من شدة خطرها على المسلمين وما تبيته لهم من نية السوء .

ذلك أن البهائية هى إحدى الحركات الهدامة التى احتضنتها الصهونية العالمية لهدم الأديان وخصوصا الدين الإسلامى وقد عرفنا فيها سبق أنها وريثة البابية بعد هلاك الشيرازى بعد أن احتدمت بين البابية والبهائية تلك الخلافات على السلطة والزعامة الدينية حيث خرجت البهائية منها هى المنتصرة فى النهاية.

وقد تسربت البهائية إلى أذهان كثير من الناس فى أثواب براقة وأساليب مختلفة ولقد كان لهم دور بارز فى مصر ونشاط أقلق الرأى العام فى سنة ١٩٧٢ م وكتب عنها حينذاك رجال الفكر في الصحف والمجلات وتمت محاكمة البهائيين واتضح أنهم فئة خارجة على جميع الأديان السماوية وتحت زعامة نبيهم المزعوم أو ربهم بهاء الله الذى حول الحج إلى المزارات البهائية فى إسرائيل واخترع له شريعة من أفكاره وحول الكعبة إلى المكان الذى هو فيه ولهم نشاط ظاهر فى محاربة جميع الأديان وأهمها الإسلام كما أن لهم نشاط خفي ومنشورات تدعو إلى نبذ الإسلام في البلدان التى يخافون فيها من بطش المسلمين بهم .

ولهم شهور تخالف الشهور الإسلامية وعادات تخالف العقائد الإسلامية ومحافل وخلايا مندسة ومبثوثة بين صفوف المسلمين ولقد حوربت البهائية .

واعتبرت عدوة الأديان جميعا وحر نشاطها في كل من مصر وتركيا وإيران بعد اطلاع علماء هذه البلدان على نوايا هذه الطائفة المجرمة عملية الصهيونية

العالمية منذ أن تزعمها المازندراني الذى زعم لنفسه ألقابا وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل تبعا لشيخه الشيرازى الذى زعم قبل أن يقتل شر قتله بأنه المظهر الإلهى حيث حلت فيه الحقيقة الإلهية أتم حلول وأنه أيضا حقيقة كل نبى وقديس ورسول بل هو الله نفسه[1] ، ثم جاء البهاء وأغرق فى الزيادة على تلك الأوصاف كلها وزعم تلك المزاعم كلها ،وزاد عليها ما جادبه خياله الواسع في التعالي حيث زعم أن الباب نفسه إنما جاء هو وسائر الرسل للتبشير بمجيء البهاء فهو الممثل الوحيد لبهاء الله عز وجل الذى هو متمثل به تعالى الله عن إلحادهم[2].

---

(١) انظر البهائية للوكيل ص ١١٩ نقلا عن الكواكب الدرية جـ ١ / بهاء الله والعصر الجديد ص ٢٨ للدكتور جون اسلمنت .

(٢) انظر دراسات عن البهائية والبابية ص٢١ .

الفصل الثالث

زعيم البهائية

١ ـ مؤسس هذه الطائفة يسمى حسين على وأبوه يسمى عباس بزرك النورى المازندراني .

٢ ـ ولد حسين على النوري المازندراني في قرية من قري المازندران في إيران تسمى نوروقيل ولد في طهران في سنة ١٢٣٣ هـ .

وحين ظهرت البابية لم يكن هذا الرجل معتبرا من حروف « حى » التى نظمها الباب الشيرازى ولا كان له ذكر مشهور فى أول قيام البابية وقد اعتنق البابية سنة ١٢٦٠ هـ وهو في السابعة والعشرين من عمره .

وقد وجد فى نفسه على الباب الشيرازى إذ لم يجعله من حروف حي أى صفوة زعماء البابية بل جعل أخاه يحيى صبح الأزل منهم ولكن المازندراني استطاع كظم غيظه وأسر ذلك في نفسه على الباب إلا أنه ظل يتحين الفرص للظهور ووجد فرصته حينما عقد البابيون مؤتمرهم في صحراء بدشت حيث هيئ للمؤتمرين كل وسائل المتعة والترف واستحوذ على قرة العين غانية البابيين واستحذوت هى الأخرى عليه وكانا أساس المؤتمرين وأهم البارزين فيه إلا أن المازند راني كان يخفي نفسه في أول المؤتمر ليتحاشى الخصومة مع المؤتمرين ولكنه ظهر في آخر المؤتمر ليقطف ثمرته حين كانت قرة العين كما سماها الشيرازى تصر على نسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة البابية وحينما تأزمت الأمور بينهما وبين بقية المؤتمرين تدخل المازندراني لصالح قرة العين وأخذ يقرأ سورة الواقعة ويفسرها بتفسيرات باطنية ويزعم لهم أن القرآن نفسه فيه إشاره قوية لنسخ شريعة الإسلام بشريعة الباب فاجتمعت الكلمة على طاعة قرة العين التي جعلت نفسها بعد ذلك طائعة للمازندراني تمام الطاعة ولقبته على أحد الأقوال ـ بهاء الله أو لقب نفسه هو بهذا اللقب بعد أن تعاظم

نفسه[1]، أو لقبه اليهود لتحقيق ما في كتبهم من ذكر بهاء الله ورب الجنود الذى يقيم دولتهم[2]، عند ما يأتي .

ثقافته :

تلقي المازندراني العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير،وتزعم كتب البهائية أنه كان يتكلم في أى موضوع ويحل أى معضلة تعرض له ويتباحث في المجامع مع العلماء، ويفسر المسائل العويصة الدينية وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.[3]

وكان شغوفا بما يتعلق بالمهدى وأخبار المهدى وقراءة كتب الصوفية والفلاسفة والباطنية إلا أنه حينما أعظم في نفسه وجاء بتحريفاته الإلحادية زعم أنه أمي لا يعرف شيئا ولكن الله ألهمه العلوم والمعرفة جميعا[4] ، وكتب ما كتب من أقوال تعد من أشنع الكذب ـ وكمان محبا مائلا لأقوال الصوفية وشطحاتهم ـ إلى أفكار البراهمة والبوذيين والباطنية والمانوية وغير ذلك من المذاهب التي كان يغترف منها مدعياً أن كلامه وحي وظهور لكلام الله تعالى ولقد ذكر العلماء أقوالا شنيعة في تناقض المازندراني حين إدعى أنه أمي مع ما لفقه في كتبه من أقوال الناس[5].

عمالته هو وأسرته لأعداء الإسلام والمسلمين :

كانت أسرته عميلة وفية للروس . فقد كان أخوه الأكبر كاتبا في السفارة الروسية وكان زوج أخته الميرزا مجيد سكرتيرا للوزير الروسي بطهران .

---

(١) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٠٥ « الفصل الأول » .

(٢) انظر البهائية تاريخها وعقيدتها ص ٣٢٤ .

(٣) البهائية نقد وتحليل ص ٨ نقلا عن « بهاء الله والعصر الجديد ص ٣٢ .

(٤) انظر المصدر السابق وما نقله من كتب البهائية ص ٧ / ٩ .

(٥) انظر كلامه في المصادر التي جمعها إحسان الهي رحمه الله في كتابه البهائية ص١٠/١٣.

ولذلك كـان الجاسـوس الروسي كنييـازد الجوركي من بناة البابيـة الأوائل وليس الروس وحدهم في هذا الميدان بل إن اليهود أيضا دخلوا في خـدمة هذه النحلة أفـواجا مع شـدة تعصب اليـهود لدينهم ولجنسـهم واحتـقارهم الآخـرين وهدفـهم واضح من هـذه المسـارعة وهو دعم هذه النحلة ظـاهرا ليـوجـهـوها لخدمتهم كما تم ذلك بالفعل وبالتعاون أيضا مع سائر أجهزة التبشير العالمي .

وإلا فمتى كـان اليهود يحبون خدمـة الإسلام والمسلمين على حد من يزعم أن البهائيين مسلمين . لقد أدرك اليهود وهم يسعـون حثيثا لامتلاك دولة باسمهم أن أى دعوة تقبل فكـرة محو الجهاد في سـبيل الله تعالى وتستـهجنه ادركوا أن هذه الدعوة هى إحدى الروافد التي تمد هم بالقوة .

فكيف إذا كـانت تلك الدعـوة إنما تقـوم من الأساس على أكـتـاف اليهـود وعلى تجمـعهم في فلسطين فـإن المازندراني نفسـه قال في الوحي الذى زعـمه: «قل تاالـله الحق ان الطور يطـوف حـول مـطلع الظهـور والروح ينـادى من فى الملكوت هلمـوا وتعالوا يا أبنـاء الغرور . هذا يوم فـيه سـر كرم الله شـوقا للقـائه وصاح الصـهيون قـد أتى الوعد وظهر مـا هو المكتوب في الواح الله المتـعالى»، وهذا النداء انما هو موجـه الى اليهود ليعودوا من كل مكان الى إمتلاك فلسطين وغيـرها وإقامة دولتهم وجـاء إبنه اوعبده ـ كمـا سمي نفسه ـ عـباس عبد البـهاء فأجلى الحقيقة بما لا وضوح بعده فقال :

« وفي زمان ذلك الغصن الممتاز. وفي تلك الدورة سيجتمع بنوا إسرائيل في الأرض المقـدسة وتكون أمـة اليهـود التي تفرقت في الشرق والغـرب والجنوب والشمال مجتمعة».

إن هذا الكلام ليس أخبار بالمغيبات ولكنه إخبار عن مؤمرات محكمة لعودة اليهود وتجمـعهم في الأرض المقدسة عاش عبد البهـاء ووالده من قبله أول خيوط تنفيـذ ها ولا يزالون إلى اليوم يـعملون على إخراجـها ليـلا ونهارا وسـرا وإعلانا

وتاريخنا في هذا العصر إنما هو شاهد على نجاح تلك المخططات بكل وضوح وشاهد على جرم البهائية ومسايرتها لليهودية وشاهد على حقدهم على الإسلام وأهله لقد إمتزجت أفكار البهائية بأفكار اليهود وأصبح لليهود فضل كبير على عميلهم البهاء فقد آزروه وآووه وهيئوا السبل لنشر أفكاره .

وكان على البهاء أن يرد جميلهم هذا بأن يضم فكره إلى أفكارهم ويجهد لهم عقول الناس لتقبلهم وأيضا باستعمارهم للناس ونجد ذلك متمثلا في الأمور الآتيه:

١ ـ ادعى اليهود أن الموجود بأيديهم في الكتاب المقدس حسب زعمهم من البشارات بنبي يبعث بعد موسى وعيسى ليس هو محمد عليه السلام بل إن تلك البشارات انما تشير إلى نبى يبعث في القرن التاسع عشر القرن الذى ظهر فيه البهاء ـ وأن تلك البشارات انطبقت تماما على البهاء في زمنه وأن نصب خيام البهاء على جبل الكرمل قد أشارت إليه التوراه والإنجيل . وأن اليهود في زمن النبي عليه السلام إنما أقروا له[1] بالنبوه واعترفوا بإثبات البشارات به تملقا واتقاء له كما يفترون وهذا هو السبب في زعمهم الذي قوي في الرسول عليه السلام الاعتقاد بأن أهل الكتاب أخفوا البشارات التي جاءت فيه . أى حينما لم يصارحوه بأن هذه البشارات إنما تنطبق فقط على رجل سيأتي فيما بعد ذلك وليس هو محمد ﷺ .

ومن هنا قام الميرزا حسين المازندراني مدافعا عن اليهود والنصارى ومبطلا ما وضحه القرآن من تغيير أهل الكتاب للنصوص المثبته لنبوة محمد عليه السلام واخفائهم لها .

فزعم أن هذا الفهم لتحريف أهل الكتاب إنما هو فهم الهمج والرعاع يقصد علماء المسلمين ، وأن التصحيح كما يزعم هو أن التحريف الذى وقع فيه

(١) أي الذين آمنوا واعترفوا بنبوته وبثبوت البشارات والوصف الذي له عليه السلام في كتبهم .

اليهود إنما هو تفسيرهم للفظ الدال على نبوة محمد عليه السلام إلى تفسير آخر لايدل عليه وإلا فهم حسب رأيه لم يغيروا ولم يبدلوا ثم شبه حال اليهود فى امتناعهم عن التسليم بصفاة الرسول محمد عليه السلام مجال المسلمين الذين لم يؤمنوا بدعوة البهاء وفسروا النصوص لغير صالحه وصالح دعوته الممقوته ، وهذه الفرية الكاذبه يعرف بطلانها كل من شرح الله صدره وآمن بما جاء في القرآن الكريم وتفهم معاني نصوصه فيعرف أن ما ذكره عن تحريف أهل الكتاب وتغييرهم له بحسب أهوائهم هو تفسير منه حسب هواه وفجوره .

٢ ـ هيأ اليهود لعميلهم في عكا قصر البهجة الذى صار بعد ذلك مهوى أفئدة البهائيين وقبلتهم وكعبتهم الجديدة حسب أمر الله وإرادته كما يزعم البهاء.

٣ ـ اشتمل كتابه الأقدس على بشارات للصهاينة وإستيطانهم في فلسطين وصا غ ذلك بعبارات توحي بأنه من علم الغيب وليس من معرفته بسر المؤامرات.

٤ ـ دعا في كتابه المذكور إلى تحريم الجهاد وذلك بتحريم حمل آلات الحرب مطلقا وأن الشخص خير له أن يكون مقتولا لا قاتلا فلا جهاد في عهده لليهود ولا لغيرهم . ولتمييع شعلة الجهاد في نفوس الرجال أباح لهم لبس الحرير في نص واحد دل على تحريم الجهاد وإباحة لبس الحرير وهذا النص ظاهر الدلالة على الدعوة إلى الميوعة والخمول فإذا كان الرجل يلبس الحرير ويظهر النعومة ولا يحدث نفسه بالجهاد بل بالهرب منه فأى رجولة تبقى له . بعد هذا وبعد لبسه الحرير[١]، فحال مثل هذا أخطر من اليهود .

ولم تقتصر عمالة المازندراني لليهود فقط فقد ظل على اتصال وثيق بالدول الأجنبية المعادية للاسلام وعلى رأس هؤلاء الانجليز كبار المجرمين العالميين الذين نكبوا المسلمين بما لم يصل إليه أحد غيرهم ، لقد عرف الانجليز كما عرف اليهود أن قيام حركة المازندراني وإنتصارها إضافة جديدة إلى رصيدهم من

(١) انظر كتاب قراءة في وثائق البهائية ص ٨٩ عنوان « حلف الشيطان » .

الأسلحة الفتاكة بالعالم الإسلامي .

وقد أتم عبد البهاء ماكان أسسه الطاغوت الكبير من خدمة الانجليز فلقد مسخ الانجليز عبد البهاء وسام الامبراطورية البريطانية في احتفال أقامه الحاكم البريطاني « للنبي » في بيته والقي كلمة شكر فيها عبد البهاء وأنعم عليه بلقب «سير» فكان يدعو لهم بالنصر والتأييد ظاهرا وباطنا ومن هنا فلا عجب حين تعلم أن الإنجليز قد خططوا ونفذوا بكل ما في وسعهم لقيام الحركة البهائية بالأموال وبالتأييد المعنوى وبتسهيل تنقل البهائيين وتخدير كل من يفكر في صد طغيانهم على غرار ما فعلوه مع عميلهم في الهند غلام أحمد لأن الهدف واحد والغاية واحدة لكلا العميلين وفي دراسة القاديانيه نصوص كثيرة عن هذا العميل القادياني وتبجحه بخدمة الانكليز وإخلاصه لهم ظاهرا وباطنا وأن عقيدته ستتسع باتساع ملك بريطانيا وقد أكد هذا المفهوم هو وخلفاؤه كلهم ولا يزالون عليه إلى يومنا الحاضر .

ولم يكتف المازندراني بالعمالة للانجليز واليهود بل كان على اتصال وثيق بالروس وكانوا يقدمون له المساعدة والرعاية بسخاء ، ولا أدل على ذلك من وقفة السفارة الروسية حين تحمست لحمايته عند ما عزمت الحكومة الإيرانية على تقديمه للمحاكمة حينما قامت محاولة من جانب البابيين لقتل الشاه انتقاما لقتل زعيمهم على محمد الشيرازى فاتهم النورى بالتآمر على ذلك فآوته السفارة وحذرت ملك إيران ناصر الدين شاه من المساس به بل وقدمت السفارة الحجج على براءة عميلهم من تلك المؤامرة الفاشلة التي دبرها زعماء البابية لاغتيال الملك.

ويتضح من اعتناء الروس به أنهم اختاروه لعمالتهم بعد قتل الشيرازي واشتروا ضميره وقرروا أن يجعلوه رئيسا للبابيين بدل أخيه صبح الأزل الذي كان يقل عنه مكرا ودهاءا ، ولأجل ذلك كان تنحية صبح الأزل عن المسرح

وإقامة حسين المازندراني مقامه لما رأوا فيه من الدهاء والذكاء والمكر ومسايرة الأمور المماشاة مع الأحوال والظروف .

وحينما كان المازندراني في إيران كان وجوده هناك يشكل حركة خطيرة ولهذا أحست الحكومة أن خطره يتزايد فطلبت من الحكرمة العثمانية نقله إلى داخل الأمبراطورية التركية فنقل إليها وبدأ يجهر بدعوته البهائية فعارضه أخوه صبح الأزل بعد أن أحس أنه يحتطب لنفسه ويريد إقصاء صبح الأزل ومن هنا بدأ الشقاق بين الأخوين وبدأ الميرزا حسين على يدبر المؤامرات ضد المخالفين له ، وبعد ظهور الخلاف بين الأخوين واتباع كل منهما رأت الحكومة أن تبعد كل واحد عن الأخر فنفت البهاء إلى فلسطين ويحى صبح الأزل إلى قبرص .

فلقي حسين على في فلسطين التأييد الكامل من اليهود الذين كانوا يحاولون في تلك الاثناء إقامة دولتهم وإسقاط الحكم العثماني .

وقد تدرج المازند راني في دعواه ، فبدأ يبشر بأنه هو خليفة الباب الشيرازي وحده ثم ادعى أنه هو الباب ثم انتقل إلى دعوي أن الباب لم يأت إلا ليبشر به كما كان يوحنا مبشرا بالمسيح ثم ادعي أنه هو نفسه المسيح الذي بشر عنه وأنه هو النبي والرسول إلى الناس .

ولما وجد آذانا صاغية لتلك الافتراءات لم يكتف بما ادعاه سابقا بل تاقت نفسه إلى دعوى الألوهية وأن الله ظهر في صورته تعالى الله عما يقول الظالمون.

وكان إذا مشى في الطريق أسدل على وجهه برقعا لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي في وجهه وقد نشرت صورته في بعض الكتب مبرقعا وكتابه الأقدس مملوء بالدعوة إلى ألوهيته وتصرفه في هذا الكون كما يريد ، وزعم أن الرسل من أولهم إلى آخرهم لم يبعثوا إلا مقدمة بين يدي ظهوره المتمثل في ظهور الله

تعالى قريبا من خلقه [1].

هذه بعض الأخبار التي ذكرها العلماء في كتبهم عن عمالة هذا الشخص والأدوار المرتبة التي عاشها هو وخلفاؤه في أحضان أعداء الإسلام في وقت توالت فيه الضربات من كل جانب على الدوله التي كانت تمثل العالم الإسلامي والتي كانت هي الأخرى تدنو إلى نهايتها رويدا رويدا في الوقت الذي نشط فيه حثالات الناس وكبراء اللصوص وأصحاب المطامع والأخيلة المريضة وساسة الشر والحقد لاقتسام تركة الرجل المريض في هذا الجو الخانق والظلام الحالك استطاع هؤلاء أن يصطادوا في الماء العكر ؛ أي في غفلة من الحراسة الإسلامية وانشغال الدولة الإسلامية بمشاكلها التي افتعلها أعداء الإسلام ليشغلوهم بها في عقر دارهم.

ولقد ظهر لي من خلال دراستي عن البهائية وأقوالهم ومواقفهم والتفاف اليهود حول البهاء المازندراني ومساعدته ونشر أفكاره وقيام بعض كبراء اليهود بتأليف الكتب في تثبيت عقائد البهائية والدعاية لها ظهر لي من هذا وغيره رأي لم أجد من أستند إليه في ذكره ولكن لا يمنع أن أذكره ليكون محل لفت نظر وهو أن أصل البهاء لا يستبعد أن يكون يهوديا من يهود إيران استنادا إلى ما سبق وإلى مسارعة اليهود للدخول في نحلته وسماحهم له أن يتلاعب بنصوص كتبهم المقدسة ويفسرها بأنها بشارة به ثم يؤيده علماؤهم على هذا الفهم مع شدة تعصب اليهود ضد الجوييم أو الأمميين كما يسمونهم ولهذا ساعده اليهود بكل قوة ونشروا أفكاره بكل وسيلة .

---

(1) انظر البهائية نقد وتحليل صـ ١٩ / ٢٦ وص ٣٠٩ / ٣٥٢ ، وانظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٧١ / ١٨٥ ، وانظر البهائية وتاريخها وعقيدتهاص ٣٢٣ / ٣٣٤ ، ولقد توسع غفر الله له في إبراز الصلة الخبيثة بين اليهود وبين هذه الطائفة بالأدله الدامغة وابطل فيها مكر البهائية وتظاهرهم بالإسلام ، وانظر « خفايا الطائفة البهائية ص ١١٠ وص ١١٩ وص ١١٧ .

وفاة المازندراني

وبعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر أصابته الحمى وقيل أنه جن في آخر حياته وكان ابنه عباس عبد البهاء يعمل كحاجب له فاستأثر بالأمر وأغرق على الجماعة الأموال فأحبوه . وحين اشتدت الحمى بمدعي الألوهية جاءه القدر المحتوم فمات في سنة ١٣٠٩ هـ .

ودفن قرب منزله في عكا وقيل في حيفاء ، وكان قد زعم أن غروب شمسه أي موته لم يكن إلا لحكمة وأنه مع أتباعه يراهم ويؤيدهم وينصرهم بالملائكة المقربين ، وقد أوصى بالخلافة من بعده لابنه الأكبر عباس وبعده للأصغر منه الميرزا محمد علي وكتب بذلك كتابا وختمه بختمه إلا أن الأمور لم تسر على هذا الوجه فقد استولى عباس على الأمر كله ولم ينفذ وصية والده ونشبت بين الأخوين خلافات هائلة أعادت إلى الأذهان تلك المؤامرة التي قام بها والدهما مع أخيه صبح الأزل وما حصل بينهم من المهاترات والنزاعات الشديدة فكان هذا خير خلف اتنفيذ خيانة سلفه بتمامها وهذا لا غرابة فيه ذلك لأن أساس هذه الملة إنما قام على الخيانة والغدر والكذب من أول يوم .

وعن موت هذا الإله المزعوم يقول الدكتور جون أسلمنت قضى بهاء الله أواخر أيامه على الدنيا بكل هدوء وسكون وصعد ـ لم يقل ومات ـ بعد إصابته بالحمى في ٢٨ مايو سنة ١٨٩٢ م في سن الخامسة والسبعين .

وقال الجلبائيجاني : « وصعد الرب إلى مقر عزه الأقدس الأعلى وغابت حقيقته المقدسة في هويته الخفية القصوى وكانت هذه الحادثة في ثاني شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ ، وسادس عشر من شهر مايو سنة ١٨٩٢ م » (١).

قال عبد الرحمن الوكيل في بيان معنى كلام الجلبائيجاني :

---

(١) الحجج البهية ص ١٣ نقلا عن المصدر السابق .

« يشير إلى أن روح الله التي زعم أنها كانت حالة في البهاء عادت إلى حالة التجرد من الجسمية »[1].

وقال عن هلاكه بجرثومة الحمى :

« ولم يستطع رب البهائية الأكبر ـ وحوله كل تلك القوى ـ أن يصمد في حومت ذلك الصراع الرهيب الذي دار بينه وبين خلق رقيق ضعيف كانت تزعم البهائية أنه من صنع ربها الملعون فانهار ربها فاغر الفم من الرعب » ... إلى أن يقول عن دفن جثته الخبيثة:

« ثم زجوا بها في ظلمات القبر لخلق آخر يفترسها السوس الشره والدود المنهوم ، حتى هذه العظة التي ترغم العقل والحس على السجود لم تجد طريقا إلى قلوب البهائية لأنها غلف فظلوا ينتظرون ربهم على باب قبره وظلوا ينتظرون أن يطعمهم والدود يطعمه»[2].

ومما أحب التنبيه عليه أن الدكتور أحمد محمد عوف قد أخطأ في بيان هلاك المازندراني حين علل ذلك بأنه مات مقتولا على يد أتباع أخيه صبح الأزل وذلك في قوله:

« وهناك قتل أتباع صبح الأزل البهاء حيث دفن في عكا عام ١٨٩٢م[3] وبعد وفاة المازندراني خلفه ابنه عباس أفندي وكان المازندراني قد أوصى كما تقدم أن يتولى الأمر بعده ابنه عباس ثم من بعده محمد عليّ ولكن عباسا استأثر بالأمر فحصل بينهما شقاق وخلاف شديد وانقسم البهائيون حينئذ إلى فرقتين :

١ ـ الفرقة الأولى وهي المواليه للعباس أفندي وتسمى العباسية .

٢ ـ والفرقة الثانية وهي الموالية لمحمد علي بن حسين المازندراني وتسمى

(١) البهائية تاريخها وعقيدتها صـ ١٤٤ . (٢) المصدر السباق ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) خفايا الطائفة البهائية ص ١٠٩ .

«الموحدون» وصار بعد ذلك مجموع فرق البهائية بعد حدوث الانشقاقات بينهم أثر شدة المنازعات خمس فرق هي :

١ ـ البابية الخلص .

٢ ـ الأزلية أتباع صبح الأزل .

٣ ـ البهائية .

٤ ـ العباسية .

٥ ـ الموحدون .

وقد آلت زعامة البهائية بعد عباس أفندي عبد البهاء إلى ابن ابنته وهو شوقي أفندي لأن عبد البهاء مات ولم يخلف غير أربع بنات فخلفه شوقي بوصية منه ولقبه آية الله وولي أمر الله ثم أوصى عبد البهاء بإمامة البهائية إلى أولاد شوقي الذكوردون الإناث لكن شوقي مات بسكتة قلبية في لندن ولم يخلف لا ذكورا ولا إناثا .

وقد اشتهر من البهائيين رجال أمثال الملا محمد بن الملا محمد رضا الجليائيجان الملقب بأبي الفضائل الذي لقبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل بأبي الرذائل .

ومنهم إبراهيم جورج خير الله الذي أسس مركز البهائية في شيكاغو ومنهم جمشيد ماني صاحب طائفة السماوية ومنهم أحمد سهراب وغيرهم من كبار البهائية كما اشتهرت بعض النساء ومنهن امرأة إنجليزية تسمى « لورا كليفورد بارني » وأخرى أمريكية تسمي « مارثا روث » ، وكان لهما جهد كبير في نشر البهائية .

الفصل الرابع

المبادئ التي نادى بها البهائيون

البهائية كما هو واضح من تعاليمهم ومعتقداتهم مذهب خارج عن الإسلام لا يتفق مع الإسلام في شيء بل ولا مع تعاليم الديانات السماوية كلها بعد أن وصل أتباعه بالمشئوم حسين المازندراني إلى درجة الألوهية حيث دعاهم فاستجابوا له .

ويعود تأسيس هذا المذهب إلى الجهود التي بذلها أعداء الإسلام في سبيل نجاحه حين احتضنته اليهودية العالمية لتجعل منه معولا هداما وشوكة مشغلة للمسلمين والعرب بخصوصهم لئلا يلتفتوا إلى أطماعهم في استعمار فلسطين وما يتبعها حسب الخارطة المرسومة عندهم لابتلاع أراضي المسلمين وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

ومن هنا فإن تعاليم البهائية كلها قائمة على نسخ الشريعة الإسلامية حسب ما قرره أقطاب البابية في مؤتمر بدشت مستبدلين الشريعة الإسلامية بأفكارهم الحاقدة ومستبدلين نبي الهدي محمد(ﷺ) بالملحدالمازندراني ومستبدلين بالقرآن الكريم كتاب « الأقدس» الذي زعم المازندراني وأتباعه أنه أفضل من القرآن الكريم بل ومن كل الكتب السماوية.

وتعاليمهم كثيرة بسبب إصرارهم على نسخ جميع الأديان وبقاء البهائية فقط ولهذا طرقوا كل باب وظنوا أنهم قدموا للبشرية ما يصلحهم في دينهم ودنياهم فكانوا كما قال الله تعالى :

﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ، الله

يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾[1].

وهذه الآيات العظيمة تنطبق تماما على البهائية فهم مفسدون ويزعمون أنهم مصلحون وهم سفهاء ويظنون أنهم أوتوا علما لم يؤته أحد قبلهم وهم كذلك من أمهر الناس في النفاق والتملق والمراوغة يعطون كل شخص يجدونه ما يحبه من الأقوال والأفعال وقد أخبر الله عز وجل أن من كانت هذه صفته فإن الله يمد له في طغيانه إلى أن يصبح أضل من الأنعام ثم يجد بعد ذلك جزاء كل ماقدم .

وفيما يلي نذكر أهم مبادئهم وتعاليمهم التي ينادون بتحقيقها ليضمنوا للبشر السعادة فيما يزعمون وهي :

١ ـ وحدة جميع الأديان والالتقاء على دين واحد لتزول الخلافات بين الناس ومن المعروف بداهة أن ذلك الدين سيكون الدين البهائي بطبيعة الحال .

٢ ـ وحدة الأوطان : بحيث تنمحي المفاهيم الوطنية ولا يبقي في الأذهان إلا الوطن الذي سيختاره المازندراني لهم .

٣ ـ وحدة اللغة : بحيث لا يتكلم الناس كلهم بأي لغة لا محليه ولا عالمية إلا اللغة التي سينتخبها لهم المازندراني .

٤ ـ السلام العام والتعايش الهادىء بين كل الشعوب كما تتعايش الخرفان وذلك إذا طبقوا السياسة البهائية .

٥ ـ المساواة بين الرجل والمرأة : بحيث يصبح المجتمع كله في رتبة واحدة لاقوامة لأحد على آخر فلا فرق بين الرجل والمرأة الكل عبيد البهاء . وهذه اللغة البارعة منه تدل على مدي إجادته لـلتملق والنفاق الذي لم يحققه هو نفسه في حياته ولا خلفاؤه من بعده كما سيأتي في مناقشة هذا الطلب المستحيل .

---

(١) البقرة ١٣ ـ ١٥ .

وحينما قـرر البهائيون هذه الأمـور فرحوا فرحا شـديدا وظنوا لجهلهم أنهم اكـتشـفوا للعـالم بابا إلى السـعادة مـا كانوا يعرفـون الاتجاه إليـه وظنوا أن هذه الخيالات التي لا يمكن على الاطلاق أن تتم ظنوها شيئا فـإذا بها سراب بقيعة أول ما فـيهـا أنها تـريد أن تحقق شـيئـا يريد الله خلافـه لأنه جعل الخلق على حال لا تتحقق فيها تلك الأحلام البهائيـة كلها . وهم يعرفون هذا تماما ولهذا فقد كذبت أفعالهم أقوالهم وتناقضوا في هذا تناقضا فاحشا وظهرت الحقيقة التي يهدفون من وراء مناداتهم بتلك الأسس فإذا بها فخ بهائي لاصطياد العوام من الناس وللتنفيس عن حقدهم الشديد للعالم والرغبة في السيطرة عليه بتلك الوسائل كلها بما فيها تملق ونفاق المرأة وخداعها بوعود البهائية البراقة .

١ ـ أما الهدف الأول وهو زعـمهم أن الأديان واحدة أو أن الناس يجب أن ينبذوا كل الأديان ثم يجتمعون على دين واحد .

لعل مما يوضح ماهيـة هذا الدين هو ذلك الإصرار من البهاء وأتبـاعه على أن جميع الأنبياء إنما جاؤا للتبشير بظهور هذا البهاء والاحتفاء به وبسخافاته وأن الله تعالى قـد تجلي في طلعتـه وأنه هو مظهر الله الأكـبر والساعـة العظمي والقيـامة والبـعث وأن الالتزام به وبدعـوته هي الجنة وأن النار هو تـرك اتباعـه ، لقد كـان المازندراني من أشد الناس تشبعًا بمبادىء الصوفية الإلحادية فهـو من كبار القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد التام .

ومن هنا فإنه لم يرى أى مانع من دعوى الألوهية .

ومن المعلوم أنه مـا دام البهـاء هو مظهـر الله في زمنه حـسب سخـافاته فـإنه لادين ولا مـعـرفـة ولا حق ولا باطل ولا حـلال ولا حـرام إلا مـا جـاء عن طريقـه والنتيجة من كل ذلك أن الناس يجب أن يجتمعوا على الدين البهائي فقط ولهذا فهو يلـح في تقرير وحدة الوجود بينه وبين الله وأن الأديان كلـها دين واحد وأن الذي يمثل الله في تجليه في عصـر البهاء إنما هو البهاء نفسـه وما دام الله هو البهاء

فيجب أن يبقي الدين هو ما يريده البهاء وأقوال البهاء في تقرير ألوهيته كثيرة جدا ملأبها كتابه « الأقدس » نكتفي بذكر الأمثلة الآتيه :

« قل لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله ولافي جماله ولافي كينونتي إلا كينونته ولافي ذاتي إلا ذاته قل لم يكن في نفسي إلا الحق ولا يري في ذاتي إلا الله» [١].

ويقول أيضا :

« ياقوم طهروا قلوبكم ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارئكم في هذا القميص المقدس واللميع » [٢].

ويقول مخاطبا البابين وغاضبا عليهم حين لم ينضموا تحت لوائه :

« يا أهل النفاق قد ظهر من لا يعزب عن علمه شيء » [٣].

وقال في استفتاحه لكماته التي سماها فردوسية :

« كلمة الله في الورق الأول »

وأما أقوال ابنه عبد البهاء عباس وأما أقوال كبار أصحاب البهاء فحدث عن كثرتها ولاحرج كلها تؤكد ألوهية المازندراني وأن له طبيعتين ناسوتيه ولاهويته ولا انفصال لأحداهما عن الأخري وأنه المثل الحقيقي لبهاء الله تعالى فحينما وجد البهاء وجد بهاء الله متمثلا فيه أتم تمثيل وهذا ما جعله يضع برقعا على وجهه لئلا يرى كل أحد بهاء الله ، وقد عزمت على كتابة تلك النصوص عن البهائية في تقريرهم ألوهية زعيمهم إلا أنني فترت عن إثباتها هنا أولا لاشمئزاز نفسي عنها وثانيا لأنها كلها تهدف إلى إثبات ألوهية ذلك المعتوه ، وإذا كان

(١) كتاب الأقدس نقلا عن خفايا الطائفة البهائية ص ١٢٦ .

(٢) مبين للمازندراني ص ٣٠ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ٧١ .

(٣) إشراقات للمازندراني ص ١٤٤ ، نقلا عن البهائية تاريخها وعقيدتها ص ٢٣٥ / ٢٣٦ .

كتابه « الأقدس » غير موجود هنا حاليا فقد كاد أن يكون بكل يسر وسهولة من خلال ماكتبه العلماء عن البهائية وعقائدهم وكتبهم بل توجد كتب صورة ذلك الكتاب كما هو مثل كتاب البهائية الفكر والعقيدة تأليف صالح كامل ومثل كتاب خفايا الطائفة البهائية للدكتور أحمد محمد عوف حيث نقل الأقدس كله وكذا ما نقله الشيخ إحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية نقد وتحليل وما كتبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله غير ذلك من الكتب المتوفرة في المكتبات ولهذا فإني لا أظن أن هناك حاجة إلى إثبات تلك النصوص الإلحادية التي تدمغ البهائيين في اعتقادهم أن زعيمهم المازندراني هو الله كيف وهم أنفسهم يصرحون بربوبيته بدون أن يجدوا حرجا في ذلك.

أما زعمهم أنهم السابقون إلى تقرير وحدة الأديان والاجتماع على الدين الحق والأخوة الصادقة واحترام كل شخص للأخر في إطار الإيمان بالله تعالى وبرسله لا يجهله أحد من المسلمين أن هذه الفكرة ليست من بنات أفكار المازندراني ولا من وحيه وإنما هذا مبدأ إسلامي قرره الله في القرآن الكريم والنبي العظيم وليس للبهاء فيها إلا تلك العبارات التي أراد أن يحاكي بها ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية فإن الله تعالى قد أمر نبيه أن يخاطب أهل الكتاب بالرجوع إلى الحق والتعمق في استخراجه فقال لنبيه: ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (1).

وهذا الطلب قد جعله الله تعالى في إطار الإقتناع واللين فقال :

﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ (2). بل وأكد عز وجل على البر والعدل تجاه المخالفين للدين الصحيح ماداموا لم يواجهوا المسلمين بأذى

(1) سورة آل عمران ٦٤ .

(2) سورة البقرة ٢٥٦ .

فقال تعالى: ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾[1].

فهل جاء المازندراني بمثل هذا العدل والتسامح مع المخالفين إلى حين إقناعهم بالحق أم أمر فورا أن يقتل المخالف لمبادئة وأن تحرق الكتب الأخري غير كتبه وأن لا ينظر الناس إلا في جماله وبهائه وكتبه وأن لا يفكروا إلافيه وفي رضاه لا غير؟ نعم إنه لم يأت في الحث على وحدة الأديان إلا بمثل تلك السخافات التي أراق من أجلها كثيراً من الدماء هدرا وذم لأجلها كل الأنبياء والرسل وكل المصلحين لقصورهم في زعمه عن بيان حقيقتة ودعوته المشؤمة حيث كان أهم ما أرسلوا به إنما هو التبشير بظهور البهاء وبالرجوع إلى مناداة البهائية بوحدة الأديان نجد أن الإسلام قد حث وأبلغ في وجوب التمسك بالدين الحنيف المنزل من رب العاملين بحيث لوطبقه البشر لسعدوا في الدنيا والآخره فإن كل مافيه خير ويدعو إلى خير وليس فيه تناقض ولا عصبية بغيضة ولا أفكار رديئة مثل ما هو الحال في البهائية التي تدعو الناس كلهم إلى ترك دينهم والتمسك بعقيدة البهاء التي هي مملؤة بالأفكار القاصرة والأراء المتناقضة والعصبيات الشنيعة لأنها ملفقه من شتى الأفكار من مسيحية ويهودية ومجوسية وإسلامية وصوفية إلحادية.

فكيف يتفق الناس على ديانه هذا أقل شأنها بل كيف يتفقون على دين لم يوحد بين أصحاب ذلك المذهب نفسه فإن العداوة الملتهبة بين البابين والبهائيين بل وبين الأخوين المازندراني وصبح الأزل لا ينساها أحد وهنا يصح قول الناس فاقد الشيء لا يعطيه، وقد ظن حسين على المازندراني حين أمر أتباعه أن يتفننوا في النفاق ومجاملات الآخرين فيصلوا مع المسلمين ويداخلوا الكنسية مع النصاري ويدخلوا في محافل اليهودية وأن يتوددوا إلى الهندوس في معابدهم ظن أن هذا النفاق البغيض هو البداية إلى تحقيق وحدة الأديان فكانت النتيجة

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .

عكس ما أراد فإن الناس حين كانوا يشاهدون عبد البهاء في كل مكان مع المسلمين ومع النصاري ومع اليهود ومع الهندوس ومع كل صاحب ملة عرفوا تماما أن المقصود من وراء ذلك إنما هو الزعامة العالمية وهدم كل الأديان وأن تلك التحولات إنما هي النفاق بعينه بل والتخبط والاضطراب الفكري لأن الجمع بين المتناقضات ليس من فعل الإنسان السوي الذي يحترم مبدأه ونفسه فضلا عن من يريد قلب الأمور وإصلاح المجتمع وتوحيد أفراده على حسْب ما يري من ضرورة ذلك إذا كان فعلا مقتنعا بمبدئه وصلاحيته للأمة .

لقد اهتم البهائيون والبابيون أيضا بمحاربة الإسلام والمسلمين اهتماما شديدا وسبوا تعاليم الإسلام بأشد السباب ومن ذلك ماجاء في الإيقان للمازندراني تسمية المسلمين بالهمج الرعاع حيث قال : انقضي ألف سنة ومئتان وثمان من السنين من ظهور نقطة الفرقان أي الرسول ﷺ ، وجميع هؤلاء الهمج الرعاع يتلون الفرقان في كل صباح وما فازوا للآن بحرف من المقصود»(١).

ويقول أيضا في كتاب له يسمى مجموعة الألواح محذرا البهائيين عن الاجتماع بالمسلمين :

« إياك أن تجتمع مع أعداء الله في مقعد ولا تسمع منه شيئا ولو يتلي عليك من آيات الله العزيز الكريم ، لأن الشيطان قد ضل أكثر العباد بما واقفهم في ذكر بارئهم بأحلى ماعندهم كما تجدون ذلك في ملأ المسلمين بحيث يذكرون الله بقلوبهم وألسنتهم ولا يعملون كل ما أمروا به ، وبذلك ضلوا وأضلوا الناس إن أنتم من العالمين » (٢).

---

(١) الإيقان ص ١١٢ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ٩٦ ويجب التنبيه عليْ أن الإيقان فيه نزاع لمن هو هل هو للمازندراني حسين كما يدعي أم هو لا خيه صبح الأزل كما يدعي أيضا لأن كل واحد يدعيه لنفسه .

(٢) مجموعة الأولواح ص ٣٦٠ / ٣٦١ البهائية ص ٩٧ .

كما أن دعوتهم إلى توحيد الأديان ثم قصر ذلك على ديانتهم فقط يعتبر من أقوى الأدلة على كذبهم في مناداتهم باتحاد الأديان والتسامح معها فالمازندراني يقول في كتابه «الأقدس» الذي يعده ناسخا للقرآن الكريم : « والذي يتكلم بغير ما نزل في الوحي ـ أي وحيه في كتابه المذكور ـ أنه ليس مني إياكم أن تتبعوا كل مدع أثيم[1]، ويقول أيضا :

« طوبى لمن يشهد به الله وويل لكل منكر كفار »[2].

والذي أعرض عن هذا الأمر أنه من أصحاب السعير وصل الحال بالمازندراني أن أصدر أمرا إلى جميع يسمع ويرى أن لا يرى ولا يسمع إلا للمازندراني ويترك جميع مافي هذا الكون إذا أراد النجاة على حد زعمه فهو يقول:

« ياصاحب العينين أغمض عينيك عن العالم وأهل العالم كله وافتح عينيك علي وعلى جمالي المقدس[3]، ولاجل تنفيذ هذا التعصب ضد المخالفين للبهائية كان البهائيون يمحون كتب مخالفيهم خصوصا كتب المسلمين التي كانوا يتلفونها بكل حقد وغيظ ليتحقق لهم مايؤملون من إخراج المسلمين عن دينهم والله متم نوره ولو كره الكافرون».

ولم ينخدع المسلمون ولله الحمد بهذه الدعوى التي يروجها البهائيون فإن الدين الإسلامي الحنيف قد حث على الاجتماع على العقيدة الصحيحة الربانية بطريقة تكفل الخير للجميع وتهديهم إلى سواء السبيل بأتم بيان وأحسن عدالة وأكملها إلى نهاية الكون.

٢ ـ وحدة الأوطان :

أما دعوتهم هذه إلى وحدة الأوطان فمعناها أن العالم يجب أن ينتمي كله

(١) الأقدس نقلا عن البهائية نقد وتحليل صـ ٩٩ .   (٢) المصدر السابق.

(٣) كلمات مكنونة للمازندراني ص ٤ / ٥ (البهائية ص ١٠٠) .

إلى وطن واحد ، وأن الذي ينتمي إلى جزء من الأرض متعصب رديء صاحب خرافه ووهم لأن الشريعة البهائية قد طلبت أن تكون الأرض وطنا واحداً لجميع العالم ويجب أن تنمحي الحدود بين البلدان ودون النظر إلى أي اعتبار وأن يتعايش الناس فيها دون النظر إلى أي اعتبار سياسي أو اجتماعي فيجب على كل شخص أن يحب الأرض كلها ولا يفضل وطناً على آخر فالعالم وطن واحد لكي يلتقي الناس على الحب والولاء المشترك ولكن لمن سيكون هذا الولاء المشترك ؟ إنه بدون أي تفكير سيكون للبهاء وأتباعه ومن هنا أخذوا وايقررون القول بوحدة الأوطان ويذمون كل من يحاول أن يذكر مفهوما غير هذا .

١ ـ قال اسلمنت « ومن التعصبات الرديئة التي تلحق بالتعصب الجنسي التعصب السياسي، أو الوطني فقد حان الوقت لأن تندمج الوطنية الضعيفة ضمن الوطنية العمومية الكبرى التي يكون فيها الوطن عباره عن العالم بأجمعه فيقول بهاء الله قد قيل في السابق: « حب الوطن من الإيمان[١] وأما في هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول : «ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم[٢]، ويقول عباس أفندي : « ومنذ الابتداء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد في الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم » [٣].

والواقع أن هذه الدعوى يدل ظاهرها على أنها من الأمور التي يتمناها كل إنسان في هذه الأرض المملؤة بالشرور والظلم والدعوة إلى تحقيقها من الأمور التي تلفت النظر بشدة إذ أن لها لمعانا وبريقا يكاد يخطف الأبصار والمشكلة لا تكمن في مجرد الدعوى إلى استنباط هذه الفكرة فهي سهلة جدا ولا يجهلها أحد مهما كان مستواه الثقافي بعكس ما يظن البهائيون أنهم هم الذين اخترعوا

(١) هذا الحديث موضوع انظر « أسنى المطالب ص ١٢٦ وانظر تعليق رقم ٥٥١ ذكر المراجع التي حكمت عليه أيضًا بالوضع .

(٢) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦١ نقلا عن البهائية نقد وتحليل ص ١١٤ .

(٣) محادثات باريس « لعبد البهاء انظر البهائية ص ١١٤ .

الدعوة إليها نعم إن المشكلة لا تكمن في مجرد استنباطها ، وإنما تكمن المعضلة في كيفية تحقيقها والأسلوب الذي يبذل ليقنع الناس بها. فهل وفق البهائيون إلى ذلك؟

إن الجواب غير خاف على أحد فهو يحتل أكبر صيغ النفي لم يقدم البهائيون من الحلول إلا الدعوة إلى احترام أرض الطاء والقاء السلاح لئلا يخيفوا به الطامعين في الاستيلاء على ديار المسلمين في أرض الخاء التي يناديها المازندراني في كتابه الأقدس « يا أرض الخاء »(١) ، أي أرض الخراب يقصد فلسطين التي عاش فيها عيشة الملوك .

لم يقدم المازندراني ولا أتباعه ما ينفع الناس بترك الانتساب إلى أو طانهم والالتفاف حول الوطن الذي يختاره لهم المازندراني لأن صاحب هذه الدعوة هو نفسه في أوائل من ينادي بالوطنية وذلك في إظهاره التلهف على أرض الطاء طهران إيران ونظرته المتعالية المترفعة على الأرض التي آوته إليها يد الغدر والعدوان الأرض التي عاش فيها عيشة الملوك ومع ذلك فهو يسميها أرض الخاء وكان ينبغي أن يكون هو القدوة فلا يناقض نفسه بنفسه ومن هنا فإن المازندراني واتباعه قد كفوا الناس مهمة الرد عليهم حيث كذبوا أنفسهم بأنفسهم لأن تناقض المازندراني صاحب الفكرة قبل غيره من إتباعه أكبر دليل على كذبهم في إخلاصهم لسعادة البشر ، فبينما هو ينهي عن الانتساب إلى وطن بعينه إذا به يبكي ويندب حظه على فراق وطنه - أرض الطاء كما يسميها ويتأسف لغربته في البلدان بعيدا عن إيران حيث تغرب في العراق وتركيا وفلسطين ، ويظهر هذا في كتابه إلى أحد أصدقائه قائلا له : « يا أحمد لاتنس فضلي في غيبتي ثم اذكر أيامي في أيامك ثم كربتي وغربتي في هذا السجن البعيد(٢)» ، ويقصد بهذا السجن وطنه الجديد فلسطين - ثم ينادي أرض الطاء - طهران إيران

(١) الأقدس ص ١٦٣ ، ضمن « خفايا البهائية » .

(٢) لوح أحمد ص ١٥٥ نقلا عن البهائية ص ١١٧ .

فيقول « ياأرض الطاء لا تحزني من شيء قد جعلك مطلع فرح العالمين افرحي بما جعلك الله أفق النور ولد فيك مطلع الظهور[1]،أي نفسه .

وهذا الكلام والأسى والحزن على وطنه طهران وذمه لفلسطين وتسميته لها أرض الخاء تناقض ظاهر إذ كيف يزعم أنه لا يجوز تفضيل وطن على وطن ثم بعد ذلك يمدح وطنا ويذم آخر بدون مبرر إلا مجرد الهوى ونسي فلسطين وادرنه التي آوته زمنا دبر فيه مع اليهود الخطط التي ينبغي عليه أن يسلكها لجعل فلسطين يهوديه ولانتشار دعوته المشؤمة التي أراد منها أن تكون ديانة عالمية تنسخ جميع الأديان حسب زعمه ثم ذهب يتخبط في جهله فجاء في كتابه الأقدس بكلام يتنزه عنه العامي أن ينسب إليه لكثرة ما فيه من التناقض ومن الآراء الخيالية والتعاليم الباهته ويلحق بمحو فكرة الأوطان المختلفه أن يمحي أمرا هاما جدا من أذهان الناس تبعا لمحو فكرة الأوطان إلا وهو محو فكرة الجهاد وحمل السلاح فقد قاد المازندراني وأتباعه حملة شرسة مضنية في إبطال قتال الكفار أيا كانوا أو حتى مجرد النية في ذلك .

والنتيجة من وراء هذا الطلب وتقريره لا تحتاج إلى تفكير واجتهاد لاستخلاصها فالقصد منها هو رد الجميل للروس والانجليز واليهود الذين كانوا وراء نبوته ثم ألوهيته وزعامته لكي يبسطوا نفوذهم دون مقاومة أو احتجاج من الناس ـ وخصوصا المسلمين ـ لأن الشريعة الجديدة كما يزعم تأمر بهذه الطاعة وتنهي رفع السلاح في وجوه أي جنس من الناس مهما كان دينهم .

وهذا هو السر في وقوف أولئك الطامعون في استعمار البلدان الإسلامية والعربية جنبًا إلى جنب في بناء البهائية وتأييدها والذب عنها .

يقول المازندراني في محو الجهاد :

« حرم عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة وأحل لكم لبس الحرير

(١) الأقدس : ضمن خفايا الباطنية ص ١٦٢ .

وقال أيضا :

« البشـارة الأولى التي منحت من أم الكتـاب في هذا الظهور الأعظم محـو حكم الجهاد من الكتاب ».

وقد أكد أسلمنت هذا الجانب فقال :

« إن البهائيين تركوا بـالكلية استعمال الأسلحة الناريـة حتى في أمور الدفاع المحضة وذلك بناء على أمر صريح من بهاء الله »[1]

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبجح فيها البهائيون لمحو أصل الجهاد ومشروعيته للدفاع عن الدين والوطن والعرض لأن هذه كـلها لا ينبغي أن تقف عائقا في سبيل تقدم جحافل الكفر والإلحاد إلى ديار المسلمين كـما يريد البهائي ومن العـجب ولسر غـير خـاف جمع المازنـدراني بين النهي عن حمل السـلاح والجهاد وبين تحليل لبس الحرير للرجال .

٣ ـ وحدة اللغة :

وأما بالنسبة لوحـدة اللغة ؛ أي اختيار لغة واحدة للعالم كله تكـون مشتركة فيمـا بينهم للتفاهم فهي الفكـرة التي يتظاهرون بالحرص عليها جـدا ، ويزعمون أنها لا تتحقق إلا بمباركة المازندراني لهـا . وهي محاولة مكشوفة لإبعاد المسلمين عن لغة كتاب ربهم بطريقة ماكرة وهي إحدى أكاذيب البهائية التي يطالبون فيها العالم بتـرك تعدد اللغـات واختيـار لغة واحدة منهـا فما هي اللـغة التي يجب أن يختارها الناس على حد رغبتهم هل هي لغة القرآن الكريم التي شرفها الله بإنزال كلامه بها أم هي لغة أخـرى يستحسنها البهائيون عـوضا عن اللغات كلها وخطا يستـحسنونه على الخطوط كلها ثم يتـرك كل ماخالفه بعـد ذلك يجيب عن هذا حسين على المازنـدراني في كتابه الأقـدس في قوله :« يا أهل المجـالس في البلاد

(١) انظر قراءة في وثائق البهائية ص ٩٥ .

اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض وكذلك من الخطوط أن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم أنه لهو الفضال العليم الخبير »[1]، وهو يقصد بمن دون البهائية العرب وغيرهم حسب ماعرف عن أهل فارس وتعاليهم على البشر في الزمن القديم .

ويقول ابنه عباس أفندي أن تنوع اللغات من أهم أسباب الاختلاف بين الأمم في أوربا [2].

وبعد هذه الدعوة العامة لتغيير اللغات والخطوط أيضا وبالخصوص العربية يفصح المازندراني بعد ذلك عن اللغة التي يقترحها فإذا بها لغته لا سواها اللغة الفارسية التي قال فيها : « يا قلمي الأعلى بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء [3]؛أي اللغة الفارسية التي قال عنها أبو الريحان البيروني لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية »[4].

على أن الفكرة من أساسها يصح وصفها بأنها مجرد خيال ساذج ويصح كذلك وصفها بأنها فكرة تنبيء عن خبث ونية شريرة وهي فكرة كذلك مخالفة للفطرة والواقع ولم يسبق المازندراني أحد من الناس لا الأنبياء ولا غيرهم في مطالبة البشر بالرجوع إلى لغة واحدة هي الفارسية ولا غير الفارسية فإن الله أرسل أنبياءه كل نبي بلغة قومه يدعونهم إلى توحيد الله والخروج عن مايغضبه عز وجل والرغبة في هدايتهم إلى الخير والصلاح لتجتمع قلوبهم وتتوحد أفكارهم حول هذا المبدأ لا مبدأ توحيد اللغات والخطوط ولو أن العالم كله

---

(١) الأقدس : ضمن خفايا البهائية ص ١٨٥ .

(١) خطابات عبد البهاء عباس عن بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦٤(نقلا عن البهائية نقد وتحليل) ص ١٢٠.

(٢) مجموعة الواح المازند راني ص ١١٣ البهائية نقد وتحليل ص ١٢٣ .

(٣) انظر البهائية لمحب الدين الخطيب ص ٢٩ وقد عزاه إلى مقاله « القرآن معجزة بين معجزتين» بمجلة الفتح العدد ٨١١ ص ٨ .

يتكلم لغة واحـدة لربما أدى ذلك إلى فساد كثير وقد اقتضت حكمـة الله تعالى أن يكون الناس عـلى هذا الوصف من تعـدد اللغـات والله يعلـم أنه لو اتحـدت القلوب على العقـيدة الصحـيحة لزالت بينهم فـوارق اللغة ولما كان لاختـلافهم فـيهـا أي وزن ، وتاريخ الصـحابـة مليء بالأمثلـة على ذلك فقـد جمـع الله بين سلمـان الفارسي اللغـة وبلال الحبشي اللغـة وصهيب الرومي اللغة مع الرعيل الأول من فضـلاء قريش كأبي بكر وعـمر وعثمـان وعلي وغيرهم فلم يشـعروا بأي فارق فيمـا بينهم لأن دينهم واحد وعقيدتهم واحـدة وهدفهم واحد فلم يبق لفارق اللغة أو الجنس مكانا وحينما تختلف العـقيدة فإن الاتحاد في اللغة والجنس لا يغني ولا يؤلف القلوب بـل كم قد قـامت الحروب وسـفكت الدمـاء بين أهل اللغة الواحدة وأقـرب دليل على ذلك هو تلك الحروب التي خاضـها العرب في الجاهلية فيما بينهم مع توحد لغتهم ثم حروب البهائيين مع قومهم الذين يتكلمون بلغـتـهم من أهل إيران والحـروب الأهلية في كـل بلد تقوم فـيـه ولبنان في وقـتنا الحاضر أقوى دليل على ذلك حيث يقتل بعضـهـم بعضا بأشد أنواع الوحشية فإن اللغة بحد ذاتهـا لا تعلم الأخلاق والرحمة والموالاة وجمـع الكلمة ومن هنا فإن اختلاف اللغة ليس بالأمر الهام واختلاف الألسنة ليس إلا دليلا على قدرة الباري عز وجل قال تعالى : ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانـكم إن فـي ذلك لآيات للعـالمين** ﴾[1]. ثم إن الداعي إلى وحـدة اللغـة المازندراني لـم يوحد اللغة حتى في وحـيه وألواحه التي نسجها خياله فـكتبه كما يذكر المطلعون عليها[2]، مليئة من المزيج الفـارسي والعـربي فـمـرة يدعي نزول الوحي باللغـة الفارسيـة ومرة أخرى باللغة العـربية مختلطا بالعربيـة والفارسـية وكلامه على هذا الاتجاه مرة يتكلم بالفارسية أحيانا باللغة العربية ، ومعنى هذا أن دعواه توحيد اللغة كذب وتناقضه أكبر دليل على هذا ويظهر أنه أيقن بعدم نجاح

---

(١) سورة الروم ٢٢ .

(٢) وفي المقدمة الشيخ إحسان إلهي رحمه الله انظر كتابه البهائية ص ١٢٣ .

دعوته هذه وعلم أنه بحاجة إلى تبليغ دعوته البهائية فأذن في تعلم اللغات ليسهل تبليغ البهائية غيرهم فقال :

« قد أذن الله لمن أراد أن يتعلم الألسنة المختلفة ليبلغ أمر الله أي العقيدة البهائية ـ شرق الأرض وغربها ويذكره بين الدول والملل على شان تنجذب الأفئدة ويحي به كل عظم رميم[1]، ومع هذا فلا تزال الرغبة في طمس اللغات الأخرى قائمة وشدة رغبته في طمس اللغة العربية بذاتها يعود إلى عدة عوامل إذ فيها قطع كل صلة للمسلم بدينه كما أن في إقصائها إمتداد للدين البهائي ، فإذا جهل المسلم لغة دينه جهل بعد ذلك كل أمور دينه ومن هنا اهتموا بالقضاء عليها بكل ما في عقولهم الحاقدة من حيل ولم يفلحوا في إنجاح مخططهم ولله الحمد رغم ما بذلوه من محاولات ولا يزالون ولم يكونوا وحدهم في ميدان حرب اللغة فلقد تظافرت جهودهم وجهود كل أعداء الإسلام على حربها وإبعادها من قلوب المسلمين ومن هنا نجد أن الدعايات ضدها وتشويه سمعتها ووصفها بأنها لغة المستعمرين العرب وأنها لاتفي بحاجة العصر وما إلى ذلك من الدعايات نجد كل ذلك ظاهراً في كل بلد يوجد به مسلمون من غير العرب ومن الغرائب أن فرنسا وهي مستعمرة لكثير من البلدان الأفريقية سواء كان الاستعمار ظاهراً أو خفيا تنشر بين المسلمين هناك أن اللغة العربية هي لغة المستعمرين العرب ولكن تجد أن المسلمين هناك يضحكون من هذه الدعاية وهم يشعرون أن اللغة العربية أقرب إلى قلوبهم من لغاتهم المحلية ويحبونها ويحترمونها أشد احترام ويشعرون بكامل السخط والسخرية من انتشار اللغات الأخري كما يذكر كثير من المسلمين هناك بمجرد أن تبدأ الحديث عن هذا .

٤ ـ السلام العالمي

يظن البهائيون أنهم هم الذين تزعموا الدعوةإلى السلام العالمي وترك

(١) الأقدس : ضمن خفايا الطائفة البهائية ص ١٦٨ .

الحروب والتعايش الهادئ بين الأمم حين منعوا حمل السلاح وأوجبوا تقديم السمع والطاعة للحكام أيا كان مذهبهم ، وليس فقط تحريم الحروب بل كما يزعمون كل مقدماته من النزاع الجدال والخصام وكل ما يمت إلى الحروب في النهاية بل ولا يجوز حمل السلاح حتى ولو للدفاع عن النفس .

تلك هي مزاعمهم حول دعوى إحلال السلام في العالم كله فهل كان ذلك حقيقة وهل قدموا الحلول الناجحة لمشكلات العالم التي تجرهم إلى الحروب شاءوا أم أبوا وإلى أي مدى وصلت إليه دعوتهم من النجاح في العالم .

هذا على فرض التسليم بأنهم هم الذين دعوا إلى السلام العالمي وحدهم مع أن أحداً لا يجرؤ مهما كانت صلافته على مثل دعواهم بأنه مخترع الدعوة إلى السلام العالمي لأنها دعوة ربانية قررها الإسلام وضاعف الحلول الناجحة لها بطرق ترضي كل شخص وتنهي كل خلاف ولو رجعوا إليه لوجدوا مصداق هذا واضحا .

وقبل الإجابة عن ذلك نورد هنا بعض كلام البهاء وأتباعه حول مناداتهم بالسلام العالمي.

يقول حسين المازندراني : « قد نهيناكم عن النزاع والجدال نهيا عظيما في كتاب هذا أمر الله في هذا الظهور الأعظم [1].

وقال : « لأن تقتلوا خير من أن تقتلوا » [2].

وقال : « لا يجوز رفع السلاح ولو للدفاع عن النفس » [3].

ويقول أسلمنت :

ومن هنا قال أحد زعمائهم في مصر أن الدولة لو أجبرته على حمل السلاح

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ١٢٣ نقلا عن البهائية لإحسان ص ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٩ .

في مواجهة إسرائيل فإنه سيطلق في الهواء لأن ذلك هو شعار البهائيين [1].

لقد ربط البهائية تحقيق ذلك السلام العالمي البهائي بطريقة ماكرة مفادها أن تلك الدعوى لا يمكن أن تتحقق إلا بعد الارتواء من غسلين البهائية وآرئها المتناقضة وحينئذ تمشي البشرية آمنة مطمئنة لا يخاف أحدهم إلا الله والذئب على غنمه.

إنها دعوى عريضة فوق مستوى عقول البهائية وتصدر البهائي وأتباعه لهذا الزعم يعتبر من مهازل البهائية البائسة ويعتبر من عجائب الزمن فمن يقبل من الناس أن يركن إلى البهائي ومزاعمه هو اتباعه دون أن يرى الحلول الإيجابية لتلك المشكلات التي يعج بها العالم كله . لأن الحل عند البهائية هو أن تدخل رأسك في الشبكة لتري الحل حينئذ في عالم الخيالات الوهمية نسي أو جهل البهائيون أن حل مشكلات الحياة العالمية لا يمكن أن يأتي عن طريق الخرافات والمؤامرات الظاهرة والخفيه . وإنما يأتي عن طريق الاقتناع التام من داخل النفس ﴿ **وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[2]، ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[3]،﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾[4]، وكذا قول نبي الإسلام « **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى** » [5].

« **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[6]، « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » [7].

---

(١) قراءة في وثائق البهائية ص ٩٣ .
(٢) سورة المائدة ٢ .
(٣) سورة الحجرات ١٣ .
(٤) سورة الأنبياء ٩٢ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ ٥ ص ٤١١ .
(٦) أخرجه البخاري في الإيمان جـ١ صـ ٥٧ ومسلم كذلك في الإيمان جـ١ ص ٦٧ ، ٦٨ وغيرهما من أصحاب السنن .
(٧) أخرجه البخاري جـ ١ صـ ٥٤ ومسلم جـ١ صـ ٢١٤ وأصحاب السنن .

ومئات النصوص في كتاب الله وفي سنة نبيه (ﷺ) فيها الحلول المباشرة التي يلمسها الإنسان ويري تأثيرها بمجرد أن يمتثل الأمر ولو طبق الناس الإسلام وانتظروا أسبوعا واحدا أو أقل لرؤا كيف يصبح السلام واقعا حقيقيا لاخداع فيه ولا تجبّر ولامكائد ولادسائس ولرؤا أن جميع مشكلات العالم تذوب من تلقاء نفسها كما يذوب الملح في الماء . لأن الحلول الإسلاميه تناجي كل قلب على حدة وتقول له أبدأ بنفسك ليقتدي بك الأخرون فتصبح الدعوه جماعية في آن واحد دون يتدخل أي شخص في تفكير الآخر .

أما الدعوة البهائيةللسلام فإنها تصبح هكذا الرب هو المازندراني والأرض التي يحكمها كل شخص هي له لا حق فيها للآخرين فالإنجليز ما يملكون وللروس ما يأخذون ولأمريكا ماتريد وعلى الجميع السمع والطاعه لمن قوي على شريعة الجاهلية الأولى من عزّ بزّ ومن غلب استلب ومن لم يحترف لم يعتلف فهل هذه الفكرة الهزيلة تقدم الحلول ولمشكلات الناس أن من المعروف بداهة وواقعا أن كل تجمع على غير هدى الخالق العظيم رب العالمين لا يمكن أن يقدم الحلول المريضة لمشكلات الناس مهما كان نبوغ المجتمعون.ومهما كان إخلاصهم ، ولا نذهب بعيدا فهذا مجلس الأمن أو مقام الأمم المتحدة أشبه ما يكون بجسم لاروح فيه بل هو مقر الخدع والمؤامرات لأصحاب النفوذ والقوة لايهمه إلا إرضاء الدول الدائمة العضوية كما يسمونها أصحاب السيف الفولاذي الذي يسمونه«الڤيتو»لقد صار هذا الڤيتوسيفا على رقاب الناس لايجوز الخروج عن طاعته ظلمه عدل وقتله رحمة وكلمته هي الفصل فكيف بعد ذلك وأنى لهم أن يقدموا الحلول العادلة وهم لا يملكونها «وفاقد الشيء لا يعطيه».

لقد نبهنا الإسلام إلى أن الله هو رب الكون وما فيه وهو المدبر له الخير إليه والشر بتقديره عندما تتوفر أسبابه . وكل ما يقع في هذا الكون إنما هو بمشيئته وقدرته وقد أرشدنا الله عز وجل إلى الطرق الناجحة التي تقطع دابر الشرور

والظلم فإذا لم يرد الناس تطبيقها وفضلوا تطبيق أهواءهم أو كلهم الله إلى أنفسهم ـ كما هو واقع البشر اليوم ـ ثم لا يبالي بهم في أي واد هلكوا وحينئذ يقوم كبار المجرمين ويتصفون بالنبوة والألوهية ثم يوجدون الحلول السامة والموت المباغت في أطباق من الذهب المزخرف ثم تسير الحياة بالناس من ضنك إلى ضنك أشد منه قال تعالى: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا**﴾(1).

إن الله عز وجل قد أخبرنا أنه منذ أن أوجد البشر أوجد فيهم قوتان متضادتان قوة الخير وقوة الشر وجعل الصراع بينهما متواصلا ثم سن الله لأهل الخير أن يقاتلوا أهل الشر والإلحاد وجعل ذلك القتال جهاد يتقرب به إليه عز وجل يثاب صاحبه ويعاقب تاركه ، وأباح الله قتال من يعتدي على الحرمات والمقدسات وذم الجبناء والذين لاغيرة فيهم على حرمهم ومقدساتهم ، وقد قاتل الرسول ﷺ بيده الشريفة وغزا غزواته الكثيرة الشهيرة فكان بطل الأبطال وقائد الشجعان وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والواقع أن هدف المازندراني حينما حرم الجهاد إنما هو خدمة أعداء الإسلام من الروس والإنجليز لا إحلال السلام كما يزعم بل لإرضاء أولئك المنعمون عليه ولقد ناقض نفسه بنفسه حينما شن الغارات على الإيرانيين أولا ومع البابيين زملائه ثانيا ومع الأزليين أتباع أخيه ثالثا ومع المسلمين خاصة ومع كل من لا يؤمن بخرافاته عامة فكيف يدعو إلى شيء هو نفسه لا يؤمن به ﴿ **كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾(2).

٥ ـ المساواة بين الرجال والنساء

لقد كان البهائيين من أكثر الناس ميلا إلى استخدام النساء في الدعاية لمذهبهم لأنهن أكثر انخداعا وأكثر انجذابا إلى الهوى والخروج على كل عرف إذا تمكن من ذلك .

---

(1) سورة طه ١٢٤ .   (2) سورة الصف ٣ .

وقد استفادت البهائية هذا الطريق مما سنته غانية البابيين قرة العين تلك التي لم يكبح جماحها دين ولا خلق ولا شرف ولا احتشام ثم اتخذت منها البهائية الخلق المثالي للنساء البهائيات .

لقد أجاد البهائيون وعلى رأسهم البهاء وعبده ومن صار على شاكلتهم بعدهم أجادوا ونفاق المرأة واستجلابها إلى الخروج على كل شيء وأظهروا لها من التحمس إلى صفها مالا تصل به الوالده لابنتها أحيانا لكن هذا التحمس إنما ينحصر في الكلام والوعود المعسولة والدعاية الخلابة وعند الفعل والتطبيق لما قالوه تجد أن أحكامهم على المرأة مما يستعدي الشفقة عليها بسبب ظلم البهائيين وشريعتهم الجائره على المرأة وقد اتضح تماما أنهم لايريدون وراء الدعاية بمساواة المرأة للرجل إلا مخالفة الشريعة الإسلامية وجلب عاطفة النساء للمذهب البهائي وجعلها مطية لا وعي لها وللمرأة أن تسأل هل صدق البهائيون في دعوتهم تلك وهل أنصفوا المرأة من الرجل وهل عاش المجتمع الذي خلطوا فيه الحابل بالنابل وتساوى فيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال هل عاش ذلك المجتمع في الجنة البهائية أم كانت أقوالهم في واد وأفعالهم في آخر ؟ هذا ما سيتضح عند الاطلاع على أحكام البهائية من خلال تشريعاتهم التي أعدوها لمحاربة المرأة ولمحاربة الدين الإسلامي وللخروج عن طاعة الله تعالى وجعل كل شيء يسير حسب رغباتهم ووفق شهواتهم ولو علم هؤلاء الملاحدة مكانة المرأة في الإسلام لأطرقوا حياءا ولصغرت نفوسهم في نظرهم أن يتكلموا بأدنى كلمه انتقاد لحال المرأة في الإسلام وظله الظليل .

لقد رخصت المرأة في الشريعة البهائية إلى حد أنها أصبحت متعة لكل طامع فهي معلمة على أن لا ترد يد لامس بل هي التي عليها أن تطلب المتعة بأكثر من شخص تأسيا بما قررته زرين تاج من الفجور في مؤتمر بدشت حيث نسخت الشريعة الإسلامية واستبدلتها بشريعة الباب التي لا حد لإباحيتها واستهتارها بالقيم والأخلاق .

يقول أسلمنت :

«إن إحدى الأنظمـه الاجتماعـية التي جعل بهـاء الله لها أهمية عظيـمة هي مساواة النسـاء بالرجال » ولو عكس العبارة لكان أصـوب ، وأما عبد البهـاء فقد بلغ في نفاقه النساء مبلغا بعيدا وقد قال عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل :

« وكان من خلق عـبد البهـاء أنه يتجمـع بكل مشاعـره وعواطفه لكل فـتاة ويتربص بها بكل مكره وغزله ليثير وهج أنوثتها الراغبة »[١]،إلى أن قال عنه:

«وتمرق أمام عـينيه أنثي جـميلة تـتموج شـعورها وهي تلهـب ظهـر جوادها السابح بالسوط فـيتأوه الشيخ المتصـابي ويقول لمن معه » في هذا العـصرينبغي أن تأخذ المرأة حـظامن العلم مسـاويًا للرجل وتتمـتع بنفس الامتـيازات[٢] قال عبد الرحمن الوكيل في تعليقه على هذا الموقف الشائن لمدعي النبوة عبد البهاء قال: «إن جلال النبوة لا تستهـوية أبدا امرأة تتحدى قداسة الفضيلة بفـتنتها العارية ولا تستخـفه عن وقاره شعور مواجـه قد تلهب بالحب عواطف الشعراء ولكنهـا تثير غضب الأنبيـاء ، إن عبد البهاء عـاش يسجد لفتنة المرأة . ولهـذا قال : « إن تربية البنت الآن أهم من تربية الولد » قـالها زلفى إلى النسوة المارقات وخدعـة يستزل بها من يستهويـها لمع هذا السراب وإلا فهل يستهوي خيال إنـسان تصور عالم قد تربت نساؤه أكثر من رجاله » [٣].

ولقد ذكـر العلماء في سيرة عبـد البهاء الذي يزعـم أنه أكبر الأنبياء[٤] ما تقشعـر الجلود من مخازيه العقـارية والجنسية والتلون في النفـاق وعدم تورعه من أن يساير كل دين سـواء كان الإسـلام أو المسيحـية أو البرهمـية أو البـوذية فلقد جامل كل هذه الطوائف بأن يؤدي لكل أصحاب ملة عبادة على طريقتهم وهذا هو النفاق بعينه حتي وإن سماه تطورا ومسايرة لروح العـصر فإن التسمية لا تغير

(١) البهائية تاريخها وعقيدتها ص ١٦٥ .

(٢) خطابات عبد البهاء ص ٨٤ .

(٣) البهائية تاريخها وعقيدتها ص ١٧٠ / ١٧١ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٤ .

الحقائق، إن الدعوة إلى مساواة النساء بالرجال هي دعوة حمقاء مخالفة للفطرة وللشرائع السماوية كلها وقد تناقض البهائيون فيها كثيرا حيث خالف فعلهم قولهم فحينما ادعوا ذلك تجدهم قد فرقوا بين الرجل والمرأة في كثير من الأحكام وإنما نادوا بهذا الشعار مخالفة لدين الإسلام الذي جاءت أحكامه بالنسبة للمرأة في تمام العدل والإنصاف وحفظ الأعراض وصيانة الأنساب فحرم على المرأة نبذ الحياء والتبرج والاختلاط ومنعها من أن تلي الخلافة العامة وأوجب عليها حقوقا كثيرة ونهاها عن أفعال قبيحة كثيرة كما أوجب لها حقوقا كثيرة تكون بها محترمة غير مبتذله كما يريد دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وحين انخدعت المرأة بهذه الدعايات الفاجرة وخرجت إلى الشارع كاشفة نابذة لبيت زوجها وتاركة لأولادها فكانت كمن يفقأ عينه بيده وكانت هي الخاسرة لعفتها ودينها وحيائها وزوجها وأولادها ، والذين نادوها إلى الخروج إنما أرادوا منها الإباحية والانحلال اقتداءً بتلك البابية «قرة العين» التي أفتت بجواز نكاح المرأة بسبعة من الرجال فيما يذكر عنها[1]، ولو رجع القارئ إلى أقوال المازندراني وابنه عباس أفندي لرأي التمييز المجحف بين معاملة الرجال والنساء في تصرفات البهائية إذ كل الأعمال لم يكلف بها إلا الرجل فقط ولم يعهد إلى امرأة بأمر ذي بال ثم هضمها حقها في الإرث في كتابه «الأقدس» حيث يقول:

« وجعلنا الدار المسكونة والألبسة المخصوصة للذرية من الذكران دون الإناث والوارث أنه لهو المعطي الفياض » [2].

إن المعطي الفياض حرم الإناث من الداروالألبسة مع مساواتهن بالذكران فأين ذهبت المساواة التي ينادون بها بين الرجال والنساء، بل أين مجرد ظهور العدل في هذه الأحكام الخرقاء بعد أن اتضح تناقضهم فيها والباطل لابد وأن يتناقض أهله فيه ثم أيضا أليس هذه التفرقة هي نفسها التفرقة التي كانت في

---

(١) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٣٩ وهو ينقله عن مفتاح باب الأبواب ص ١٧٦ .

(٢) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص١٤٦.

الجاهلية من تحريم بعض الأشياء على النساء وإباحتها للرجال مثل ما أخبر الله في القرآن من تحريم بعض اللحوم على الإناث وإباحتها للذكور فقط تخرصا بغير هدي ولا دليل(١) والواقع أن البهائية لم يتناقضوا في هذا الموضع فقط بل في أحكام كثيرة تتعلق بالنساء ظهرت في أقوال المازندراني نفسه حين قال :

« قد حكم الله لمن استطاع عنكم حج البيت(٢)، دون النساء عفي الله عنهن رحمة من عنده أنه لهو المعطي الوهاب»(٣)، مع أن المرأة بإمكانها أن تؤدي الحج كما يؤديه الرجل تماما عند وجود الاستطاعه وهذا في حكم الشريعة الإسلامية ، أما حج البهائية فهو مجرد نزهه وزياره للبيت الذي كان يسكنه الشيرازي أوالبهاء فهو مجرد زيارة في اللهو المرح والله يعلم السبب الذي جعل البهاء يسقطه عن المرأة ومهما كان فهذا التفريق في الحكم في أداء فريضة الحج البهائي له مغزاه ودلالته في النظره إلى المرأة ومساواتها بالرجل ومن أكبر ما تناقض فيه البهائي وأتباعه من بعده أنه لا يوجد نص واحد في جواز تولي المرأة المناصب العليا في الدولة وإنما ينصون عليها في الأولاد الذكور واحدا بعد واحد وكان ينبغي حسب كلامهم أن يجوزوا تولي المرأة لأي منصب كان .

ومن الأمور التي فرقوا فيها بين المرأة والرجل قول المازندراني « قد عفي الله عن النساء حينما يجدن الدم الصوم والصلاة ولهن أن يتوضأن ويسبحن خمسا وتسعين مرة من زوال إلى زوال سبحان الله ذي الطلعة والجمال هذا ما قدر في الكتاب إن أنتم من العالمين» (٤).

وعلى كل حال فإنه لا يمكن أن يأتي شخص بما يخالف الشرع القويم والفطرة السلميه والعقل المستنير إلا ويظهر عليه التناقض والارتباك مهما أوتي من

---

(١) انظر البهائية لإحسان إلهي ظهير ص١٤٣ (بتصرف).

(٢) لا يقصد بالحج هنا الذهاب إلى بيت الله الحرام بمكة وإنما يريد الحج إلى معابدهم .

(٣) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٤٦ .

(٤) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٤٢ .

الحذق والذكاء وأكبر دليل على ذلك هذه السخافات البهائية إذ كيف يعفو الله عن النساء في حال الحيض الصوم والصلاة أنه لافرق بين المرأة والرجل ثم كيف أسقط عنها الصلاة والصوم وكلفها بالوضوء والتسبيح خمسا وتسعين مرة مع أن الوضوء والتسبيح لايغنيان عن آداء الصلاة والصوم لقد نقض مذهبه بنفسه.

٦ ـ عقائد أخرى للبهائيين

سبق ذكر أهم الأسس التي يمتدح بها البهائيون ورأينا مدى صدقهم في المناداة بها ومدى بعدها عن الإسلام .

وإتماما لذلك ولئلا يفوت القارئ الوقوف على الآراء العقيدية لهذه الطائفة الشريرة الي أضلت بها أمة وأقامت بها كيانا أرغب التنبيه إلى أن آراء البهائية ليست كلها ظاهرة فهناك أراء كثيرة لهم يخفونها لئلا يواجهوا نقمة العالم عليهم فهي لاتزال سرا متداولا بينهم وبين زعماء الصهيونية الماكرة على حد ما أورده الدكتور محمد حسن الأعظمي في قوله : « إن عقيدتهم المعلنة في كتب مطبوعة ليست هي العقيدة التي يتبعونها ، إن أسرار عقيدتهم في كتب سرية لايتداولونها حتى لايثيروا نقمة كل الأديان عليهم[1] .

وهذه العقائد أوجز ذكرها فيما يلي ولا أرى أنها تستحق الوقف عندها ومناقشتها والرد عليها فهى تنضح كفراً وإلحادا صادره عن أناس لايؤمنون بالله ربا ولا بمحمد نبيا وليس عندهم أدنى وازع من حياء ومن ليس له حياء فإنه يعمل كيفما يشاء كما أخبر الصادق المصدوق عن هذا الصنف من الناس حين قال: «إذا لم تستحي فاصنع ماشئت » وبعض تلك الآراء يعود إلى هدم العقائد وأسس الديانات وبعضها يعود إلى تخبطات في مسائل فقهية الصواب فيها بعيد عن متناول عقولهم.

---

(١) حقيقة البهائية والقاديانية ص ٧٦ .

وكل ماأذكره هنا فإنه إما أن يكون مأخوذ من كتاب الأقدس للمازندراني دون ذكر النص لئلا يطول الكلام أو من كتب كبار البهائيين ويوجد كتاب الأقدس مصورا في الكتب التي أشرنا إليها من قبل لمن أراد الاطلاع عليه[1].

أ ـ مايتعلق بالعقائد والديانات

١ ـ من أهم أسس عقائدهم أن حسين على المازندراني هو ربهم وإلههم حيا وميتا قال المازندراني في وحيه: «من عرفني فقد عرف المقصود ومن توجه إلى فقد توجه إلى المعبود لذلك فصل في الكتاب وقضى الأمر من الله رب العالمين»[2]، وقال أيضاً: «لايرى في هيكلي إلا هيكل الله ولا في جمالي إلا جماله ولافي كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته ولايرى في ذاتي إلا الله»[3] ثم وصفوا الله عز وجل بصفات مفادها أنه لا وجود لله تعالى إلا في أشخاص أولئك الملاحدة من زعماء البهائيين ومن هنا فقد كان المازندراني إذا خرج على الناس أسدل برقعا على وجهه لئلا يشاهد بهاء الله في وجهه الكالح.

٢ ـ هم من كبار القائلين بالحلول والاتحاد وذلك أن المازندراني نفسه كان من المتعمقين في مسائل التصوف ووحدة الوجود والحلول والاتحاد.

٣ ـ لايؤمنون بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية في حق عيسى عليه السلام ولأنهم يقررون تبعا لاقوال أعداء الإسلام أن المسيح قتل وصلب.

٤ ـ أن الشريعة البابية البهائية ناسخة للشريعة الإسلامية جملة وتفصيلا.

٥ ـ لايؤمنون بما جاء في الإسلام من أخبار اليوم الآخر ولا بما جاء في كل الأديان من أخبارها ـ فالقيامة ـ تعني مجيء البهاء في مظهر الله تعالى وقيامه بأمر

(١) أي كتاب خفايا البهائية وكتاب البهائية الفكر والعقيدة والكتب الأخرى التي ذكرت.

(٢) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٧٣.

(٣) سورة الهيكل للمازندراني نقلا عن البهائيين نقد وتحليل ص ١٤٩.

الناس وانتهاء الدور المحمدي ﷺ على طريقة غلاة الباطنية الملاحدة .

ويعتقدون أن ماذكر من البعث والحساب والجزاء وسائر أخبار القيامة فإنها تدل على مايقع في هذه الحياة الدنيا عند مجيء البهاء لا أنها أمور تقع في دار أخرى يجازي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حسب مافصلته الأديان السماوية فيما أخبر الله عز وجل به في كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

٦ـ يعتقدون أن محمد ﷺ ليس هو خاتم الأنبياء وأن الوحي الإلهي إلى البشر لا انقطاع له لهذا فهم يزعمون :

١ ـ أن البيان العربي للشيرازي .

٢ ـ والأقدس للمازندراني .

٣ ـ والايقان المختلف عليه بين حسين المازندراني وصبح الأزل يزعمون أن هذه الكتب كانت بوحي الله عز وجل وأنها أفصح الكتب المنزلة كلها وأنها أفضل من القرآن الكريم . وتحدوا البشر والجن ومثلهم معهم أن يأتوا بحرف واحد من مافيها .

٧ـ تسلطوا على القرآن فأولوه بتأويلات باطنية إلحادية .

٨ ـ لايؤمنون بمعجزات الأنبياء ولايقرون منها إلا مايستطيعون تأويله على حسب هواهم .

٩ـ لايؤمنون بالملائكة ولا بالجن .

١٠ ـ لايؤمنون بوجود الجنة والنار .

ب ـ مايتعلق بالأحكام الفقهية

١ ـ القبلة هي المكان الذي يستقر فيه البهاء وقد استقرت في عكا وقد وصف من

لم يتوجه إليه بأنه من الغافلين وأتباعه يتوجهون إلى عكا ويزورون قبره ويطوفون به ويسجدون له ثم ينصرفون صرف الله قلوبهم وهي عوده إلى الوثنية والمجوسية بأكمل صورها القبيحة .

٢ ـ لايجوزون للمرأة الحجاب تأسيا بزرين تاج التي خرجت عن كل الأعراف في ذلك الزمن بعد أن خرجت عن الشريعة الإسلامية ونسختها .

٣ ـ يحللون المتعة وشيوعية النساء .

يقدسون العدد ١٩ ويبنون بموجبه كثيراً من الأحكام والمعاملات فيما بينهم وبين الناس فترى مثلا أن :

ـ عدد الشهور ١٩ شهراً والصوم ١٩ يومًا .

ـ وعدد أيام الشهر ١٩ يومًا وكتابهم البيان ١٩ باب .

وزكاة أموالهم ١٩ في المائة .

ـ وعدد شهور السنة ١٩ شهراً وفصول البيان ١٩ .

ـ وعدد الطلاق ١٩ مرة .... الخ ولعلهم بهذا الرقم والواقع أن كثيراً من المسلمين يجهلون حقائق البهائية وتعاليمها لأن البهائية وإن كانت نحلة ظاهرة لكنها كما تقدم تخفي حقائق كثيرة لاتعرف إلا بالتعمق في دراستها . فلا غرابة بعد هذا أن ترى كثيراً من المسلمين يرددون شعارات وأفكاراً بهائية دون أن يعرفوا من أين جاءتهم بل اجتهدوا في تردادها ونشرها بشتى الوسائل وكمثال على ذلك هذا التقديس للرقم ١٩ الذي يعتبره البهائيون رقما مقدساً بل هو من الأدلة القوية حسب زعمهم على نبوة زعمائهم كالشيرازي والبهائي ومن المؤسف حقا أن ترى كثيراً من المسلمين انخدعوا بزخرف أقوال البهائية فتعلقوا بهذا الرقم ثم نظروا إلى بقية الأعداد بعين المتعمق المتفحص علهم يصلون إلى اكتشاف آخر مثل اكتشاف البهائية للعدد ١٩ ولقد ألقى أحد دعاة البهائية

محاضرات في الكويت[1] ، عن العدد تسعة عشرة وعناية القرآن الكريم به بل وقيام أجزاء القرآن وجملة من هذا العدد أو من مضاعفاته وذهب يدلل على أن القرآن من الله وأنه معجزة بدليل عنايته وقيامه على هذا العدد ١٩ وهو العدد الذي اهتدى إليه الميرزا الشيرازي ثم البهاء ومن جاء بعدهما وأن فيه دلالة قوية على نبوة وألوهية البهاء في القرن التاسع عشر حسب زعم البهائية فحينما ألقى داعية البهائية في الكويت الدكتور محمد رشاد خليفة محاضرته عن العدد تسعة عشر بثت إذاعة الكويت تلك المحاضرة ونشرت في أماكن كثيرة في بلدان المسلمين كالقاهرة وغيرها في شكل كتيبات توزع وأشرطة تباع وتهدي ثم قام كثير من الكتاب بتأييد تلك الفكرة وترويجها ولعل بعض هؤلاء الذين فرحوا باكتشاف العدد ١٩ وأنه دليل على معجزة القرآن ماعلموا بأنهم يخدمون بهذا العمل شياطين البهائية ولم يقف هوس البهائية في العدد ١٩ عند حد، فقد جرؤ على الكذب على الله في القرآن الكريم إذ فسروا فواتح السور المشتملة على الحروف المقطعة بحسب مايمليه مخططهم للدعاية لهذا الرقم الذي أحبوه أكثر وذهبوا يدللون على صدق البهائية وزعموا أن آيات القرآن الكريم وكذلك التوراة دللت على ذلك ولقد كان للكمبيوتر مقام رفيع عندهم واهتمام بالغ فهو الذي أعانهم كما يدعون على تخريفاتهم في دلالات الأعداد ويستدلون بنتائج مايخبرهم به على أنها حقائق لاتقبل الجدل مع أنها مملوءة بالتناقض والاضطراب والمغالطات المستورة حينا والمكشوفة أحيانًا وعلى كل حال فإن قضية هذا العدد والخوض فيه من المسائل الطويلة والغير نافعة ، وما أشرنا إليه هنا يغني في التنبيه على عمق خرافات البهائية وخداعهم للناس والخطر الذي يمكن أن يجره هؤلاء على العالم لو تحققت أهدافهم لاسمح الله [2] .

---

(٢) انظرقراءة ففي وثائق البهائية ص١٩١ وانظر البهائية رأس الأفعى توسع في أخبار ها الرجل البهائي الضال المضل ، انظر ص١٣ إلى ص٤٦.

(١) من الكتب التي تحدثت عن فضائل العدد ١٩ ١ ـ الأقدس ، ٢ ـ البيان ، ٣ ـ ماكتبه د / محمد=

يباح للبهائي أن يستعمل التقية بأوسع معانيها في سبيل خداع الآخرين .

الصلاة عند البهائية :

١ ـ عددها ثلاث مرات في اليوم وهي تسع ركعات في البكور والزوال والآصال كل صلاة ثلاث ركعات .

٢ ـ يؤدونها على انفراد لأنه لايصبح الاجتماع إلا في الصلاة على الميت فقط وإما للصلاة فهي حرام وليس للطريقة التي تؤدى بها الصلاة، أى بيان وقد قال المازندراني في الأقدس:«قد فصلنا الصلاة في ورقة أخرى طوبى لمن عمل بما أمر به من لدن مالك الرقاب[1]، ولكن هذه الورقة التي أشار إليها الوحي البهائي لاوجود لها عند البهائية لأنها سرقت كما يذكر عبد البهاء[2]، فبقي أمر الصلاة عندهم مجهولا إلى أن يجدوا تلك الورقة ولن يجدوها.

الصوم عند البهائية:

١ ـ ١٩ يوما فقط في مارس يصومون من الصباح إلى الغروب ولاقضاء على من لم يؤد الصوم وقد عفى عن المسافر والمريض والحامل والمرضع والهرم والكسول أيضًا وكذا الحائض وكذا من كانت له أعمال شديدة وكذا يوم عيد المولود وهو اليوم الذي ولد فيه الشيرازي والمازندراني وكذا يوم المبعث لاصوم فيه وهو اليوم الذي أعلن فيه الشيرازي دعوته وأظهر نبوته .

= رشاد خليفة في محاضرته بالكويت تحت عنوان تسعة عشر دلالات جديدة في اعجاز القرآن، ٤ـ ماكتبه مصطفى محمود من أسرار القرآن فهم عصرى للقرآن ، ٥ ـ ماكتبه العلماء ردا على البهائية مثل كتاب الشيخ إحسان إلهي ومثل كتاب قراءة في وثائق البهائية وكتاب البهائية رأس الأفعى .

(١) الأقدس . ضمن خفايا البهائية ص ١٤١ .

(٢) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٦٢ .

الحج عندهم :

يتوجهون فيه إلى عكا مدفن البهاء وإلى شيراز؛ الدار التي ولد فيها الشيرازي وإلى الدار التي أقام بها البهاء في العراق في بغداد ولم يبين البهاء متى يتم الحج إلى تلك الأماكن ولا الأعمال التي تجب في هذا الحج وحديث كعبتهم في بغداد حديث طويل خلاصته أن هذه الدار الآن لا وجود لها وقد انتزع أصحابها ملكيتهم لها رغم الجهود المضنية التي بذلها البهائيون لتبقى كعبته لهم(١).

١ ـ لايكون الزواج إلا بواحدة ، وإذا كان ولابد من ذلك فلا يجوز أن يتعدى أكثر من اثنتين وفي بعض الروايات لايجوز الزواج إلا بواحدة فقط وحد الزناة بغير تراضي تسعة مثاقيل من الذهب تسلم لبيت العدل البهائي، والمهر عندهم في المدن تسعة عشر مثقالا من الذهب الإبريز وفي القرى مثل ذلك من الفضة ومن أراد الزيادة فلا يجوز له أن يتجاوز خمسة وتسعين مثقالا وهذه المهور من باب العراقيل عن الزواج الشرعي بلجوء العهر والفجور ، أما الإسلام فقد قال ﷺ : « التمس ولو خاتما من حديد» ؛ لأن العفاف والطهر أغلى من كل شيء فلا يتطلب صحة الزواج مثاقيل الذهب أو الفضة في الإسلام.

٢ ـ الطلاق مكروه .

٣ ـ في المواريث :

١ ـ زعموا أن الرجال والنساء على السواء .

٢ ـ ولكن تناقضوا بعد ذلك فإذا بهم يحرمون النساء من أشياء كثيرة في الإرث كما أن للشخص أن يوصى بكل ماله لأى شخص يريد سواء كان وارثا أو غير وارث كما قرروا أن غير البهائي لايرث البهائي مخالفين زعمهم القول

---

(١) انظر البهائية نقد وتحليل ص ١٧٠ / ١٧٣ .

بوحدة الأديان واحترامها جميعًا . كما قرر المازندراني أن الدار المسكونة والألبسة المخصوصة تكون من نصيب الأولاد الذكور دون الإناث مخالفين زعمهم المساواة بين الرجال والنساء .

٣ ـ سن الرشد : ١٥ عاماً للذكو والأنثى على السواء .

٤ ـ ألغى البهائيون جميع العقوبات الواردة في الشرع الإسلامي إلا الدية .

الجهاد محرم في الشريعة البهائية وتحريمه من أهم المبادىء التي جاء لأجلها المازندراني والسر غير خاف على أحد فإن كل الدعوات الضالة من قاديانية وبهائية وسائر الدعوات اتحدت كلمتهم كلهم على محو فكرة الجهاد لأنه مصدر تلك الحركات كلها واحد وتصب في مكان واحد والممول واحد وهم أعداء الإسلام الذين يهمهم جدا نسيان المسلمين لكلمة الجهاد في سبيل الله لرفع راية الإسلام ومن المؤسف أن تحقق للكفار ما أرادوا خصوصاً في عصرنا الحاضر حيث يستحي أو يخاف زعماؤه المسلمين أن يدعوا الناس إلى الجهاد في سبيل الله صراحة حتى ولو لتحرير بلدانهم ونسائهم وذرياتهم الذين يسومهم اليهود أشد الذل والإهانة في فلسطين وفي غيرها من ديار المسلمين .

* الغسل من الجنابة ليس واجبًا ولا يوجد في شريعتهم اسم النجاسة لأي شيء لأن من دخل في ديانتهم طهر له كل شيء من النجاسات والخبائث التي أجمعت عليها كل الأديان وسائر العقلاء غير الأوربيين ويكون الاغتسال عند البهائية في كل أسبوع مرة وغسل الأرض في الصيف مرة في اليوم وفي الشتاء مرة كل ثلاثة أيام .

ـ لا يباح زواج الأرامل إلا بعد دفع دية ، ولا يتزوج الأرمل إلا بعد تسعون يومًا والأرملة إلا بعد خمسة وتسعين يومًا ولم يبينوا الغرض من فرض هذه المدة .

* الزكاة : شأنها غامض جدًا في شرع البهائية لجهل المازندراني بها فليس لها أي تفصيل بين الواجب وكيفية إخراجها ولمن تخرج ومتى ذلك الخ

التفاصيل التي جاء بها الشرع الشريف الإسلامي .

* لايجوز الزواج بزوجة الأب وحكم الغلمان مسكوت عنه قال المازندراني في كتابه الأقدس الذي نسخ به القرآن الكريم لأنه كلام الله كما يفترى قال : « قد حرمت عليكم أزواج أبائكم إنا نستحي أن نذكر حكم الغلمان[1]» ، ومادام الوحي يستحي أن يذكر حكم الغلمان فمن الذي يبين حكم جريمة اللواط بعده غريب جداً أن يستحي الرب من بيان الأحكام التي هي من ضروريات الحياة للبشر قبح الله المازندراني وماجاء به وكل من دخل في غيه إلى يوم الدين .

* يجوز للرجال والنساء أن يلبسوا ماشاؤا دون أي اعتبار للملبوس سواء كان حريراً أم صوفاً أم أي نوع . وللرجل أن يلبس الحرير الخالص وأن يظهر كامل النعومة إذ لم يحرم عليه في شرع البهائية إلا حمل السلاح أو الخوض في المسائل السياسية التي هي من خصوصيات الحكام فقط .

*** في الذكر والخطابة :**

لايجوز للشخص أن يخطب على المنبر بل يقعد على الكرسي الموضوع على السرير ويخطب وكذلك لايجوز للشخص أن يذكر الله في المكان المعد للعبادة فلا يجوز له أن يلوك فمه بذكر الله في غير مكان العبادة .

* لايجوز للشخص أن يحلق شعر رأسه لأن الله قد خلقه زينة له .

قال المازندراني في الأقدس : « لاتحلقوا رؤسكم قد زينها الله بالشعر في ذلك لآيات لمن ينظر إلى مقتضيات الطبيعة من لدن مالك البرية أنه لهو العزيز الحكيم ولاينبغي أن يتجاوز حد الآذان هذا ماحكم به مولى العالمين»[2]. مالك

---

(١) الأقدس ضمن خفايا البهائية ص ١٦٦ .

(٢) الأقدس : ضمن خفايا البهائية ص ١٥٠ .

البرية والعزيز الحكيم ، ومولى العالمين كل هذه الصفات الهائلة الرهيبة جاءت من أجل حلق شعر الرأس في وحي المازندراني السخيف .

ونكتفي بما تيسر ذكره من مبادىء البهائية وتعليماتهم وفي الوقت الحاضر يمكن اغفال النظر عن مناقشتها والرد عليها كلها لأن التعليق عليها لايتطلب أكثر من أنها تعاليم وعقائد غير إسلامية وليس لهم عليها من دليل إلا مجرد التخرص وماتهواه أنفسهم زاعمين بعد ذلك أنها منزلة من عند الله عز وجل ناسخة لجميع الشرائع ، يقولون هذا في الوقت الذي يتظاهرون فيه بأنهم على الإسلام للتزلف إلى المسلمين ومخادعتهم عن دينهم فإن العلماء يذكرون أن عبد البهاء الذي ورث النبوة بعد أبيه صلى الجمعة مع المسلمين قبل وفاته بيومين ، مع أن الصلاة جماعة محرمة في شريعتهم إلا على الميت ، وهو يهدف بصلاته مع المسلمين ومع النصارى ومع اليهود ومع البراهمة التدليل على أن البهائية ذات ديانة شاملة تتسع لكل المذاهب والديانات المختلفة ـ وسموا هذا التخبط والاضطراب والتناقض دينا مقدسا شاملا [1] .

---

(١) من أراد التوسع والاطلاع على نصوص ماقدمنا إيجازه عنهم فلينظر في المراجع والمصادر التي سنذكرها في آخر دراسة هذه الطائفة إن شاء الله تعالى .

الفصل التاسع

أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم .

لقد لعب التأويل دورا خطرا في مفاهيم الناس وقد سبقت الاشارة إلى بعض أضراره العديدة على الإسلام والمسلمين والغرض هنا هو ذكر بعض الأمثله التي تبين كيف جرأت البهائية على التلاعب بالنصوص داولتها على طريقتها الباطنية الملحدة ومن ذلك :

١ ـ ماورد من ذكر القيامة في القرآن قالوا أن المقصود بها قيام البهاء بدعوته وانتهاء الرسالة المحمدية .

٢ ـ النفخ في الصور دعوة الناس إلى اتباع البهاء .

٣ ـ البرزخ هي المدة بين الرسولين إلى محمد ﷺ والباب الشيرازي .

٤ ـ وفي قوله تعالى ﴿ **وإذا الشمس كورت** ﴾ : أي ذهب ضوئها : أي انتهت الشريعة المحمدية وجاءت الشريعة البهائية .

٥ ـ وفي قوله تعالى : ﴿ **وإذا العشار عُطلت** ﴾ : أى تركت الإبل واستبدل عنها بالقاطرات والسيارات والطائرات .

٦ ـ ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ أي جمعت في حدائق الحيوانات في المدن الكبيرة ـ ﴿**وإذا البحار سجرت** ﴾ : أي اشتغلت فيها نيران البواخر التجارية .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾أي اجتمعت اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد فامتزجوا في دين المرزا المازندراني .

ـ ﴿ **وإذا الموؤدة سئلت** ﴾ أي أسقطت الأجنة من بطون الأمهات فيسأل عن ذلك من قبل القوانين لأنها تمنع الإجهاض .

ـ ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾أي انتشرت الجرائد والمجلات وكثرت﴿**وإذا السماء كشطت** ﴾: أي انقشعت أي أن الشريعة الإسلامية لم يعد يستضل

بها أحد.

- ﴿ **وإذا البحار فجرت** ﴾ : أي وصل بعضها ببعض عن طريق القنوات ﴿ **وإذا الجحيم سعرت**﴾ ﴿ **وإذا الجنة أزلفت** ﴾: الأولى لمن عارض الميرزا حسين والثانية لاتباعه المؤمنين به .

- ﴿ **إذا القبور بعثرت** ﴾ أي استخرجت الأشياء والتحف ذات القيمة .

- ﴿ **إذا الجبال سيرت** ﴾ الجبال هنا هم الملوك والوزراء أي دونوا لهم دساتير يسيرون بموجبها وهي الدساتير الحديثة .

وقوله تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله** ﴾ إلخ الآيه الكريمه أي مجئ البهاء المازندراني .

وقوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ قالوا ـ الحياة الدنيا هي الإيمان بمحمد ﷺ والآخره هي الإيمان بميرزا حسين على البهاء .

وقوله تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال**﴾ قالوا الفريق المهتدي هم الذين آمنوا بالبهاء والآخرون هم الذين أبوا من الإيمان به .

وقوله تعالى : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين أوتوا العلم** ﴾ أي علم دين بهاء الله والإيمان به لقد لبثتم في كتاب الله ـ الخطاب لأمة محمد (ﷺ) أي لبثتم في إقامة كتاب الله وهو القرآن الكريم والعمل بشريعته المطهرة إلى يوم البعث أي إلى قيام بهاء الله وظهوره فهو المراد بالبعث أي خروج الناس من دين محمد (ﷺ) إلى دين البهاء .

وقوله تعالى :﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ : أي سماء الأديان انشقت .

﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ : هم رجال الدين لم يبق لهم أثر على الناس .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ أي فتحت قبور الأشوريين والفراعنة والكلدانيين لأجل الدراسة .

وقوله تعالى: ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ قالوا القصد منها الأديان السبعة البرهمية البوذية ، والكونفوشستية والزرادشتية واليهودية ، والنصرانية والإسلام إنها مطويات جميعا بيمين الميرزا حسين المازندراني .

إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية الشنيعة لآيات القرآن الكريم والكذب على الله تعالى دون مبالاة أوخوف لا من الله ولا من انتقاد عقلاء بني آدم على هذا الصنيع الفاحش من هؤلاء السفهاء [1].

وهناك تحريفات أخرى كثيرة كلها تهدف إلى شيء واحد هو محاولة حرب الإسلام وانتزاعه من قلوب أتباعه بطريقة ماكرة . وهذه التحريفات لا يحتاج المسلم إلى الاطلاع على الرد عليها فهي أقل من أن تعلق بذهن أحد إلا إن المهم في هذه التأويلات هو معرفة الدافع لهؤلاء إلى اقتحام هذه التأويلات السخيفه ؟ يجيب الدكتور محسن عبد الحميد عن ذلك بقوله :

« والجواب أنهم يحاولون ذلك لكي يتوصلوا عن طريق تلك الأباطيل إلى أن القرآن قد بشر بمجيء البهاء فموجب هذه التأويلات وغيرها أن نبيا سيظهر ولكن متى ؟ الجواب عند ظهور القاطرات وإنشاء حدائق الحيوانات وصنع البواخر والسفن وامتزاج النصارى واليهود والمجوس وشق القنوات وفتح قبور الآشوريين والفراعنة والكلدانيين وإجهاض الأطفال» [2]!

(١) انظر لهذه التحريفات وغيرها حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٦ / ١٢٨ قراءة في وثائق البهائية ص ٢٧٧ عنوان «القيامة البهائية » إلى ص ٣٠٢ وكذا عنوان «قيام الساعة البهائية وانتهاء أجل الأمه المحمدية ص ٣٠٣ / ٣٢٢ .

(٢) انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٢٦ / ١٢٨ .

الفصل العاشر

موقف البهائية من السنة النبوية

وكما أولوا آيات القرآن الكريم أولوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا أ ن الأحاديث كلها شأن القرآن تدل على نهاية الشريعة المحمدية ـ وظهور القيامة بمجيء البهاء على قلة ما التفتوا إلى السنة لأن البهاء في أنفسهم أعلى من الرسول ﷺ وأخزى الله البهائية (١).

ولأن السنة والحديث كما صرح البهائي الحاقد الدكتور محمد رشاد خليفة إنما هي بدع شيطانية والوقوف على ظاهرها دون تأويلها بظهور البهاء يعتبر كفرا بالرسول محمد ﷺ نفسه ويعتبر خروجا بالأمة إلى الشرك والضلال كما زعم هذا الكذاب وهذه التصريحات أصدرها في سنة ١٩٨٢ م وهو أمام مسجد توسان بولاية أريزونا الأمريكية باسم رشاد خليفة بحذف اسم محمد لأشياء في نفسه.

وقد أضاف إلى افتراءاته وإلحاده فزعم أن القرآن حذر المسلمين عن أخذ الدين عن الرسول ﷺ بل يجب أن يأخذوه عن القرآن فقط وهذا القول يكفيه رد قول الرسول ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » .

ثم زعم أن المسلمين رجعوا إلى الوثنية حينما عظموا الرسول ﷺ ومجدوه وقد أمر الله أن يمجدوه ويعظموه هو وحده . ومما يجدر التنبيه إليه أن البهائيين المتأخرين قد اتخذوا مسلكا أخبث وأمكر من مسلك أسلافهم . وذلك بظهورهم أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبي الإسلام وأن الإسلام حق والرسول

---

(١) لايؤمن البهائية بالسنة النبوية . ولا يأخذون من معجزات الرسول ﷺ إلا ما يوافق هواهم مما يتعلق بمكامن الفضائل التي يعتبرونها من الأدله الثابتة على نبوة محمد ﷺ وهي أحاديث موضوعة لا تثبت إلى النبي (ﷺ) ومع ذلك فإن البهائيين يتفننون في نشرها ، انظر البهائية للخطيب ص ٤١ / ٤٣ .

محمد ﷺ حق وأنه لا تنافي بين الإيمان بنبي الإسلام وبين الإيمان بنبي البهائية لأن الإسلام نفسه قد بشر بنبي البهائية كثيرا في القرآن وفي السنة فالذي لا يؤمن بالبهائية بعد أن قامت القيامة وانتهى الدور المحمدي بظهور البهاء لا يكون مؤمناً لا بالإسلام ولا بالبهائية ولا بالله أيضا فإن الأساس للإيمان هو الإيمان بالبهاء المازندراني الملحد .

وينتهي الإيمان بالبهاء عند البهائية أن يتخذه الشخص إلها من دون الله وصدق الله العظيم .

﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (1).

﴿ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (2).

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب(3)**﴾** (4).

---

(1) الرعد : ٣٣ . (2) الحج : ٤٦ .

(3) آل عمران : ٨ .

(4) من كتب البهائية في هذا الموضوع ـ الحجج البهية ـ لفضل الله الجرفاذفاني ٢ ـ كتاب التبيان والبرهان ـ أحمد حمدي وفي كتاب « قراءة في وثائق البهائية » للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء « مناقشات وردود جيدة علي مزاعم البهائية » اقرأ العناوين الآتية .

ص ٣٢٤ « القرآن والحديث في وثائق البهائية ».

ص ٣٣٥ « القرآن والحديث في العلمانية العصرية ».

ص ٣٤١ « ذكرت دراسة عن أحد كتب البهائية وأباطيل محمد رشاد خليفه فيه .

انظر « القرآن والحديث والإسلام في كتاب « البهائية الجديدة » « الطلع الخبيث للشجرة الملعونة » .

الفصل الحادي عشر

السبب في إنتشار تعاليم البهائية

الواقع أنه ليس في تعاليم البهائـية وديانتها مايغري باعتناقهـا فهي أفكار ملفقة من شتى المذاهب والديانات . مملوءة بالخرافات التي يأباها العقل السليم والفطرة المستقيمه كما أنها مملوءة كذلك بالمتنافضات شأن كل باطل .

ومع ذلك كله فقد انتشرت انتشـارا رهيبا في الكثير من البلدان إلا أن بعض أهل تلك البلدان قد استفـاقوا حين أمعنوا النظر في تعاليم البهائيـة وما تهدف إليه من الشر بالعالم كله وفي أولهم ـ العالم الإسـلامي هالهم ما رأوه من تلك التعاليم الجهنمـية وهالهم كذلك مـا رأوه من الحقد الشـديد للإسلام ونبيـه العظيم فشنوا الغارة الملتهبة على البهائيين وعلى تعاليـمهم وعلى محافلهم المنتشرة وحاكموهم محاكمات ظهرت في كـثير من تلك المحاكمات حقيقة البـهائية الملحدة الإباحية فـأفتى القـضاة والعلـماء والمثـقفـون وكل من في قلبـه أدنى ذرة من إيمان بخطر البهائـية ووجوب محاربتـها والتقرب إلى الله يسـحق كل بهائي احتسـابا للأجر والثواب ولا تزال الحرب سجالا بين أهل الخير وأهل الشر .

إلا أن البـهـائيين وهم لادين لهم يحـاربون غـيـرهم بمخـتلف فنون الحـرب الظاهرة والخفـية من مؤامـرات ودعايات وإغراءات ونفـاق ودعارة لأن كل هذا جائز في شريعة البهائية .

إضافـة إلى ما تيسـر لهم من أسباب أخـرى كثيـرة ساعدت في انتـشار هذه النحلة يمكن الإشارة إلى أهمها فيما يلي :

١ ـ جهـل كثيـر من المسلمين بحـقيـقة المذهب البـهائي خـصوصا وأن الـدعوة البهائية أكثر ماتوجه إلى العوام والسطحيين من الناس .

٢ ـ تظاهر هؤلاء ـ تقية ونفاقا ـ بالإسلام وبالإيمان بالنبي (ﷺ) .

٣ ـ التفاف أعداء الـدين الإسلامي نحو البهاء وتعاليـمه والذود عنه ونشر أباطيله

وزخرف الدعايات له والمساعدات السخية له ولأتباعه بكل شكل من أشكال المساعدات مادية ومعنوية .

٤ ـ انشغال كثير من المسلمين عند قيام البهائية بمشكلات داخلية وخارجية بعضها مشكلات حقيقية وأكثرها إنما هي مفتعلة من أعدائهم لإ لهائهم عن مايراد بهم ليتم تنفيذ المخطط بهدوء .

٥ ـ كثرة تحريفات النصوص ـ على وفق ما يريدون ـ سواء كانت تلك النصوص من القرآن الكريم أو من السنه حيث أولوها على الطريقة الباطنية الماكرة بحيث إذا وقف عليها من ليس عنده اطلاع كاف على أباطيل الباطنية والبهائية لابد وأن يقع في شبكاتهم[١]،ويصدق ولو بعض تلك الترهات .

٦ ـ تفنن هؤلاء في التلون واستعمال التقية واستحلال الكذب والنفاق بحيث كانوا يتوددون إلى كل شخص بما يستطيعون به الوصول إلى قلبه لاستدراجه بعد ذلك إلى حيث يشاءون دون أن يجدوا في تلك المسالك الملتوية أي حرج .

٧ ـ مهارة هؤلاء في تنظيم الدعوة إلى مذهبهم وتنظيم المحافل التي هي نقاط الانتشار في كل بلد توجد به هذه المحافل وتوددهم إلى الحكام والمفكرين وخداعهم لهم بما يظهرونه لهم من الخير وإرادة الإصلاح والتزلف إلى رضاهم بكل وسيلة .

٨ ـ كما يعود انتشار مذهب البهائية إلى أن أكثر الناس يحبون الانفلات عن الالتزامات الشرعيه والميل إلى الشهوات ونبذ القيود وقد عرف زعماء البهائية هذا الجانب واستغلوه أقوى استغلال ومن هنا دخل كثير من الناس في

---

(١) وأقرب الأمثله على هذا تلاعبهم بمعنى الآيه الكريمة ـ ولكن رسول الله وخاتم النبيين «حيث صاروا هم والقاديانيون في طريق واحد حول تأويل هذه الآيه بأن الخاتم بمعني « أفضل» أو أنه كالمهر أو أنه خاتم الأنبياء أصحاب الشرائع المستقلة وغير ذلك من أكاذيبهم على الله وعلى رسوله وعلي اللغة أبدا لأن اللغه لا تساعدهم أباداً على تلك المعاني الباطلة التي اخترعوها .

المذهب البهائي ليس اقتناعا تاما به وإنما ليضفي على ميوله وشهواته صفة شرعية ولو على طريقة الشرع البهائي .

٩ - كما يعود أيضا إلى أن أكثر الدعوات الباطلة إنما تنتشر بين الأوساط الفقيرة حيث يقوم أصحاب تلك الدعوات بمساعدة الفقراء من بناء مدارس ومستشفيات ودور اجتماعية وقروض وإيصال بعضهم إلى الوظائف الحكومية وتسهيل معاملاتهم وغير ذلك من المساعدات التي يكون لها أثر إيجابي في نفس المدعو ولابد إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة الخفية التي يجيد هؤلاء عرضها بأساليبهم وطرقهم الملتوية .

الفصل الثاني عشر

كتاب البهائية الذي يقدسونه

إدعى حسين على المازندراني الألوهية . ومن هنا كان حتما عليه أن ينزل الكتب المقدسة ويبين لعبادة مايريد حسب أوهامه .

فكان أن جاء بكتابه« الأقدس » وجاء فيه بما يستحي طالب العلم المبتدئ في الطلب من نسبته إلى نفسه فكان بحق أحط كتاب وصيغ بأردأ العبارات وحشي بألفاظ وعبارات تنضح جهلا تنفر من معانيه النفوس وتأنف من سماعه الأسماع ألفه ولفقه المازندراني وزعم أنه أفصح وأشرف كتاب منزل على الإطلاق وفضله على كتب الله المنزلة على رسله الأخيار ثم نسخ به جميع الكتب السابقة وفي أولها القرآن الكريم .

ولا تسأل عما فيه من الألفاظ الشنيعة والمعاني الركيكه والأخطاء اللغوية والتراكيب الغامضة قراءته مملة ثقيلة على النفس وقد قرأته عدة مرات لأنه كتيب ـ وكلما قرأته أزددت غيظا وغما من تبجح مؤلفه واستكباره الذي فاق استكبار فرعون وهامان وقارون فإنه كله مدح لنفسه ولبهائه ولجودة قريحته وعمق تفكيره وإحاطته علما بما كان وما يكون وسماعه ضجيج أصوات الذرية في أصلاب آبائهم ومخاطبة الملوك والرؤساء وندائهم إلى الأخذ بديانته ومخاطبة بعض الأراضي أيضا مثل قوله يا أهل البهاء يا معشر العلماء يا ملاء الإنشاء ياعبادي ـ يا معشر الملوك ـ قل لي يا ملك البرلين أسمع النداء من هذا الهيكل المبين ـ يا معشر الأمراء اسمعوا ياشواطيء نهر الرين ـ يامعشر الروم ـ ياراض الطاء ـ يا أرض الخاء يابحر الأعظم ـ قل ياقوم ـ ياملك النمسا ـ يا ملوك أمريكا هذه هي النداءات التي يكررها في كتابه .

وقبل إيراد بعض الأمثلة من ذلك الكتاب أود التنبيه إلى أنك حينما تقرأ فيه تحتار حيرة شديدة في معرفة مصدره فهو مرة يأتي بآياته كما يسميها على أنها من الله تعالى لشخصه مباشرة ومرة يأتي بها على أنه هو الله الذي تكلم به كما

اقتضت إرادته ومرة يأتي بها على أنها من إنشائه هو، ومرة يظهر فيها العلو والاستكبار إلى أبعد الحدود، ومرة يظهر نوعاً من التواضع.

وهكذا يخرج منه قارئة وهو أشد جهلا به حتي في الآيات التي يزعم فيها بيان بعض الأحكام ففيها من التعقيد وركالة الأسلوب ما لا يكاد يفهم إلا بكلفة.

ولكي يطلع القارئ الكريم على بعض تلك الآيات التي لفقها المازندراني نورد الأمثلة الآتية من كتابه الأنجس وليس الأقدس وهو موجود ضمن كتاب خفايا الطائفة البهائية بنصه كاملا كما تقدمت الإشارة إليه.

١ ـ فمن ذلك زعمه أنه قد أحاط بعلم ما في اللوح وقرأه والناس غافلون وأنه دخل مكتب الله ـ هكذا بهذا الأسلوب ـ والناس راقدون.

النص: «يا ملاء البيان إنا دخلنا مكتب الله إذا أنتم راقدون ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون ـ تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله وأنتم غافلون [١]».

٢ ـ رده على المخالفين له الذين يدعون أنهم علماء أكثر منه مع أنه أحاط بالعلم ولم يترك لهم منه إلا مثل ما تترك العظام للكلاب.

النص: «ومنها ـ أي من الناس ـ من يدعي الباطن وباطن الباطن قل أيها الكذاب تالله ماعندك أنه من القشور تركناها لكم كما تترك العظام للكلاب»[٢].

٣ ـ وقال في بيانه لمنزلة كتابه الأقدس:

«لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والأقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار»[٣].

٤ ـ ويندب حظ من أعرض عن ذكره بقوله: «من الناس من غرته العلوم وبها منع عن اسمي القيوم وإذا سمع صوت النعال من خلفه يرى نفسه أكبر من نمرود قل أين هو يا أيها المردود تالله أنه لفي أسفل الجحيم» [٤].

٥ ـ ويقول في تفضيل كلامه: «من يقرأ آية من آياتي لخير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين هذا بيان الرحمن ـ يعني نفسه إن أنتم من السامعين قل

---

(١) الأقدس ص ١٨٢. (٢) الأقدس ص ١٤٧.
(٣) ص ١٤١. (٤) ص ١٤٩.

هذا حق العلم لو أنتم من العارفين »[1].

إلى أن قال : « لو يقرأ أحدا به من الآيات بالروح والريحان خير له من أن يتلو بالكساله صحف الله المهيمن القيوم » [2].

«قل تالله لا تغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع أنه لا إله إلا أنا العليم الحكيم»[3] إلى آخر إفكه وإلحاده وجهله بجميع الأديان .

على أن البهاء وقد تنبأ وتأله صار يخبر بأشياء كثيرة من المغيبات التي زعم أنها ستقع كما أخبر فإذا بها تأتي عكس ما أراد وأخبر وقد أخزاه الله في ما تنبأ به كما أخزى غيره من كبار الأبالسة ونشير هنا بإيجاز ، إلى بعض نبؤات المازندراني[4]، ومنها :

١ ـ ماتنبأ به المازندراني من أن البهائية سيكون لها مستقبل مشرق في العراق وسيفتخرون بها بعد قليل من الزمن فهل صدق في ذلك الزعم الذي ينسب الإخبار به إلى الله مضى على قوله سنوات عديدة ولم يفتخر أهل العراق بها بل وبعكس ذلك لا يوجد اليوم فيها من يستطيع المجاهرة بالبهائية رغم إدعاء المازندراني الألوهية وأن ما أخبر به سيكون كما وقع .

٢ ـ تنبأ المازندراني بأن طهران ستكون بهائية كلها ويحكمها بهائيون ويمتد حكمهم من طهران إلى ماورائها ويعظم شأن البهائيون بها جدا .

وكذب هنا كما كذب في غير ذلك فلم يسمح للبهائيين رفع رؤسهم أو إظهار دعوتهم بل بقوا فيها في غاية الذل والاحتقار ولم يقم لهم حكم فيها أو كلمة.

---

(١) ص ١٧٣ . (٢) ص ١٧٦ . (٣) ص ١٨١ .

(٤) لإحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية نقد وتحليل مقال بعنوان « البهائية وتنبوءاتها يبدأ من ص ٢٤٩ إلي ص ٣٠٨ توسع في ذكر تنبئات المازندراني وبين أكاذيبه كلها ومنه ما أشرت إليه في الفقرات التي ذكرتها ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب البهائيه نقد وتحليل الصفحات المشار إليها .

٣ ـ تنبأ المازندراني بأن دينه سيغلب الأديان كلها ويعتنقه أكثر العالم وسيهيمن هو على جميع الأرض فماذا كانت النتيجة لقد فضح الله الكاذب فقد مضت سنوات عديدة وتلك الأماني الفارغة لم يتحقق منها شيء رغم ما قام أعداء الإسلام من اليهود، والصهيونية العالمية ، والصليبيون والاستعمار الروسي والأمريكي بمساعدته والوقوف إلى جانبه ولكن قدرة الله أقوى من ذلك ففشل هؤلاء فشلا ذريعا في تحقيق مطامع هذا المتأله الكاذب وكانت أحلامه خيالية وكلامه هذيان فارغ﴿**ليحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**﴾[١].

٤ ـ وأغرب شيء وأشنعه في تنبؤات البهائية ماصرح به ابن المازندراني المسمى عبد البهاء عباس أفندي ـ بوحي من أبيه حينما سئل عن آخر السنوات التي تعم فيها البهائية العالم وتنتشر في أرجائه وأنحائه أجاب بأنه وحسب البشارات القديمة التي ذكرها له إلهه المازندراني أنه سيتم ذلك وبالتحديد. أيضا في ١٩٥٧م فماذا كانت النتيجه ؟

لقد أظهر الله كذبهم حتي لايبقى لأحد حجة فلم تدخل الدول في البهائية ولم يظهر نور الله البهاء في جميع أقطار الأرض كما زعموا .

فطردت البهائية من إيران وطردت من العراق وطردت من تركيا وطردت من مصر وليبيا وسوريا وقضي عليها في باكستان وأفغانستان ولم يأبه لها العالم الغربي كما يريدون وكذلك طردت من أفريقيا ، ولم يقر لها قرار إلا في البيئات المنحلة ، أو الحاقدة على الإسلام وظلت طريدة لخبثها وخبث مبادئها وولائها للاستعمار في كل مكان إلى أن أواها الإنكليز إلى فلسطين وتلقفتها اليهودية فأين نبوءة حسين على البهاء المازندراني وابنه عباس أفندي من أن البهائية ستكتسح جميع الأديان وستعم البلدان في الموعد الذي حدده البهائيون [٢].

---

(١) سورة الأنفال ٨ .

(٢) انظر البهائية نقد وتحليل ص ٢٥٤ .

الفصل الثالث عشر

أماكن البهائية

تنتشر الأفكار وتتغلغل بين الناس دون أن يفطن لها المجتمع لاتحدها الحدود الدولية السياسية ولا تمسك بزمامها سلطة تسري في الأمة سريان النعاس في جسم الإنسان حتى إذا قوي أمرها وانتشر خيرها وصار لها رجال يدافعون عنها ظهرت متنكرة للوسط الذي تعيش فيه طالبة التغيير الجذري لكل ماحولها ومن هنا تبدأ ثمارها خيرة كانت تلك الأفكار أم شريرة ومن المعلوم أن للسلطة والسياسة والمجتمع بأكمله دور في ظهور الفرق وعدم ظهورها حسب الظروف التي تحيط بها فمثلا هذه الطائفة التي نحن بصدد دراستها من الأسس الهامة في عقائدهم القول بالتقية وحينما يخافون أن يظهروا أنفسهم على حقيقتهم يدخلون مع الناس على الوفاق والود ويبطنون ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من التربص بالبشرية والتمسك بعقائدهم ومحاربة الأديان المنافية لها ويكونون كالنار تحت الرماد ويعملون في الخفاء لنشر أفكارهم إلى أن تواتيهم الفرصه فيظهرون وقد انتشرت البهائية في أماكن كثيرة بعضها معلوم وبعضها في الخفاء إلا أن وجودهم الأكبر ومركزهم الرئيسي بين حلفائهم في أرض فلسطين التي اغتصبها اليهود وبارك هذا الاغتصاب ونشر الدعاية له البهائيون في كل مكان . ويوجد لهم خلايا كثيرة في إيران وأمريكا والعراق ومصر وتركيا وإمارات الخليج والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومحافلهم كثيرة وأكبرها في شيكاغو وإسرائيل وكندا وبنما ولندن وألمانيا وسويسرا والهند وباكستان وشمال أفريقيا وأوغندا واستراليا .

وقد قدر بعض زعماء البهائية عدد البهائيين بما يزيد على ستين مليون نسمة في العالم ولكن لا ينبغي تصديقهم فيه فهو رقم دعائي أكثر منه حقيقي ومما لا ينكر أنه قد وقف أعداء الإسلام إلى جانب البهائية مدافعين عنها ومشجعين لها

في الاستمرار و كل من حاول الأخـذ على أيدي البهائيين في أي مكان من العالم تقوم ضـده دعاية رهيبة بأنـه غير متـحضر وإرهابي ولا يسـمح بحرية الفكر ولا يراعي حـقـوق الإنسـان إلـى غـيـر ذلك من الدعـايات الطويلة الـعـريضـة التي يجيدونهـا ثم يلجؤن إلى مجلس الأمن للعويل على حقـوق الإنسان التي ترعاها الأمم المتحـدة في نيويورك ليجـد كل من يريد إيقافهم عند حـدهم أنه أصبح في عداد الأشـرار دون أن يعرف الذنـب الذي اقترفـه وهذا بفـعل دسائس زعـماء البهـائية في كل مكان يوجدون فيـه وتكاتفهـم على باطلهم ووقوف بعـضهـم إلى جانب البعض الأخر لشعورهـم بالقلة والذلة أدام الله ذلهم إلى يوم يؤبون فيه إلى الدين الحق والصراط المستقيم .

من مراجع البهائية

١ ـ **البهائية تاريخها وعقيدتها . وصلتها بالباطنية والصهيونية** تأليف : عبدالرحمن الوكيل.

٢ ـ **حقيقة البابية والبهائية** : تأليف الدكتور / محسن عبد الحميد .

٣ ـ **البهائية** . السيد محب الدين الخطيب .

٤ ـ **البهائية نقد وتحليل** ـ إحسان إلهي ظهير .

٥ ـ **حقيقة البهائية والقاديانية** . الدكتور محمد حسن الأعظمي .

٦ ـ **البهائية الفكر والعقيدة** . صالح عبد الله كامل .

٧ ـ **الحكم على البهائية** . على رشدي .

٨ ـ **قراءة في وثائق البهائية** . الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء .

٩ ـ **خفايا الطائفة البهائية** . الدكتور / أحمد محمد عوف .

١٠ ـ **البهائية رأس الأفعي**. أول محاكمة شرعية للبهائيين مجموعة من الكتاب.

١١ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** .« الندوة العالمية للشباب الإسلامي » .

١٢ ـ **دراسات عن البهائية والبابية** تأليف / محب الدين الخطيب / على على منصور / محمد كرد على / محمد فاضل .

وبعد هذه الدراسة عن فرقة البهائية عثرت على نسخة مصورة عن هذه الفرقة تسمى موقع البهائيين في الحركات الهدامة ، المفسدون في الأرض » كتبها « محمد على كيوة» ـ معاصر ـ فيها تفاصيل دقيقة وموسعة عن البهائية ويظهر فيها أن له اطلاعا واسعا على خفايا هذه الطائفة ومعرفة خاصة بهم فلترجع إليها إن شت.

نهاية الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ويبدأ بـ(الباب الثامن :القاديانية)

تطلب جميع منشوراتنا من

مكتبة أضواء المنار

السعودية ــ المدينة المنورة ــ مجمع أحد التجارى

ت: ٨٣٧٠١٨٥ ص . ب :٥٤٩١